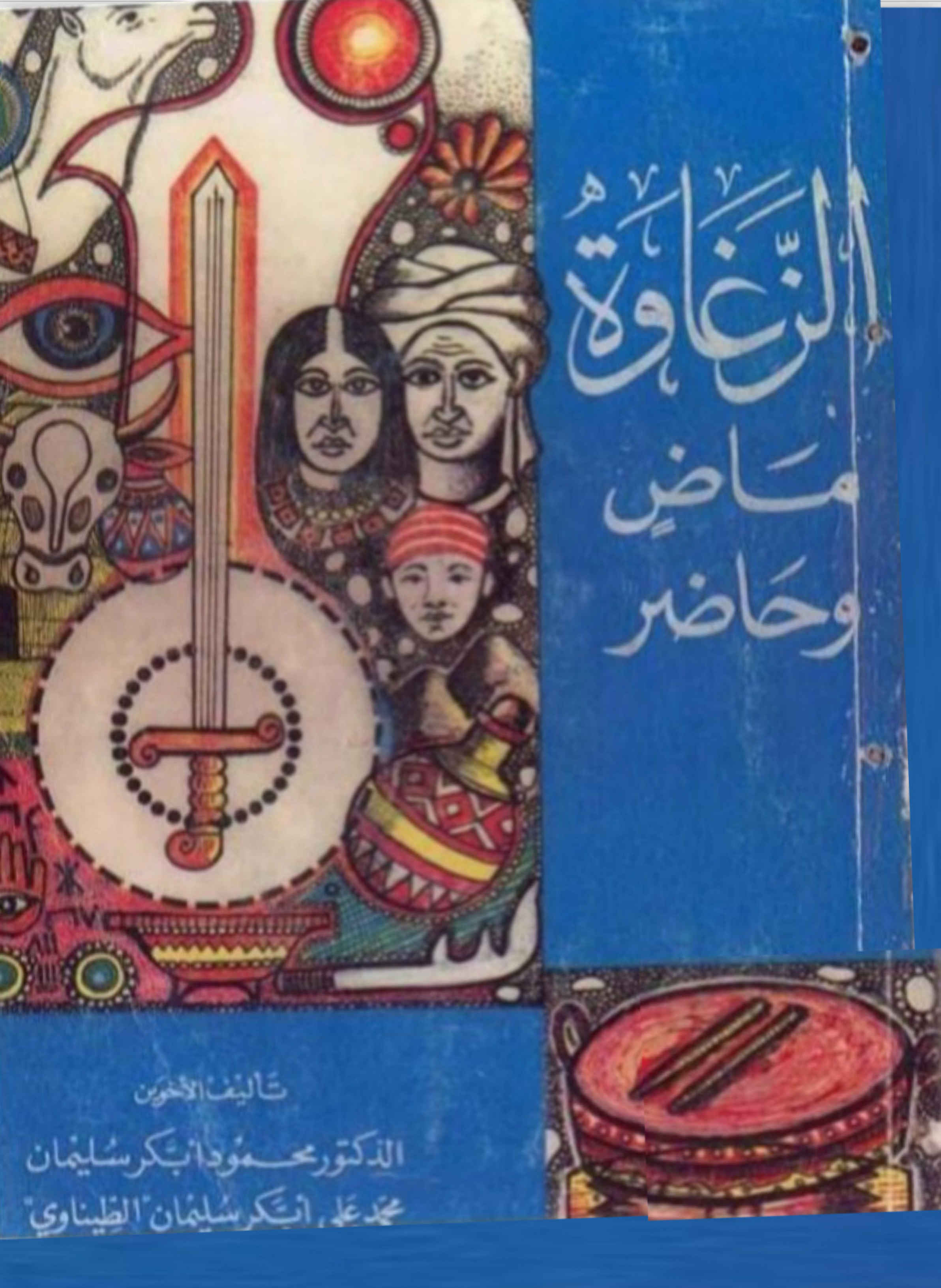


الزغاوة
ماضٍ وحاضر
تأليف الأخوين
الدكتور محمود أبكر سليمان
محمد علي أبكر سليمان "الطيناوي"

الزّغَاوَة

Zaghawa

مَاضٍ وحَاضر

تأليف الأخَوين

الدكتور محمود أبكر سليمان

محمد علي أبكر سليمان الطِّيناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

- ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين " صدق الله العظيم. الروم الآية 22

الإهداء

نهدي هذا الكتاب ..

إلى المهتمين والدارسين

في موضوع هذا البحث.

المؤلفان

- الطبعة الأولى – الكويت أبريل 1988

- تصميم الغلاف والخرائط والمخططات من عمل الفنان الطيناوي

الزغاوة ماض ..وحاضر

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

التقدير والعرفان لكل الذين ساهموا بوقتهم وجهدهم وقدموا لنا الكثير من المعلومات التاريخية والوثائق والمستندان التي كانت من أهم مصادر موضوع هذا الكتاب.والشكرموصول للآتية أسماؤهم وهم من ضمن قائمة[1] طويلة لايسع المجال لذكرهم :

العدد	الاسم	العدد	الاسم
1	الحاج /آدم عبد الرحمن علي دهب	15	السيد/عبد الرحمن أحمد نور
2	المرحوم/السلطان دوسه عبد الرحمن	16	السيد/ بشرى جمعة عبد الله
3	الحاج/ نور عبد الرحمن بشارة	17	السيد /آدم ريمه
4	المرحوم /عبد القادراحمد عبد الرحمن	18	السيد/آدم محمد حامد عمر
5	الملك/ رحمة الله محمود علي	19	السيد/ تاج الدين مصطفى فاشر
6	الحاج/ حسين نيمان عبد الرحمن	20	السيد/ أحمد محمد نور
7	المرحوم/أبكر سليمان عبد الشافع	21	السيد/ إبراهيم فضل حداي
8	السيد/ يوسف شرف الدين عبد الشافع	22	الأستاذ/ إسحق مصطفى إسحق
9	المرحوم/محمود الطيب صالح	23	السيد/ إبراهيم كنز عبد الكريم
10	السيد/ بشارة فاشر عبد الرحمن	24	السيد/ سليمان عبد الله أوبي
11	السيد/حسين دوسة عبد الرحمن	25	السيد / محمود جمعة عرجة
12	السيد/ حسين شرف الدين عبد الشافع	26	السيد/ آدم إبراهيم علي
13	الأمير/ بحر الدين علي دينار	27	السيد/ عز الدين إسحق شوقار
14	السيد/ حجر حسن محمد	28	السيد/ آدم عباس أحمد

[1] وضعت هذه القائمة حسب الترتيب التنازلي لأعمار المذكورين أعلاه.

المقدمة

يتركز موضوع البحث في هذا الكتاب على تاريخ قبيلة الزغاوة السياسي بشكل عام ومن خلاله نحاول أن نتعرض بشيئ من التفصل على الحياة الإجتماعية والتحقيق في الإصول السلالية لها ، وذلك لقناعتنا بأن دراسة التاريخ من الضرورة بمكان لفهم الحاضر وتكهن المستقبل بإستلهام العبر من الماضي . وحينما أقدمنا على وضع هذا الكتاب كانت تستهوينا آمال في أن الدراسة التحليلية لتاريخ الزغاوة كفيل لأن تنير الطريق لإماطة اللثام عن المعالم البارزة في هذه المعالم السكانية في تلك المنطقة الجغرافية . وتحدونا أهداف ودوافع شتى منها:

1-**دافع قومي** : الإسراع في تدوين وإبراز التراث الشعبي للزغاوة والذي يساهم في فهم مكونات حياة هذه القبيلة خشية أن يندثر أو يطاله التحريف أو التبديل نتيجة الهجرات خارج المنطقة التي صاحبتها التحولات البيئية من جفاف ومجاعات .

2-**دافع علمي**: إن معظم الكتب التي عنيت بتاريخ السودان عامة أو قبائله بصفة خاصة أمسكت عن الإشارة الى قبيلة الزغاوة ، كما أن الكتب التي ألمحت إليها لم تأت بما يفيد . وفي رأينا أن مثل هذه المعلومات تعتبر حصيلة علمية وإضافة متواضعة وهامة للمكتبة السودانية . ومرجع للمتهمين والدارسين وحافز للمزيد من البحث في المستقبل.

3- دافع شخصي: وهو حلم الطفولة الذي ظل في مخيلتنا ينتظر بشغف اليوم الذي يرى هذا الكتاب النور محتوياً على ماضي الأسلاف وتراث الأجداد الذي كان الوالد- عليه رحمة الله-حريصاً على نقله إلينا عن طريق سرده الشيق للأحداث التي مرت عبر العصور على منطقة الزغاوة في الحرب والسلم. وكان هذا الدافع سبباً رئيسيا لبداية جمعنا لعناصر هذا البحث منذ أكثر من عقدين من الزمان.

إسلوب البحث:

إستمدينا عناصر البحث من مصادر مختلفة وانتقينا منها المعلومة التي وجدناها أكثر قرباً للحقيقة التامة من الوجهة التاريخية، وفي حالة تعذر الحصول على المصدر قمنا بترجيح أكثر الروايات التصاقاً لواقع الأحداث إبانئذٍ. وتعمدنا على ألاّ نأخذ مدرسة بحثية بعينها بل مضينا قدما بإصطفاء وإنتقاء الأفضل من أنظمة البحث وصولاً الى الهدف المنشود كما أشرنا إليه عند تناولنا لأغراض هذا العمل.

وسائل مصادر هذا البحث:

إعتمد الباحثان في الحصول على المعلومة التاريخية اعتمادا أساسيا على:

1-الرواة والإخباريين: وهم من لهم معرفة تامة بتاريخ وأصل الزغاوة لأنهم من قبيلة الزغاوة ذاتها ويُعتبرون من الثقاة ومن هؤلاء:

(أ) زعماء العشائر والإدارة الأهلية من ملوك وشراتي وسلاطين وعمد.

(ب) المعمرين من كبار السن الذين عاصروا بعض الأحداث واحتكوا بالسلف أو الخلف ممن صنعوا تلك الأحداث.

(ج) شخصيات في حوزتها وثائق تاريخية ذات صلة بموضوع البحث.

(د) أفراد من زغاوة تشاد الذين لهم المعرفة بتاريخ الكوبي وستأتي الإشارة إليهم.

وقد إمتدت فترة جمع هذه الحقائق مايقارب الخمسة عشرة عاما ،أخضعت فيها الروايات للعديد من المقارنات والتمحيص واخذ ما يرجح أن يكون الأقرب إلى الحقيقية . وفي سبيل الحصول على المعلومة الصحيحة بدقة كانت تتم مقابلات عدة مع هؤلاء الثقاة والاخباريين واحيانا يجمع بينهم للمناقشة لتأكيد الحدث او استبعاده وحفظ هذه المعلومات عن طريق التسجيل على الأشرطة والتدوين والتصوير .

2- النذر اليسير المتوفر في بعض المذكرات وكتب التاريخ عن الزغاوة بوزارة الثقافة والإعلام في دارفور ومتحف السلطان علي دينار بالفاشر.

3- كانت لمعرفتنا التامة بفروع قبيلة الزغاوة بحكم انتمائنا إليها واجادتنا للهجتها ومعايشتنا لحياة أفرادها اليومية ومشاركتنا لهم في مختلف أوجه النشاط البشري في منطقة الزغاوة عاملا مساندا ومكملا لبقية طرق البحث .

4- استوحينا من الموروثات الشعبية كالأساطير والأحاجي والأمثال والأدب العبر والمرامي التي توصلنا إلى معرفة الهوية الشخصية المميزة لأفراد قبيلة الزغاوة وطريقتهم في الحياة والفلسفة التي تحكم مجتمعهم في زمن لم يكن التاريخ فيه مدونا.

5- دققنا في دراسة وتمحيص الانحدار السلالي لقبيلة الزغاوة وذلك بتتبع شجرة النسب لكل فصيلة او خشم بيت ، بدءا بالاصول والفروع التي ينتمي اليها وبيان المجموعات القرابية.

أغراض البحث ومواضيعه:

يحوي هذا الكتاب بين دفتيه خمسة أبواب رئيسية ، ويشتمل كل باب بدوره على عدة فصول . فالباب الأول عبارة عن لمحات من تاريخ السودان لربط الزغاوة به من الناحية القومية ، كما يشمل ايضا على مدخل لتاريخ قبيلة الزغاوة ويتطرق للكثير من قبائل دارفور – إن لم تكن كلها – وذلك لما لها من تأثير وتفاعل مباشر في شتى مناحي الحياة مع قبيلة الزغاوة ، الأمر الذي حدى بنا إلى تناول باقي قبائل دارفور بشيئ من التفصيل .عدد فصول هذا البحث ثمانية.

ويتعرض الباب الثاني الى أصل قبيلة الزغاوة تاريخيا وجغرافية المنطقة التي التي تسكن فيها . كما خصصنا جانباً هاماً لفروع الزغاوة التسعة الرئيسية- كل على حدة – كإدارات منفصلة لكنها جميعاً تنضوي تحت مظلة قبيلة الزغاوة التي تجمع بينهم . وأيضا سَلَّطْنا الضوء على المعالم البارزة لتلك المناطق مبينين الإنحدار السلالي لكل من تلك الفروع والمجموعات القرابية لها ونظم حكمها والظروف البيئية التي طرأت على دار الزغاوة وماتبعها من متغيرات ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول.

ويعالج الباب الثالث كل ما يتعلق بزغاوة الكوبي وتفرعاتها القبلية المتعددة بدءاً بجغرافية المنطقة والنشاط البشري فيها وعدد فصوله ثلاثة . وخصصنا معظم الباب الرابع – الذي يحتوي على تسعة فصول – للتراث الشعبي لقبيلة الزغاوة من خلال تعرضنا لتراث فرع زغاوة الكوبي . وذلك لما للتراث الشعبي من أهمية كبرى بإعتباره المرآة الصادقة لتاريخ

الشعوب ، والأداة الفاعلة لحفظ هويتها وحضاراتها من الإندثار رغم تبدل العصور وتقادم الدهور .

ولما كان للتراث الشعبي "الفلكلور" يشمل كل مناحي النشاط الإنساني وهو الحياة بمعناها العريض ، فإن الكتابة فيه يحتاج إلى مجلد خاص به والى دائرة معلومات"إنسيكلوبيديا" ، لذلك اقتصرنا في تعرضنا الى الجوانب المهمة فيه كالنظام الإجتماعي واللغة والحداحيد كفصيلة من فصائل الكوبي ولهجتها الخاصة، ونعرج إلى الحرب والسلم كأدارتين مهمتين لتوطيد نظام الحكم .ومن ثم نستعرض العادات والتقاليد الكثيرة التي تحكم حياة القبيلة .ونختتم هذا الباب بموضوع تراثي آخر هو الهمبتة عند الزغاوة وادب الهمباتة واغنياتهم ودوبيتهم .كما كانت الخاتمة ايضا بالظاهرة التي صارت موضوع الساعة في السودان وهي النهب المسلح وما تشكله من تهديد واخطار على أمن المواطنين وتقلق راحتهم في بعض مناطق السودان .

ويتناول الباب الخامس والأخير التاريخ السياسي لزغاوة الكوبي الحافل بالأحداث المثيرة والحروب وعدم الإستقرار وذلك بتعاقب سلاطين الانقو – وهو الفرع الحاكم لزغاوة الكوبي – الى ان يذهب عبد الرحمن فرتي الى ابشي حاضرة سلطنة وداي لطلب الحكم ،ثم الصراعات السياسية في تاريخ الكوبي الحديث . ونستعرض لسلطنة هامة من سلطنات زغاوة الكوبي الثلاث وهي سلطنة الكبقاء. وفي نهاية هذا الباب نتاول دور الزغاوة في الثورة التشادية منذ إندلاعها بقيادة جبهة التحرير الوطني التشادي "فرولينا" ونختم الكتاب بملحقين لأحداث تاريخية هامة.

وفي الختام نسال الله أن يكون هذا العمل نافعا وان نكون قد وفقنا في إبراز الحقائق التاريخية عن الزغاوة بتجرد تام ودون ميل او محاباة ودون تجريح أو إثارة حفيظة أحد في هذه الدراسة المتواضعة التي هدفت إلى تعريف القارئ على جزء من بلاده ووطنه العربي الكبير كما نرجو ان تكون حافزاً للمزيد من البحث والإستقصاء للمهتمين في المستقبل . ويقيننا أن هناك معلومات شاردة او مهمة لم نلم بها أو لم يسعها حيز هذا الكتاب . ولكننا نؤكد إخلاصنا في كل ماكتبناه حيث تحرينا دقة

المصدر – رغم قلة المصادر المكتوبة في هذا المجال – وهدفنا التنقيب عن الحقيقة والموضوعية.

المؤلفان

الكويت/ديسمبر ١٩٨٧م

الباب الأول
لمحات من تاريخ السودان وعلاقة الزغاوة بها

الفصل الأول : مدخل

الفصل الثاني : قبائل دارفور وتوزيعها الإداري والجغرافي.

الفصل الثالث : نبذة خاصة عن قبائل شمال دارفور ذات الصلة المباشرة بالزغاوة.

الفصل الرابع :الزغاوة وسلطنة الفور

الفصل الخامس :الزغاوة والمهدية

الفصل السادس :مملكة الفور وعلاقة الزغاوة بها.

الفصل السابع :دخول الإدارة الاهلية في دارفور.

الفصل الثامن :حركات الرفض في دارفور ودور الزغاوة فيها

الفصل الأول :مدخل

إن تـاريخ قبيلـة الزغـاوة قـد ارتـبط ارتباطـا وثيقـا بالممالـك التـي كانـت تجاورهـا ،وأهمها سلطنة الفور فـي عهودها المختلفة سواء كانت مستقلة او تابعة إداريا للحكم المركزي فـي السودان. ولما كانت قبيلة الزغاوة من كبرى قبائل السوادن ، فلا يستقيم الحديث عن تاريخها بمعزل عن تاريخ بقية القطر السوداني وذلك لأن الخيمة الوطنية الواسعة التي تستظل فيها كل القبائل بمختلف سلالاتها العرقية وتباين عاداتها وتقاليدها وتعدد لهجاتها وثنائية خلفيتها الثقافية عربية وأفريقية . وبالرغم عما أشرنا إليه الا أن السودان ظل عبر السنين الطويلة من تاريخه وحدة متكاملة وامة متماسكة . وبفضل وجود نظام إجتماعي مؤسس ودقيق يحكم أفراد كل قبيلة بما يشبه نواة لحكومة محلية مصغرة التى من خلالها يسهل ارتباطه من الناحية الإدارية بنظام الحكم القائم في السودان. لذا نجد الاحداث والتغيرات التي تشهدها المركزية ينعكس اثرها في منطقة دار الزغاوة كما هو الحال في سائر اقاليم السودان.

وننوه بان منطقة الزغاوة – لإمتدادها الجغرافى الـى غرب افريقيا – شـهدت صراعات متميزة كماً وكيفاً ، مردها الهجرات المستمرة مما كان يعرف بالسودان الغربي او السودان الفرنسي فيما بعد . وهذه الهجرات الوافدة في مجملها اما هروبا من ويلات الحرب أو نزوحا لكسب العيش او مرورا لأداء فريضة الحج. والأمر الآخر ان قبيلة الزغاوة كانت تجاور ممالك عريقة كمملكة وداي وكانم وبرنو وباقرمي وغيرها من ممالك افريقيا الغربية التي كانت تعمل دوما في بسط نفوذها وسيطرتها عليها . كما أن هذه المنطقة – وتشمل دارفور – قد تعرضت لأطماع الاستعمار الأوروبي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى .

لم تسلم منطقة الزغاوة من هيمنة حكام تركيا العثمانيين وجباة الضرائب من الباشبزق، ولا من جنود خليفة المهدي من الجهادية الذين كانوا يطمحون في التوغل غربا الى دار وداي "مملكة البرقو". وهكذا نجد ان منطقة دار الزغاوة – وهي في شمال غرب دارفور – صارت مسرحا لمعارك وصراعات عدة إقليمية ودولية جعلت أحداثها

ذات طابع مميز ، الا ان المرء لايجد اي إشارة عن الزغاوة في تلك المنطقة مدونة في الكتب التقليدية عن تاريخ السودان، حيث يصاب الباحث بالدهشة أن التاريخ العظيم لقبيلـــة الزغـــاوة لـــم يـــدون ولـــم تعرفـــه منـــاهج الدراســـة فـــي الســـودان.

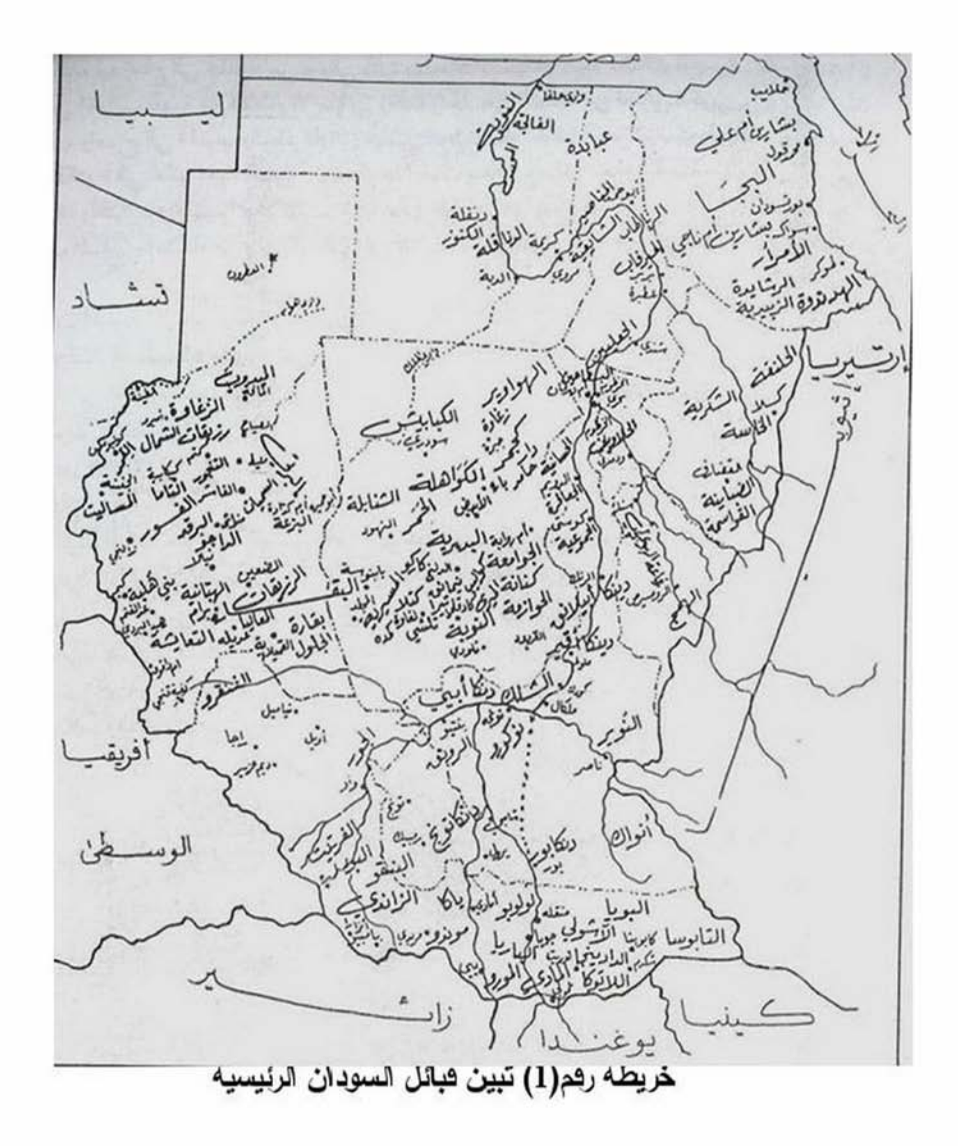
الفصل الثاني : قبائل دارفور وتوزيعها الإداري والجغرافي

نبذة عن قبائل دارفور عامة:

تقطن في دارفور عدة قبائل منها العربية وغير العربية.

1 - القبائل العربية :

وهي بطون تنحدر من قبيلة فزارة القحطانية ويمكن تقسيمها إلى قسمين حسب حرفتها الرئسية وهي الرعي:



خريطة رقم(1) تبين قبائل السودان الرئيسية

(أ) البقارة: وهي مجموعة من القبائل الرعوية التي تعنى بتربية الأبقار جلها تسكن في جنوب دارفور وتشمل الرزيقات وتقطن الضعين وناظرها موسى مادبو ، والمعاليا ورئاسة عموديتها في عديلة ، بني هلبة في كبم وعد الغنم وناظرها عيسى دبكة ، والهبانية في برام وناظرها علي الغالي والتعايشة وناظرها علي السنوسي في رهيد البردي

والمسبرية بفرعيها في دارفور وكردفان و لكن معظمها في كردفان في منطقة رجل الفولة و بابنوسة والمجلد وناظرها بابو نمر .

(ب) اما البني حسين فتسكن في شمال دارفور في منطقة السريف وسرف عمرة وهي بزعامة الشيخ آدم حامد . وبقارة الجلول في منطقة القميلاية بجنوب دارفور ويراسها الشيخ حامد إبراهيم.



(حان الرحيل)

وللبقارة ثلاثة مراحيل يشدون إليها رحالهم بأبقارهم من منطقتها طلبا للماء والكلأ والمراحيل هي:

1- دار اريح من منطقة كاس إلى زالنجي ووادي أزوم وسوق تلولو وغرب زالنجي.

2- من كبم إلى وادي صالح ومكجر وقبر أم بلداس ووادي أزوم.

3- من رهيد البردي الى تردة كلينق وتردة أم روق حتى أم دافوق ودار الفنقرو في بحر العرب.



(البقــارة يشـــدون الرحــال فــى إحــدى مراحيلهم)

(ت) الأبالـة : وهـي قبائـل تعنـى بتربيـة الإبـل وتسـكن معظمهـا فـي شـمال دارفـور ويطلق عليها رزيقات شمال دارفور . و الجدير بالذكر هنا ان قبيلـة الرزيقات بشقيها في جنوب وشمال دارفور يرجع انحدارها السلالي الى رزق والد ابي زيد الهلالي وهي قحطانية على الأرجح . وتتقسم قبيلة الرزيقات الى ثلاثة فروع رئيسية هي:

1- المحاميد (الجلول) 2- أولاد محمد 3- المهرية

وتتكون رزيقات شمال دارفور من :

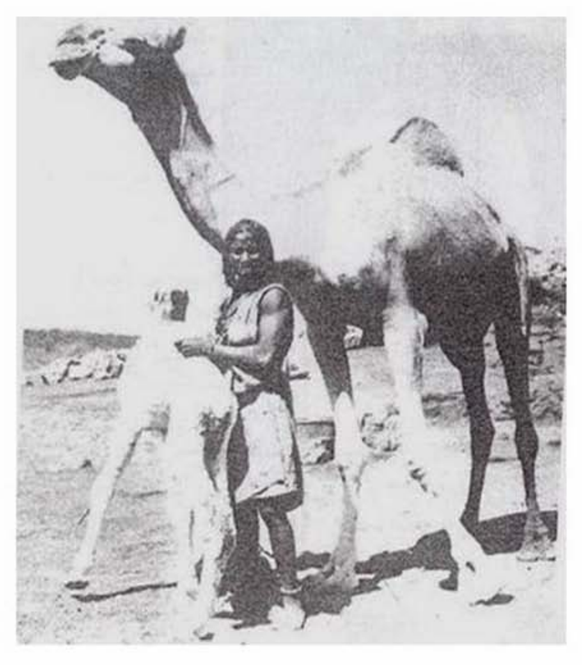
الجلّول : وتسمى أيضا المحاميد بزعامة الشيخ هلال عبد الله ومنطقتها آمو الشيخ . وهي ذات إنتشار واسع في المنطقة الوسطى والغربية والشمالية من كتم ، كما أنها تمثل ثلاثة أضعاف بقية رزيقات شمال دارفور . وللمحاميد خاصة ورزيقات الشمال بصفة عامة اصول وجذور في تشاد لما كانت تعرف هذه القبائل بعرب شمال تشاد.

المهريـة: و زعيمها الشيخ الدود حسب الله ومنطقتها الغرير شمال كتم بالقرب من الدور .

العريقات: ويتزعمها العمدة عبدالله جبريل في منطقة مصري ودواء جنوب كتم.

الزبلات: وهم عرب سيّارة يقطنون ضواحي كبكابية بزعامة الشيخ أبكر عبد الباقي .

الزيادية: ولها عموديتان إحداها في الخريط (الكومة) بزعامة الشيخ جزو والأخرى في مليط بزعامة العمدة صالح عبيد.



(فتاة راعية من رزيقات الشمال)

كان لرزيقات الشمال وضع مالي أفضل من أقرانهم في الجنوب الذين امتهنوا تربية الابقار فسكنوا منطقتهم الحالية بعد معارك دامية مع العناصر التي كانت تسكنها فأجلوها واتخذوها موطنا لهم . وتجدر الإشارة إلى ان رزيقات جنوب دارفور قد اختلطت أصولهم مع القبائل الأفريقية وخاصة الدينكا فأثر ذلك على سحنات بعض أفرادها وذلك خلافاً لما حدث لرزيقات الشمال حيث احتفظوا بنسلهم ولم يختلطوا في زواجهم مع القبائل المجاورة ماعدا الزغاوة و البديات الأمر الذي ابقى على سحناتهم على ماكانت عليها.

إن رزيقات الشمال كعرب رحل "سيّارة" لهم ثلاث مناطق(مراحيل) يرحلون إليها في فصل الصيف :

1. عرب شمال كتم حتى أم سيالة يشدون الرحال جنوبا إلى بحر العرب .

2. عرب المنطقة الوسطى (دواء) يرحلون بإبلهم إلى عد الغنم .

3. عرب المنطقة الغربية لكتم حتى جبل مرة فينتقلون إلى ام دافوق حيث يقيمون مضاربهم هنالك .

وفي موسم الخريف والشتاء (الدرد) فإن هذه القبائل تتجه شمالا إلى منطقة وادي هور "الجزو" حتى الحدود الليبية.



(جمل وعلى ظهره الهودج الذي تحمل بداخله العروس)

اما نقاط استقرار العرب الرحل فهي حواضرهم التي ذكرناها آنفا ، في كل من الغرير وأم سيالة ودواء وآمو الشيخ.

(ج) مجموعات عربية صغيرة لاتنتمي للفئتين السابقتين وهي:

(د) الشناقيط- الفيزان - البديرية- الجوامعة- الهوارة- ترجم- والبزعة (في منطقة أم كدادة وزعيمها الشرتاي عبدالله محمد مختار).



(نساء من رزيقات الشمال في زفة العروس)

2 - القبائل غير العربية:

وهذه تتحدث بلهجتها المحلية الخاصة بها بإستثناء القليل منها - ولكن اللغة العربية العامية هي وسيلة التفاهم المشتركة بين هذه القبائل ببعضها . وتجدر الإشارة ان بعض القبائل في هذه المجموعة لها أصول عربية غير أن تصنيفها كعربية لم يكن دقيقا الامر الذي جعلنا نصنفها في هذه القائمة * وكبرى هذه القبائل هي:

1	الفور	Fur	13	البرقو	Borgoo
2	الزغاوة	Zaghawa	14	الفلاتة	Fallata
3	المساليت	Masaleet	15	المسالات	Masalat
4	البرتي	Berti	16	الكنين	Kinneen
5	الميدوب	Meedoub	17	السميات	Simeyat
6	التنجور	Tunjoor	18	الكفوت	Kofout
7	القمر	Gimir	19	السنجار	Sinjar
8	الداجو	Dajo	20	جبل مون	Gebelmoon
9	الايرينقا	Erenga	21	القرعان	Guraan
10	التاما	Tama	22	القرقة	Girga
11	البرقد	Birgid	23	التكارير	Takareer
12	البرنو	Borno	24	الميما	Mima

*هذه القائمة عينة توضح معظم القبائل غير العربية وربما كانت هناك قبائل أخرى في نفس التصنيف لم يسعها حيز هذا الكتاب.

الفصل الثالث: نبذة خاصة عن قبائل شمال دارفور ذات الصلة المباشرة بالزغاوة

تجاور زغاوة السودان قبائل عديدة تسكن شمال دارفور في المنطقة الشمالية الغربية والتي كانت كتم حاضرتها في التقسيم الإداري القديم ومركزها . ومن هذه القبائل : الفور والتنجر والتاما في كبكابية وكتم والبني حسين في السريف وسرف عُمره . والقمر جنوباً في كلبوس والمساليت في الجنينة . والبرتي والزيادية والميدوب في مليط والكومة والصياح والمالحة.

اما زغاوة تشاد فتحدهم من الشرق الحدود الغربية للسودان (منطقة زغاوة السودان- دار الزغاوة) والبرقو غرباً في بلتين وابشي والقرعان في الشمال في أم شالويا وفدا وفيالارجو وبوركوفايا وجنوباً قبيلة التاما في قريضة والداجو في قوز بيضة.

بعض هذه القبائل التي تجاور الزغاوة تحترف الزراعة وهي مستقرة وبعضها الآخر تسعى الماشية (الإبل والأبقار والأغنام) وهي القبائل الرعوية "الرحل" . وكثيرا ما تجمع هذه القبائل بين الحرفتين معاً في سبيل العيش باستقرار .والزغاوة تشبه مثيلاتها من القبائل المجاورة تتخذ من الزراعة والرعي حرفتين أساسيتين وإن اعتمدت بصفة رئيسية على الرعي والترحال.



(*) خريطة رقم(2) تبين توزيع القبائل بشمال دارفور.

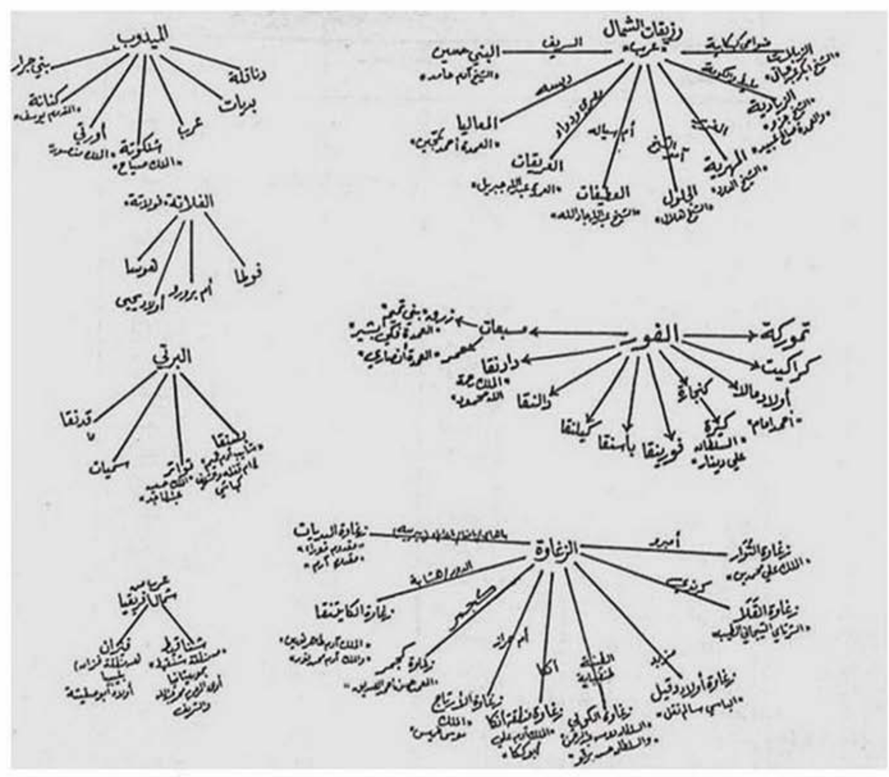
جدول يبين قبائل شمال دارفور ومناطق سكناها

القبيلة	منطقة سكناها	القبيلة	منطقة سكناها
لفور	كتم- كورما – طويلة	الجلول	آمو
لمساليت	الجنينة	العطيفات	أم سيالة
البرتي	الصباح – أم كدادة- مليط الطويشة اللعيت	العريقات	مصري- كتم
لميدوب	المالحة	الزبلات	كبكابية
التاما	كبكابية	المعاليا	كتم إلى نيسه
لتنجر	هشابة – كتم – حمرة	بني حسين	السريف – سرف عمره
لفلاته	الفاشر – كتال – خربيان – شرق مليط	بني عمران	شرق مليط – أم قفلة
لداجو	جنوب غرب طره – شرق نيالا	بني جرار	شرق مليط
لقمر	كولبوس	بني عاطف	أُرقد مراريت
البرقو	جنوب الجنينة	الكرلسي	شرق الكومة
البرنو	هيبلا	أولاد راشد	شمال الجنينة – سرف عمره
البرقد	شنقل طوباي – جبل عدوه	السلامات	كتيلة
زغاوة لكايتنقا	النور	ترجم	كبكابية
زغاوة لكوبي	الطينة	تركة هاروت	ذات إنتشار غير محدود
زغاوة لقلا	كرنوي	الاسرة	ام كدادة – كتال – الفاشر
زغاوة لتوار	امبرو	البديرية	من فولو الى كفوت
زغاوة الارتاج	ام حراز	كفوت	كفوت – الفاشر
زغاوة أولاد نقيل	مزبد	الدانيقا	الفاشر – فوز بينه
زغاوة لنيقيري	أنكا	التكارير	الفاشر
زغاوة لبديات	كارو –باهاي – بامنا	الهوارة	الفاشر – كرنفان (الهوارير)
لقرعان	شمال الطينة – الجنينة	الجوامعة	جديد لسيل – العرائس – لكردة
لكنين	شرق كتم – لفاشر – جبل مَرّي	الميما	كتال – شنقل طوباي – ودعة
لسميات	ج غ الكومة حتى أُرقد مراريت	أُرقد	أُرقد مراريت (شرق لفاشر)
لزيادية	الكومة – شمال مليط	مراريت	أُرقد مراريت (شرق لفاشر)
لعمرية	أم سيالة	ولد مانا	حلة نِكِس ج ق كورما (طريق لفاشر)

البزعة	أبو حميرة – ام كدادة – للنور	بني فضل	تولو (شرق دارفور)
لنصارية	ام عشيشات		
لجليدات	الابيض وام جرلد		
لبرقوات	كندر وجنوب مليط (أصلهم برقو أبيشي)		
السنجار	غرب لجنينة	الشرفة	الفاشر – الرطرط –السطيحة
لقرقة	دار لمساليت	الطريفية	الفاشر
الايرينقا	دار لمساليت	لواحية	الفاشر
جبل مون	دار لجبل		
لمسالات	منطقة نلس – كتيلة	لكوارتة	الفاشر – كورتي–أم درمان وهم من لشمالية
لكنوز	الفاشر – مليط وهم من نوبة لشمالية	لسناهير	الفاشر – لشمالية وهم جعليون
لفيزان	الفاشر والجنينة واصلهم من فزان بليبيا	أولاد الريف	الفاشر –لجنينة وهم لترك ومصريين من طنطا ولسيوط ولفيوم ولدقهلية
الشناقيط	الفاشر – مليط – لمالحة –كتم وأصلهم من منطقة شنقيط في موريتانيا		

ملحوظة:

1. ربما حدثت تغيرات عدة لمناطق سكنى هذه القبائل أو بعضها نتيجة الهجرات المختلفة الناتجة عن مختلف الظروف.
2. بعض القبائل لها إنتشار واسع ، لذلك يصعب تحديد مناطق سكناها بدقة.
3. ربما كانت هنالك قبائل سقطت أسماؤها سهواً من هذه القائمة.



مخطط رقم (1) يوضح تفرّع بعض قبائل شمال دارفور ذات الصلة بالزغاوة

الفصل الرابع : الزغاوة وسلطنة الفور

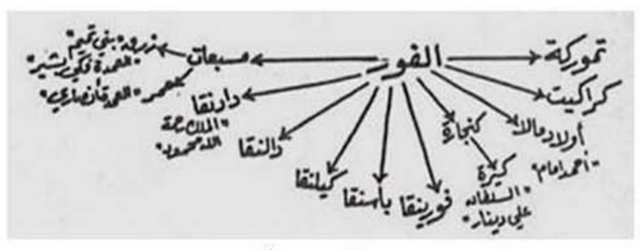
أطلق على الجزء الغربي من السودان بدارفور – رغم وجود عدة قبائل ودور أخرى كدار ميدوب ودار القمر ودار التنجر ودار زغاوة ودار تاما ودار برتي ودار مسابيت وهلم جرا. كما توجد نظارات كنظارة البقّارة . وهي مناطق لسلالات وقبائل عديدة كانت لها ممالك ونظم حكم بعضها سبقت سلطنة الفور – لأن الفور أقاموا سلطنة ذات نظام متقدم مقارنة بباقي المجموعات القبلية التي عاصرتها، وانها كانت معاصرة لمملكة وداي وكانم والهوسا ودولة الفونج . ولقد سيطرت على كردفان حتى التركية السابقة 1821م .

ونتيجة لدخول عناصر مختلفة ذات مؤثرات ثقافية وسلالية لإقليم دارفور في هجرات كثيرة من كل الجهات ومن السودان النيلي والسودان الليبي التي أتت منها قبيلة الزغاوة في هجرات ذات إتجاهين نعرض لها في الابواب التالية، وبذلك ظهرت قبائل دارفور الحالية و هى خليط من القبائل النوبية ذات الطابع الزنجي والعربي لِتكَوِّن مجموعةَ القبائل التي تسكن هذا الجزء من السودان.

الكنجارة وسلطنة الفور

وصلت الكيرا (وهي الفخذ الأرستقراطي لفرع الكنجارة) الى سدة الحكم لتؤسس مملكة الفور الأولى في القرن السابع عشر ، ولم تكن اول مملكة في الإقليم إذ سبقتها التنجر التي أقامت سلطتها في شمال دارفور والداجو في الجزء الجنوبي الشرقي وقد إنتزعت الكيرا الحكم من الداجو والتنجر.

ويبدأ تاريخ الفور الأقرب الى التدوين حوالي عام 1640م بتولي السلطان سليمان سولنق حكم الفور في كتلة جبل مرة حيث إتخذ من طرة عاصمة لسلطنته . ولكن لم يهدأ له بال نسبة للصراعات التي كانت قائمة بينه وبين قبائل دارفور الأخرى مثل الزغاوة والبرتي والميدوب والمساليت والهبانية والرزيقات والمسيرية والتعايشة وبني هلبة والمعاليا والحمر والزيادية والمحاميد.



(*) مخطط رقم (2) أقسام الفور



(مقبرة السلطان سليمان سولونق)

السلطان تيراب و المسبعات

إمتد حكم الفور الى كردفان عن طريق السلطان مسبع (مصبح) وهو من ذرية السلطان بكر ، وكان قد إختلف مع أخيه سليمان سولونق وسافر شرقاً و"صبح" أي "سار إلى دار الصباح" اي الشرق حتى كردفان واسس سلطنة المسبعات وحكم من بعده احفاده حتى عهد السلطان هاشم الذي تزامن حكمه مع حكم السلطان محمد تيراب في دارفور (1768-1787) وكانت عاصمته في عين فرح قرب كبكابية . وتجدر الإشارة هنا الى أن السلطان تراب بن علي بكر تنتمي والدته قورية (أو حورية) الى زغاوة الكوبي وهي اخت السلطان هاروت بن هلال . وسنفصل ذلك في الباب الخاص بزغاوة الكوبي.

لم يخف السلطان هاشم اطماعه في دارفور وهَمَّ بإسترداد حكم أجداده من بني عمومته ، فوصلت أخباره للسلطان تيراب الذي عاجله بغزو كردفان ، فهرب السلطان

هاشم واحتمى بملوك سنار ، فظل السلطان تيراب يطارده وفلول جيشه المهزوم حتى دخل امدرمان ثم تقدّم وهزم العبدلاب وغنم منهم اكبر نحاساتهم وهي المنصورة . فإمتد حكم الفور حتى السودان النيلي الى منطقة الجعليين في شندي اذ استولى عليها بعد معارك ضاربة انتصر فيها . وبعد ذلك اخذ السلطان تيراب يفكر في غزو سنار ، لكن جيشه كان قد أوهنه البعد عن الديار وطول مدة الحرب . ثم انتشرت بينهم حمى التيفويد التي اودت بحياة السلطان تيراب.

السلطان عبد الرحمن الرشيد "شاو دو رشيد"

وهو ابن احمد بكر ، ورث الحكم عن السلطان تيراب عام 1787م ونقل العاصمة من عين فرح الى الفاشر الواقعة على خور تندلتي والتي كان لاختيارها سبب اذ انها موقع يسهل منه الحكم بعد ان توسعت السلطنة بضم كردفان.

ولاكتشاف موقع مدينة الفاشر قصة تقول إنه كان لشخص يدعى "فاشر" ثور هجر قطيع أبقاره ، فكان يغيب نهاره ويجيئ للقرية مساء وفي أظلافه آثار الطين والوحل ، فأراد صاحبه أن يعرف المكان الذي يشرب منه هذا الثور ، فتبعه يوماً حتى دخل غابة كثيفة من أشجار السيال وفي وسطها بركة "رهد أو فولة " واسعة مليئة بالماء وعلى جوانبها أعشاب كثيرة ومنها قصب البوص. فكان أول من اكتشف تلك البقعة . عاد فاشر الى ذويه واخبرهم بالقصة ، فصاروا يشربون منها بعد ان سموها "الفاشر".

هذا فقد عاصر السلطان عبد الرحمن نابليون بونابرت الذي كان يحكم مصر بعد غزوها . وكانت بين الرجلين مراسلات ومكاتبات كما كانت بين مصر ودارفور تجارة عن طريق درب الاربعين فالصحراء الغربية والنخيلة ..ألخ.

مدة حكم الفور

ظلت سلطنة الفور الأولى زهاء القرنين والنصف في حكم متواصل حتى إنتهت بسقوط الأبيض على يد الأتراك المصريين (التركية السابقة) وكان سلطان المساليت في غرب دارفور يتبع لها . وفي الغرب ايضاً كانت النزاعات محتدمة بينها وبين سلطنة وداي التي اتخذت من ابشي حاضرة لها ، وكانت مملكة قوية ذات نفوذ واسع.

وفي القرن التاسع عشر وإبان دخول الحكم التركي المصري للسودان كان على سدة الحكم بسلطنة الوفر السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد الذي حكم من 1803 الـى 1839م وعلـى كردفـان المقـدوم مُسَلِّم الـذي كـان يتبـع إداريـا لحكـم الفـور بالفاشر.

سمع السلطان محمد الفضل أن المقدوم مسلم قد جهز جيشاً كبيراً لكي يغزو دارفور وكردفان ، فأرسل اليه مبعوثه ابراهيم ود وير وزوده برسالة هامة يطلب إليه فيها بالمجيئ الي الفاشر للتشاور في أمر الحكم ، وفي نفس الوقت جهز جيشاً عرمرماً مسانداً لمبعوثه تحسباً لرفض المقدوم مسلم الحضور إليه.

سلم ودوير الرسالة للمقدوم الذي استقبله استقبالا حسناً واكرم وفادته وابدى استعداده للذهاب معه الى الفاشر ، علماً بأن كلاً من السلطان والمقدوم يبطن غير ماكان يبديه في حقيقة الأمر. وأخبر المقدوم مبعوث السلطان بأن الاتراك قد احتلوا الخرطوم وهم على مشارف بارة قاصدين احتلال الأبيض الأمر الذي يلزم تضافر جهود جيش المقدوم مسلم بكردفان وجيش السلطان محمد الفضل بقيادة ودوير لصد الجيش التركي الغازي لكردفان ومن ثم يستعد المقدوم لمقابلة سلطان الفور.

اتحد الجيشان بالفعل وقابلا جيش الترك في معركة ضارية وفاصلة في بارة وابلى جيش الفور بلاءً حسناً وقتل فيها ابراهيم ودوير في تلك المعركة غير المتكافئة انتصر فيها الأتراك بقيادة محمد الدفتردار صهر محمد علي باشا لسلاحهم الناري المتقدم مقارنة بالأسلحة التقليدية عند جيش الفور. ودخل الأتراك الأبيض واحتلوها وبذلك انتهى حكم الفور في كردفان . ولم يتمكن الدفتردار من مواصلة فتوحاته الى دارفور نسبة لانشغال الاتراك بحوادث الملك – المك – نمر في المتمة وما اعقبتها من اضطرابات ومناوشات في الحدود الحبشية.

الزغاوة وسلطنة الفور

فى دارفور كانت هناك مجموعات قبلية لم تتبع لحكم الفور اطلاقاً رغم الحملات التى كانت يسيرها عليهم سلاطين الفور لتوسعة سلطنتهم حتى عام 1839 وقبل دخول المهدية فى دارفور و منها قبائل البقارة فى جنوب دارفور و الزغاوة فى شمال دارفور . كانت فروع قبيلة الزغاوة التى تضم الكوبى و قروف–ديرونق و البروقات و القلا و التوار و الأرتاج و النقيرى و البديات و أولاد دقيل و الكجمر و الكانتقا – إبان حكم الفور – تعيش فى شتات و تحت حكو عشائرى بحت.

الزبير باشا رحمة فى دارفور

بعد أن سقط فرع سلطنة الفور في كردفان اتجهت أنظار الاتراك الى بحر الغزال لوضع حد لتجارة الرقيق البغيضة والتي كانت رائجة هناك حيئئذٍ.

الزبير ود رحمة:

كان الزبير تاجراً من تجار الرقيق الناجحين وقاده ذكاؤه وشخصيته القيادية الى اكتساب ود الملوك والسلاطين في بحر الغزال الامر الذي جعله من كبار التجار فصارت تلك المنطقة تحت نفوذه وزعامته. وعندما فكر الاتراك في فتح بحر الغزال عينوا الشيخ محمد البلالي من دارفور ليقود حملة لتأديب تجار الرقيق فاصطدمت قواته مع قوات التجار بقيادة الزبير فانهزمت قوات البلالي الذي قتل في المعركة.

أثارت هذه الحادثة حفيظة الحكومة التركية وأرادت تأديب الزبير غير أنه وظف نكاءه ووسط مدير بربر حسين بك خليفة فعفا عنه الخديوي اسماعيل والذي أمر بتعيينه مديراً لبحر الغزال ، إلا أن مبعوث الحكومة الى الزبير اعترض طريقه عرب الرزيقات ، فما كان من الزبير إلا أن يرجئ خطته للذهاب إلى الخرطوم وقرر الإنتقام من الرزيقات فأعد جيشاً قوامه أربعة آلاف جندى و دارت معركة بينه و بين مشايخ الرزيقات في "شكا" عام 1870م حيث كسب المعركة وفر اثنان من مشايخ الرزيقات وهما منزل

وعليان واحتميا بالسلطان ابراهيم قرض سلطان دارفور آنذاك فطلب الزبير من السلطان ابراهيم تسليمه الشيخين غير أن الأخير رفض ذلك. ولما أحس السلطان ابراهيم بمؤامرة الزبير والحكومة المصرية للقضاء على سلطنته ارسل الحاج ادريس محملاً بالمال نصفه لشريف مكة ليتوسط له لدى الباب العالي والنصف الآخر للإستانة ، إلا أن مساعيه باءت بالفشل ولم تجد فتيلاً . فدارت معارك بين الزبير والسلطان ابراهيم قرض كان آخرها في منواشي حيث قتل فيها السلطان في 1872م واسدل مقتله الستار على سلطنة الفور الأولى.

وبعد انتصاره في منواشي ، دخل الزبير – الذي كان يلقب بالزبير باشا– الفاشر في 22 رمضان 1292هـ الموافق 1874م ولم يجد فيها مقاومة تذكر ، غير أن حسب الله عم السلطان المقتول قد خرج من الفاشر ومعه بعض الجند واحتمى بجبل مرة لكن حركته اخمدت بدهاء الزبير وقوته حيث تم أسره ونفيه الى مصر وفيما كان الزبير في الفاشر لحق به الحكمدار اسماعيل ايوب الذي قدم بالمدد من كردفان ليجد الامور مستتبة فصار حاكماً على دارفور ، وعقب ذلك قامت حركة عصيان وتمرد في جبل مرة لكنها اخمدت في حينها وسرعان ما اندلعت حركة عصيان أخرى حيث أعلن بوش نفسه سلطاناً في كبكابية وتمرد على حكم الاتراك ولكن الزبير انتصر عليه وقتله وبقي حسن حلمي بك حاكماً في الفاشر.

نهاية الزبير باشا رحمة:

ومن سخرية القدر أن ينتهي الزبير باشا رحمة بعد كل هذه الفتوحات والدماء التي اراقها من أجل الحكم التركي ان يكافأ بجزاء سنمار وتنطوي صفحته في دارفور ويموت منفياً في مصر.

الفصل الخامس

الزغاوة والمهدية

نجد أن قبيلة الزغاوة كغيرها من قبائل غرب السودان قد بادرت بمناصرة المهدي ولاسيما فروع زغاوة القلا في كرنوي والتوار في منطقة أمبرو والكوبي في الطينة والأرتاج

في أم حراز ، فهاجر بعض أفرادها منذ الأيام الأولى للمهدية الى قدير وانضم الى جيش الأنصار وحضر جميع المعارك التي خاضها المهدي ضد الأتراك ثم حصار الخرطوم وقتل غردون . وكان دافعهم الإيمان بالإسلام أولاً وتصديق ماكان ينادي به محمد أحمد المهدي مبادئ . وقد استعان المهدي بهؤلاء النفر كوفود لنشر تعاليم المهدية في اوساط الزغاوة . وكان المهدي قد أوفد رجلاً يقال له طاهر اسحق من الزغاوة الى زعيم الحركة السنوسية في واحة جغبوب في ليبيا ليبلغه بظهور المهدي ويطلب منه التاييد والمبايعة للعمل معاً ضد الكفرة من النصارى الأوروبيين الذين كانوا يهيمنون على بلاد المسلمين والانقضاض عليهم .

وبعد وفاة المهدي واصل الأنصار من أبناء الزغاوة ولاءهم للخليفة عبد الله التعايشي الذي أرسل قواته الى دارفور لاستقطاب ملوك الزغاوة من أجل ارسال الرجال للعمل كجهادية في جيشه ، فكان أبناء زعماء العشائر اول من طلب اليهم بالمثول امام مبعوثي الخليفة .

ولما كان الإسلوب الذي اتبعه اسحق آدم (عثمان جانو) وخلفه محمود وداحمد وعساكره الجهادية في تجنيد المواطنين بالقسوة والاهانة غير المستمدة من تعاليم المهدي التي عرفها الناس فابدوا امتعاضهم واستهجانهم ، وساورتهم الشكوك في مصداقية ما قدم لأجله جنود الخليفة . ولم يكن محمود ودأحمد بأحسن من سلفه ، فاستمر في اخذ الرجال قسراً وقابل أي مقاومة من الأهالي بالشدة التي تمثلت بالقتل واحراق القرى والمراعي والمزارع . وقد ترك هذا الإسلوب القمعي صورة قائمة في نفوس الزغاوة عن المهدية نفسها . فعلى سبيل المثال كانوا يشيرون الى محمود ود احمد "بترك محمودي" تشبيها له بالباشبوزق من الأتراك.

تمكنت جيوش محمود ود أحمد من ارسال أعداد كبيرة من أفراد الزغاوة الى أمدرمان فإشتركوا في المعارك ضد الإنجليز وابلوا بلاء حسنا واستشهد كثير منهم في مواقع كرري وأم دبيكرات . كما حارب بعضهم الآخر في صفوف جيش عثمان دقنة في شرق السودان. وبعد موقعة كرري وأم دبيكرات ومقتل الخليفة عاد من بقي حياً الى دار

الزغاوة بينما آثر أكثرهم البقاء ليكون على مقربة من الأرض التي شع منها نور المهدية . ونجد حتى يومنا هذا ان الأنصار من أبناء الزغاوة ينتشرون في رقعة واسعة من مناطق النيل الابيض ويتمركزون في الجزيرة ابا وكوستي وربك والدويم وفي شرق السودان في القضارف وقرى ونضعيف وجنة بر ، والعزازة



(محمود ود احمد)

اما في كسلا فيغلب فيها الزغاوة من ذرية السلطان هاروت الكوباوي . وعلى الرغم من احتفاظ هؤلاء بهويتهم القبلية الا ان احفادهم قد نسى معظمهم لغة الزغاوة.

وللزغاوة في الجزيرة أبا شياخة منذ عام 1922م بزعامة الشيخ جمعة عبد الله من فرع زغاوة الأرتاج والمتوفي 1973م وعلى سبييل المثال لا الحصر نذكر كلاً من محمد صالح عبد الرحمن وبشرى جمعة عبد الله وكلاهما كان مرشحاً في دائرة الأنصار بالجزيرة ابا . وكان الأنصار من الزغاوة قد شملتهم حرب الإبادة التي قادها نظام مايو ضد الإمام الهادي المهدي في الجزيرة أبا في 1970م . أما يوسف نصر احمد عبد

الرحمن من زغاوة الكوبي كان من الذين استشهدوا هو وإبنه وغيرهما في يولويو 1976م في الحركة التي عرفت بالمرتزقة حيناً وبالغزو الليبي احياناً أخرى وهي الحركة الوطنية التي قادتها المعارضة السودانية من خارج البلاد لتقويض نظام 25 مايو الا ان سؤ الطالع قد عمل على افشالها.

المهديّة

ولد محمد أحمد بن عبد الله في دنقلا العرضي سنة 1843م ودرس العلوم الدينية والفقهية في الخلاوي على أيدي مشايخ ورعين. ثم استقر في الجزيرة متفرغاً لعبادة الله متصوفاً زاهداً . وأصبح له أتباع ومريدون يحدثهم عن اتصال روحه بالعالم العلوي وأنه المهدي المنتظر، وتعرف على خليفته فيما بعد عبد الله بن محمد التعايشي . وأسر الدعوة حيناً ثم أجهر بها ليؤمن من آمن انصاراً واتباعاً وصدّ عنها من صدّ . فاتجه أولاً الى غرب السودان وكان لحركته هدفان هما:

1- ان يرجع الناس للاسلام ويجعلوا القرآن والسنة اساساً.
2- أن يكون الدين الإسلامي دستوراً للحكم.

إنتصارات المهدي:

دارت صراعات بين المهدي والحكومة التركية فانتصر المهدي اول مرة في الجزيرة أبا على جيش الحكومة ثم انتصر على الشلالي باشا الكنزي في قدير . وتوالت إنتصاراته فسقطت باره علي ايدي لامير عبد الرحمن النجومي بعد حصاره لها ، ومن ثم سقطت الأبيض سنة 1882م (نفس العام الذى احتلت القوات البريطانية مصر). وهزم الأنصار حملة هكس باشا فى واقعة شيكان عام 1883م وسلم سلاطين باشا مديرية دارفور . وسقط الشرق (سنكات–سواكن – طوكر) على أيدي الامير عثمان دقنه.



(الخديوي إسماعيل باشا)

بينما كانت الحركة المهدية توالي إنتصاراً بعد إنتصار احتل الإنجليز مصر بعد قضائهم على ثورة أحمد عرابي 1882م وعينوا غردون حاكماً عاماً على السودان،علماً بأن غردون هذا كان قد خدم الأتراك كحكمدار عام على السودان ، وله دراية كافية بشئون السودان . فوصل الخرطوم في 18 فبراير 1884م . ثم حاصر جيش المهدي الخرطوم في مارس من نفس العام بقيادة الحاج محمد أبي قرجة (أمير البرين والبحرين) . وهاجم المهدي وخلفاؤه الثلاثة الخرطوم صبيحة يوم 26 يناير 1884م فسقطت الخرطوم وقتل غوردون وبذلك إنتهت هيمنة الأتراك على حكم مصر والسودان.

الخليفة عبد الله التعايشي

لم يعش المهدي كثيراً بعد ذلك اذ عاجلته المنية في يوليو 1885م . ولم يمض أكثر من ستة اشهر من انتصاره بسقوط الخرطوم . فخلفه عبد الله السيد محمد ود تور شين والذي كانت شخصية مثيرة للجدل . ولكن الشاهد انه ربما فكر – بعد وفاة المهدي مباشرة – في كيفية دمجه مابين المهدي المنتظر والمهدي المنتصر وكيفية المحافظة

على هذه الشعلة المتوهجة من الروحية المستمدة من "الحضرة النبوية" والمضي قدماً على ما استنه المهدي من منهج . ولكن الاحداث سارت على غير المنوال الذي كان يتوقعه اذ قابلته تحديات جمة.



(الجنرال غوردون)



(قبة المهدي في ام درمان)

تزامنت الثورة المهدية مع ثورة أحمد عرابي في مصر وعبد القادر الجزائري وكانت قد سبقتها الحركة السنوسية ضد الطليان في ليبيا . وكانت القبائل التي التفت حول المهدي ترى فيه بطلاً ومخلصاً من براثن التركية الجائرة ، وانها كانت تؤمن في قوة شخصيته التاثيرية والدينية التي تنبع من الحضرة النبوية. وانه شخصياً كان مصدر الجذب الشعبي ، لذلك حينما توفى وجد الخليفة عبد الله بن السيد محمد – الذي اختاره بنفسه ليخلفه – صعوبات بالغة لتكملة تلك السجل الناصع الحافل بالانتصارات . وتضاءلت قوة الجذب نوعاً ما حول شخصية الخليفة الذي لجأ الى القوة والعنف – وربما كانت له مبرراته فيما ذهب اليه وان اختلفت الآراء حول مبرراته تلك وكانت شخصية الخليفة مثيرة للجدل.

دوريات العقاب الدموية في الغرب

كان الاعتقاد السائد ان غرب السودان كان موالياً للمهدية ولكن الأمر كان على خلاف ذلك وخاصة بعد وفاة المهدي ، اذ حدثت صراعات دامية وعنيفة اعتبرها الخليفة ردة بائنة للمهدية ورفضا لخلافته . وتعددت الاسباب والمسببات ونسوق هنا بعضاً من تلك الأحداث التي كان مسرحها دارفور :

1- عصيان مادبو قائد قبيلة الرزيقات حيث طارده حمدان أبو عنجة الى حدود الفاشر واعدم فور القبض عليه 1886م وأرسل راسه الي أم درمان ،ثم ثار عربان الكبابيش بقيادة صالح فضلالله الذى أعدم المهدى أباه فى الأبيض رافضاً إستدعاء الخليفه له إلى أمدرمان لذلك قتل صالح بعد حصار طويل 1887م.

2- ثار الامير يوسف بن السلطان إبراهيم قرض ضد الخليفة فأرسل إليه عثمان آدم التعايشي – وكان يسمى "عثمان جانو"- الذي اتبع مايشبه حملات الدفتردار الانتقامية في عهد التركية بل وأشد عنفاً . وبعد معارك طاحنة قتل الأمير يوسف في

1888/1/25م وأرسل رأسه الى ام درمان . ولم تقتصر حملات عثمان على قبيلة بعينها بل تعدت الى معظم قبائل الرفور .

3- أمّر الفور "أبو الخيرات" سلطاناً عليهم بعد مقتل الأمير يوسف على أيدي جنود الخليفة فاعتبر الخليفة ذلك خروجاً على حكمه.

4- في نفس العام ظهر مهدي آخر في منطقة الفور هو الفكي أبوجميزة وأصله من المساليت قد اعتقد اتباعه أنه جاء من شجرة جميزة لكنه في الحقيقة كان سنوسياً يدين بالسنوسية كحركة دينية منافسة للمهدية في المنطقة ، ولم يدع النبوة كما أشيعت ضده آنذاك . وقد استطاع أن يكسب ولاء قبائل تلك المنطقة وقد أوقعت الهزيمة بقوات التعايشي في دارتاما في سبتمبر 1888م ولكنها مالبثت أن استعادت قوتها في كبكابية ، فحشدت 16253 مقاتلاً غير أن هذه القوة منيت بالهزيمة في 1888/11/11م إثر تحالف قبائل المنطقة تحت زعامة المهدي الجديد . وقد اوضح عامل التعايشي لخليفته بأن " التمرد كان عاماً في دارفور وان المنطقة محتاجة الى اعادة فتح جديد" . وتوفى أبو جميزة بالجدري وخلفه أخوه اسحاق "إساغة" الذي مني بالهزيمة خارج مدينة الفاشر في 1889/2/22م.

5- ثارت قبيلة الرزيقات مرة أخرى وشقت عصا الطاعة .

6- رفض التعايشة الإنصياع لتعليمات الخليفة التعايشي وفي فبراير 1888م قتل زعيم التعايشة الغزالي أحمد الاشخاص الذين بعثهم الخليفة اليه ، فأرسل اليهم الخليفة قائده عثمان آدم "التعايشي" يأمره " بإنذار جميع ديار التعايشة وآمرها بالخضوع او التدمير وتجويعهم حتى الإستسلام".

7- تم ترحيل قبائل البقارة بعد السيطرة عليها وتحت إصرار الخليفة الى امدرمان في 1889/1/2م.

8- ثار عربان بني هلبة ثورة عارمة وتم سحقهم في 1889/3/31م.

9- هربت مجموعات من التعايشة التي اسكنها الخليفة عنوة في ام درمان من مقرها ودخلت في قتال جديد.

10- ظهر من صفوف جنود الخليفة في الشرق على حدود الحبشة رجل يدعى آدم محمد ادعى أنه عيسى ابن مريم شخصياً وأكد أن عيسى هو الذي يظهر بعد المهدي والتف حوله بعض قادة جيش الخليفة مما أغضب الخليفة وامر بإعدام "النبي السوداني" في 1888/12/23م (هذه الظاهرة سقناها من قبيل المقارنة بالمهدي ابو جميزة وهي من ظواهر الرفض) إذ لم تقف حركات إدعاء النبوة حتى بعد المهدية ففي 1904 إدعى شخص في ضواحي سنجة انه عيسى بن مريم وقام بقطع خط التليغراف وتبعه عدد قليل من الناس . كما إدعي رجل من البرقو في منطقة القضارف انه ايضا عيسى بن مريم كان ذلك في العام 1907.

مما سبق نرى أن تلك الأحداث الدامية أبرزت دارفور مركزاً للتمرد وظل عثمان آدم يدير حملاته التأديبية ، ولايستثني قبيلة او دارا حتى 1889/6/23 . ثم بدأ الخليفة يشك حتى في أخلص قادة المهدية من امثال عبد الرحمن النجومي ، لكنه كان دائما يستغل الرؤى الدينية كوسيلة فاعلة واستمد منها قوته في اقناع الناس واخضاعهم للمهدية وربما علم انها الوسيلة الوحيدة التي يمكن ان تنفذ اية آراء بواسطتها الى قلوب الانصار والجهادية لايمانهم العميق بالدين الاسلامي ، لكن جام غضبه انصب على اهل الغرب طيلة فترة حكمه ، ربما شعورا منه بأنهم كان من المفترض ان يتبعونه ويطيعونه طاعة عمياء.

ومن الخلافات التي احدثتها سياسة الخليفة في دارفور ان الانصار ناصروا هجام حسب الله ضد ابكر اسماعيل المسلاتي . وفي حكم القمر خلع السلطان ادريس ابكر هاشم واجلس اخوه حسب الله ابكر هاشم . وفي منطقة الرزيقات ألب الأنصار اساغة العبيد ضد مادبو . ولم تسلم دار الزغاوة من تلك الصراعات والانقسامات ففي دار التور نشب صراع على السلطة بين الأخوين مصطفى بحر ومحمود وذلك بعد ذهاب حجر بحر الى ام درمان . وفي زغاوة الكوبي وقعت معارك دامية بين السلطان عبد الرحمن فرتي والسلطان راكب المدعوم من المهدية في صراع على السلطة في دار كوبي .

لما أحس الخليفة أن دارفور لن تخضع لإمرته رغم حملات التقتيل وسفك الدماء ، عمد الى زرع بذور الفتنة والشتات بين القبائل المختلفة وبين افراد القبيلة الواحدة بل وبين افراد الأسرة الحاكمة كما رأينا ، وذلك عن طريق خلق سياسة فرق تسد . كما فرض حربا اقتصادية على سكان دارفور بتجويعهم وحرق مزارعهم وقراهم وابادة بهائمهم وسلبها . وكان من اساليبه التأديبية ايضاً ارغامهم للانخراط في صفوف الجهادية وتهجير الاهالي من مناطق سكناهم فاقترنت المهدية في اذهان الناس بدارفور بالظلم والبطش وسفك الدماء ، فانصرفوا عن نصرتها ، الأمر الذي عجل بسقوطها.

سقوط المهدية وبداية الحكم الثنائي

في سبتمبر 1898 حدثت واقعة كرري شمال غرب ام درمان بين الجيش الانجليزي المصري الغازي بقيادة كتشنر وجيوش المهدية بقيادة الخليفة عبد الله وولده شيخ الدين واخيه يعقوب وعلي ود حلو ومن الامراء عثمان دقنة وابراهيم الخليل وعثمان ازرق واحمد فضيل في معركة غير متكافئة رغم شجاعة الأنصار وصمودهم البطل الا انهم هزموا شر هزيمة وقتل الالوف وجرح الوف آخرون . وانسحب الخليفة مع بعض الأنصار جنوباً.

ثم توالت المعارك غير المتكافئة ففي الشكابة قتل الخليفة شريف وكل من الفاضل وبشرى ابني المهدي في العام 1899 كما قتل الخليفة عبد الله وابنه شيخ الدين والامير ودحلو والامير احمد فضيل في ام دبيكرات على يدي ونجت باشا وأسر الأمير عثمان دقنه. وافل نجم الدولة المهدية بمقتل الخليفة عبد الله ليشهد السودان بداية الحكم الثنائي الذي استمر حتى استقلال السودان في 1956م.

(مقتل الخليفة عبد الله التعايشي في موقعة أم دبيكرات)

الفصل السادس : مملكة الفور وعلاقة الزغاوة بها

علي دينار:

تضاربت الاخبار عن كيفية رجوع علي دينار الى دارفور بعد معركة كرري . فالرواية الأولى تشير الى ان كثيرا من القبائل التي هَجّرها الخليفة من دارفور وارغمها على السكنى في ام درمان قررت العودة الى ديارها لاسترداد امجادها بإعادة تأسيس ممالكها وعشائرها . واجتمع من بقّي حياً من أبناء قبائل دارفور وتشاوروا في أمر من يصلح لحكم دارفور بدلا عن حسين ابو كودة الذي نصب نفسه سلطانا مطلقا على الفاشر وحكم بنفس اساليب جهادية خليفة المهدي .

وفي طريقهم الى دارفور استقر رأيهم على إختيار علي بن زكريا بن السلطان محمد الفضل المشهور بعلي دينار سلطانا على عموم دارفور . وكان من ضمن الذين شاركوا في هذا الاختيار من قبيلة الزغاوة الملك مصطفى بحر من زغاوة توار (امبرو) والشرتاي الزين صالح من زغاوة قلا (كرنوي) والسلطان حسن دوقي من زغاوة الكوبي (الكبيقاء) والسلطان راكب مقو من زغاوة الكوبي وآخرون ، وهم من الذين كانوا قد اخذتهم جيوش الخليفة عنوة كجهادية في صفوفها.

اما الرواية الثانية فتشيير الى انه في آخر ايام المهدية وضع علي دينار في مايشبه الاعتقال مع الملازمين لما لوحظ عنه من عدم الولاء والاخلاص للمهدية . وغادر ام درمان قبل معركة كرري بيوم واحد ومعه بعض اصحابه . وتجمع حوله ما يقرب الالفين من فرسان دارفور الذين يمثلون قبائل شتى وهو في طريقه الى الفاشر .

على كل فقد تمكن علي دينار من الوصول الى السلطة في دارفور سواء تسلمها من ابي كودة او ابراهيم الذي بعثه كتشنر ليحكم دارفور حتى يعمل على فتحها فيمابعد. ومما تجدر الإشارة هنا أن سلاطين الفور كانوا قد توارثوا الحكم ابا عن جد الا علي دينار حيث توفى والده زكريا الذي لم يكن سلطانا الا ان جده محمد الفضل كان سلطانا . ويمم السلطان الجديد صوب دارفور وفي معيته جيش مكون من ابناء دارفور العائدين من الحروب الجهادية حتى وصلوا منطقة سيلي شمال شرق مدينة الفاشر حيث اراحوا ركائبهم . وكان حسين محمد ابو كوة حاكما في الفاشر قد جهز جيشا لملاقاتهم . ودخل علي دينار والسلطان ابوكودة في نزاع على السلطة وارسل كل من الرجلين ممثلا عنه للتفاوض مع الطرف الآخر . فأرسل ابو كودة الخطاب التالي نصه الى علي دينار :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وصحبه وسلم وبعد من عبد ربه السلطان حسين بن السلطان محمد عجيب الموقر عند الله لأجر حسن . سيد ملوك العرب والعجم أطال الله عمره وابقاه آمين.سلسلة الطاهرين الى أخينا المذكور السلطان على دينار أبقاه الله آمين.

لقد بلغنا اخباركم من الاجوبة الواردة وغير ذلك . لقد حضرتم من ام درمان . والاجتماع في دار آبائنا واجدادانا . قد حضروا معك من رؤس اهل دارفور فيهم – محمود علي الدادنقاوي وخاطر ابراهيم الفوراوي والدومة صالح البرتاوي والزين صالح دنكس الزغاوي وابكر عمر البيقاوي واحمد رشيد التنجراوي . ولقد بلغت الخيانة منكم والمولى عالم بما في الضمائر . ان جئتم الى عمار الدار قبل كل شيئ انزلوا في

محلاتكم التي كنتم فيها . وارسلوا لنا ناسات معتمدة يؤمن فيهم الصداقة وحديث السير . يبلغونا بأخباركم ونحن نبلغكم باحوالنا . وان جئتم الى خراب الدار فاعلموا يقينا . لو اجتمع اولكم وآخركم ولو تاججت بقاء الارض نارا تتعلى نثبت ولانتولى حقا علينا وبالنبي المرسل. وان مات احد منا او منكم مسئولين انتم غدا بين يدي الله . وباعمالكم محاسبون ويزداد الذين ظلموا . والله اعتمادي والسلام". آهـ .

صورة طبق الأصل من الخطاب الذي ارسله ابو كودة للسلطان علي دينار وهو علي مشارف عاصمة دارفور (الفاشر) . وقد كان ابو كودة نصب نفسه سلطاا على البلاد في فترة المهدية التي خلت من السلطنة . تلك الفترة التي هاجرت فيها الناس للمبايعة ونصرة المهدي بام درمان] . آهـ.

ولما لم يذعن السلطان ابو كوده بتهديدات السلطان علي دينار هجم الاخير واستولى على الفاشر دون مقاومة تذكر اذ كان ابو كودة قد غادرها قبلئذ قاصدا جبل مرة الحصين . واتخذ السلطان علي دينار من الفاشر عاصمة لسلطنته وبدأ في توطيد حكمه . اما السلطان المخلوع أبوكودة فقد أقام في منطقة جبل مرة ووجد العفو والرضا من السلطان علي دينار وقلده منصبا اهليا وعاش سعيدا بقية سني حياته.

إدارة السلطنة:

قسم السلطان سلطنته الى أربع مقدوميات وعين في كل منها مقدوما _(المقدوم يعني مقدم)- على النحو التالي :

1) المقدوم شريف : مقدوم الشمال 2) المقدوم آدم رجال مقدوم الجنوب 3) المقدوم الدمنقاوي: مقدوم الغرب (منطقة جبل مرة) 4) المقدوم محمود الدادنقاوي مقدوم مركز الفاشر وضواحيها . وكان حكم السلطان علي دينار فرديا مطلقاً لانائب له ولا ولياً لأمره وان اتسم ببعض اللامركزية من حيث التقسيم الاداري.

العاصمة:

الفاشر كانت عاصمة السلطنة كما ذكرنا آنفا . وكانت تتكون من أحياء قليلة من برنجية وهو الحي الذي يسكن فيه الجيش الأول ، والحملة والقبة وتمباسي وزنقو ومكركا

وخير خنقا و أولاد الريف (وهو الحي الذي سكن فيه أفراد جيش التركية السابقة الذين سرحوا وبقوا في الفاشر وتزوجوا من بناتها) .

خطاب ابوكوره للسلطان على دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وصحبه وسلم وبعد .

من عبد ربه السلطان حسين ابن السلطان محمد محب الموقر عند الله لا مرحس .

سيد ملوك العرب والعجم اطال الله عمره وابقاه امين .

سلسلة الطاهرين . الى اخينا المذكور السلطان على دينار ابقاه امين .

لقد بلغنا اخباركم من الاجهة الوارده وغير ذلك . لقد حضرتهم امدرمان . والاجتماع فى دار ابائنا واجدادنا . وقد حضروا معك من روس اهل دارفور فيهم - محمود على الدادنقاوى وخاطرابراهيم الفوراوى والدومه صالح البرتاوى والزين صالح دنكس الزغاوى وابكر عمر البيقاوى واحمد رشيد التجراوى . لقد بلغت الخيانه منكم والمولى عالم بما فى الضماير . ان جئتم الى عمار الدار قبل كل شئ انزلوا فى محلاتكم . التى كنتم فيها وارسلوا افادات معتمده يوش فيهم الصداقه وحديث السير . يبلغونا باخباركم ونحن نبلغكم باحوالنا . وان جئتم الى خراب الدار فاعلموا يقينا . لو اجتمع اولكم واخركم ولو تاجحب بقاء الارض نارا تتلظى . تثبت ولا يتولى حقا علينا وبالنبى المرسل . وان مات احد منا اومنكم مسولين انتم غدا لدى بين يدى الله . واشالكم محاسبون ويزداد الزين ظلموا . والله اعتمادى والسلام .

صوره طبق الاصل من الخطاب الذى ارسله ابوكوره للسلطان على دينار وهو على مشارف عاصمه دارفور (الفاشر) . وقد كان ابوكوره نصب نفسه سلطانا على البلاد فى فترة المهديه التى خلت دارفور من السلطنه . تلك الفترة التى هاجرت فيها الناس للمسامحة ونصرة المهدى بامدرمان .

ارسل لك صورة من خطاب ابوكوره الذى ارسله للسلطان على دينار قبل دخوله الفاشر .

. المخلص
الملك وجمه الله محمود

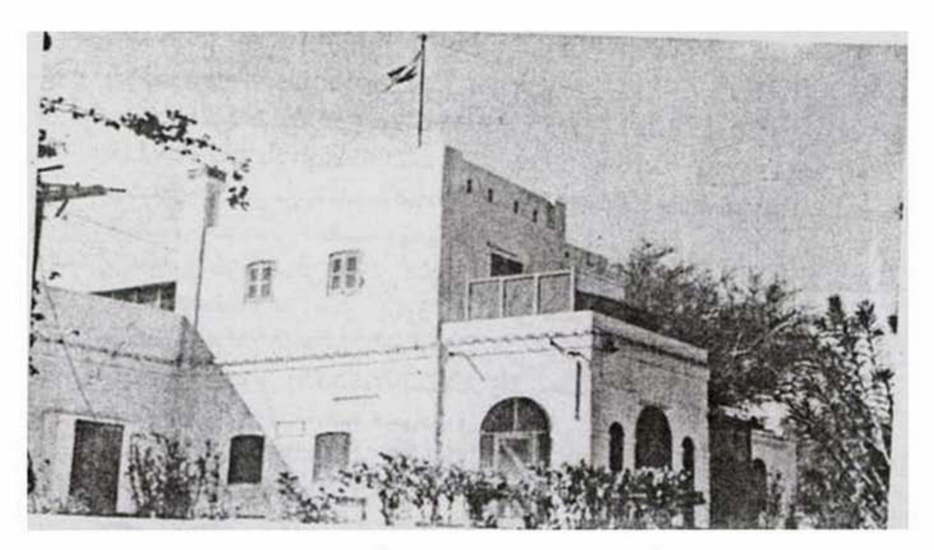
الجيش:

كان جيش السلطان منظماً وعلى غرار جيش المهدي ويتكون من البرنجية وهو الجيش الأول والمقاديم ومن زعماء العشائر بجيوشهم والتنظيمات الأخرى من رؤوس المئات (راس مية قائد تحت إمرته مائة مقاتل) والجهادية او "العيال قورو" اما قواد جيشه فهم : (1) رمضان بُرّاء (2) محمود الدادنقاوي (3) سليمان ود علي (4) المقدوم شريف (5) الدمنقاوي (6) آدم رجال (7) سالم ابو حوّه الزغاوي.

وزود الجيش بفرقة موسيقية (بروجية) لها الكثير من الآلات الموسيقية كالنحاس والصافرات القوية (بوري) والكيتا والفنفنق والبيدي (نقارة صغيرة ذات وجهين) والكوربي والأم كيكي . وفي الفرقة حداء للسلطان ويسمى الموقاي وهو حسب الله الذي يضرب" الكُرْوزُوك". وتقام الزفة مرة كل عام وهي مناسبة لعرض القوة ولقياس ولاء وطاعة زعماء العشائر للسلطان.

بيت السلطان وقصره:

لبيت السلطان سور كبير وعال به ثلاث بوابات أشهرها وراية عبد السيد وباب الحريم الذي يحرسه بركة كبسور فخصص قسماً لسكناه في قصره المشيد من طابق واحد وعمل سقفه من خشب الصندل الزكي الرائحة وبه غرف كثيرة ويقال إنه بني بدم الثيران وحسائها ! وقسم آخر لنسائه كما خصص قسماً ثالثاً لإمائه وخدمه ، أما القسم الرابع فكان اصطبلات للخيول ومخازن للسلاح والمهمات كالسروج و ركاب الخيل والدروع والكساوي والزي الحربي والنحاس الذي كان عددها 32 أكبرها تسمي منصورية ، هنالك مطامير وشُوَن للغلال (صوامع تحت الأرض) . أما القسم الخامس فقد خصص للكتبة برئاسة الفكي السنوسي .



(قصر السلطان علي دينار في الفاشر)

حروباته:

كان زعماء القبائل والسلاطين يحكمون قبائلهم المتقلبة الولاء وان بعضها تتبع للسلطان وبعضها الآخر لم تفعل. ومن أكبر المشاكل التي واجهت السلطان حاجته للجبخانة في وقت كان فيه المد الفرنسي يقترب من الحدود الغربية لسلطنته عام 1914م ابان الحرب العالمية الأولى . وثورة الفكي سنين زعيم التاما في كبكابية الذي قاتل السلطان كثيرا لعدة سنوات . وعمله الدؤوب لاخضاع البقارة (معاليا – رزيقات – هبانية وبني هلبة) الذين كثيرا ماكانوا يحتمون بحكام كردفان وخاصة زعيم الرزيقات موسى مادبو كما فعلت قبيلة الزيادية بالرحيل عن دارفور واحتمائها بالكبابيش الذين تعدوا على حدوده الشرقية . كما عمل بشتى الطرق لتطويع بعض فروع قبيلة الزغاوة والمساليت فكانت حروباته كثيرة جداً.

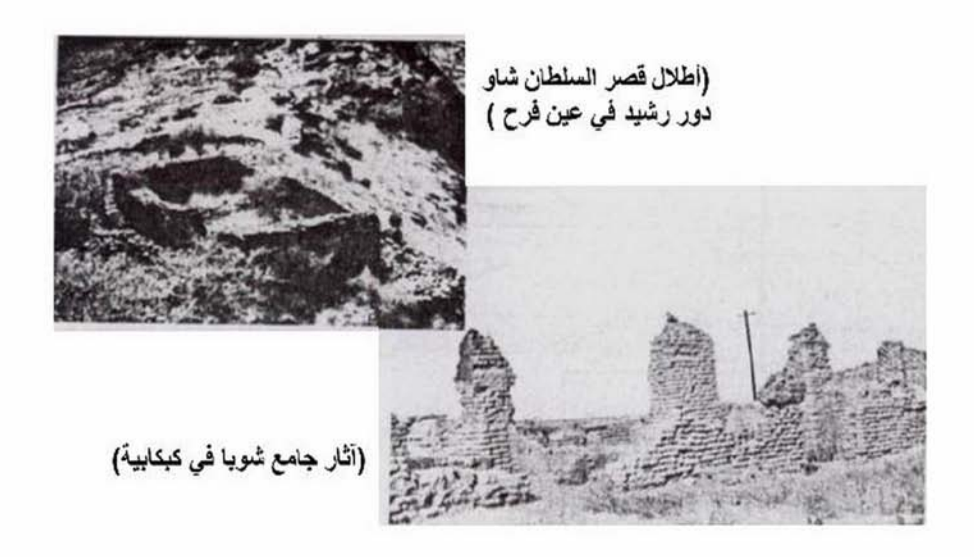
حرب الفكي سنين "التاما"

واجهت حكم السلطان علي دينار حروب كثيرة لكن أطولها وأشرشها كانت ثورة الفكي سنين حسين زعيم قبيلة التاما في كبكابية 1900 والتي كانت ثورة دينية قوية . وكان الفكي سنين يمثل آخر معقل للمهداية في دارفور ، كما كان أنصارياً متشدداً حارب مع محمود ود احمد الذي ترك لـه 155 بندقية عند رجوعه الى ام درمان لنجدة الخليفة عبد الله . فناصب الفكي سنين السلطان علي دينار عداء شديدا وجاهر بتحديه له واستعداده لمنازلته شخصيا. فما كان من السلطان إلا ان ارسل جيشا بقيادة كيران (وهو فارس من الرزيقات وهو الذي قتل قتل ابراهيم علي من قبل) لمحاربة الفكي سنين ولكن الاخير هزمه شر هزيمة.

وغزت جيوش السلطان ديم الفكي سنين ثلاث مرات خلال العام1901 الى 1903 لكن جيش التاما الباسل القليل العدد الجيد الاعداد كان دائما يوقع الهزائم بجيش السلطان ويرده على أعقابه . وذاع صيت الفكي سنين في كل أنحاء دارفور إذ كان يهاجم عدوه في وضح النهار حيث كان يتقدم جيشه راكبا جواده ، وبجواره زوجته (قمرة) على ظهر بعير بداخل شبرية . ونحاساته محمولة على الجمال وهي تضرب ، ويحيط به جيشه المكون اكثره من المشاة بحرابهم وبنادقهم في نصف دائرة وفي شكل هلال . وكان يبلغ عدوه بوقت هجومه النهاري لكي يستعد لملاقاته ، دلالة على شجاعته وانفته في عدم مباغتة خصمه ويكبر "الله اكبر ولله الحمد" وعرف عنه عدم قتله للنساء والاطفال.

في سنة 1908 حشد علي دينار قوة كبيرة بقيادة آدم رجال (الذي هو شقيق قمرة زوجة الفكي سنين)! ويساعده محمود الدادينقاوي وحاصروا الفكي سنين في ديمه الحصين المحاط بالاشجار والاشواك والذي يصعب اختراقه لانهم رأوا عدم امكانية هزيمته بالمجابهة . فاتبعوا معه سياسة الحصار والتجويع لمدة عام كامل والفكي سنين يرفض الإستسلام . والجدير بالذكر انه كان ضمن جيش السلطان – الذي يتكون من عدة قبائل في دارفور – جموع من زغاوة الكوبي على رأسهم دوسة بن السلطان فرتي الذي حارب ثلاث سنين متتالية وفيها قتلت زوجاته برصاصات طائشة.

وفي سنة 1909م رأى آدم رجال عدم جدوى الحصار والانتظار والسلطان في الفاشر يتحرق شوقا لسماع الأنباء التي تسره بعد أن نفد صبره . فشن هجوما قويا على ديم الفكي سنين فاخترق حصان حسب الله مامي – من زغاوة الكوبي– الشوك فاتحاً بذلك مدخلا الى الديم حيث قتلوا الفكي سنين بعد مقاومة شديدة من رجاله الذين آثروا الموت على البقاء . وحُمِلَ جثمانه الى الفاشر حيث ارسل السلطان علي دينار رأس الفكى سنين ورايته الى سلاطين باشا في الخرطوم . اما بقية جثمانه فقد دفن في الفاشر جوار مكاتب رئاسة التربية والتعليم الحالية.



(أطلال قصر السلطان شاو دور رشيد في عين فرح)

(آثار جامع شوبا في كبكابية)

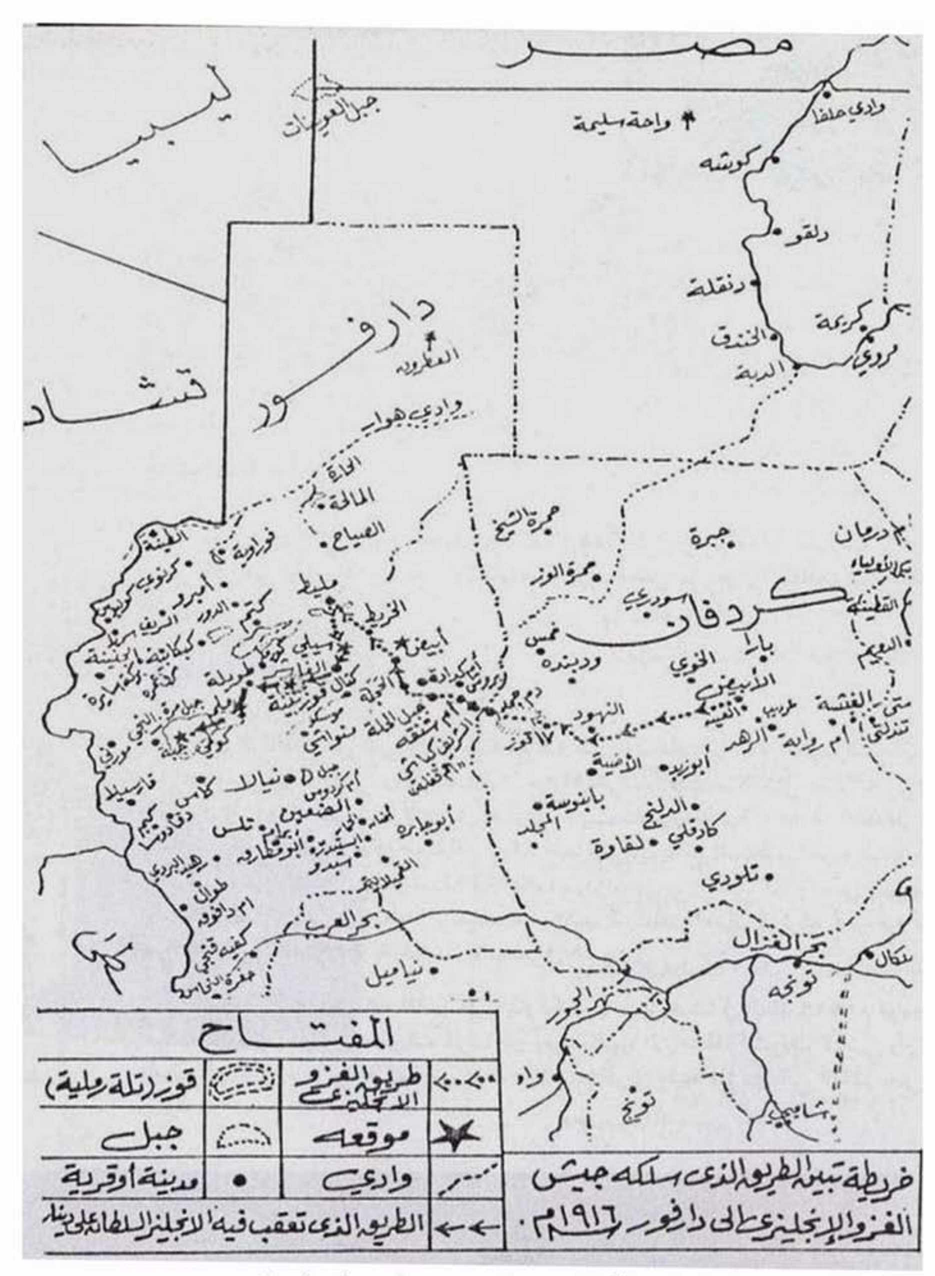
حرب المساليت:

دخل جيش علي دينار في حرب جديدة ، هذه المرة في جبهة دار المساليت ، الا ان السلطان تاج الدين تمكن من الحاق الهزيمة به . وانتقاما لهذه الهزيمة قتل علي دينار السلطان أبكر إسماعيل عبد النبي 1888–1905م شقيق السلطان تاج الدين . إسماعيل عبد النبي 1905– 1910م.

حربه ضد الإنجليز:

كان السلطان علي دينار على علاقة طيبة مع سلاطين باشا المفتش العام لحكومة السودان ، وهو نمساوي سبق ان عمل في دارفور . وذكر للسلطان مرارا في مراسلاتهما ان الفضل يعود اليه في اعادته الى دارفور ولحكم آبائه . وكان علي دينار التقاه في ام درمان حيث كانا فيما يشبه الاعتقال التحفظي بأمر من الخليفة عبد الله التعاشى ، فدخل الرجلان في هدنة غير معلنة حينا على أن يدفع السلطان الجزية السنوية الى الحكومة في الخرطوم. وبالمقابل يتمتع باستقلالية حكمه دون تدخل من احد . لكنه احس فيما بعد ان دفع لمسلم الجزية للنصراني لايجوز مطلقا . لذلك بدأ يكاتب السلطان العثماني في تركيا يخبره فيه استعداده للزحف شرقا للجهاد المقدس ومحاربة حكومة الانجليز في السودان.

لما احس سلاطين باشا باتصالات علي دينار الخارجية جهز جيشا في العام 1916م قوامه 3 آلاف جندي بقيادة كَلِي باشا . فسلك طريقه غربا مارا بغرب النهود الى منطقة الشريف كباشي وأم شنقة فجبل حلة وأبيض ثم الحجرة غربي ام كدادة ، وبعد ذلك تبع طريق مليط المؤدي الى الفاشر حتى منطقة سيلي.



(خريطة لطريق الغزو الانجليزي لدارفور)

موقعة سيلي:

وفي اليوم الثاني والعشرين من مايو 1916 حلقت طائرتان للانجليز فوق الفاشر للاستكشاف والقاء المنشورات تحث على الاستسلام . وتجمعت لدى السلطان الاخبار بواسطة عيونه بان " الترك جو في سيلي" فقرر أن ينقل المعركة بعيدا عن الفاشر بعد ان تباحث مع قادته.

خرج جيشه الذي يتكون من الفرسان الخيالة والمشاة ويقوده أربعة من كبار قادته وعلى رأسهم رمضان علي" بُرّاء" . وشنوا هجوما قويا على جش العقيد كلي وهارولد ماكمايكل والمعاون الميجر هدلستون. وفي النقعة الواسعة المسمى سيلي التقى الجمعان فاستبسل جيش السلطان بلاء حسنا . سقط في المعركة اكثر من 400 جندي بين قتيل وجريح ، في معركة غير متكافئة حيث عمل السلاح الأبيض والبنادق مثل الرمنتون والكرمبل وابو ستة وابو لفتة واخرى صنعت محليا ، مقابل المدافع والمكاسيم والبنادق الآلية الحديثة ن فحصدتهم حصدا وهم يتدافعون نحو المدافع بشجاعة وحماس منقطع النظير . وانجلى الموقف بهزيمة جيش السلطان وسقط قائده الشجاع رمضان بُرّاء ونائبه سليمان ود علي المعروف بولائه الشديد للسلطان . أما كبير مستشاريه محمود الدانقاوي فقد وضعه السلطان في الحبس لعدم تمكنه من ايقاف زحف الجيش الغازي في بدايته . ولما سقطت الفاشر سرحه الانجليز مع آخرين من حبسهم.



(صورة جامع السلطان علي دينار في الفاشر)

موقعة جُبّة:

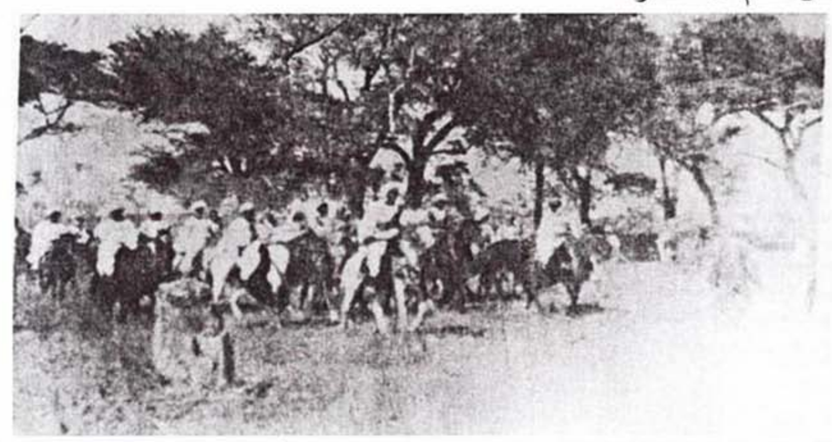
غادر السلطان علي دينار الفاشر بايعاز من مستشاريه وممن نجا من رجاله في معركة سيلي . فقصد جبل مرة الحصين للاحتماء فيه وتنظيم جيوشه لمواجهة الانجليز . وكان معه كثير من اولاده من ضمنهم زكريا وعثمان وعباس كما خرج معه الكثيرون وقلوبهم شتى حيث خذله بعضهم الذين تظاهروا بالخروج معه ولم يفعلوا كما قفل بعضهم راجعا خلسة عند وصوله قوزبينه ونهبوا بيته وقصره.

يقول بعض الرواة ان السلطان عدل عن رأيه في الذهاب الى جبل مرة وحاول الرجوع الى الفاشر للمقاومة من هناك غير أن بعض خصومه من قادة جيشه حالوا دون

ذلك وامطروه بوابل من الرصاص ، فتابع سيره على مضض نحو جبل مرة . وعلى أية حال فإن موقف السلطان تازم في قوزيينة حيث قصفتهم احدى طائرات الاستكشاف على حين غرة فتكونت سحائب من الدخان وفزعت الدواب ومات كثير من رجاله وهرب آخرون. فتابع السلطان سيره وبات ليلته في وادي "طويلة بالقرب من الآبار" . ولما وصل ركبه الى " ملم" أشار الى بعض خلصائه الذين لم يحنثوا بيمينهم بالعودة الى أهليهم. وكان السلطان دوسة عبد الرحمن فرتي من زغاوة الكوبي و"راس مية" في جيشه ممن اشار اليهم بذلك.

وصل السلطان على دينار ورجاله جبل مرة ونزلوا في وادي جبة المجاور لمنطقة كولمي ، في حين عسكر جنود هدلستون – وكان يسمى المرفعين ابو حجل – ومكمايكل في موقع ليس ببعيد ، آتين اليه عن طريق كبكابية . وحدث ان خان السلطان بعض رجاله الذين افشوا لهدلستون اسراره وتكتيكه.

ففي فجر يوم الاثنين 1916/11/6م الموافق 1336هـ كان السلطان ورجاله يؤدون صلاة الصبح حين اطلق عليهم النار وانفضوا منها وتفرقوا اصابع سبا ، وأردي السلطان قتيلا فسقط من حصانه وقتل معه أخلص اتباعه . وبمقتله ضمت دارفور الى عموم السودان بعد صمود لم يشهد التاريخ الحديث له مثيلا اذ ظلت 18 سنة مستقلة عن حكم الاستعمار .



(صورة رجال السلطان القتيل يتجهون نحو موقع مصرعه في جبة يتقدمهم صهره حسن سبيل راجلا)

أسباب الهزيمة:

كان من أبرز أسباب هزيمة جيش السلطان علي دينار عدم تماسك الجبهة الداخلية اذ كان الشعور بعدم الرضا الناتج من القهر و الظلم والحسم السريع بالقصاص بأخلص قواده مثل آدم رجال وسالم ابوحوة وخلافهما كان سائدا . وان الجيش كان مكونا من قبائل عديدة ، وفي نفس الوقت غير متجانسة ومتنافرة . ومن بقي من القواد يُكْرَهُون على آداء قسم الولاء والبقاء في حوش السلطان لمدة طويلة دون تمكنهم من الرجوع الى زويهم مع مراقبتهم الدائمة لهم علما بأن معظم قادة جيشه من زعماء العشائر او ابنائهم (اولاد ملوك وسلاطين) الذين يرون انهم ليسوا اقل شأنا من السلطان نفسه احياناً.

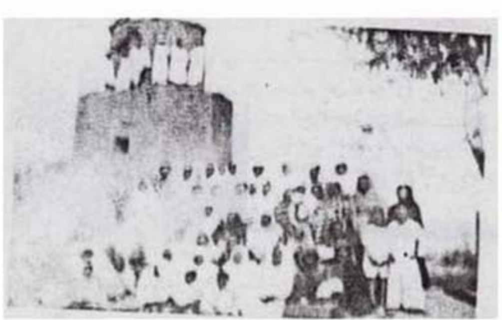
الفصل السابع :

دخول الإدارة الأهلية في دارفور

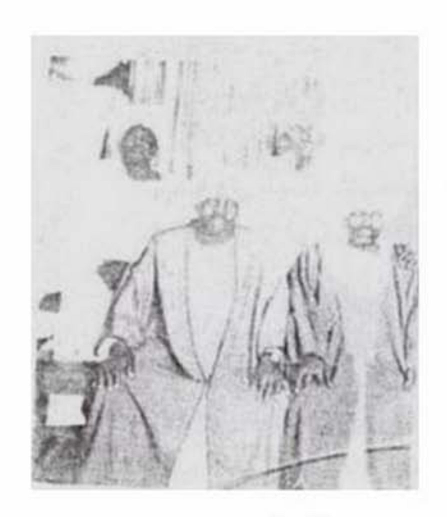
في معرض حديثنا عن دخول الإدارة الاهلية في دارفور يجدر بنا ان نعرض بايجاز لدخول الادارة الاهلية في السودان والظروف التي أدت الى تطبيقها . فالمتتبع لتاريخ السودان يجد الاحداث تسارعت في كل من السودان ومصر عقب مقتل السير لي استاك حاكم عام السودان في القاهرة في 19 نوفمبر 1924 مما حدى بالانجليز بتقليص النفوذ المصري في ادارة السودان توطئة لإنهاء الإزدواجية فيها لكن الأمور تتفاقم أكثر بقيام ثورة 1924بقيادة الضباط السودانيين من اعضاء جمعية اللواء الأبيض وبزعامة علي عبد اللطيف وعبد الفضيل الماظ ورفاقهما ، والتي اعقبتها سياسة القمع والارهاب وخطط الانجليز في ادخال الادارة الاهلية في السودان في تلك السنة . وهي نظام يعتمد اساسا على زعماء العشائر المحليين في المساعدة على إدارة هذا البلد المترامي الاطراف.

وبدأ السير ريجلند ونجت – الذي جاء بعد كتشنر – واللورد كرومر في تعيين شباب من الانجليز مأمير وضباطا ومفتشين لتكوين اول نواة للسلك الإداري في السودان

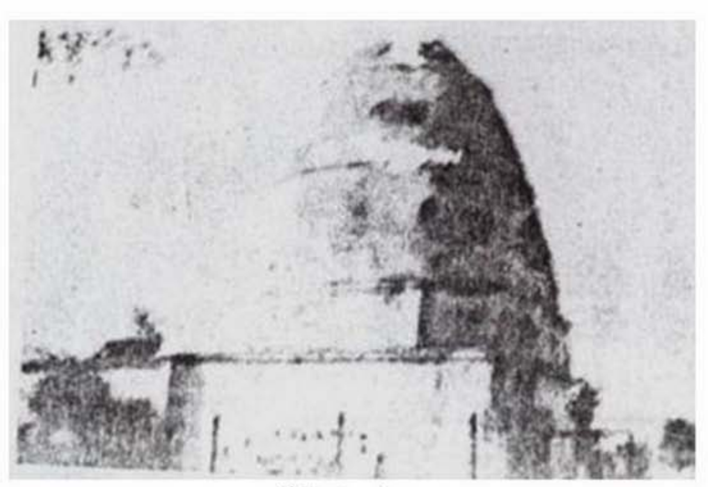
. كما عمل هؤلاء بالاستعانة بزعماء العشائر في تكوين ادارات اهلية تناط اليها جباية الضرائب والفصل في النزاعات القبلية والنظر في القضايا، وتساعدهم على فرض الامن وتنفيذ سياسة الحكومة بحذافيرها على الطريقة التي تريدها السلطات الانجليزية.



(صورة نادرة تجمع معظم ابناء لسلطان علي دينار)



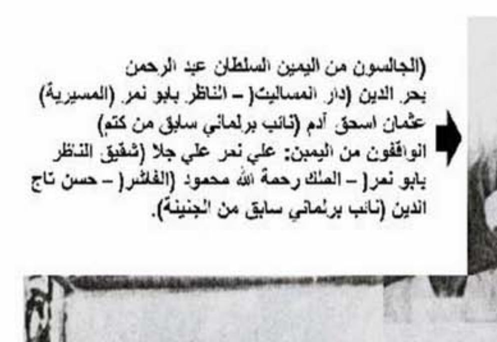
(صورة تجمع بعضاً من أبناء لسلطان علي دينار وهم : الأمير بحر لدين والامير لتجاني والامير عب لمطلب والامير بكر)



(صورة القبة)

إدارة الفاشر بعد مقتل السلطان

بعد مقتل السلطان علـي دينار في نوفمبر 1916 ودخول الانجليز انتفت سلطنة الفور فصار الحكم مجزأً بين القبائل وانحسر جزء منه في الفاشر . فعمد الانجليز على طمس حكم الفور نهائيا باسناد الادارة الجديدة لشخص من غير اسرة السلطان القتيل او من قبيلة الفور ايضا لذلك عين المستر كلـي قائد جيش الغزو محمود الدادنقاوي ملكاً على مدينة الفاشر وضواحيها. وقسم بقية دارفور الى خمسة مراكز بدلا عن المقدوميات التي كانت معمولة بها في عهد السلطان علـي دينار وهي مركز شمال دارفور (و عاصمته كتم) وشرق دارفور (ا و عاصمته أم كدادة) وجنوب دارفور (و عاصمته زالنجي) ودار مساليت (و عاصمته الجنينة) وجعل لكل مركز مفتشاً انجليزياً ماعدا دار مساليت – لانها منطقة حدودية فكان يدير شئونها معتمد كما كان الحال في شرق السودان (بورتسودان) وحلفا بشمال السودان. اما مركز الفاشر فكان يدير شئونه مفتش الرئاسة.



(الجالسون من اليمين السلطان عبد الرحمن بحر الدين (دار المساليت) – الناظر بابو نمر (المسيرية) عثمان اسحق آدم (نائب برلماني سابق من كتم)
الواقفون من اليمين: علي نمر علي جلا (شقيق الناظر بابو نمر) – الملك رحمة الله محمود (الفاشر) – حسن تاج الدين (نائب برلماني سابق من الجنينة).



(صورة تجمع بين العديد من زعماء العشائر في دارفور وهم يتزيون بكساويي الشرف والسيوف الميري)

(هذ الصورة اخذت لبعض زعماء الإدارة الأهلية في شمال دارفور 1932م من اليمين لليسار
1. المقدوم يوسف محمد شريف كتم
2. الملك محمدين آدم صبي(أميرو)
3. الشرتاي آدم تميم (مليط)
4. السلطان دوسة عبد الرحمن (الطينة)
5. الشرتاي الطيب صالح (كرنوي)
6. الملك عبد الرحمن حسب النبي (حمرة)
7. الملك محمد نور (هشابة))

وكان لاختيار الادارة البرطانية لمحمود الدادنقاوي ملكا على الفاشر اسباب وهي انه كان مقرباً من السلطان علي دينار وله معرفة تامة بشئون البلاد كان قائدا ومستشارا للسلطان كما كان الحال بالنسبة لاسلافه مع سلاطين الفور قبل علي دينار. وتجدر الاشارة الى أن محمود الدادنقاوي كان رهن الاعتقال من قبل السلطان علي دينار في آخر أيامه لأن الأخير اتهمه بالقصور في صد الهجوم الذي شنه ونجت باشا على الفاشر .

آلت ادارة مدينة الفاشر وضواحيها الى امرة الدادنقاوي واستمرت فترة حكمه من سنة 1916 الى 1922 فخلفه اخوه (من أبيه) الفكي صالح الذي عرف بالعمدة صالح

. وبوفاته عام 1940 عين محمد محمود ملكا غير أنه توفى في الحجاز عام 1944 ليتولى اخوه رحمة الله محمود الحكم من بعده في نفس العام ويعتبر من أطول ملوك الدادنقا حكما حيث امتدت فترة حكمه زهاء ربع قرن من الزمان حتى صفيت الإدارة الاهليه في مايو 1969 بواسطة حكومة مايو العسكرية برئاسة محمد جعفر النميرى.

(الملك رحمة الله محمود)



براءة كسوة شرف

نحن حاكم السودان العام قد انعمنا
على الشيخ رحمة الله محمود على بكسوة شرف
من الدرجة الثانية لعلو منزلته
في السودان وولائه للحكومة واعطيناه
هذه البراءة بيده اشعارا بذلك
حرر في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١
حاكم السودان العام

(نماذج براءات كساوي الشرف)



براءة كسوة شرف

نحن حاكم السودان [illegible] قد انعمنا
على [illegible] بكسوة شرف
[illegible] لعلو منزلته
في [illegible] وولائه [illegible] للحكومة و[illegible]
هذه البراءة [illegible] اشعارا بذلك
حرر في [illegible] سنة ١٩٣٠
حاكم السودان العام



براءة كسوة شرف

[illegible] السودان العام قد انعمنا على [illegible]
[illegible]
[illegible]
حرر في [illegible] اكتوبر سنة ١٩١٦

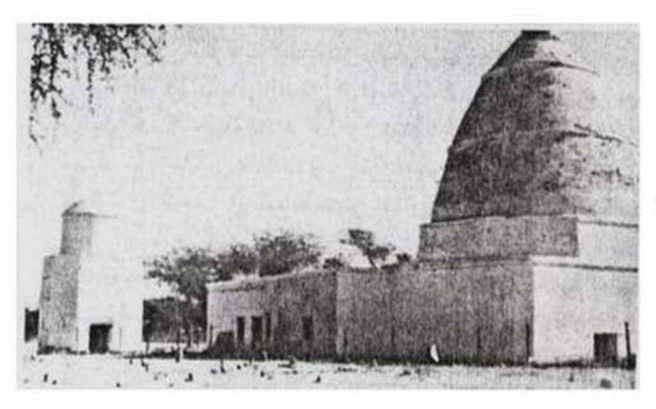
حدود ادارة الفاشر وضواحيها:

تمتد إدارة الفشر وضواحيها الى حدود كبكابية وزالنجي وشرق جبل مرة غربا ، وحدود نيالا عند وادي موسكو جنوبا وحدود ام كدادة شرقا ، وحدود دار البرتي في مليط وحدود كتم شمالا.

ان حديثنا عن ادارة مدينة الفاشر وضواحيها لايكتمل دون اعطاء نبذة عن الفاشر في عجالة، وذلك لأنها كانت الحاضرة التي شهدت كل الأحداث الهامة عبر التاريخ و كانت مهد حضارة سلطنة دارفور في عهودها المتعاقبة عوضاً على انها ظلت عاصمة لمديرية دارفور ثم لإقليم دارفور في السنين الأخيرة.

الفاشر:

تكنى الفاشر بأبي زكريا اشارة الى السلطان علي دينار وابنه الاكبر زكريا وكانت مدينة الفاشر فى الماضي تتكون من أحياء قديمة حافظت على اسمائها وهي:



(قبة زكريا علي دينار في لفاشر)

برنجية – خير خنقا– مكركا– زنقو– القبة – الحملة او الرديف Royal Defence Forces (R.D.F) إشارة للجيش البريطاني الذي كان يتخذ من هذا الحي تكنات له – أولاد الريف– حلة تاما – حجر قدو – حلة دادينقا. أما من الناحية الإدارية فقد كانت الفاشر مقسمة الى ثمانية أقسام ويطلق على كل منها "ربع" . وكان لكل ربع شيخ ، وهو المسئول أمام الملك . وفي السنين الاخيرة دمجت هذه الأرباع الثمانية لتصبح أربعة أرباع وليست ثمانية أرباع!!! ولكن يبدو ان الخطأ الشائع خير من صواب غير مألوف ، إذ ظل سكان الفاشر يعملون بالتسميات القديمة والارباع الثمانية !! ونلاحظ مما سبق أن كلمة الحي الحديثة احتلت مكان الحلة التي كانت تستخدم حتى لوقت قريب.

واتسعت رقعة مدينة الفاشر مؤخرا وشملت أحياء أخرى مثل : حلة فيزان– حلة التجانية – حلة الزيادية– حلة كفوت– حلة شوبا– حلة الهوارة – حلة الجوامعة – حلة الواحية – حلة الطريفية – حلة الميدوب– حلة الأسِرّة – حلة التكارير– الكرانك – الخمسة بيوت– اربعطاشر بيت– حلة الوكالة– حلة المعهد– حي القاضي– حي المصنع– حي الوحدة – حي الأميرية– حي الكمائن– التيمانات – خورسيال– ديم سلك– الربع الخامس– شالا الثورة شمال – الثورة جنوب– اشلاق البوليس– اشلاق الجيش – زقلونا– دبة الشجيرة – المواشي – حلة أبوشوك – حي الثانوي– حي معهد التربية – المدفعية – حي الامتداد– حلة الشرفة.



(صورة تبين وسط مدينة الفاشر)

دور قبيلة المساليت في لمحافظة على أرض و حدود لسودان

بدون أى شك، هناك أهمية قصوى للحدود الإقليمية في القانون الدولي وفي العلاقات الدولية، و فى هذه العجالة يمكننا القول إن فضل الحفاظ على حدود السودان الغربية – بعد الله سبحانه و تعالي – يرجع إلي الدور المتعاظم لقبيلتي المساليت و الزغاوة في نضالهما ضد الغزو الفرنسي الإستعمارى الذى كان يطمع فى توسيع دائرة نفوذه و بسط سلطته و ضم أرض السودان إلى الجزء الفرانكوفونى الإفريقى المتاخم فى تشاد و إفريقيا الوسطى و خلافها. و ذلك – بلا أدنى شك – سيضع العبء علينا لنفرد حيزاً مقدرا من هذا الكتاب لقبيلة المساليت العريقة و الواسعة الإنتشار و الذائعة الصيت و ذات العلاقة الوطيدة عبر التاريخ بقبيلة الزغاوة – موضوع هذا الكتاب "الزغاوة ماض و حاضر".و فى هذا الصدد من المهم إعطاء بعض المعلومات الأساسية لهذه المجموعة القبلية – بحجم الشعب – عشيرة المساليت. و بعد هذا القول، إن موضوعاً متعلقاً بقبيلة المساليت سوف يحتاج حتماً إلى كتب و أسفار لإستيعابه. و مع ذلك، فإن إعطاء وصف موجز للموضوع – من باب جهد المقل – جدير بالإعتبار.



السلطان عبدالرحمن بحر الدين (أندوكة) أبكر سلطان دار مساليت (1951-1998م)

قبيلة المساليت

قبيلة المساليت من كبرى القبائل فى السودان و لها إنتشار واسع و تتمتع بإرث جهادي تاريخي أغفل التاريخ والمؤرخون كثيراً من تلك الفصول التاريخية الخالدة التي لعبتها القبيلة عبر هجراتها الطويلة التي دامت قرون قبل أن تستقر في موطنها الحالي بالسودان بدار مساليت فى غرب دارفور في العام 1870م وقد استطاعت قبيلة المساليت وبعد معارك طاحنة وطويلة أن تستأثر بمساحة واسعة من الأرض تمتد من الجنينة الى غرب جبل مرة عند منطقة بركة سايرة وشمالاً حتى الحدود مع كتم وحتى ودي قمر غرب ابشي وجنوباً حتى نهاية دولة تشاد. و حدود دار المساليت شاسعة مترامية الأطراف ظلت قبيلة المساليت تحميها وتحافظ عليها الى أن إنضمت نهائياً للسودان بموجب "اتفاقية قلاني" التي أتتها المساليت طوعاً وبمحض إرادتها في عام 1920م. و للمساليت إنتشار واسع فى الشريط الممتد من بحيرة تشد غرباً ، إلى حدود السودان مع أثيوبيا شرقاً ويتمركزون في دارمساليت التاريخية في ولاية غرب دارفور الحالية ،. وللمساليت تواجد فى شتى أنحاء السودان و لا سيما فى في ولاية جنوب دارفور في منطقة قريضة تحت قيادة الملك محمد يعقوب نصرالدين وجوغانة الزرقا تحت قيادة السلطان عبدالرحمن بخيت، وفي جبال النوبة بولاية جنوب كردفان ، ومنطقة الجزيرة بين النيلين ، وفي ولاية القضارف جنوباً وشرقاً ، في قري متصلة إلى حدود أثيوبيا .

سلطنة المساليت

يعتبر السلطان هجام حسب الله ، المؤسس الأول لسلطنة المساليت، في عهد الأتراك ثم انتقلت السلطنة السلطان من هجام حسب الله (1874-1883م)، إلى الفكي إسماعيل عبد النبي (1883- 1888م) الذي نقلها باختياره إلى ابنه السلطان أبكر ، الذي أوصل المملكة الوليدة إلى مكان الصدارة من قريناتها من السلطنات القديمة فخلفه أخوه السلطان تاج الدين إسماعيل عبد النبي(1905- 1910م) الذى هزم الجيش الفرنسي الغازى فى معركتين فاصلتين تاريخيتين (معركة كريندنق ومعركة دروتى لعامي 1910 و 1911م) فتولى بعد استشهاده إبن أخيه السلطان بحرالدين (أندوكة) بن أبكر إسماعيل عبد النبي(1888-1905م) فى الحكم الذي عقد اتفاقاً مع الفرنسيين ،أصبحت بموجبه دار مساليت مستقلة تحت حكم سلطانها . وقد أقر

الإنجليز الذين استعمروا السودان ذلك الاتفاق . فجعلوا لدار مساليت وضعاً خاصاً من الاستقلال والحكم الذاتي ، مما يتيح لهم خيارات ، إقامة دولة مستقلة ، أو الانضمام إلي تشاد ، أو الانضمام إلى السودان . وفآثر المساليت الانضمام إلى السودان و بذلك كان للمساليت الفضل فى إضافة أرض غنية ذات مساحتها شاسعة إلى الأراضي دولة السودان . ثم تولى العرش بعد وفاة السلطان بحرالدين أندوكة إبنه السلطان عبد الرحمن بحر الدين أبكر (1951-1998م) ثم تلاه إبنه السلطان الحالى سعد عبد الرحمن بحر الدين أبكر منذ 1999م حتي الآن. و للمساليت نظام إداري دقيق يربط القبيلة برباط لا يهمل فيها فرداً واحداً وسط العشيرة بحيث يكون الشكل الإداري هرمياً بادئاً بالسطان و يليه الفِرَشْ أو العُمَد ثم الدّمَالِج ثم الشيوخ ثم الخُلَفَاء. و وفقاً لما أوردها الأستاذ جمال حسن أحمد عن الزعامات القبلية بدارفور عبر القرون يأتى التقسيم الإدارى لدار المساليت التى تشمل فروعاً غير المساليت - قبل تصفية الإدارات الأهلية بواسطة نظام مايو - تحت قيادات الفرش على النحو التالى:

الفرشة	**المنطقة**
1. فرشة المساليت	(بمنطقة مورنى)
2 . فرشة المسلات	(بمنطقة مستريه)
3 . فرشة ارينقا	(بمنطقة سربا)
4 . فرشة المهادى	(بمنطقة ام طجوك)
5 . فرشة اسنتقورى	(بمنطقة ابوسروج)
6 . فرشة مدنفورى	(بمنطقة تندلتى)
7 . فرشة قرقه	(بمنطقة كندوبى)
8 . فرشة سيينار	(بمنطقة فروبرنقا)
9 . فرشة جبل مون	(بمنطقة صليعة)

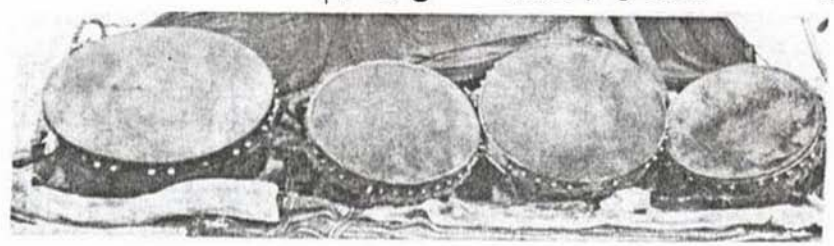
علماً بأن سلطنة دار القمر فى كولبوس و سلطنة زغاوة الكبقا فرع السودان فى تتضباى كانتا تابعتين لإدارة دار المساليت حتى تم إلغاء ذلك بعد الإستقلال.

و تجدر الإشارة إلى أن الإدارة الإنجليزية قد تجنبت أن يكون لها وجود ملحوظ داخل مدينة الجنينة – على وادى كجا – التى أصبحت العاصمة الجديدة لدار المساليت و لها وضع خاص – بدلاً من العاصمة القديمة فى دِرجَيْلْ كما أسسوا فى عام 1919 حاميتهم العسكرية عند منطقة كرينك شرق الجنينة ، و في عام 1921م – و بعد موافقة السلطان بحر الدين أبكر إسماعيل– انتقلت الإدارة الإنجليزية إلى منطقة "أرنمتا" بشمال شرق مدينة الجنينة فظلت تلك القاعدة حتى جلاء الجيش البريطاني، لتكون مدينة الجنينة "الجنينة بلد و لا دار مسكين" في يد السلطان بحرالدين أندوكة سلطان عموم دار المساليت تتفاداها الإدارة البريطانية التدخل فى شأنها، كنوع من الحكم الذاتي.

دخول الادارة الاهلية في دار الزغاوة

نشأ النظام القبلي في دار الزغاوة منذ القدم ونما بطريقة فطرية حيث كان لكل فرع من فروعها زعيم عشيرة يسيس أمور إدارته بالعرف والموروث. وكان أفراد القبيلة يحتكمون اليه في النزاعات ويستشيرونه في الملمات الكبيرة . وفي الجانب الأخر يصدر رئيس القبيلة توجيهاته الى مواطنيه في قراهم من وقت لآخر عن طريق مناديبه من الملازمين واهل مشورته من علية القوم . وكان من سلطاته تغريم الجاني وحبسه لمدة يقررها ثم اطلاق سراحه متى شاء . وكان يتوجب على المواطنين دفع العشور والزكاوات . وكان من واجباته حفظ النظام في حدود منطقته والتصدي لاعداء القبيلة ومحاربتهم او التفاوض معهم حسب ما تقضيه الظروف. ولكن في اغلب الاحيان كانت الممالك الكبيرة تتوسع على حساب القبائل المجاورة وتحتويها وتفرض هيمنتها عليها وتلزمها بالاذعان لتسلم بطشها وسلبها . وعادة ماتفرض عليها إتاوة مالية في شكل ماشية تدفع سنويا للمملكة المعنية.

وفي عهد سلطنة الفور الثانية (1899-1916) كان زعماء عشائر فروع الزغاوة يتبعون إداريا لمقدوم الشمال الذي كان مسئولا عنهم امام سلطان دارفور . وكان المقدوم يجتمع بهم مرة في العام في قرية فتابرنو قبل ان تنتقل منها إلى كتم بشمال دارفور في ماكان يعرف بالزفة[2] حيث ياتي اليه زعيم كل قبيلة بفرسانه على الجياد والجمال في ازهى وابهى استعراض للقوة . وفي نهاية العرضة يعقد المقدوم لقاء معه ويحملهم توجيهات السلطان وأوامره فيعودون بعدئذ الى اوطانهم.



(لنحاس رمز لحكم ولسلطة لدى لزغاوة)

وعندما استحدث الانجليز نظام الحكم غير المباشر في السودان 1924 عن طريق الحكومات المحلية وجدوا ان النظام القبلي في منطقة دار الزغاوة متطورا ومؤسسا. وكل مافعلوه هو ان اضفوا عليه الشرعية من جانبهم بتطبيق قانون المحاكم الاهلية لعام 1932 ودعموه ببعض المناصب في هيكل وظيفي بسيط ، اذ اصبح في كل ادارة محكمة اهلية من الدرجة الثالثة يرأسها زعيم القبيلة . يناط اليه فض المنازعات والفصل في القضايا الصغيرة . أما القضايا الجنائية الكبرى فتحول الى مفتش المركز في كتم ليفصل فيها . كما عين في كل محكمة كاتب واعضاء محكمة ومجموعة من الكوادر عرفوا بالخفراء لحفظ النظام والقبض على الجناة والمتهمين وحراسة المحبوسين . و لأول مرة فرضت ضريبة القطعان والدقنية فأصبح من سلطات الإدارة الاهلية الجديدة تقدير تلك الضرائب والعوائد وتحصيل الإيرادات وارسالها الى الرئاسة في كتم . وتم ادخال وظيفة مندوب في ادارة و اوكل اليه القيام بجمع الضرائب والايرادات من افراد القبيلة الذين يقطنون في مناطق خارج نطاق سلطة زعيم عشيرتهم . وبذلك أصبح في كل من

([2]) كانت الزفة في شمال دارفور تقام في منطقة فتابرنو حتى سنة 1955م. بعدها صارت تقام في كتم عند انتقال المقدوم يوسف اليها بعد الاستقلال عام 1956.

ام حراز وامبرو ومزبد وكرنوي والدور والطينة وانكا محكمة اهلية رئيسها وقاضيها زعيم العشيرة . الا انه في بعض الاحيان يعين شخص آخر ينوب عنه ويقوم بمهام القاضي في الاحوال الشخصية . ولما طرأ توسع في نظام الحكومات المحلية أنشئت وظيفة مساعد ضابط اداري لكل مجموعة قبلية في حاضرة من حواضرها فكان ان اتخذ من أمبرو مقراً له وذلك لوقوعها في وسط دار الزغاوة . وقد روعي في تعيين مساعد الضابط الاداري ان يكون من ابنائها . ولذلك كان اختيار حسين دوسة من ابناء الزغاوة متماشياً مع تلك السياسة . واستمرت الإدارة الاهلية في دار الزغاوة على هذا المنوال حتى صفيت في مايو 1969م.

الفصل الثامن

حركات الرفض في دارفور ودور الزغاوة فيها

ظل دور الزغاوة من الحركات المناهضة لصور الظلم والاستبداد في الحكم على النطاق الاقليمي والقومي بارزا رغم محاولة الإستعمار عزل منطقة الزغاوة عن بقية مناطق دارفور بتطبيق سياسة المناطق المقفولة وصولا الى تحييدها وابعادها عن مسرح الاحداث وابقائها في بوتقة معتمة حيال ماكانت تدور من حركات وطنية .

ان فكرة محاولة عزل دار الزغاوة عن مراكز صنع الاحداث عند المستعمر نبعت مما تكونت لديه من قناعة خلال تجربته مع سكان المنطقة بانهم أناس صعبو المراس وقويو الشكيمة وتغلب عليهم حدة الطبع . وكثيرا مافطنوا على حقوقهم (حقانيين) علاوة على طموحهم المضطرد نحو التغيير مع الإحفاظ على تقاليدهم الأمر الذي يجعل اختلاطهم لعناصر اخرى سرعان ما يولد فيهم روح الثورة وعدم الانقياد للسلطة . وتشهد على هذا القول التقارير التي كتبها المفتشون البريطانيون الذين تعاقبوا على مركز شمال دارفور و عاصمته مدينة كتم أمثال مور و تشارلس وغيرهما.

نجد ان الزغاوة قد فطنوا الى ماكان مدبر لهم من مكر ، فعمدوا الى أساليب وحيل لكسر الطوق ، وكانت تجارة المواشي اكثرها فاعلية حيث اصبح من الممكن للفرد السفر خارج دار الزغاوة والاحتكاك بغيره من مواطني دارفور من أهل الحضر في

الفاشر ونيالا والجنينة . ثم تعددت اسفارهم مديرية دارفور فشملت الأبيض وأم درمان ومصر التي كانت الأسواق الرئيسية في تلك الأيام . ونرى ان الاتجار بالماشية كانت بمثابة تاشيرة الخروج من الحدود الوهمية التي رسمها المستعمر وحرم اجتيازها . ولازم رواج هذه التجارة تنامي الوعي عند افراد الزغاوة ودبت في اوساطهم الرغبة في التعليم ، فأوفدوا أبنائهم الى مصر منتظمين في رواق دارفور في الأزهر الشريف . وكان الزغاوة خلال عملهم هذا بتفادون المرور بكتم مقر الادارة البريطانية التي قننت السياسة المشار إليها آنفاً . وكانوا يسافرون سالكين درب الاربعين الى كل من ام درمان ومصر . هذا بالإضافة الى سفرهم الى بلاد المغرب العربي في شمال افريقيا عن طريق العطرون والعوينات وواحة الكفرة وبذلك غنموا ثمرات الاسفار كما ذكرها الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي:

تغربْ عن الاوطان في طلبِ العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرُّج همٍّ واكتساب معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبة مَاجدِ

فاكتسبوا معرفة بالبلاد وعادات أهلها .

كما خبروا عن حركات التحرر فيها . والطبقة التي حظيت بالتعليم احست بالروح القومية وتشبعت بحب الوطن وكراهية المستعمر واستوعبت اهداف مؤتمر الخريجين.

اما في النطاق القومي السوداني نعلم ان كثيرين من افراد قبيلة الزغاوة قد انخرطوا في صفوف المهدية وعملوا كملازمين وانصار محاربين وشهدوا حصار الخرطوم وقتل غوردون كذلك شيكان وكرري وام دبيكرات ومنهم من استشهد فيها ومن بقي منهم صحب ركب علي دينار الى دار فور واصبح "رأس مائة" فيما بعد وحارب الانجليز في موقعة سيلي برنجية و ضمن جيش السلطان كما شهدوا واقعة جبة .

وبمرور الزمن تنوعت اساليب التجارة عند الزغاوة بجانب الاتجار بالماشية فآثر بعضهم الاستقرار في المدن واتِّباع سبل العيش السائدة عند اهل الحضر . وكانت

الفاشر اكثر المدن اجتذابا لهم الا ان ظاهرة انتشارهم توسعت سريعا ومتزامنة مع طفرة الوعي السياسي والاقتصادي .

وكان إنخراط ابنائهم في التعليم النظامي عاملا هاما في ذلك . اما التحول الاجتماعي والاقتصادي السريع الذي لازم التغيرات البيئية في منطقة الزغاوة في العقد الأخير من هذا القرن واضح للعيان

.

موقف الزغاوة من حركتي أبو جميزة والسحيني

تفاعل بعض دارسي القرآن (الحيران) من أبناء الزغاوة مع حركة الفكي ابو جميزة بدار تاما في كبكابية المتاخمة لدار الزغاوة لما احسوا بعدالة ثورته ضد ماكان يقوم به الجهادية من جنود الخليفة عبدالله التعايشي تحت امرة عثمان جانو من قتل للابرياء واستباحة للحرمات وسلب للاموال وحرق للمزارع وانكاء نار الفرقة والشتات بين افراد القبائل دون تمييز . وعلاوة على ما أشيع من ان الخليفة عبد الله في ام درمان قد امر بقفل طريق دارفور المؤدي الى الحج ، فانخرط افراد من قبيلة الزغاوة مع رصفائهم من قبائل البرقو والبرنو والمساليت والتامة والترجم والاستقور وبني هلبة والقرعان وزغاوة البديات وأيرينقا في صفوف جيش أبي جميزة الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بعد الأخرى على جند الخليفة بقيادة الأمير محمد بشارة . ومن خلال معاركه هذه اطلق خصومه شائعة مفادها انه ادعى النبوة لتنفير الناس من حوله الا ان اتباعه ظلوا على ولائهم له لعدم تصديقهم للاشاعة ، ولعلمهم بان ماكان ينادي به أبو جميزة يوافق الشرع ، اذ كان يقول بان المسلمين يجب الا يقتلوا اخوانهم المسلمين ظلما . واعتبروا ما يقوم به جيش الخليفة آنذاك في دارفور بغياً وخروجاً على تعاليم الدين الاسلامي الحنيف يستوجب مقاومته .

اما ثورة السحيني في عام 1921 لم يكن اشتراك الزغاوة فيها اشتراكا مباشرا وذلك لبعد مهد الثورة من دار الزغاوة الا اننا لانستبعد انتظام بعض الزغاوة الذين نزحوا الى جنوب دارفور وشرقها واستوطنوا مدينة نيالا وضواحيها مثل قرى ام كدوس وعريداية

وشعيرية وخلافهما فيها . ونسوق هذا القول انطلاقا من معرفتنا للدوافع المشعلة لثورة الفكي السحيني من رفض تولى غير المسلمين على مقاليد الحكم في دارفور ودفع الضرائب الباهظة . وكانت مقاومة اساليب المستعمر الانجليزي في بسط سلطته باذلال المواطنين و تعذيبهم و سلبهم أبسط حقوق الإنسان أيضاً من الأسباب المباشرة لإعلان الجهاد و استنفار كل قبائل جنوب دارفور المسلمة لحمل السلاح لنيل إحدى الحسنيين. و على الرغم من أن السلاح الأبيض لم يكن متكافئاً مع السلاح النارى الذى أشهره الإنجليز و أعوانهم على السحيني و اتباعه و مع ما تبع ذلك من إخماد الثورة و إعدام قائدها الروحى فى الثالث من أكتوبر عام 1921 م إلاّ أن الأثر الذى تركته الثورة ظل عميقاً و صداه بعيداً أيقظ فى النفوس الحمية الوطنية المفعمة بالإيمان النابع من الدين الإسلامى.

إنتفاضة الفاشر

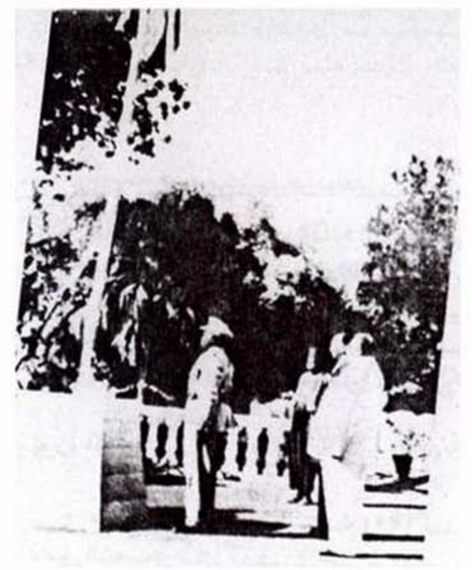
شهدت مدينة الفاشر الكثير من الحركات و الإنتفاضات قبل و بعد الإستقلال و هى ثورات ضد الظلم السياسى و الإجتماعى على مر السنين. ففى عام 1953 إجتاحتمدينة الفاشر إنتفاضة كبرى اشترك فيها المواطنون من كل القطاعات. و كانت ثورة شعبية عارمة اشتعلت بفضل الروح الوطنية المطالبة بالإستقلال التى تنامت آنئذ فى كل السودان. و كان قادتها من طلبة دارفور بالأزهر الشريف حيث عاصروا أحداث ثورة يوليو المصرية عام 1952 فعادوا متشبعين بروح الثورة و الحس الوطنى فأثاروا الحماس فى نفوس مواطنى الفاشر عن طريق الندوات و الليالى السياسية المحرضة على مقاومة الحكم الأجنبى بكل الطرق و الوسائل وصولاً إلى نيل الإستقلال الحر الكامل و الإستعداد للتضحية بالنفس و النفيس. و فى هذا الجو المشحون بالوحدة الوطنية و الإيمان بعدالة المقصد خرجت جماهير مدينة الفاشر على اختلاف قبالها – و منها الزغاوة – و انتماءاتها الجزبية فى إنتفاضة هادرة جابت شوارع المدينة تنادى بالويل و

الثبور و عظائم الأمور للمستعمر إن لم يغادر البلاد و يترك الأمر لأهلها ليقرروا مصيرها وصولاً إلى السيادة و العيش الحر الكريم.

و التقت الجماهير الغاضبة فى ساحة المديرية فتصدت لها قوة البوليس لكنها لم تستطع إيقاف الجموع الهادرة و قام نفر من شباب مدينة الفاشر – و كان من منهم أبو القاسم حاج محمد و عبدالرحمن محمد حسن طويل و يوسف محمد نور و محمد محمود و صديق محمد بشير و جبريل أحمد موسى – بإنزال العلم البريطانى من ساريته و إحراقه و سحقه تحت أقدام الجماهير. و هنا تدخل الجيش الإنجليزى و حال دون وصول المتظاهرين لمقر المفتش الذى انسحب خفية و توارى عن الأنظار و اجتمع بأركان إدارته لبحث ما يمكن فعله إزاء ما حدث فقرروا ضرب مدينة الفاشر و "تلجينها" إنتحار المفتش كان برداً و سلاماً على الفاشر و أهلها إذ لم يستطع المفتش تحمل الصدمة التى نتجت عن حرق العلم البريطانى فى سابقة لم يحدث لها مثيل فى تاريخ بريطانيا العظمى تلك الإمبراطورية التى لم تغب عنها الشمس.

و تتابعت الحركات المناهضة للإستعمار البريطانى فى دارفور و كانت معظمها تقع فى المناطق النائية و أخرى تأخذ طابعاً شخصياً محضاً يسهل على الإدارة الإنجليزية قمعها فى حينها بحجة الإخلال بالأمن و تتكتم تلك الإدارة عن أخبارها الأمر الذى تجعل منها و كأنها موغلة فى المحلية أو وصفها – زوراً – بأنها حركات عنصرية لها نوايا و للأسف كان بعض أبناء المنطقة من ذوى المنافع الذاتية و النفوس الضعيفة قد جعلوا من أنفسهم عوناً للمستعمر و أبواقاً له فأحاطوا حول المسئولين هالة من القداسة و الطاعة العمياء الأمر الذى جعل أولئك المسئولين يستغلونهم ضد مواطنيهم ككلاب للحراسة و ضرب بعضهم ببعض.

و انسحب هذا الحال حتى بعد الإستقلال و مجئ الحكومات الوطنية المتعاقبة فتوالت هذه الحركات المناهضة التى خرجت من براثن الإستعمار الأجنبى لتقع فى أحضان إستعمار من نوع آخر – إستعمار داخلى هذه المرة – وطنى فى ظاهره و لكنه إمتداد للسياسة الإستعمارية البغيضة.



تم رفع علم السودان خفاقاً معلناً الإستقلال في 1956/1/1 و يبدو فى الصورة السيدان إسماعيل الأزهرى و محمد أحمد محجوب

جبهة نهضة دارفور

دواعي قيامها

تنامى عند أهالى دارفور – و لا سيما الفئات المثقفة – أن حرماناً سياسياً قد لحق بهم فى عهد الحكم الوطنى إذ لم تتورع الأحزاب السياسية بتصدير أشخاص ليسوا مقيمين فى دارفور ليترشحوا كنواب فى الدوائر الإنتخابية المخصصة لمناطق دارفور. وكان هؤلاء النفر من النواب "المصدّرين" لا يعلمون شيئا عن مشاكل و متطلبات المناطق التى ترشحوا فيها الأمر الذى جعل تمثيلهم لها غير حقيقى كما كان فى أغلب الأحيان أن ذلك "النائب" لا يكلف نفسه مجرد الحضور إلى دائرته المزمعة حتى أثناء المعركة

الإنتخابية و الإقتراع لأنه متيقن بأن مجرد "الإشارة" من زعماء الأحزاب الدينيين يجعل الناخبين يصوتون له دون التحقق من هويته.

و حيال هذا الوضع قررت مجموعة من المثقفين و الطلاب من مناطق دارفور المختلفة مقاومة هذا الإستغلال السياسي بتكوين تنظيم سياسي مستقل سمي "جبهة نهضة دارفور" و كان من أهم أهدافها منع عملية تصدير النواب إلى دارفور و تنوير المواطنين و توعيتهم بضرورة الحرص عند الإدلاء بأصواتهم لمرشحي الأحزاب و ذلك عن طريق التحقق من هوية و مدى إقامة المرشح بالمنطقة التي يريد أن يكون ممثلاً لها. و كانت الأهداف تشمل أيضاً إلزام الأحزاب السياسية ترشيح أشخاص يمثلون الدوائر الإنتخابية تمثيلاً حقيقياً يشترط فيهم الإقامة المستديمة في المنطقة. كما ويتطلب من المرشح العمل ببنود ميثاق الجبهة التي تتضمن مطالبة الحزب الذي ينتمي إليه بالموافقة على تنفيذ برنامج جبهة نهضة دارفور الخاص بحل مشاكل المنطقة بغية الرقي بها و تطويرها.

وكان مفترضا من نائب الدائرة المتمسك بميثاق جبهة نهضة دارفور – في حالة عدم قبول حزبه بما ذكر أعلاه – أن يهجر حزبه وينضم الى الحزب الذي يوافق على تنفيذ مطالب دائرته .

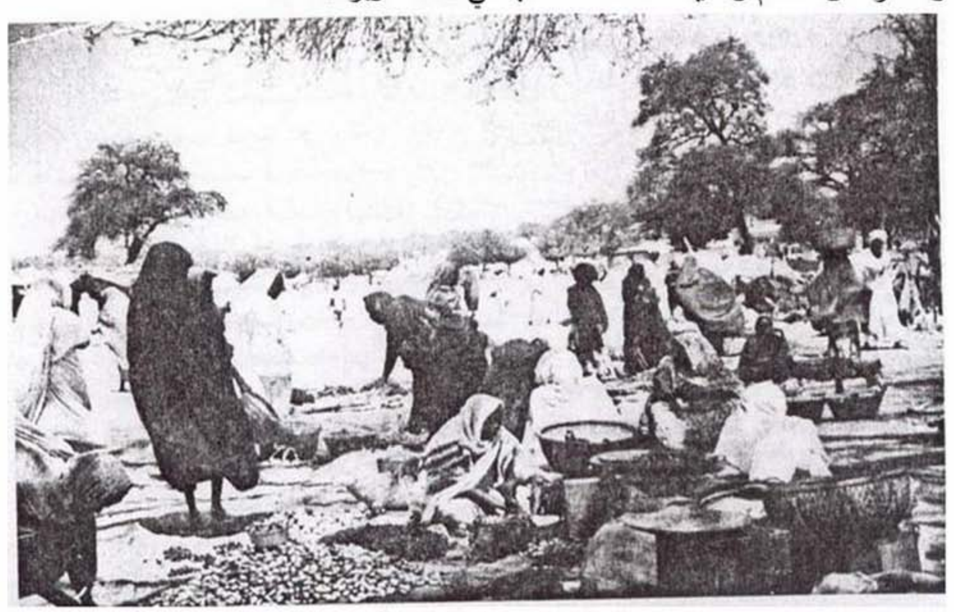
كانت جبهة نهضة دارفور مصدر اشعاع وتبصير سياسي قلبت موازين الاحزاب التقليدية وايقظتها من تماديها في الغي والظلم والاستغلال ، ومن ممارسة الاساليب الفاسدة في العمل الديمقراطي . كما كانت جبهة نهضة دارفور عنصرا مُوَحِّداً وجامعاً للمواطنين في دارفور رغم تباين انتماءاتهم الحزبية وخلافها .

ثورة اكتوبر :

عندما اندلعت ثورة أكتوبر 1964 ضد الحكم العسكري الأول برئاسة الفريق ابراهيم عبود ، دخل الشعب في سائر دارفور في اضراب وعصيان مدني ثم خرجت جماهير الفاشر عن بكرة ابيها في مظاهرات هادرة تهتف مطالبة برحيل العسكر

عن حكم البلاد . فاتجه المتظاهرون إلى رئاسة القيادة الغربية لتسليم خطاب الى الحاكم العسكري لمديرية دارفور في سلسلة بشرية طلائعها في المديرية وآخرها في ميدان النقعة . وما ان وصلوا الى مشارف القيادة حتى فتح عليهم العسكر النار من أسلحتهم الرشاشة فجرح الكثيرون كما قتل بعضهم الآخر .

ولم تتوقف المظاهرات والاحتجاجات بل اشتدت ضراوة حتى أعلن عبود تنحيه وعسكره عن الحكم وتسليمه السلطة للشعب في 21 اكتوبر 1964 .



(صورة جزء من سوق حجر قدو في الفاشر ويقع قرب النقعة التي شهدت انتفاضات عديدة)

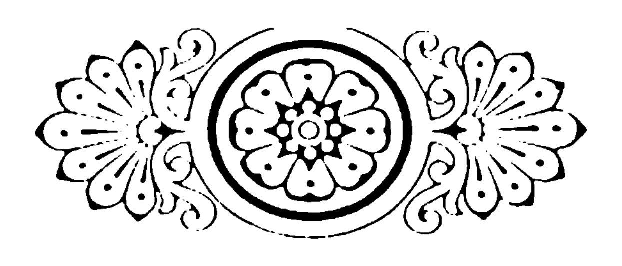
الباب الثاني

أصل الزغاوة تاريخياً

لفصل الاول : ممالك الزغاوة تاريخياً .

الفصل الثاني : جغرافية دار الزغاوة .

الفصل الثالث : فروع قبيلة الزغاوة .



الفصل الأول : ممالك الزغاوة وتاريخها

في هذا الفصل نعرض الى فروع قبيلة الزغاوة التسعة ونؤرخ لها على قدر الامكان فيما يختص بأصولها وتفرعاتها العشائرية وأنظمة الحكم عندها علاوة على حدود إدارتها والقبائل التي تعيش فيها وعمودياتها والمعالم الهامة فيها من قرى وجبال وأودية .

وإدارات الزغاوة "حسب ترتيبها الأبجدي" هي :

1- دار الأرتاج
2- دار زغاوة البديات
3- دار زغاوة التوار
4- دار زغاوة اولاد دقيل
5- دار زغاوة القلا
6- دار زغاوة الكايتنقا
7- دار زغاوة الكجمر
8- دار زغاوة الكوبي
9- دار زغاوة منطقة أنكا (النيقيري)

نشير هنا الى أن الزغاوة يطلقون كلمة بيري على أنفسهم وهي تعني الزغاوة ، ثم يصنفون البيري الى **ثلاثة** أقسام كبيرة هي :

أ) ويقي

ب) توباء

ت) كوباراء

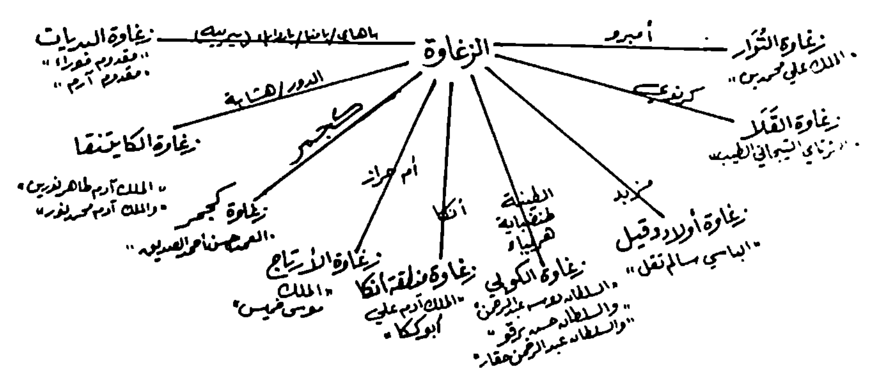
ويشمل الويقي الفروع التالية : الأرتاج والقلا والتوار والنيقري وأولاد دقيل والكجمر والكايتنقا. أما التوباء فهم البديات ، أما الكوباراء فهم زغاوة الكوبي . وسوف يرد التفصيل عن كل قسم بما فيها ديرونق و قروف إضافة إلى الزغاوة غير الناطقة بلسان الأم البيرياء – في الفصل الثالث من هذا الباب .

مدخل :

في الباب الأول تعرضنا لتارخ السودان في عجالة وشيئ من التركيز على الجزء الذي له صلة وثيقة بالأحداث التي كان مسرحها دارفور . وكان هدفنا من ذلك إبراز دور قبيلة الزغاوة – موضوع الكتاب – في صنع الحدث أو التأثر به طالما عاشت هذه المنطقة منذ أمد بعيد.

الزغاوة وتقسيماتها :

يمكن تقسيم قبيلة الزغاوة أو البيري الى **تسعة** فروع رئيسية وهي : زغاوة الارتاج–زغاوة البديات–زغاوة التوار – زغاوة اولاد دقيل – زغاوة القلا – زغاوة الكايتنقا – زغاوة الكجمر – زغاوة الكوبي– زغاوة النقيري. وكل من هذه الفروع تكون مجموعة متكاملة ببطونها وعشائرها وفصائلها . وتتكلم كل فروع قبيلة الزغاوة لغة واحدة هي " البيرياء – Beria" ، وكغيرها من قبائل السودان فإنها تتخذ من اللغة العربية وسيلة للتخاطب على النطاق القومي السوداني .



* مخطط رقم (3) يبين فروع الزغاوة

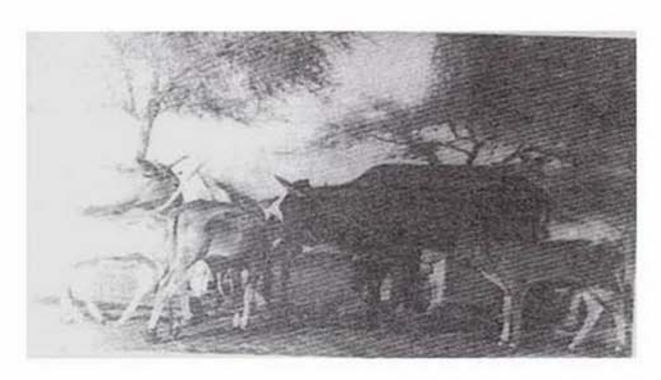
أصل الزغاوة

الأصل في كلمة " الزغاوة – Zaghawa" تنطبق على القبائل التي هاجرت إلى شمال افريقيا أوائل القرن السادس عشر الميلادي لتكون القبائل الليبية والبربر والطوارق فى هجرات جماعية آتية من الجزيرة العربية . وتعددت الروايات حول أصل الزغاوة وتجمع معظمها على أنها قبائل ليبية. نورد هنا بعضاً من تلك الروايات:

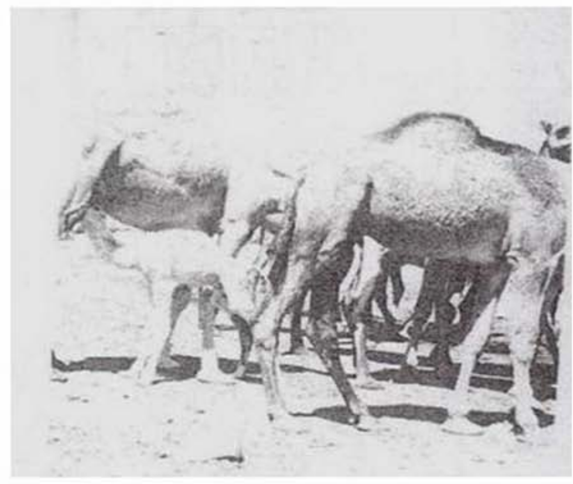
1- إن أجداد الزغاوة هاجروا من الجزيرة العربية وبقى بعضهم في سوريا (ربما قبيلة الزعبي) ونزح الآخرون إلى جنوب مصر في منطقة طنطا والفيوم وأسيوط . ولم يرق لهم المقام هناك لطبيعة حياتهم الرعوية (البدوية) لذلك واصل قسم منهم الى السودان عن طريق الواحات الداخلة والخارجة . وقسم آخر الى ليبيا حيث استقر في واحة الكفرة وبني غازي . ومن هناك تابع بعضهم الآخر السير في هجرة ذات شقين إحداها دخلت السودان عن طريق الصحراء من الكفرة فالعوينات والعطرون مارين بواحتي نخيلة وسليمة فوادي هوار وسكنت شمال دارفور . اما الأخرى فسارت إلى تشاد عن طريق دار الإردبية في شمال تشاد وباو وسكنت المنطقة الواسعة من بيربية شمالاً حتى دار كوبي جنوباً (انظر الخريطة التالية) . كما دخل بعضها الآخر شمال غرب السودان وقطنت في دار الزغاوة في وقت لم تكن الحدود موجودة ابان تلك الهجرات.

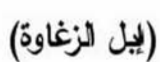
2- إن قبيلة الزغاوة تنحدر من بني ابي زيد الهلالي وسكنت - كما سبق- في جنوب مصر وتابعت هجرتها إلى ليبيا والسودان وتشاد . وذلك قبل أكثر من سبعة قرون .

3- في حوالي القرن السابع الميلادي (656هـ) ، عقب الفتنة الكبرى بين بني أمية وبني هاشم هاجرت جماعة محايدة من المسلمين إلى مصر واستقر بهم الحال في منطقة الزقازيق حيناً ، ولما لم تطب لهم الاقامة آثروا الرحيل الى ليبيا واستقر الجزء الأكبر من تلك المجموعة في منطقة واحة الكفرة ، ويقول



(أبقار الزغاوة)





(إبل الزغاوة)

الرواة ان احد زعمائهم أصبح سلطانا عليهم وعرف ب (عبد العزيز) سلطان الزغاوة في الكفرة ويعتبر الليبيون – بصفة رسمية – ان الزغاوة احدى القبائل الليبية .

4–هناك قبيلة الزعبي التي تسكن منطقة درعا في سوريا تضع على إبلها نفس اوشام قبيلة الزغاوة يقال إن لها أصولا تلتقي والزغاوة .

مثال لتلك الاوشام التي توضع في الإبل :

أ) وشم عشيرة الأنقو من زغاوة الكوبي

ب) وشم زغاوة أولاد دقيل

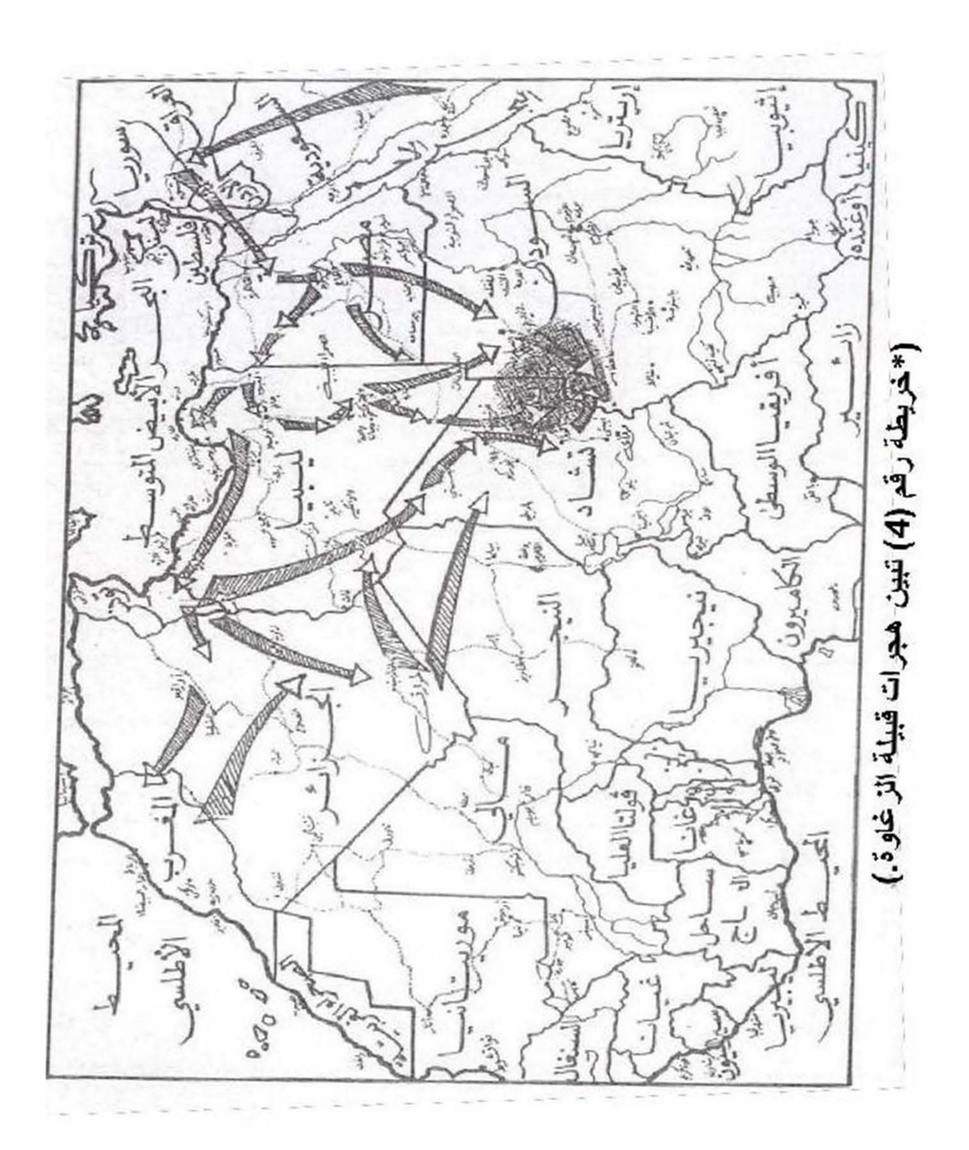
ج) وشم قبيلة الزعبي في سوريا

5–توجد قبائل في الجزيرة العربية والخليج العربي تماثل او تقارب قبيلة الزغاوة من حيث تسميتها مثال ذلك قبيلتى الزعبي والزغبي ، كما توجد قبيلة الزعابي و الزغاوى في الكويت.

6– توجد آثار قرب مطار بنينة في بنغازي بليبيا وهي عبارة عن أطلال لمسجد قديم يسمى مسجد القصر الطويل ، رسم على احجارها الضخمة كل أوسام قبيلة الزغاوة كما وجدت هذه الآثار (الأوشام) أيضا في الجبل الأخضر عام 1974م.

7– في مدينة أنطاكية على الحدود التركية السورية توجد قبيلة تسمى الزغاوة يعمل أفرادها في مهنة الحدادة.

مما تقدّم يتضح لنا أن كل الروايات تتفق على أن قبيلة الزغاوة تنحدر من اصول ليبية بصفة خاصة وشمال افريقية بصفة عامة.



(*خريطة رقم (4) تبين هجرات قبيلة الزغاوة.)

الفصل الثاني : جغرافية دار الزغاوة

تعد قبيلة من كبرى القبائل في السودان من حيث الانتشار المكاني . وهي من القبائل الحدودية التي لها فروع في كل من تشاد وليبيا والسودان . ففي السودان تتخذ من المنطقة الشمالية الغربية في دارفور موطناً لها ، وهي تقع بين خطي طول 20° و1/2 25° شرقاً وخطي عرض 13 1/2° و20° شمالا وتحدها من الغرب جمهورية تشاد ومن الشمال الصحراء الممتدة حتى ليبيا ومصر ، ومن الشرق كتم ومليط ودار الميدوب ومن الجنوب دار القمر في كولبوس ودار مساليت ودار البني حسين في السريف وحتى حدود كبكابية .

اما في تشاد فتحدها من الشرق الحدود الغربية للسودان (منطقة زغاوة السودان) والبرقو (وداي) غرباً في بلتين وابشي ، والقرعان شمالاً في بوركو و فادا (أم شالوبا) وفايا لارجو و فايا . وجنوباً قبيلة التاما في قريضة والداجو في قوزبيضة .

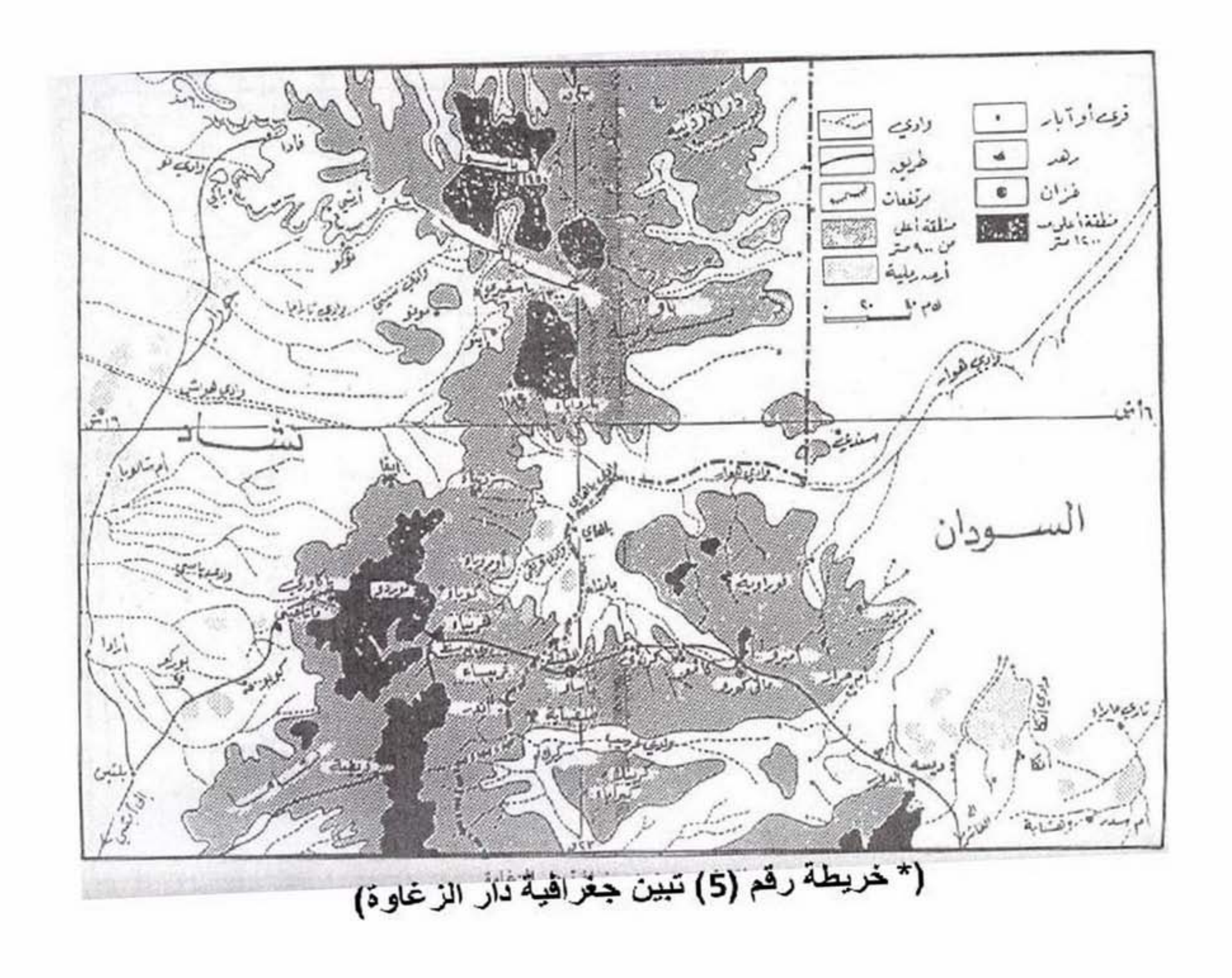
وتقع هذه المنطقة ضمن نطاق المناخ شبه الصحراوي في الجزء الشمالي والسافنا في الأجزاء الوسطى وتتميز بالمناخ المداري . اما في الأجزاء الجنوبية فتطغى عليها عوامل السافنا الغنية (في الزمن الذي نؤرخ له) وتهطل الأمطار فيها في فصل الخريف بين شهري يوليو واكتوبر وهي مابين خفيفة الى متوسطة في معدلها السنوي بين 125 ملم و375 ملم في السنة وان شحت كثيراً في خلال العقد الأخير لموجة الجفاف التي شملت منطقة غرب أفريقيا أو الساحل .

أمّا الغطاء النباتي السائد في المنطقة فيتكون من بعض الأشجار الشوكية مثل السدر والطنضب والسرح والهجليج والهشاب والسيال والطلح والكتر والكداد والحميض والصهب (سيو) . وتنمو الحشائش في موسم الأمطار فتكسو الأرض خضرة لكنها لم تلبث ان تجف بعد انقضاء فصل الخريف . وهذا الغطاء النباتي يكون في مجمله الكلأ

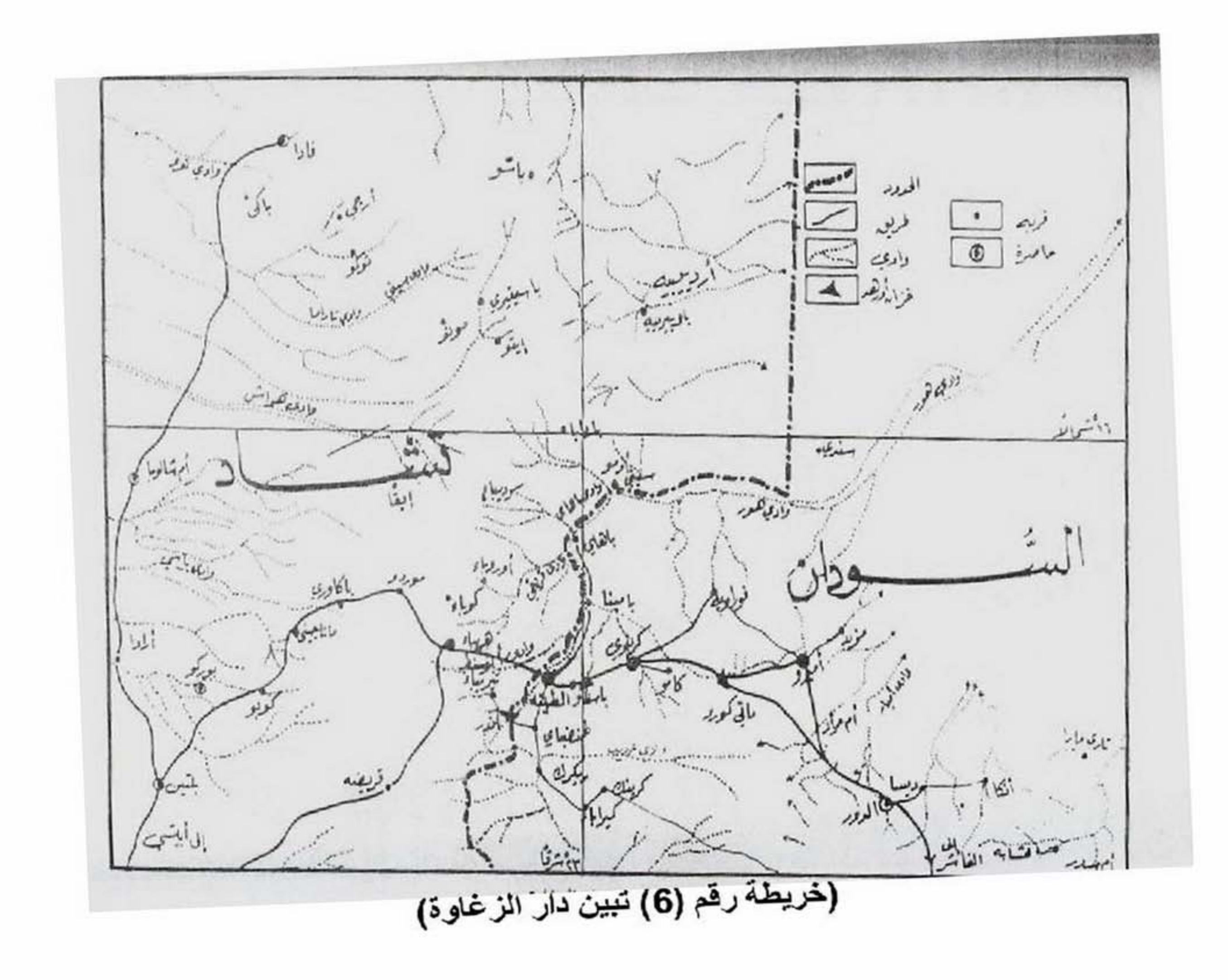
للماشية التي تعتمد عليها قبيلة الزغاوة . وتجدر الإشارة بأن هذه المنطقة تنخر بوجود الكثير من الاودية والخيران مثل وادي الطينة ووادي كرنوي ووادي أمبرو و وادي الدور ووادي مزبد ووادي فوراوية ووادي ترياء . وهذه الأودية تشكل في مجملها روافد لوادي هوار الذي كان في الماضي رافداً هاماً من روافد نهر النيل ويصب قرب النخيلة . ولكن للعوامل البيئية المتغيرة وماصحبها من زحف صحراوي ادى الى دفنه ليصبح رافداً تحتياً لنهر النيل . ويطلق الزغاوة اسماً آخر على وادي هور هو "نيو" نسبة لكثرة الرمال الناعمة فيه .

وفي هذه الأودية (واودية منطقة الزغاوة في تشاد) توجد أشجار باسقة وكبيرة من الحراز والقرض والعرديب والجميز والحميض . والملاحظ ان كل فروع قبيلة الزغاوة اقامت حواضرها في مثل هذه الاودوية لأسباب عدة أهمها وفرة مياه الشرب للانسان والحيوان كما تعمل هذه الأودية كأحزمة طبيعية واقية .

واذا تتبعنا تضاريس هذه المنطقة نجد ان السطح فيها يتكون من سهول رملية منبسطة واخرى مرتفعة (تلال او قيزان) وتتخللها المرتفعات الناتئة المتآكلة بفعل التعرية وهي جبال كثيرة نعرض لها عند تحدثنا عن فروع قبيلة الزغاوة .



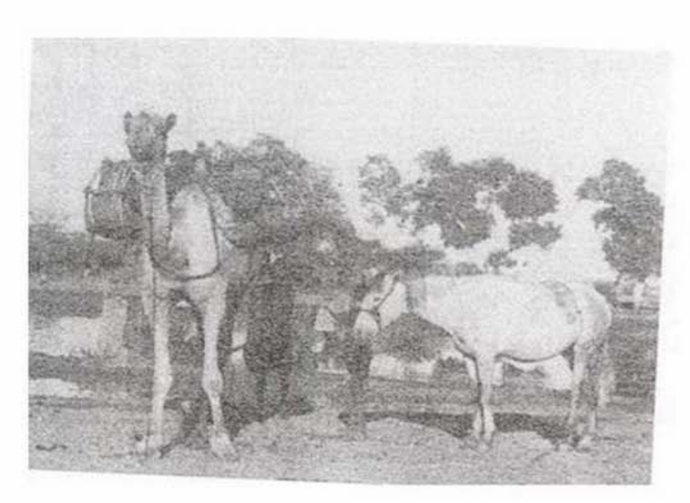
(* خريطة رقم (5) تبين جغرافية دار الزغاوة)



(خريطة رقم (6) تبين دار الزغاوة)

الفصل الثالث : فروع قبيلة الزغاوة

في هذا الفصل نتحدث بشيء من الإسهاب لفروع قبيلة الزغاوة التسعة والإدارات التابعة لها كأنظمة سياسية لعبت دوراً تاريخياً مُهِمّاً في هذا الجزء من السودان, كذلك أسماء زعماء عشائرها لأنهم آخر من كانوا في الحكم وبأيديهم السلطة الفعلية قبل تصفية الإدارة الأهلية في مايو 1969م.

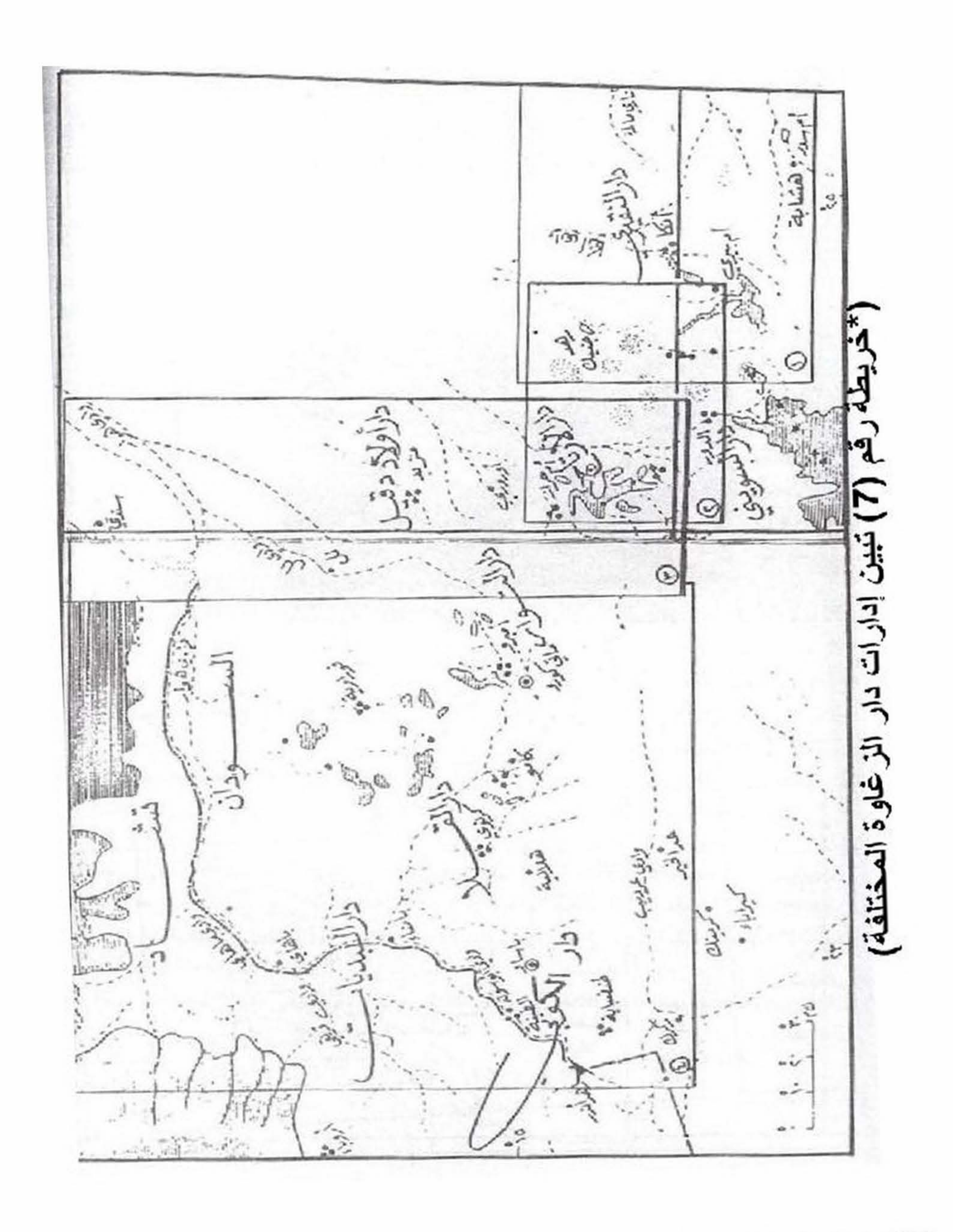


(الجمل والحصان من أهم وسائل النقل عند الزغاوة)

وتتنتظم قبيلة الزغاوة – كما اسلفنا – في تسع ادارات اهلية هي:

	الادارة	زعيمها	حاضرتها	
1	دار الأرتاج	الملك موسى خميس	أم حراز	Um Haraz
2	دار البديات	الملك فورحسن/المقدوم موراء/المقدوم آدم	كارو وباردباء	Karow/Bardaba
3	دار التوار	الملك علي محمدين	أمبرو	Umbaroo
4	دار ولادقيل	الباسي سالم نقل	مزبد	Muzbed
5	دار القلا	الشرتاي التيجاني الطيب	كرنوى	Korni
6	دار سويني	الملك آدم طاهر نورين	الدور	Dor
7	دار كجمر	العمدة حسن أحمد الصديق	كجمر	Kajmer
8	دار الكوبي	السلطان دوسة عبد الرحمن	الطينة أو تونا ء	Tina
9	دار النيقيري	الملك آدم علي أبو ككا	أنكا	Anka

Titubai	طنطباى	لسلطان حسن برقو حسن	دار كبكا	**10**



*خريطة رقم (7) تبين إدارات دار الزغاوة المختلفة)

الانتشار المكاني للزغاوة :

ذكرنا في هذا الباب أن الزغاوة من أكبر القبائل من حيث الانتشار المكاني وهذا الانتشار نتج عن نوعين من الهجرات . **الأولى هجرة مؤقتة من دار الزغاوة الى خارج**

السودان (ليبيا) والى داخل السودان سعياً للماشية . والثانية : هجرة مستديمة مثال ذلك ان من الزغاوة من نزح من منطقتهم الأصلية إلى :

1-خارج مديرية دارفور مثل ذلك الكجمر وأقليات في الدويم والجزيرة أبا والقضارف (جنّة برّة) وحلفا الجديدة والسوكي (المهلة) والدمازين وبعض هذه الهجرات كانت منذ سنين طويلة .

2-داخل دارفور واتخذوا من كتال وشنقل طوباي وشعيرية وخزان جديد وام كردوس ونيالا وعريداية ومنطقة شرق دارفور في كل من بروش والطويشة واللعيت جارالنبي وعطاش موطنا منذ زمن بعيد .

3-نزحوا الى مدن دارفور وتبدلت نمط حياتهم واستقروا بها والمدن هي : الفاشر – نيالا – الجنينة – كتم – مليط – كبكابية- جبل مرة – زالنجي .

4- هجروا مناطقهم نهائياً الى مدن السودان الاخرى كالخرطوم وامدرمان وغيرهما

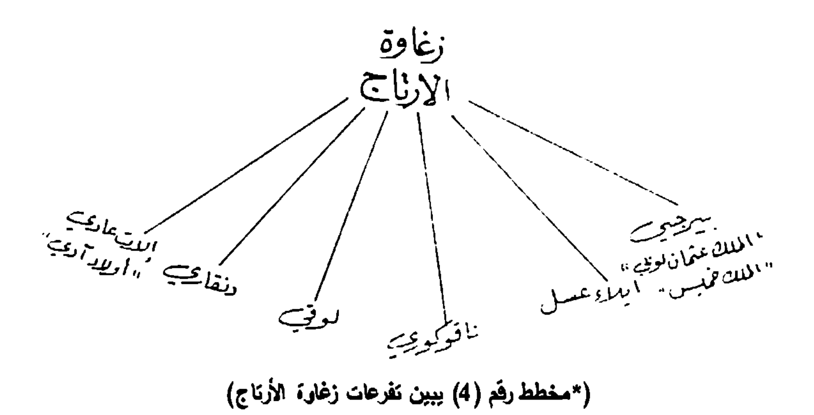
وفيما يلي نستعرض فروع قبيلة الزغاوة حسب ترتيبها الأبجدي :

(1) زغاوة الأرتاج (Artaj)

الاصل ونظام الحكم

الارتاج او الأوناى فرع من فروع قبيلة الزغاوة وينحدر أجدادهم من أصول ليبية وهاجروا الى السودان مع باقي فروع الزغاوة في القرن السادس عشر الميلادي .
وحاضرة مملكتهم هي ام حراز وزعيمهم الملك موسي خميس . وتعتبر دار الأرتاج أكثر منطقة شهدت تغييراً فى نظام الحكم على نطاق دارفور كلها . والأرتاج من أكثر فروع قبيلة الزغاوة ديمقراطية في الحكم . إذ يتم عزل الملك وتعيين غيره اذا رأوا فيه اعوجاجًا

او انحرف عن جادة الصواب أو أنه لايصلح للحكم لاي سبب من الأسباب ، لذلك فالحكم عندهم غير وراثي .



(*مخطط رقم (4) يبين تفرعات زغاوة الأرتاج)

التركيبة السكانية :

كما في المخطط أعلاه ، فإن الأرتاج تتكون من عشيرتين رئيسيتين هما بيرجي والات عادي وعشيرتين أصغرهما ايلاء عسل وناقوكوري . ويقطن دار الأرتاج الكثير من بطون قبائل أخرى تكون بمجملها ثقلا سكانيا وسياسيا بطريقة ملحوظة وهذه الفروع هي :

دنقاري – اولاد سنون – قشطاوي –اشنقية – لـلاوي – أولاد شرارة (ومنها الملك موسى خميس لذلك فهو من غير الأرتاج) – تاوقي – لوقية وبطون من التوار (عقابا – دقيل– دوري).

ودار الأرتاج كغيرها من دور الزغاوة الأخرى تتمتع بتداخلات قبلية كثيرة مثلا دنقاري (النيقري) أصولهم مرتبطة بزغاوة الكوبي ، وشرارة من العرب الرحل (أولاد راشد) ، اما الدوقاء فأصلهم من البرتي . وجميعها انصهرت في مجتمع واحد في دار الأرتاج.



(*صورة لشيخ من منطقة الأرتاج)

الأرتاج ودار سويني :

عند دراستنا لهذه المنطقة وجدنا ان تداخلا شديدا قد طرأ بين ادارة الأرتاج والسويني ، وقد لازم نلك لحقب تاريخية عديدة . ولذا ننوه بان الحديث عن دار الأرتاج لايستقيم ويكتمل بمعزل عن الكلام عن دار السويني في الدور ولاسيما في عهد الحكم البريطاني الذي كان يلجأ الى حل المشاكل والخلافات عند افراد قبيلة الارتاج حول الحكم من خلال ادارة السويني. و كثيراً ما أقدمت على إخضاع الأرتاج تحت إمرة حكام الدور لحين تسوية الأرتاج لنزاعاتهم على السلطة. و قد تناولنا في هذا الجانب بشئ من لتفصيل فى معرض حديثنا عن إدارة السويني فى هذا الباب ويمكن للقارئ الرجوع اليه.

تسلسل الحكم :

تتابع على حكم الارتاج كثير من الملوك قبل التركية السابقة مرورا بالمهدية والاستعمار الانجليزي وانتهاء بالعهود الوطنية بعد استقلال السودان . وقد عرف الملك ادريس اول حاكم لدار الأرتاج .

كانت دار الارتاج تتبع لدار السويني في الدور بزعامة الملك طاهر نورين لمدة طويلة . ولم يكن الارتاج على وفاق مع ملك السويني لما كانوا يحسون به من غبن جراء سياسة الشدة التي اتبعها الملك طاهر حيالهم ، لذلك لم يرضوا بحكمه فقاوموه

واشتكوه لدى السلطات المسئولة التي لم تحل مشكلتهم بل كانت دائما تقف مع الملك طاهر وتناصره ضدهم .

تكررت شكاوي الارتاج مطالبين بفصلهم عن إدارة السويني واستحداث إدارة خاصة بهم . ونقلوا مظلمتهم الى المفتشين الانجليز الذين تعاقبوا على شمال دارفور ومنهم مستر مور الا ان جهودهم ومحاولاتهم ذهبت ادراج الرياح . وبعد الاستقلال قابل الأرتاج علي أبو سن مدير دارفور آنذاك وعرضوا عليه شكواهم . ومر وقت طويل حتى أستجيب لطلبهم وفصلوا عن دار السويني وذلك في عهد الملك آدم طاهر نورين الذي خلف اباه في الدور . والجدير بالذكر ان الارتاج كانوا يعزلون كل ملك لهم يتم تعيينه عن طريق الملك طاهر نورين .

وكان أول ملك للأرتاج بعد الفصل هو الملك عثمان لوبي وهو من فرع البيرجي لكن مواطنيه قاموا بتنحيته وعينوا الملك خميس ود منّا من نفس فرع البيرجي لكنه عزل هو أيضا واعيد الملك عثمان لوبي مرة اخرى ولم يطل في الحكم حتى نحي من منصبه واعيد تعيين الملك خميس ود منّا للمرة الثانية ايضا ليعزل نهائيا عن الحكم . والملاحظ ان الحكم انحصر في عشيرة البيرجي حتى ذلك الوقت .

وعاشت دار الأرتاج فترة من عدم الإستقرار السياسي مرة اخرى بوصول الملك محمد عاشوره الى الحكم لكنه لاقى مصير من سبقاه ليحل محله الملك بخيت يعقوب حوالي 1954م حيث أطيح به و عين الملك محمد وادى عبدو خلفاً له فى العام 1956 وعزل هو ايضا كمن سبقوه .

الأرتاج يبحثون عن ملك جديد :

عقد زعماء الأرتاج اجتماعاً عاصفاً في كتم لاختيار ملك جديد لهم ، وبعد مداولات كثيرة استقر رأيهم على تعيين موسى خميس ملكاً على عرش أخواله (أمه أرتاجية) علماً بأنه من قبيلة شرارة . وكانت لاختياره أسباب عديدة منها أن الأرتاج جربوا حكاماً من معظم بطون قبيلتهم ولم يرضوا بهم اذ عملوا على عزل معظمهم –

كما رأينا – والسبب اللآخر أن الملك موسى كان يتمتع بمواصفات الحاكم الناجح وان لم يكن من الأسرة الحاكمة وقد توسموا فيه قدرته على توحيد كلمة الأرتاج بعد كل تلك السنين من النضال في سبيل الإنفصال عن إدارة السويني والخلافات الداخلية التي ادت الى زعزعة الحكم وعدم استقراره . بقي الملك موسى خميس عند حسن ظن من اختاروه كما انه يعد من أطول ملوك الأرتاج حكماً في تاريخ أُم حراز حتى صفيت الإدارة الاهلية في مايو ١٩٦٩.

وشم الأرتاج :

كان لبطون الأرتاج الأربعة وشم واحد لماشيتهم حتى درج الملك خميس ود منّه فعمل على فصل الأوشام على النحو التالي :

أ) اختار للبيرجي وشم توتوماني الذي يرسم هكذا

ب) لبطون الأرتاج الأخرى (ايلاء عسل – ناقوكوري – إلات عادي) وشم كاودة

ج) لقبيلة الشرارة هذا الوشم

النحاس :

بعض ملوك الأرتاج مالكين للنحاس الذي يضرب في المناسبات المختلفة كالاعياد . ولأن دار الأرتاج تجاورها الكثير من القبائل غير الزغاوة لذلك نجد تاثير تلك القبائل واضحا عليهم مثل العرب والسويني والفور واكتسبوا بعضا من عاداتها .

عموديات دار الأرتاج :

1– عمودية البيرجي : وهي تحت إشراف العمدة محمد جمعه وحاضرتهم في اوقا شرق ام حراز ، وتقع في وادي امبار .

2- عمودية إلات عادي : فى المنطقة الجبلية التي تقع جنوب شرق أم حراز وعمدتها حسب النبي حيدار الذي عاصر كلا من الملك بخيت والملك محمد وادي عبدو والملك موسى خميس . وحاضرتها في غسانة .

3- عمودية لِلْ : وتقع شرق أروري وجنوب ام حراز وتقع مزبد شمالها وأمبرو غربها . وحاضرتها قرية لل (منطقة جبلية بها آبار) وعمدتها محمد آدم عبد الله .

4- عمودية أم مراحيك : وتتخذ من ام مراحيك حاضرة لها وعمدتها الخليفة عمر جار النبي من قبيلة الدنقاري ويغلب عليها فرع اللوقي .

بعض المعالم البارزة في دار الأرتاج :

القرى والحلال :

أم حراز – أم مراحيك – أروري – لل .

الجبال والأودية :

جبل ترينقي (ترينقي هاء) – وادي أمبار (وادي أم مراحيك).

(2) زغاوة البديّات "Bideyyat"

الاصل ونظام الحكم :

البديات او التوباء وفرع كبير من فروع قبيلة الزغاوة ويرجح ان تكون كلمة البديات نابعة عن ارتباطهم بالبادية . اما تسميتهم بالتوباء – "Toba") فهى مشتقة من التيبو Tobo إشارة إلى إنحدارهم السلالي من تلك القبيلة الليبية المعروفة . وبحكم طبيعة حياتهم البدوية وترحالهم بإبلهم سعياً وراء الكلأ والماء اصبحت رقعة المنطقة التي يعيشون فيها واسعة تخطت حدود السودان وتشاد وليبيا . وهم اقرب الى القبائل

العربية الرحل في دارفور من حيث اسلوب حياتهم وسحناتهم وقوامهم ، ويتحدثون بلغة زغاوة ذات لكنة متميزة من حيث الخفة في النطق والسرعة في التكلم مع وجود بعض الكلمات الخاصة بهم والتي لانجد لها مرادفات في لهجة باقي فروع الزغاوة .

أقسام البديات

تنقسم البديات الى فصائل عدة هي :

1-قلي قيرقى : وموطنهم في منطقة فوراوية (ويه) بدار قلا .

2- بروقات : وهم ينسبون الى القرعان وموطنهم فادا وفايا لارجو و وادى دوم في شمال تشاد .

3-كودياراء : وموطنهم في باهاي شمال الطينة .

4- اردبيه : وموطنهم في بامناء شمال الطينة واردبيبية في شمال شرق تشاد .

5-سقيراء : ولها ثلاثة بطون هي بيكي و اقوميمي ومايقيراء .

6- بيرياراء : وهي أكبر هذه الفصائل وتنقسم الى أربع عشائر (بطون) هي : برونقا وادينقا وأوراراء وكورياراء ولها انتشار واسع في معظم إدارات الزغاوة و لكن مركز ثقلها وموطنها في بيرييه بشمال تشاد. أمّا رئاسة بديات السودان متفرقة ومعظمها في كارو بينما عاصمتهم في تشاد هي برداباء.

7-ماميا‌ء.

الإنحدار السلالي :

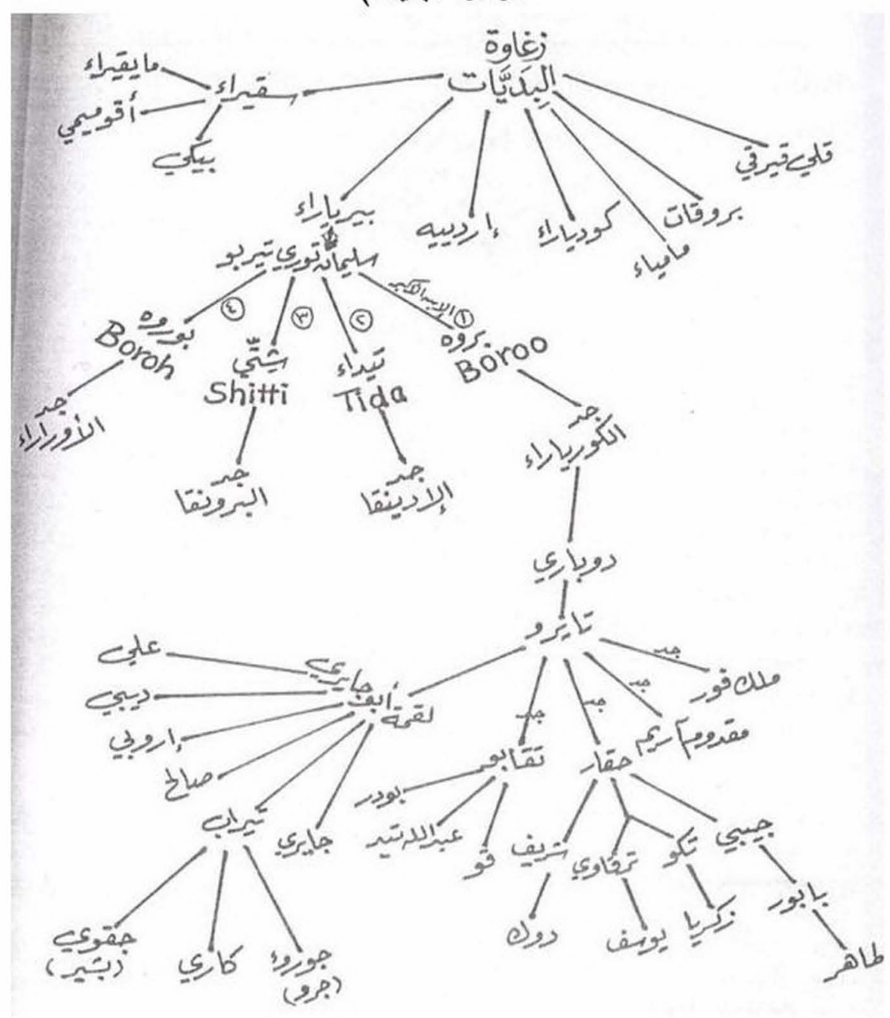
عرف من أجداد زغاوة البديات سليمان الملقب "توريه تيربو" والذي يعني سليمان ذو الطاقية البيضاء وهو جد بديات البيرياراء . ويقول الرواة إنه قدم من تونس عن طريق الصحراء الكبرى على ظهور الإبل ومعه زوجته و أخ له أعرج في رجله اليسرى يدعى احمد وسكنوا في جبل حريز قرب شنقل طوباي وهو الجبل الذي ورد ذكره كثيراً في أشعار ودوبيت البديات . ولأن تلك المنطقة كانت تكسوها الغابات وملأى بالحيوانات المتوحشة والمفترسة ، لم يرق لسليمان المقام فيها ، لذلك ترك اخاه وزوجته هناك وسار

بإبله الى السافل ليستكشف منطقة اخرى تلائم حياته البدوية . فوصل منطقة كبسارو قرب أمبرو الحالية حاضرة التوار وحط رحاله في وادي كبسارو . وكانت منطقة امبرو ارضا فضاء خالية من السكان ولمّا تأت إليها فروع قبيلة الزغاوة من بقاء وعقابا وويكوراء ..الخ . ثم رحل شمالا واقام مضاربه في منطقة شقي كارو التي هي عاصمة هامة للبديات . وانتقل بين أُم جرس وكودة في رحلات مكوكية متتالية يجوب فيها المنطقة واختط حدوداً مع القلي قيرقي .

وقضى 16 سنة على هذه الحال لم يرجع فيها الى اخيه وزوجته الذين تركهما في جبل حريز . لكنه ظل يتزوج في كل منطقة يحل فيها وينتقل الى منطقة اخرى فكثرت زوجاته وأولاده ن فنشأت معظم عشائر البديات وبطونها طبقاً لهذه المناطق التي سكن فيها ابناؤه واحفاده من البيرياراء وهم البرونقا والكورياراء والإدينقا والأوراراء .

بعد تلك السنين الطويلة عاود سليمان الحنين الى زوجته الاولى واخيه . فشد اليهما ليجد أخاه قد تزوج من زوجته وانجب منها ولدين ن وكانا قد ظنا انه مات لأنهما لم يسمعا عنه طيلة تلك المدة بعد ان انقطعت اخباره . غضب سليمان من اخيه وقفل عائدا فسكن فى كاروسنيه وحفر بئرا "سانية" هناك واسكن اهله وذهب مرة اخرى الى كورياء ثم عاد الى كارو ومكث فيها مابين 16 الى 20 سنة ليرجع الى كورياء وقد صار مُعَمِّراً ومات في جبل دولبيه .

(* مخطط رقم (5) يبين الإنحدار السلالى لزغاوة البديات)



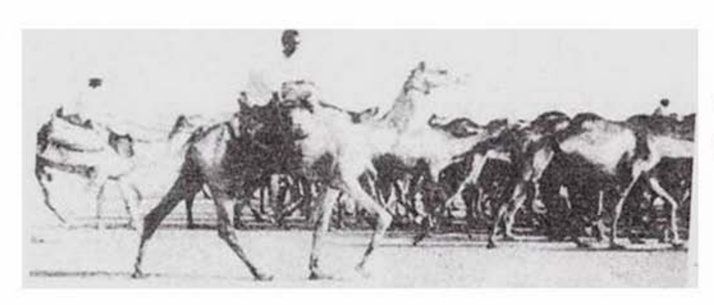
ملحوظة :

يقال إن زغاوة الارديباراء والبويراء والأورديو من أصل زغاوة البديات وهي ذات علاقة بالكوبي كما يقال إن احمد شقيق سليمان توريه تيربو أنجب ولدين أحدهما جد التنجور (أهل بوه) في كتم ، اما الآخر فلا يعرف عنه شيء.

إدارة البديات :

زغاوة البديات تعد من الفروع القبلية ذات الإنتشار الواسع . وفي الماضي كانت لها إدارة قبلية واحدة مثل زغاوة الكوبي حتى تم تقسيم المنطقة الى السودان الفرنسي والسودان الإنجليزي 1924م فبقي جزء كبير من زغاوة البديات والكوبي في تشاد والجزء الآخر في السودان . ونتيجة لهذا التقسيم نشأت إدارتان للبديات . ففي السودان اقيمت ادارتهم في منطقة كارو بزعامة الملك فور حسين من بديات الكورياراء التي هي عشيرة متفرعة من البيرياراء ولها حدود مع القلي قيرقي .

إن معظم بطون البديات انتشرت في دار الزغاوة 1903م كما نزح جزء من الإدينقا من كارو الى اللعيت جار النبي والطويشة (دار عطاش) فى حدود كردفان عام 1916 واستقروا هناك . وكانت هذه الإدارة من الإدارات الكبيره في شمال دارفور كما كانت مثار اهتمام واعجاب كبيرين في مناسبة الزفة التي كانت تقام في كتم كل عام . وكان الملك فور يتمتع بقوة الشخصية وحسن تنظيم رجاله الفرسان وارتبط بعلاقة المصاهرة مع الملك محمدين آدم صبى زعيم التوار فى أمبرو حيث زوج الأخير إحدى كريماتِه . وكان أيضا ذا حظوة ومكانة خاصة لدى المستر مور المفتش الانجليزي المسئول عن شمال دارفور وقتذاك مما جعل بعض رصفائه من رؤساء إدارات الزغاوة يحسدونه على مركزه فعملوا على إضعاف إدارته .



(رعاة من زغاوة لبديات
يسعون مرلحاً من الإبل)

يقول الرواة إنه في 1953 دبر حاسدوه خطة ومكيدة تقضي برحيله عبر الصحراء الي وادي هوار وزينوا له الاستقرار هناك وتوسعة حكمه حتي حدود ليبيا ومن ثم يرحل الى حدود تشاد ليوحد البديات ويكون له مملكة كبيرة تضم رقعة واسعة من السودان وتشاد . فوافق الملك فور على الخطة بحسن النية ، وطلب من رجاله واسرهم الرحيل معه واستعمل بعض الشدة والقوة لارغامهم فتبعه معظمهم مكرهين وقاومته فئة قليلة ضمت أوبي كورتينق وحامد ذياب تتقّاي وآخرين . وعندما وصلت قوافل الراحلين الى وادي هوار تعرضوا الى عطش شديد فمات الكثير من الرجال والنساء والأطفال . وصاروا في وضع مزر حيث لم يتمكنوا من الوصول الى تشاد او الرجوع الى كارو .

سمع مفتش كتم ، المستر مور بالواقعة فأخذ اورطة من الهجانة لاغاثة من بقي على قيد الحياة واستطاع ان ينقذ بعضهم الذي كتبت له النجاة اما الملك فور الذي عرف المؤامرة بعد فوات الاوان وندم حيث لاينفع الندم – فنجا بجلده الى تشاد ومعه بعض اقاربه وخلصائه ، لأنه علم ان المستر مور كان ينوي القبض عليه ومعاقبته بالموت . اما حكمه فآل الى الملك نور من نفس اسرة الكوريياراء.

عاد الملك فور – الذي فقد حكمه – الى دار الزغاوة بعد عام واحد ومات فى منطَقة بَوّة في ضواحي كتم 1954م. ولم يزل حكم البديات في كارو حيث انتقل الحكم بعد الملك نور الى ابراهيم موكي الذي تقدم به العمر وصار كفيفاً ثم خلفه علي سليمان.

وفي تشاد أقام البديات أكبر مقدومية لهم في بارداباء في المديرية الشمالية، بينما ظلت فئات أخرى في مديرية بلتين تتبع إدارياً لسلطنة الكوبي هناك بزعامة السلطان عبدالرحمن حقار .

و هناك مجموعات من البديات لهم عموديات لكنهم يتبعون لإدارات أهلية عند فروع الزغاوة الأخرى مثل بديات الارديبة الذين يتبعون لادارة زغاوة الكوبي في الطينة ورئاسة عمودياتهم في بَامنا تحت أمرة إينا نيقي ديك . ومنهم من يتبع لادارة التوار . اما القلا الذين هم من أصل بديات البيرياراء فلهم ادارتهم المعروفة في كرنوي وزعيمهم الشرتاي التيجاني الطيب صاح. وللبديات تداخلات قبلية اخرى مع ادارات الزغاوة الاخرى مثل اولاد دقيل في مزبد والنيقيري في انكا والارتاج في ام حراز .

أوشام البديات :

نورد هنا بعضاً من الأوشام الخاصة بزغاوة البيرياراء الذين هم احفاد سليمان توري تيربو الاربعة وتتحد اوشامهم من ان جميعها لاتخلو من حردي آبو ويرمز اليه بالشكل ( ) ، وقوادي ورمزه 8 ، والدوقولة ويرمز اليه 7 أو بالتداخل فيمابينها كما يلي :

1) كورياراء : ووشمهم (حردي آبو ومورتارقوي)

2) إدينقاء : ووشمهم هو وشم الكورياراء

3) برونقاء : ووشمهم (دوقولة وحردي آبو)

4) اورارء : ووشمهم (مروتارقوي وحردي آبو و دوقولة) والملاحظ أن هذا الوشم يجمع بين الأوشام الثلاثة السابقة . ووشم الأوراراء يوضع في شدق "الجمل" . الجدير بالذكر ان اوشام بعض بطون البديات وبقية الزغاوة تشترك بطريقة او اخرى فمثلاً :

الأورديو يوشمون ابلهم هكذا (قوادي+ دقوله)

الإرديبة ويوشمون ابلهم هكذا (ميري)

ويستعمل باقي البطون اوشام مثل :

تندوي :

حردي آبو :

موريتارقوي :

تمساح :

قاباي :

سينابوري للمامياء

قوادي :

سوقورداي :

سيري (سيف) :

ويستعمل كثير من فروع قبيلة الزغاوة اوشام خاصة للبقر والغنم فوشم الانقو (الكوبي) الكدام وهو قطع جزء من الأذن اليمنى واحداث شقين في الأخرى والكوديارارء قطع عرضي لنهايتي الاذنين وهكذا .

عموديات البديات :

للبديات عموديات كثيرة منها مافي السودان ومنها الاخرى في تشاد لذلك يصعب حصرها بدقة . فالحاكم عندهم يسمى المقدوم وفي مناطق اخرى ملك ويتبع لادارته عمد يطلق عليهم ايناء نذكر منهم المقاديم والملوك والعمد وهم جميعا مسئولي البديات .

1- مقدوم موراء

2- مقدوم آريم

3- ملك فور حسن

4- ملك محمد نور

5- ايناء ديبي حنتو

6-إيناء إيقاء

7- ايناء نيقي ديك

8- ايناء دمبور

9- ايناء اراما

10- ايناء حورقي

نظام الحكم :

يتبع الزغاوة البديات في حكمهم نظاما اشبه ما يكون بالوراثي الا انه في كل الحالات لا يخرج عن دائرة العشيرة لذلك اذا تعذر الحصول على الوريث الشرعي للحكم يختار شخص من نفس الاسرة او العشيرة .

معالم هامة :

نذكر من المناطق الهامة في دار البديات

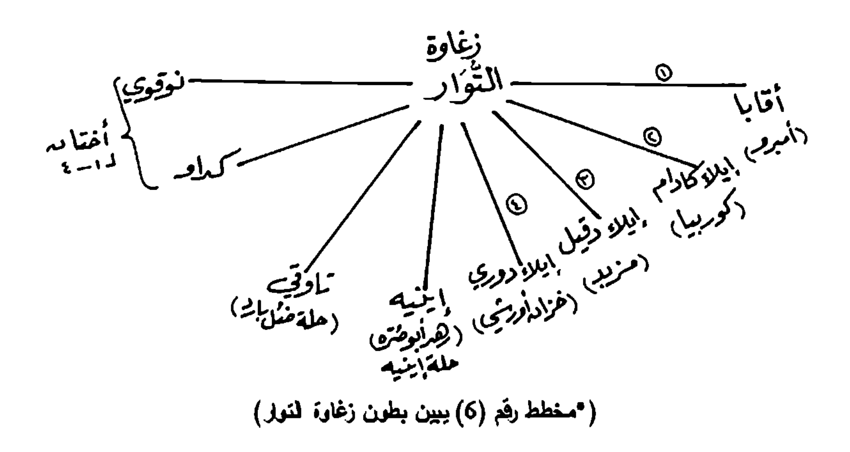
برداباء – سردبياء – باو – إيقا – باكاوري – كيرامارا ء – نيو – كورياء – أم جرس – ام سوقاط – كوده – كارو – شقي كارو – باهاي – بامناء – ايشميه – بير دواني – موردي – باقوكويناء – هيري كويناء .

(3) زغاوة التُّوَار (Tu-WER)

الأصل :

التوار فرع من فروع قبيلة الزغاوة وتعتبر العقابا أكبر عشيرة فيها ومنها ينحدر ملوك التوار الذين ينسبون الى محمد البرناوي . وقد عثرنا على وثيقة بخط الفكي بحر ضو البيت بحر مكتوبة بالعمار "الدواة" ويرجع تاريخها الى عام 1926 ونصها :

"الأقابا" (محمدين آدم صبي بحر بن النعمان بن مي بن جعلوا فسقي بن تابت بن محمد الحاج بن القسير بن محمد البرناوي) . هذه المخطوطة توضح لنا الانحدار السلالي للأقابا (عقابا) . وهي العشيرة الرئيسية ومنها الأسرة الحاكمة من ذرية الملك بحر . ويقول الرواة والاخباريون ان اولاد البرناوي امهم تدعى دومه وهي عربية من بني هلال . والحاكم عندهم يعرف بالملك او "ايلاء" . وحاكم دارتوار هو الملك علي محمدين وحاضرتها أمبرو .



(*مخطط رقم (6) يبين بطون زغاوة لتوار)

من المخطط أعلاه نجد أن زغاوة التوار يتفرعون الى أربع فصائل (بطون) رئيسية هي : الأقابا و إيلاء كادام و أولاد (إيلاء) دقيل وإيلاء دوري . اما من الناحية العشائرية فإنهم ينقسمون الى ثمان عشائر باضافة اينية و تاوقي و كاداو و نوقوي والأخيرتان اختان لبطون التوار الاربعة الرئيسية .

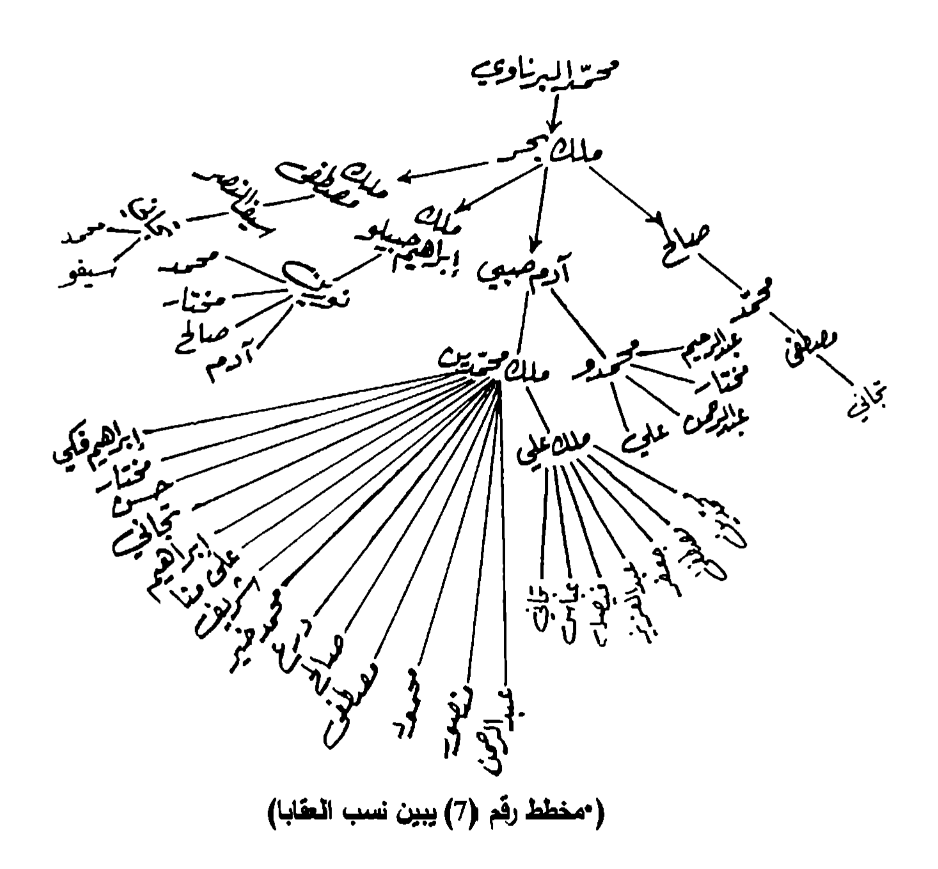
العاصمة : الملك بحر هو مؤسس مملكة التوار حيث أقام حاضرته في "جانق" الواقعة قرب بئر قوندي كيساي على مسافة قريبة من شمال شرقي امبرو . حيث ظلت عاصمة عامرة حتى نقلها حفيده الملك محمدين الى امبرو والتي لم تزل حاضرة التوار الي يومنا هذا .

نظام الحكم :

نظام الحكم عند التوار وراثي ينتقل بالتبادل بين بطونها الثلاثة عقابا ودوري ودقيل . لكن الامور لم تستمر على هذا المنوال اذ استأثر العقابا بالحكم مما حدى بكجمر المنحدرة من ايلاء دوري الهجرة الى كردفان . ولم يكن ايلاء دقيل احسن حظا من كجمر اذ حرموا ايضا من دورهم في تولي الحكم مما جعلهم يشقون عصا الطاعة على حكم بني عمومتهم العقابا في امبرو وبغية الانفصال عنه – كما سنرى . حيث نقلوا شكواهم الى المفتش الانجليزي في كتم ، لكنهم لم يحصلوا على ماكانوا يطلبونه إلا عند استقلال السودان عام 1956 فقد اصبح لأولاد دقيل كيان منفصل في مزبد.

تسلسل الحكم :

عرف الملك بحر العقباوي المنحدر من سلالة محمد البرناوي اول حاكم لمملكة التوار حيث عمل على ارساء قواعدها ووطد أركانها وعند وفاته خلفه ابنه مصطفى الذي حارب في صفوف جيش المهدية وشهد كرري 1898 ضد الغزو الانجليزي . وهو من الذين شاركوا في تنصيب السلطان علي دينار في حكم



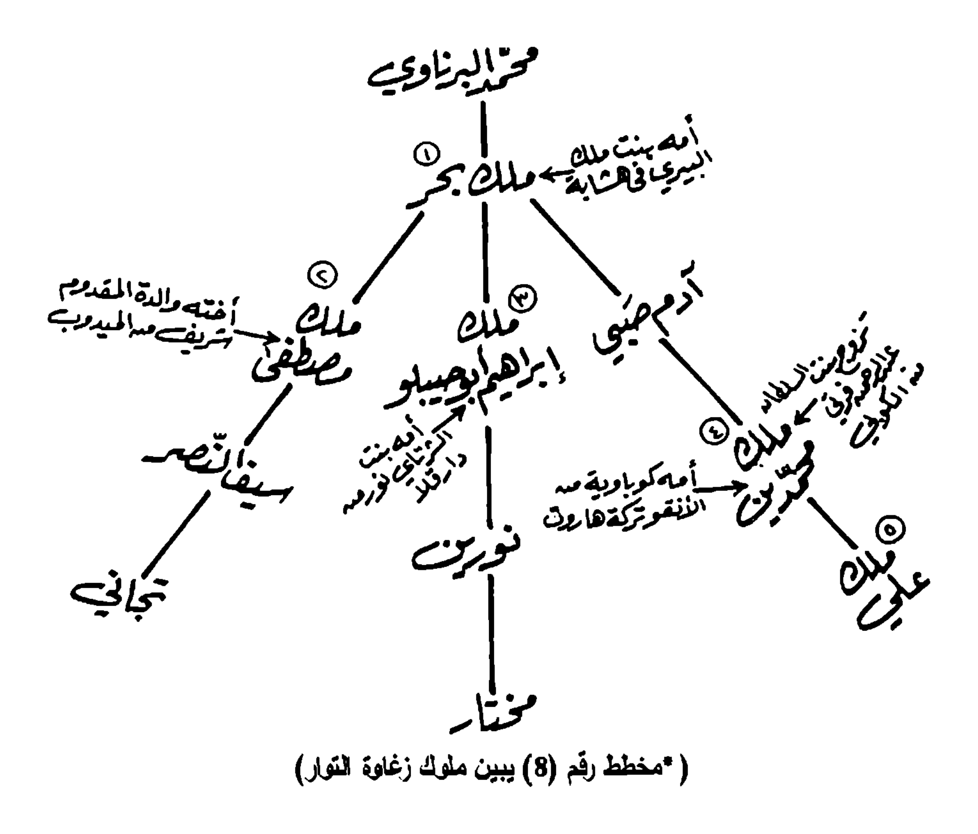
(•مخطط رقم (7) يبين نسب العقابا)

دارفور ورافقوه الى الفاشر وعملوا على خلع السلطان حسين ابوكوده . وبعد وفاة الملك مصطفى انتقل الحكم الى اخيه الملك ابراهيم حيبلو الذي خلفه في الملك محمدين ابن اخيه آدم صبي .

وتعتبر فترة حكم الملك محمدين من اكثر سني حكم التوار التي شهدت احداثا كبيرة والتي منها عزله من الحكم على يدي المفتش الإنجليزى مستر مور 1951م ، وتعيين ابنه علي خلفا له . وظل الملك علي محمدين في الحكم حتى صفيت الادارة الأهلية في مايو 1969.

حكم الملك محمدين :

تميزت فترة الملك محمدين بأنها كانت طويلة مقارنة بمن سبقوه من ملوك التوار ، وشاهدت الكثير من الاحداث . وقد روي انه من أجود الملوك الذين زامنوه واكرمهم على الإطلاق كما عرف عنه الدهاء والكياسة.



(*مخطط رقم (8) يبين ملوك زغاوة التوار)

وكان يحظى بمكانة مرموقة لدى المقدوم يوسف شريف ممثل السلطان علي دينار بشمال دارفور ، اذ كان يتقدم ملوك الزغاوة وفرسانهم عند الموكب السنوي الذي يعرف بالزفة أو الملمة . وهذه الخصوصية تتبع من صلة القرابة التي تربطه بالمقدوم شريف عن طريق المصاهرة حيث كانت زوجة المقدوم شريف والد المقدوم يوسف شقيقة الملك مصطفى بحر عم الملك محمدين . هذا بالإضافة الى أنه من اكبر ملوك الزغاوة المعاصرين له سنا . الامر الذي اهله الى القيادة . ومما يؤكد هذا ان السلطان دوسه اخذ مكانه في رئاسة السن بعد عزله.

شهدت ادارة دار التوار في عهد الملك محمدين فترة من الازدهار والانفتاح على فروع القبائل والادارات الاخرى عن طريق المصاهرة وهي نمط من صنوف الدبلوماسية في تلك الأيام . فقد تزوج من كريمات كل من السلطان عبد الرحمن فرتي من زغاوة الكوبي ، والملك فور من زغاوة البديات وايضا تصاهر مع قبيلة القرعان ، كما زوج بناته بالمثل لفروع من الزغاوة وقبائل اخرى .

وبالرغم مما اشرنا اليه من ايجابيات عهد الملك محمدين الا ان كثيرا من الجدل قد دار حول حكمه ، وذلك لما شهدته هذه الفترة من احداث جسام ادت الى عدم الاستقرار . فقد اخذ عليه شدته واعتداده المفرط بنفسه وعدم سماع الرأي الآخر النابع من اهالي مملكته عند احتكامهم اليه في المظالم والحقوق الامر الذي اثار حفيظتهم . فقرر البعض منهم الهجرة الى خارج حدود دار التوار واتخذوا من منطقة جنوب دارفور ملاذاً فحطوا رحالهم في كل من مارلا و ام كردوس وعريداية قرب نيالا ولبدو ومهاجرية وشعيرية وشنقل طوباي وكتال وخزان جديد وغيرها . وكانت عشيرتا ايني وكاداو من بطون التوار التي بادرت بمغادرة منطقة دار توار هرباً مما ادعى من سلبيات حكم الملك محمدين .

حاول الملك محمدين استمالة اولئك النفر الذين لجأوا الى دار الصعيد بغية ارجاعهم ، فبعث اليهم اخاه محمدو آدم صبي في سنة 1943 مندوبا في منصب الدملج الا انه لم يفلح الا قليلاً ، الامر الذي جعله يتخذ القوة بدلا عن الحسنى لاجبارهم على العودة . فاتخذ محمدو ضروباً مختلفة من الترغيب والترهيب ، ولكنها تعثرت ولم تثمر فبقيت اعداد كبيرة من زغاوة التوار الى يومنا هذا يشكلون جزءاً من سكان شرق وجنوب دارفور .

تتابعت الاحداث وبينما كان الملك محمدين يعمل على اعادة الامور الى نصابها اعلن اولاد دقيل "إيلاء دقين" بزعامة اسحق العصيان ورفعوا شعار الانفصال عن ادارة التوار واقامة ادارة خاصة بهم في مزبد " اشيمي" . فأبوا دفع ضريبة القطعان والدقنية لمناديب الملك محمدين وصعدوا مطالبهم الى المفتش البريطاني لشمال دارفور بكتم .

وكان لهم ما أرادوا بعد لأي وجهد شديدين ، فكونوا ادارة يرأسها الباسي سالم تقل في مزيد لتكون منافسة لادارة بني عمومتهم العقابا في امبرو . وبذك فقد الملك محمدين جزء عزيزاً اقتطع من مملكته .

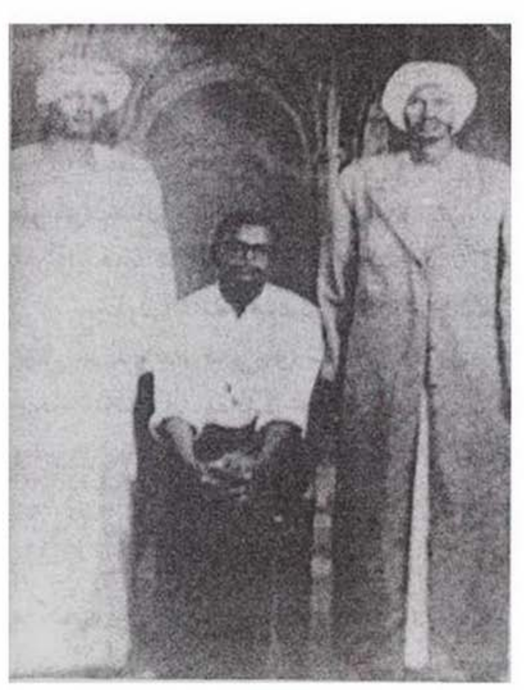
وفي الجانب الآخر كانت الخلافات الداخلية في الاسرة الحاكمة بدأت هي الأخرى تطل برأها لتنخر في بنية حكم العقابا . اذ احس بعض أفرادها بأن الأمور كانت تتسارع لتقويض حكمهم ، ورأوا ان السكوت حيالها لايجوز ، وان تبديل الحاكم بمن هو اكثر حكمة امر لابد منه .

وفي هذا الجو المشحون بالتنمر والخلاف كانت الشكاوى والتقارير هي الاخرى ترد وتترامى الى مسامع مستر مور في كتم . فما كان منه الا ان تدخل وامر بعزل الملك محمدين عن حكم دار تورا ووضعه رهن الاقامة الجبرية في كتم . وأوصى بتعيين ابنه علي الذي كان يعمل كاتبا في مكتبه آنذاك بدلا عن ابيه في عام 1951 . وقد اطلق الزغاوة على هذا العام سنة العمد " عمدة بيري " اشارة الى موجة إقالة الدمالج وتعيين العمد بدلا عنهم لأول مرة . هذا فقد انتقل الملك محمدين الى رحمة مولاه في منفاه بكتم .

ولكل تلك الأسباب التي سقناها علاوة على موقع امبرو في وسط دار الزغاوة اكسبت دارتوار اهمية خاصة احتفظت بها لسنين عدة حتى انها – فيما بعد– اصبحت مركزا لكل ادارات الزغاوة يمثل المفتش فيها مساعد ضابط اداري .

وفي اوج حكم الملك محمدين طلب منه الانجليز ارسال ابنائه لغرض تلقي التعليم في الخرطوم ، جريا على العادة المتبعة حينذاك والقاضي بأن لابناء الملوك الحق والاولوية في دخول المدارس القليلة جداً في عموم السودان ، على ماعداهم من ابناء الاهالي . فبعث اليهم ابنه علي الذي صار كاتبا للمفتش البريطاني بكتم وملكا بدلا عنه فيمابعد كما رأينا . ثم طلب منه الانجليز ارسال المزيد من ابنائه لنفس الغرض ولكنه في هذه المرة خشي على أولاده ، فبحث فيمن يمكن ارسالهم بدلا عنهم . فكانت الفرصة الذهبية التي اتت من حيث لايحتسب من نصيب كل من محمود بشير جماع

وسليمان مصطفى ابكر وتجاني سيف النصر مصطفى الذين اصبحوا فيما بعد الرواد الاوائل من متعلمي الزغاوة فصار بعضهم قادة على نطاق اقليم دارفور وعلى النطاق القومي .



(* محمد بشير جماع الطالب بكلية غوردون الجامعية يتوسط كلا من محمود الطيب صالح عضو أول برلمان سوداني نائباً عن دار الزغاوة و بشارة دوسة نائب السلطان دوسة (اخذت هذه الصورة في 1955 في الخرطوم)

حدود دار توار :

دار التوار بلد مترامي الأطراف تحدها دارقلا غرباً وشمالاً مع الأرتاج والقلي قيرقي وجنوباً مع البني حسين وشرقاً مع دارسويني . وتنقسم الى عدة عموديات اكبرها عمودية اورشي التي كان اول من انشأ قرية فيها أبكر آدم جلوك وتتفرع منها أربع عموديات صغيرة يشرف عليها كل من :

1- العمدة جمعة نرجع.

2- العمدة محمد عبدالله كندك وشيخهم صالح ابراهيم حسن في حلة اورشي .

3- العمدة شيخ علي داؤود في انابجي حلة جمعة ابو.

4- العمدة كجوك في كوريبا .

5- العمدة أبكر عبد الله في حلة تنقة.

معالم دار توار :

القرى والحلال : امبرو – تاوبيه – ضل ضل – أراوماراء – حربة جونق– جانق – كوريبا – أودوميه – شرتي – ماراء – عشيه تير – مِنْ بيه – ابولحاء – هاتوقو – حلة جمعة – أورشي – نوركويلاء – حجّاك – هنقو – كورنق – موس .

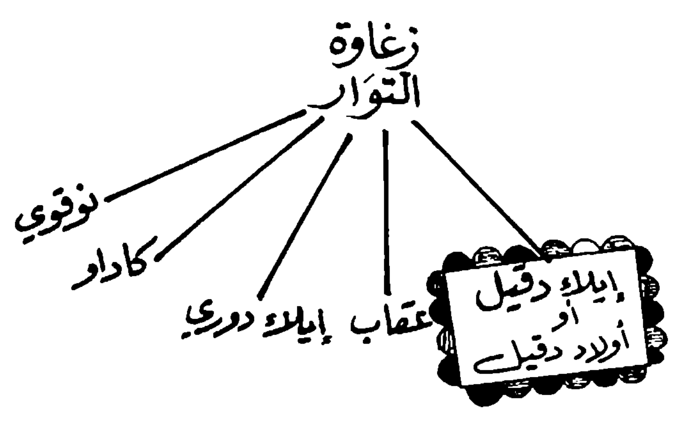
الخزانات والحفائر : خزان أورشي – خزان كورفو – حفير ابوقمرة – خزان امبرو.

الدوانكي : دونكي أبو لحاء – ساني كارو.

(4) زغاوة أولاد دقيل (ILA-Digail)

الأصل ونظام الحكم :

أولاد دقيل او ايلاء دقين من فروع قبيلة الزغاوة وهم يكونون مع العقابا "أقابا" وإيلاء دوري وإيلاء كاداو ونقوي قبيلة التوار الحاكمة في أمبرو . وزعيمهم الباسي سالم تقل ، تجدر الإشارة هنا الى ان كلمة باسي تعني الملك وينفرد أولاد دقيل بهذه التسمية عن سائر فروع الزغاوة . اما نظام الحكم فلم يصنف بعد ما اذا كان وراثيا . وتعتبر ادارة اولاد دقيل الادارة الثالثة لزغاوة التوار بعد ادارة العقابا في أمبرو ، وادارة الكجمر في كردفان . وحاضرة اولاد دقيل هي مزبد التي يطلق عليها الزغاوة ايضا أشيمي وهي ملتقى طرق برية تؤدي الى مصر عن طريق درب الاربعين كما تقود الى ليبيا وبها سوق كبير للماشية يفد اليها التجار من جميع الاصقاع .



(* مخطط رقم (9) يبين تفرع زغاوة اولاد دقيل)

حكم أولاد دقيل :

يقول الرواة انه في زمن هجرات الزغاوة التوار وهم أربعة اخوة : ايلاء دقيل والعقابا وايلاء دوري وايلاء كاداو ومعهم اختهم نوقوي وسكنوا في منطقة دوم كور شرق خزان اورشي وسط الجبال . وحدث ان عمّت المجاعة في تلك المنطقة ، فاضطر الإخوة الهجرة الى الصعيد ماعدا دوري الذي رفض السفر وآثر البقاء ، وقضى المهاجرون مدة طويلة في دار الصعيد واشتاقوا لاخيهم فقرر كاداو واخته نوقوي العودة الى دار الزغاوة للبحث عن اخيهم دوري الذي انقطعت اخباره عنهم الا ان أخويهما عقاب ودقيل رفضا الفكرة وابيا الرجوع ظنا منهما ان دوري ربما لقي حتفه من جراء المجاعة .

وصل كاداو واخته المنطقة ووجدا اخاهما دوري على احسن حال ، فأقاما عنده حينا من الدهر . وبعد فترة من الزمن عاد عقاب ودوري الى اخوتهم في دوم كورو ، لكنهما لم يرق لهما المقام في منطقتهم القديمة فرحلا ثم افترقا فسكن العقابا وذريته في هنقو الواقعة شرق امبرو ليكونوا ادارتهم هناك . بينما رحل اولاد دقيل الى منطقة ابعد من ذلك وحطوا رحالهم في منطقة جوتاراء ذات شجرة الحراز الكبيرة التي تتوسطها ، وأسسوا قرية سوريو الواقعة غربي مزبد عند آبار كورتي . وكانت مزبد آنئذ مضارب

لقبيلة العطاوية العربية الراحلة ، حيث نشبت حرب ضروس بين اولاد دقيل والعطاوية حيث اضطر افراد قبيلة العطاوية للجلاء عن المنطقة تحت هجمات اولاد دقيل المتكررة على دامرتهم ، فأعلن اولاد دقيل مزبد عاصمة لهم منذ تلك الواقعة . وقد عرف من زعمائهم آنذاك العمدة كجوك اسحق الذي كان دملجاً حتى عام 1951 حيث عزل الدمالج وعين بدلاً عنهم العمد ، وهي السنة التي عرفت بسنة العمد.

أولاد دقيل وإدارة التوار :

بعد ان استقر اولاد دقيل "إيلاء دقين" في مزبد صاروا يتبعون لإدارة التوار لأكثر من ربع قرن قبل أن يطالبوا بالإنفصال عنها لتكوين ادارة خاصة بهم منافسة لإدارة بني عمومتهم من العقابا في أمبرو . وكان اسحق اول من تزعم قومه واشتكى الملك محمدين آدم صبي العقباوي للمستر مور مفتش شمال دارفور في كتم . وكان إسحق هذا رجلاً شديد المراس ، قوي الشكيمة كثير الحجج ، دائم الحضور لدى المفتش شاكياً مقاضياً حتى قال فيه المستر مور قولته المشهورة " إسحق تاماراء ... حلتو كوماراء .. عقيد الشوشرة" !! دلالة على كثرة شكاويه وتزعمه للدقيل . وعلى الرغم من محاولات اولاد دقيل ومساعيهم إلا أن المفتش لم ينصفهم بل كان يقف مسانداً للملك محمدين من منطلق السياسة البريطانية التي تلجأ الى اخماد أي حركة تنم عن روح استقلالية لدى المواطنين عموماً تحسباً لما قد تجر إليها من تطلعات عظمى كالمناداة بالحرية وتقرير المصير على النطاق القومي والإنفكاك من الإستعمار الإنجليزي ، و لكن سرعان ماانقلب على الملك محمدين وعزله ، وبشر أولاد دقيل بفصلهم عن إدارة التوار إلا أن وعده لم ينفذ إلا عند استقلال السودان في 1956م ومجئ علي أبو سن مديراً لدارفور حيث تحقق ما أرادوا باعطائهم محكمة فرعية في مزبد وإدارة تحمل اسمهم.

أولاد دقيل يختارون حاكمهم :

بينما كانت وفود اولاد دقيل يعسكرون في كتم لعرض قضبتهم سمع بهم رجل يدعى سالم تقل من أولاد دقيل يقيم متنقلاً بين ام كدادة ومليط فأتاهم وانضم اليهم وتبرع لهم بجمله الذي قدم على ظهره للمجتمعين الذين قاموا بنحره وأكل لحمه مما جعلهم ينظرون اليه نظرة اكبار واحترام لشهامته وكرمه .

ودارت المشورة فيما بينهم لاختيار الحاكم الذي يتولى امرهم فقال احدهم أن سالم تقل إبن عمهم وانه ظل بعيداً عن ديارهم مقيماً في أم كدادة ومليط ، وانه جاء إليهم لمشاركتهم ومساندتهم في وقت الشدة و رأى المجتمعون كرمه وتقديره لعشيرته ، وأضاف انه يقترح أن يختاروا سالم تقل حاكماً لأولاد دقيل . إستحسن الحاضرون و وافقوا عليه في الحال فدرجوه وخلعوا عليه لقب "باسي" الذي يماثل كلمة ملك ، لكنهم لشدة حساسيتهم مع الملك محمدين اختاروا لقباً مختلفاً عن مسمى ملك التوار . فصار الباسي سالم تقل أول حاكم لإدارة دقيل الجديدة بينما أبقوا العمدة كجوك في منصبه بعد تقويته تقديراً لجهود أبيه إسحق ونضاله الطويل .

القبائل التي تعيش في إدارة أولاد دقيل :

يوجد فرع من العقابا في مزبد يسمى عقابا دوقي هاء مي كما يطلق عليهم "بيقيروكابي" . وتوجد عشائر لفروع أخرى عديدة .

عموديات أولاد دقيل :

تنقسم إدارة أولاد دقيل إلى عدة عموديات يرأسها كل من :

1- عمدة كجوك اسحق في حلة دير شيقي .

2- عمدة مادبو عثمان في حلة عيش ناو.

3- عمدة النور في حلة شيري تير .

4- عمدة جلبا اسحق خاطر في حلة هاء ميى .

5- عمدة هري حماد في مزبد.

6-

المعالم البارزة في دار أولاد قيل :

القرى والحلال:

مزبد – دوس قيلي بيراء – جاواء – مارو – دوس بيه تير – جيقي – شيري تير – عيش بره – عيش نام – هاماراء – هي ميي .

الجبال :

دوقيلي – اركاكوروس – جوء أوروء – عيشة هاء – هاشي قولي – اركوري هاء ميه .

الوديان :

وادي مزبد – وادي أو دول – وادي خُمر سوراء – وادي اركاكوروس – وادي زرق – وادي باميشي – وادي بي كي – وادي مقرب – وادي إيرماء – وادي جوتارقاء – وادي جواد أوشيمي – وادي هوار .

الدوانكي : دونكي الوخايم – دونكي الحوش .

الآبار : تي كويلاء في وادي هوار – بئر مزبد .

(5) زغاوة القلا (Gala)

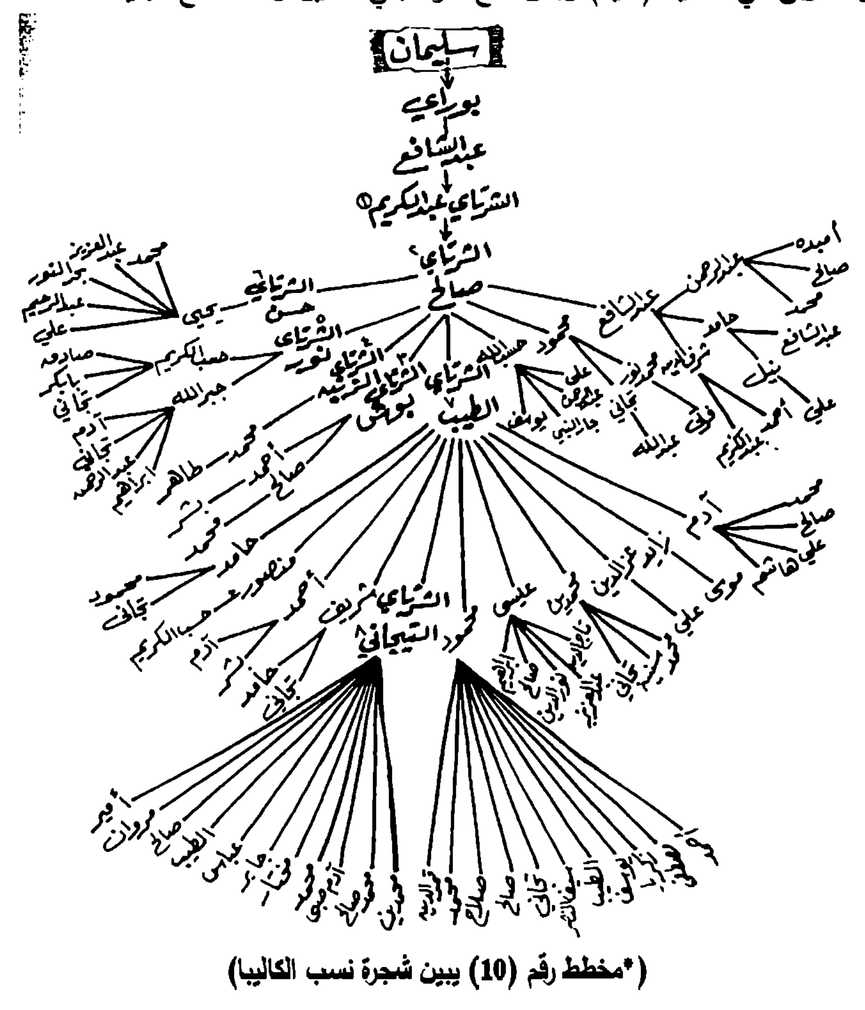
القلا فرع من فروع قبيلة الزغاوة . وتسمى المملكة "دارقلا"

الأصل ونظام الحكم :

الأسرة الحاكمة للقلا هي الكاليبا ، ونظام الحكم فيها وراثي والحاكم يسمى الشرتاي أو وحاضرتها كرونوي . وان كرنوي مركبة من مقطعين –"كر" ويعني زريبة و"نوي" اسم إمرأة كانت تسكن المنطقة قبل تأسيس حاضرة الكاليبا فكرنوي تعني "زريبة نوي" . أما الأصل أو الإنحدار السلالي فإن عشيرة الكاليبا والبيرياراء والنتجور أبناء رجل واحد وهو سليمان الملقب ب "توري تيربو" – اي ذي الطاقية البيضاء – من البديات – وزعيم القلا هو الشرتاي التيجاني الطيب صالح عبد الكريم عبد الشافع بواري ... الخ .

حدود ادارة القلا :

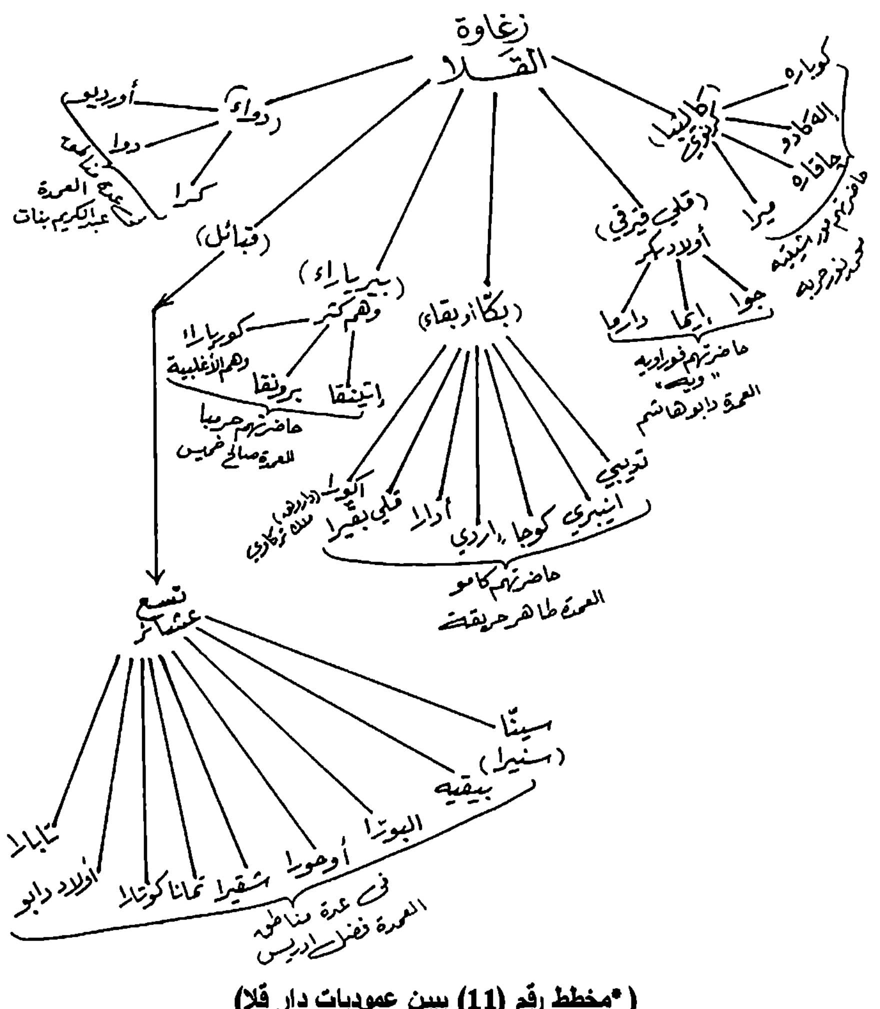
تحد إدارة زغاوة القلا من الشرق دار التوار في حلة ضل بارد مناصفة وغرباً مع دار الكوبى في هلالية (هلية) وجنوباً مع دار البني حسين وشمالاً مع البديات .



(*مخطط رقم (10) يبين شجرة نسب الكاليبا)

عموديات دار قلا:

تنتظم دار قلا في ست عموديات كما في المخطط أدناه :



(*مخطط رقم (11) يبين عموديات دار قلا)

1- عمودية الكاليباء :

تقع جنوب شرق كرنوي في إبيت (عيد) ومنقوري ومسكي . والكاليبا تتفرع منها بطون اخرى هي اوديبيه وكوباره وإله كاداو وجاقاره (تياقاره) الذين يسمون أيضاً أولاد

كمندي والميرا وهذه البطون برئاسة العمدة محمد نور حربة ورئاسة العمودية في مورشيقي .

2- **عمودية القلي قيرقي (قليقيراء)**

وتقع شمال كرنوي وهي ذات مساحة كبيرة . والقلي قيرقيراء من أولاد بكر وتتكون من جوا – إيما – دارما – و حاضرتها في فوراوية التي تسمى أيضاً "ويه " ويتزعمها العمدة دابو هاشم . وسميت قلي قيرقي نسبة لأخوين كانا يسكنان في قرية واحدة فاختلفا ورحل أحدهما ليشيد قرية خاصة به فسميت "قلي قيرقي" التي تعني بلهجة الزغاوة : الذي فرق القرية".

3- **عمودية البكّاء (بَقّاء) :**

وتقع شمال كرنوي وتتكون من سبعة بطون هي : تديبى – انيبرى – كوجا – إردى – أدارا – قلي بقيرا – ورئاسة العمودية في كاموا وعمدتها طاهر حريقة . والجدير بالذكر أن الأكورا فرع من البقاء وكانت لهم عمودية خاصة بهم قبل 1951 في دارونق برئاسة الملك تركاوي .

4- **عمودية البيرياراء :**

مما تجدر الإشارة هنا أن البيرياراء والكاليبا شقيقان أما التجور فأخويهما من أبيهما وأصلهم من زغاوة البديات وهي قبيلة كبيرة – كما رأينا – والتي تسكن عدة مناطق في السودان وشمال شرق تشاد وتتكون من ثلاثة فروع رئيسية هي : اتينقا – برونقا – و كورياراء (وهم الأغلبية) ويسكنون كارو وشمال مزبد ورئاسة العمودية في حرمبا وعمدتها صالح خميس.

5- **عمودية القبائل :**

من إسمها تدل على انها تتكون من بطون وعشائر عديدة تتوحد في عمودية واحدة ، فمن قائل أنها سبع او تسع . وينتخب العمدة باختيار جماعي . والعشائر هي : البورّا – احورا – شقيرا – تمانا – كوتارا – تابارا – أولاد دابو – وأيضاً سينّا (سنيراء) و

بيقيه ورئاسة العمودية في هلالية وعمدتها فضل إدريس من عشيرة تمانا (ويسمونها احيانا أولاد كمندي) .

6- عمودية الدواء:

ويقيم افرادها في مناطق كثيرة ، وتتكون من البطون والعشائر التالية :
كرا – دوا – اورديو– وتسمى المنطقة دوابيه وحاضرتها حلة دوابيه ويرأسها العمدة عبد الكريم بنات .

والاورديو تتقسم بدورها الى ثلاث عشائر هي الاورديو الأم وجاء أسلافها الى دار الزغاوة عن طريق كيدا في موتوقوني بشمال تشاد الى ام جرس . ويقطن معظم افرادها في بيتير (البيت الأبيض)! وبعضهم في ام كداره (قرية ام دبيبة) وعمدتهم الفكي عثمان جرش والاخرون في مهاجرية (قرية جوقان) في جنوب دارفور ، وعمدتهم الشيخ ابراهيم علي مهاجر والعشيرة الثانية هي جاتا ويسكن اهلوها قرب أمبرو والعشيرة الثالثة هي جابوكورو و يسكن أفرادها في وادي بيركى قرب كاليبا ضل ضل .

تاريخ القلا السياسي

عبد الكريم حاكماً على دار قلا :

ذكرنا في معرض حديثنا عن زغاوة القلا أن إنحدارهم السلالي يرجع إلى سليمان توري تيربو . وقد دخل أسلافهم السودان في حوالي القرن السابع عشر الميلادي قادمين إليه من ليبيا وتونس وحطوا رحالهم في منطقة كبسارو غرب بئر امبرو . وعرف اول حاكم لهم احد اجدادهم ويدعى عبد الكريم.

عبد الكريم في حضرة السلطان تيراب :

يقول الرواة والاخباريون إن تجاراً ليبين أتوا الى حيث يقيم القلا في كبسارو قادمين اليها عن طريق الصحراء الليبية فالعوينات والعطرون وهم على ظهور إبلهم المحملة بالسجاد والبلح والأواني النحاسية ومكثوا في ضيافة عشيرة الكاليبا أياماً . ولما هموا بمواصلة رحلتهم قاصدين السلطان تيراب في طرة ، تبعهم عبد الكريم دون علم والده واخوته . وكان عمره آنئذ لم يتعد الحادية عشر . وكان ينوي تعلم القرآن الكريم وكان على علم أن أم السلطان تيراب من زغاوة الكوبي . ولم يره الليبيون إلا بعد أن بعدوا كثيراً من ديار أهله وكان من المتعذر ارجاع عبد الكريم الى أبيه ، لذلك واصلت القافلة رحلتها الى عاصمة الفور . وحينما قابل التجار الليبيون السلطان تيراب واخبروه ماكان من امر تلك الغلام ابقاه السلطان ليشب في كنفه مع أبنائه لما وجد فيه من نشاط ونجابة وشجاعة . وعندما كبر صار فارساً مقداماً وفي غمرة إعجاب السلطان به ، عينه الأخير (رأس مئة) وأهداه حصاناً مطهماً فصار يرسله إلى حروبه الكثيرة .

وعندما شقت البقارة عصا الطاعة بعث إليهم السلطان جيشاً لكنه رد مهزوماً ، الامر الذي اغضب السلطان كثيراً ، فطلب عبد الكريم من السلطان أن يشرفه بقيادة جيشه لتاديب البقارة ويثأر له منهم على أن يختار من حاشية السلطان وجنوده مائة من خيرة الفرسان ليكونوا مائتين جنديا مع المئة الذين تحت إمرته . وافق السلطان واستطاع عبد الكريم ان يهزم البقارة ويرجع الى السلطان منتصراً ومعه ماغنمه من ماشية وخيول . فسر منه السلطان سروراً عظيماً وهم على مكافئته . فطلب منه عبد الكريم أن يوليه زعيماً على اهله القلا في كبسارو . ولم يكن السلطان تيراب يرفض مطلبه ذاك ، فدرجه "شرتاي" وأعطاه قوة من جنده .

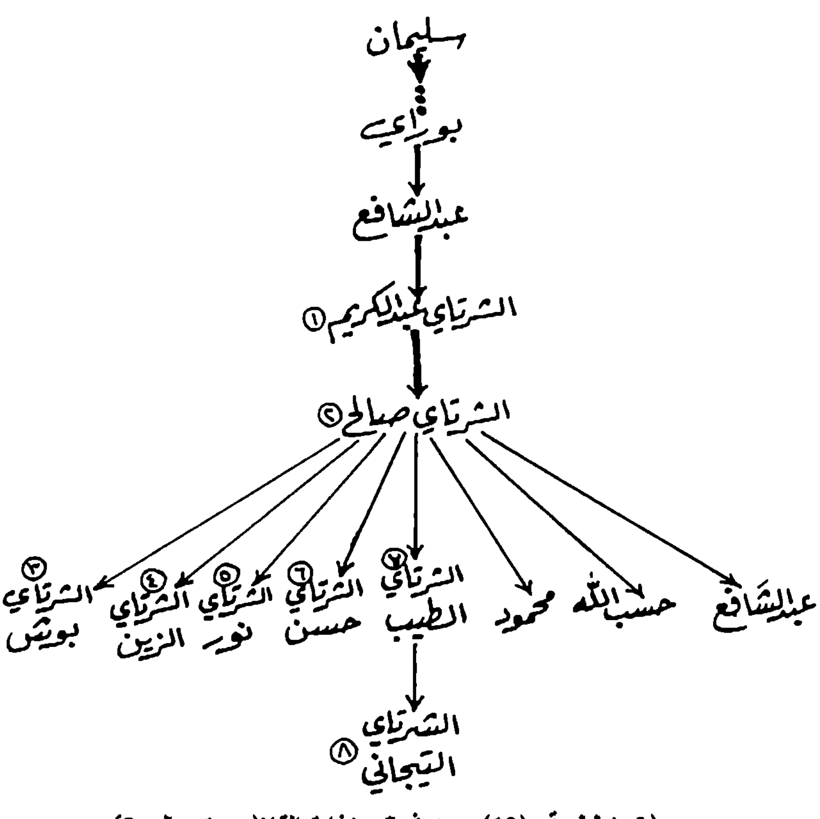
رجع الشرتاي الجديد الى اهله الذين كانوا يجهلون مكان وجوده طيلة تلك المدة واعتبروه في عداد المفقودين . وكان عمره عندئذ 35 سنة . فاحتفى به اهله وامتدت فترة حكمه زهاء الثلاثين سنة ، غير فيها عاصمته الى إبيت (عيد) جنوب غرب بئر امبرو (وهي منطقة قريبة من أمبرو الحالية – التي لم تكن موجودة آنذاك – ويسمع منها خوار

الأبقار). وأمن ادارته برسم حدودها الغربية مع زغاوة الكوبى وجنوباً مع البني حسين وشرقاً مع زغاوة التوار وشمالاً مع زغاوة البديات.

تسلسل الحكم :

بعد وفاة الشرتاي عبد الكريم خلفه إبنه صالح الذي كان عمره عشرين سنة فحكم ستين عاماً وعاصر التركية السابقة . وقبل وفاته عين إبنه بوش وريثاً لحكمه . وعاصر الشرتاي بوش المهدية منذ ظهورها 1881م فاستدعاه المهدي مع غيره من زعماء دارفور ليحاربوا ضمن الجهادية في جيشه . لكنه توفي بالجدري في أم درمان قبل أن تبدا المعارك .

و دُرَّجَ أخوه الزين من بعده حيث حكم حتى دخول الإنجليز الى السودان وقد حارب فى جيش الخليفة عبد الله التعايشى في كرري 1898م ، وعاد مع من بقي حياً من زعماء دارفور . والجدير بالذكر انه أحد الزعماء الذين شاركوا في مبايعة علي دينار سلطاناً على دارفور وكان معه الملك مصطفى بحر من زغاوة التوار والسلطان راكب من زغاوة الكوبي . واشترك مع علي دينار في إخراج ابوكودة الذي كان سلطاناً على الفاشر قبل مجئ علي دينار للحكم .



(*مخطط رقم (12) يبين شراتي زغاوة القلا(من 1- الى 8)

عاد الشرتاي الزين صالح الى دار الزغاوة ليُصَرِّفَ أُمور مملكته . وبعد ثمان سنين بعث إليه السلطان علي دينار وأرسله في جيشه لمحاربة السلطان أبكر زعيم المساليت الذي رفض الخضوع لسلطنة الفور . وفي معركة دروتي التي هزم فيها المساليت جيش علي دينار قُتِلَ الشرتاي الزين. فخلفه في الحكم أخاه النور صالح الذي حكم ست سنوات فاستدعاه علي دينار الى الفاشر وقتله في ظروف غامضة . وقام السلطان علي دينار بتعيين أخيه حسن صالح شرتاياً على دارقلا فحكم ثلاث سنوات فقط ، فاستدعاه علي دينار ايضاً وقتله كما فعل بأخيه الشرتاي النور من قبل . ويقول الرواة و الاخباريون إن السبب الكامن وراء قتل علي دينار لشراتي القلا يرجع الى ضغينة قديمة بينه وبين الشرتاي صالح والد القتيلين . ففي عهد التركية السابقة كان أحد

سلاطين الفور (يعتقد أنه أبو الخيرات) قد لجأ الى دارقلا فاراً من الجنود الأتراك الذين كانوا يتعقبونه وكان معه علي دينار ابن عمه زكريا الذي كان صغيراً ، فاحتمى بالشرتاي صالح في كبسارو – وكانا ينويان الهرب الى ليبيا . فطلب الشرتاي ان يساعدهما بتجهيز جمال و زاد و قِرَب للماء خلال ثلاثة أيام . لكنه أخبرهما بأنه لامانع لديه من مساعدتهم لكن قرب الماء تحتاج الى الدباغة والخياطة لفترة لا تقل عن 15 يوماً على الاقل لتجهيزها . فغضبا منه وحنقا عليه ، و إن لم يبديا ذلك علانية لانهما كانا في موقف الضعف . واقترح عليهما الشرتاي صالح أن يذهبا الى صديقه السلطان إدريس – سلطان القمر في كولبوس – (وكان كلا الصديقين ليس على علاقة طيبة مع سلطان الفور) . فسافر ذلك السلطان وعلي دينار إلى سلطان القمر ومكثا هناك في حمايته .

جاء الاتراك بقيادة الزبير باشا رحمة إلى دار قلا مقتفين اثر السلطان وعملوا في الناس تعذيباً وتقتيلاً بغية الحصول على معلومات تدلهم الى مكان وجود السلطان المطلوب . ولم يفصح الشرتاي صالح للاتراك مايعلمه عن الجهة التي سار فيها السلطان . فاستمر الجنود الأتراك في إستجواب المواطنين عنوة حتى علموا وجهة السلطان ومن معه حتى لحقوا به في دار القمر لكنهم استطاعوا الإفلات واخيرا تمكنوا من قتل السلطان في منواشي واسروا علي دينار . وبسبب هذه الحادثة اعتبرها علي دينار تواطئاً بين الشرتاي صالح والسلطان ادريس صار ينتقم من أبناء الشرتاي صالح بعد أن اصبح سلطاناً .

وفي 1913م درج السلطان علي دينار الشرتاي الطيب صالح . ولم يمض على حكمه عامان و سرعان ما استدعاه السلطان على دينار الى الفاشر 1915 ووضعه في الحبس ناوياً قتله . وفي العام 1916 دخل الإنجليز الفاشر بعد موقعة سيلي ليجدوا السلطان قد غادرها الى جبل مرة ، فأفرجوا عن السجناء السياسيين ومن بينهم الشرتاي الطيب وبعض أبناء الزغاوة وآخرين حيث عادوا الى ديارهم .

واستمر الشرتاي الطيب حاكماً 18 عاماً أخرى في عهد الاستعمار حتى توفي عام 1934 موتاً طبيعياً . فعقد لواء الحكم بعده لابنه التيجاني الطيب الذي كان تلمذاً في المدرسة المزدوجة الاولية بالفاشر منذ 1932 فسلم الحكم – بصفة مؤقتة – لاخيه عيسى الطيب حتى تخرج الشرتاي التيجاني واستلم مقاليد حكم القلا 1936 . وكان معه في المدرسة اخوه محمود الطيب الذي التحق بها 1934 وصار – فيما بعد – عضواً لأول برلمان سوداني حر في الأول من يناير 1954م ثم في برلمان الأول من يناير 1956 و الذي حل أثر إنقلاب الفريق إبراهيم عبود في السابع عشر نوفمبر عام 1958 ثم عضواً في الجمعية التأسيسية بعد ثورة اكتوبر 1964م والتي حلت ايضا بعد انقلاب 25 مايو 1969 . وبذلك يكون للزغاوة شرف المشاركة في تأسيس دولة السودان الحرة المستقلة اذ ساهم مواطنوا دار الزغاوة بالإدلاء بأصواتهم كناخبين لأول برلمان نودي من داخله باستقلال السودان وكان ممثلهم محمود الطيب صالح طيب الله ثراه.

حكم الشرتاي :

وطد الشرتاي التيجاني حكمه ونقل عاصمته من ابيت الى كرنوي وقسم بلده الى عموديات ست ، وكانت ادارته تتبع لمركز شمال دارفور في كتم . وكان يملك أربعة نحاسات ورثها من ابيه الذي اشتراها من مصطفى ودجادين الزيادي في مليط الذي اقتناها بدوره من السلطان علي دينار ، وهذه النحاسات تضرب مرة واحدة في السنة بمناسبة العيد الكبير .



(*محمود الطيب صالح عضو أول برلمان سوداني نائباً عن دار الزغاوة.)

كان الشرتاي التجانى ينيب أخاه حسب الكريم نور صالح الملقب بالخليفة للقيام باعباء الحكم في غيابه واحياناً ينيب باسي محمد نور حربة عمدة الكاليبا في هذه المهمة . وكان الشرتاي رجلا قوي الشخصية فصيحاً ظل حاكماً حتى صفيت الإدارة الأهلية في مايو 1969 وتوفى رحمه الله في عام 1971م.



(* الشرتاي التيجاني الطيب صالح)

معالم دار قلا البارزة

القرى والحلال :

كرنوي – كبسارو – دارونق – ضل بارد – كبريكاك – دارما – هلالية – قردي – جربوكي – توقي – كامو – بيرجديد – دوابيه – قارسلبا – قاسمبا – كالاقا – كيفاء – قورسموق – ناقوميه – شيقي دوبو – شارابى – أورشينق – دتياء – فوراوية – قم مكو – حلة أبو إدريس – بيماره – برقي سوريل – مستريح – تاوبيه – كو – قورفوبيه – جديل – سليكو – تاقرابيه – قلابيه – الي تامو – حرقوي – شرقني كوك – حجير أبيض – أم مرس – أمربو .

الأودية :

تجدر الإشارة هنا ان معظم الاودية في دار زغاوة تمر باراضي ادارات مختلفة . وادى كرنوى – وادي ام صاط (أم سوقاط) – وادي دارونق – وادى شيرا – وادى ام شيك – وادي ساني – وادي منجورباء – وادي مستريح – وادي كيدابيه – وادي قرضاية – وادي بيرجديد – وادي كالوكوتي – اريبوس جوراء.

الخزانات والحفائر :

خزان كامو – خزان هلالية – خزان دارما – خزان أبوقمرة – خزان تلكو – خزان ابو جداد – خزان نعيم (حفير) .

الجبال :

دارما هاء – كاموهاء – ضلو قرفو – كبرو هاء – شيرى هامو – شقرابي أقوماراء – دبولي هاء – حجر نوراء – قارسلبا هاء – هاتوقو – بيري قلا – اجي بي – قورفو كوري – توقومي – بي قولي – هامي – اريبوس – هاماراء – كرينق كرينق – جايو شيلو – قوي بيتي .

الدوانكي :

دونكي لوكا .

زغاوة القلي قيرقي

مقدمة :

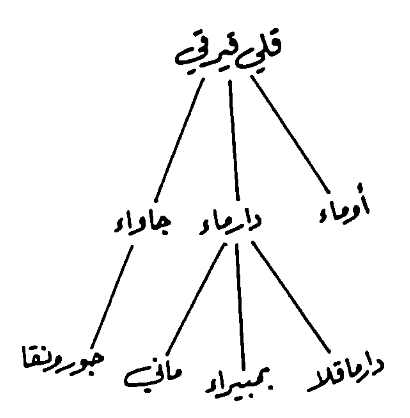
القلــي قيرقـي عشـيرة كبيرة ذات بطـون لكـل منهـا شـيخ او "إيـلاء " . وهـي مـن المكونات الأساسية لفرع زغاوة القلا . وتعد من كبريات الفصائل في دارقلا . وقد لعب افرادها دوراً هاماً في الحياة السياسية في دارقلا حيث قاموا في عام 1961 بحركة عصيان ورفض ضد حكم الشرتاي التيجاني الطيب وكانت حركة مماثلة ومتزامنة لحركة الفلتيك التي استشرت ضد السلطان دوسه عبد الرحمن في الطينة . وقد حصل القلي قيرقي على مايشبه الحكم الذاتي لمنطقتهم الامر الذي جعلنا نفرد لهم حيزاً في هذا الباب من الكتاب .

اصل التسمية :

يقول الرواة إن تسمية قلى قيرقى التى تعنى بلغة الزغاوة " الذى فصل القرية" نبعت من قصة مفادها ان أخوين عاشا فى قرية واحدة ثم اختلفا على أمر فشلا فى اصلاح ذات البين فرحل أحدهما و أنشأ له و أسرته قرية فأطلق عليه الناس "قلى قيرقى " و أصبح الفرد المنتمى إليه يعرف بالقلى قيرقيراء.

بطون القلي قيرقي

تسمت بطون القلي قيرقي بالقرى التي تسكن فيها . وهذه البطون هي اوماء – دارماء – جاواء .



(* مخطط رقم (13) يبين بطون القلي قيرقي)

نظام الحكم :

نظام حكم القلي قيرقي بالتناوب وانحصر بين بطونها الثلاثة ومن العمد الذين تعاقبوا على السلطة فيها كل من : 1/ الدملج عبد القديم ابو دويت 2/ الملك ضحية عبد العالي 3/ عمدة محمود ندي 4/ إيلاء عرجة نورين 5/ عمدة ثابت 6/ عمدة دابو هاشم .

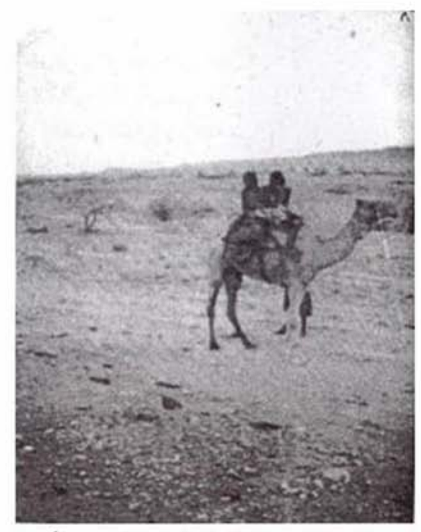
العاصمة :

حاضرة القلي قيرقى هى فوراوية التي يقال إنها تسمية محرفة من "خور رعوية " والتي يطلق عليها الزغاوة "ويه " واحياناً "ويه حراوي " علما بان كلمة فوراوية ليست لها صلة بقبيلة الفور المعروفة .

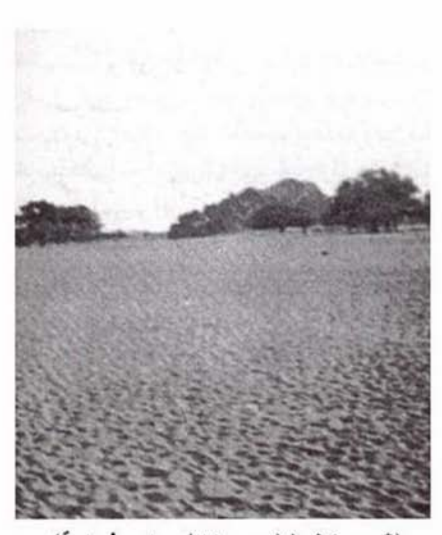
أقسام العموديات :

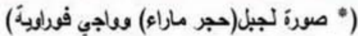
تنقسم دار القلي قيرقي الى خمس مناطق رئيسية تُكوِّن كل منها عمودية او شياخة وهي :

1- منطقة فوراوية أو الديم 2- منطقة أوماء فى الجنوب 3- منطقة أوروء فى الشرق 4- منطقة بوباء فى الشمال 5- منطقة دارماء فى الغرب.



(* فتاتان من لقلي قيرقي تمتطيان بعيراً)





(* صورة لجبل(حجر ماراء) وواجي فوراوية)

قبائل المنطقة :

تقطن قبائل كثيرة في المنطقة معظمها تنتمي الى زغاوة البديات مثل كراء وبيرياراء واردبيه وقابا جيراء وماميا في منطقة بوباء الشمالية وايلاء دقيل في منطقة أوروء وقبائل أخرى . والجدير بالذكر ان جميع العمد أو الشيوخ في المناطق الخمس سالفة الذكر يتبعون مباشرة للعمدة دابو هاشم في فوراوية حيث يحصلون له الضرائب ليسلمها الى مناديب الشرتاي التيجاني في كرنوي الذي يرسلها بدوره الى ضابط المجلس بكتم.

النشاط البشري :

يعتمد سكان عمودية القلي قيرقي على رعي الإبل والضان بصفة رئيسية كما ان سكان المناطق المختلفة في أوروء وأوماء ودارماء بين حرفتي الرعي والزراعة . وللقلي قيرقي وشم واحد عبارة عن هلال مقلوب (الوشم) اما البمبيراء فوشمهم دائرة (الوشم) .

حركة قلي قيرقي

في بداية الخمسينات من القرن الماضي بدأت العلاقة تسوء بين زعيم القلا الشرتاي التيجاني الطيب صالح ومواطنيه القلي قيرقي في العمودية الشمالية بفوراوية بسبب الضرائب الباهظة التي كان يفرضها عليهم واتهمامهم له بأن سجلات كشف وحصر القطعان متعددة وغير مطابقة للواقع مما أيقظت مشكلتهم القديمة التي اخذ فيها حكام الكاليبا نحاسهم كما انهم يعتبرون حاضرتهم فوراوية بسوقها وآبارها منطقة ذات شهرة واسعة ومنافسة لكرنوي وليست اقل شاناً .

ومما زاد الطين بلة ان الشرتاي اخد من احد شيوخ القلي قيرقي ويدعى ايركوري 16 بقرة عنوة لعدم تمكنه تحصيل جزء من الضرائب في الوقت المحدد له الامر الذي استفز مشاعر القلي قيرقي فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير اذ امتنعوا عن دفع الضريبة للشرتاي لمدة 11 سنة كانوا يسلمونها مباشرة للمفتش بكتم حيث نقلوا اليه مظالمهم ورفضهم لتبعية عموديتهم لدار قلا وطالبوا بالانفصال عنها . وقد تزعمهم كل من إيلاء عرجة ونورين وامبدة ومحمد ندي الذي كان اول من صَعّد تلك الشكوى الى المسئولين في الفاشر ومن ثم الى حاكم عام السودان في الخرطوم . ولما لم يجد من ينصفه سأل محمود ندى ما اذا كانت في الدنيا سلطة أعلى من تلك التي في الخرطوم ليشكو اليها ! وبالرغم من فشله الا انه اكتسب شهرة عظيمة في دار الزغاوة اذ كان يشار اليه بمحمود ندي الذي نقل شكوى القلي قيرقي إلى الامم المتحدة !!

وهناك قضية أخرى اقام دعواها رجل من عشيرة الشقيراء يدعى آدم صو ايلاء مني ضد الشرتاي مفادها ان الاخير كان قد درج منذ حياة ابيه الشرتاي الطيب على اخذ بقرة واحدة عن كل فتاة تتزوج في دار قلا واطلقوا عليها اسم "رُسُمْ" واشتكاه الشقيراء

الى مفتش كتم الا انهم لم ينجحوا في اقناع المستر مور الذي انحاز للشرتاي وسجنهم ثلاثة اشهر لكن انصفو بعد استقلال السودان ومجئ علي ابوسن مديراً لدارفور والذي اوقف تلك العادة نهائية.

وازدادت الامور سوءاً بخروج عشيرة الشقيراء – التي لم يسلم افرادها من غضب الشرتاي وسطوة مناديبه – عن امرة حاكم دار القلا الذي لم يتمكن من اخماد تلك الحركة المتنامية ، وناصروا القلي قيرقي مما جعل المستر مور يعيد النظر في الوضع بتلك العمودية ويعقد صلحا يعطي بموجبه القلي قيرقي وضعاً يشابه الحكم الذاتي حيث صارت لهم محكمة فرعية ومدرسة صغرى (سبقريد) ، لكنه ابقى روابطها مع القلا على نطاق محدود لذلك يبدو للمتتبع لخصوصيات تلك العمودية تبدو وكأنها إدارة منفصلة وقائمة بذاتها.

قبل الأهالي هناك ما فرضه عليهم المفتش الانجليزي على مضض وخاصة استبعاد ايلاء عرجة ود نورين الذي اتفقوا عليه وتعيينه العمدة ثابت على رأس العمودية في فوراوية بايعاز من الشرتاي . ثم هدأت الامور بين القلي قيرقي – ومعهم مناصروهم – وبين الشرتاي ظاهريا لكنها لم تكن كذلك في احسن الاحوال ، اذ لم تزل النار تحت الرماد تنتظر اللحظة التي ينفجر فيها البركان الخامد . وفي هذه الأثناء ثار أفراد عشيرة البقاء على الشرتاي التيجاني الطيب بما اعتبروه شقا لصفوفهم واشعال نار الفتنة فيما بينهم . ومن المعلوم ان البقاء كانت لها طموحات شتى في الوصول الى السلطة في دار قلا الا ان الكاليبا استعملوا حنكتهم السياسية والاجتماعية في تفويت الفرصة على البقاء اذ عقدوا معها صلحا واتفاقاً سرياً على مكاسب معينة نظير تخلي افرادها عما ينشدون اليه .

وفي الجانب الآخر فإن اتفاقاً عشائرياً داخلياً كان يقضي بأن يظل العمدة طاهر حريقة حاكماً على اهله البقاء لمدة اربع سنوات يتنحى بعدها لشخص من بطن آخر يختاره الأهالي في قرية انديري . لكن الامور لم تسر على هذا المنوال اذ تدخل الشرتاي بعد انتهاء فترة العمدة طاهر حريقة وحرضه على عدم التنازل ، وقدم له الدعم السياسي

الكافي لاستمراره في منصبه بالرغم من رفض الطرف الثاني بزعامة تيل دلوم وعبد الله ناير وطاهر حران "أبو تمبوي " من البقاء ومعه آخرون ، حيث جاهروا بعدائهم للشرتاي والاستعداد لمقاومته ومنازلته اذا دعت الضرورة .

هنا التقت مصالح القلي قيرقي والشقيراء والبقاء في رفض حكم الشرتاي وانضم اليهم افراد من عشيرة الدواء بزعامة شخص يدعى شرتاي جمعه نور ، ونسقوا مواقفهم كما عقدوا اتفاق جنتلمان في العام 1961 مما اعتبرت اول مقاومة فعلية لادارة الكاليبا وسلطة الشرتاي . ثم اتخذوا اساليب كثيرة للاحتجاج والمقاومة فأبدوا رفضهم الكلي لدفع الضريبة . فتعرضوا للملاحقة والسجن بسبب ذلك مما دفعهم الى التفكير في الهجرة الى تشاد سالكين طريقا يمر برهد أندر .

و إزاء هذا الموقف بادر الشرتاي التيجاني بإبلاغ مفتش كتم بما وصلت اليه الامور في ادارته من سوء . ولم يمض وقت طويل حتى جاءه مدير المديرية برفقة المفتش فذهبا مع الشرتاي في أثر أولئك النفر حتى رهد اندر و لكن معظم افراد المجموعة المهاجرة كانوا قد سبقوهم الى داخل تشاد مخترقين الحدود وهناك استقبلهم سلطان زغاوة التبويراء عبد الرحمن حقار ورحب بهم واكرم وفادتهم . وسمح لهم باختيار المنطقة التي تلائمهم ففضلوا مايباء اول سنة ثم في بورباء الا ان معظمهم اقام في هريباء حاضرة زغاوة الكوبي في تشاد مدة تزيد على 11 سنة، وكونوا عمودية لهم برئاسة ايلاء بشارة منصور مني من الشقيراء فيما قام السلطان عبد الرحمن من جانبه بإعفائهم عن دفع الضريبة لمدة اربعة اعوام .

وفي هذه الأثناء فكر افراد هذه المجموعة في اسلوب الانتقام من الشرتاي لشعورهم بالغبن والمرارة منه اذ هجروا موطنهم وذويهم بسببه . فبعد مضي أربعة أعوام من اقامتهم في تشاد اختاروا خمسة عشر فارساً من بينهم ممثلين للبطون سالفة الذكر ماعدا الشقيراء ، وجهزوهم تجهيزا حسنا بالزاد والعتاد والخيول القوية السريعة للإغارة على كرنوي واخذ كل ابقار الشرتاي ومنازلة من يهب لارجاعها في تحد لم يسبق له مثيل .

وصل المغيرون الى ضواحي كرنوي نهاراً وساقوا قطيعاً كبيراً من أبقار الشرتاي التي كانت ترعى في منطقة قاسمبا ويمموا بها غربا . وما ان تنامى هذا الخبر الى مسامع الشرتاي التيجاني حتى جمع "الفزع" من حرسه وبعض رجاله الذين لحقوا بالمغيرين ودارت بينهم معارك ضارية لم تطل كثيرا حتى اسفرت عن هزيمة الفزع وعاد افراده ادراجهم الى كرنوي وهم مثخنون بالجراح . فاستشاط الشرتاي غضبا وقرر اللحاق بالذين نهبوا ابقاره بنفسه مادامت آثارها واضحة . و آزره في ذلك بعض من اقاربه وخلصائه الذين تسلحوا بالبنادق الا ان المغيرين كانوا قد اخترقوا حدود السودان ووصلوا تارياء مقر ابو يوسف حقار مندوب السلطان عبد الرحمن حقار لما قد تترتب عن هذه الحادثة من سوء في العلاقات بين حكام المنطقة . وفي الجانب الآخر وصل الشرتاي التيجاني ورجاله الى رهد اندر وتجاوزوا الحدود الدولية حتى وفدوا الى تارياء دون اذن من السلطات التشادية ، الامر الذي جعل ابو يوسف حقار يتصل بالمفتش التشادي في هريباء مع الأفراد الذين نهبوا ابقاره واودوا جميعا في السجن . اما الابقار فقد امر مفتش هريباء باعاتها الى السودان مع رجال الشرتاي الذين جردوا من اسلحتهم.

تناقلت اخبار متضاربة عن مصير الشرتاي في تشاد وخشي الناس في دارفور عما حدث له الا انه كان في أمن وسلام في ضيافة السلطان عبد الرحمن حقار الذي ضمنه وابقاه في داره حتى عاد في وقت لاحق الى الطينة حاضرة زغاوة الكوبى فى السودان حيث السلطان دوسة عبد الرحمن كان في انتظاره ليكرم وفادته قبل ان يتابع سفره الى كرنوي.

وفيما بعد شكلت لجنتان في وادي الطينة للنظر في تلك القضية فعقد مؤتمر حضره ممثلون عن السودان برئاسة ضابط مجلس ريفى شمال دارفور وعضوية القاضي المقيم و حكمدار البوليس وسلاطين الحدود وهم السلطان دوسه عبدالرحمن سلطان دار كوبى والسلطان حسن برقو سلطان كبقا والسلطان عثمان هاشم سلطان دار قمر ، وعن الجانب التشادي حضره مفتش هريباء وقائد الدرك (الجندرمة) وقاضي هريباء (جوش) والسلطان عبدالرحمن حقار وآخرون . وقضت الجلسة حضوريا بتغريم الشرتاي التيجاني

مائة وخمسين جنيها سودانيا . وناقش المجتمعون – بين أمور أخرى – علاقات حسن الجوار والحدود والمراعي .

أما الأشخاص الذين أحضروا الأبقار فقد اتفقوا على ان يتصدر اربعة منهم – كل يمثل الفئة القبلية التي ينتمي اليها – ويعترفوا بانهم المسؤلين عن نهب الأبقار وان الآخرين ابرياء وليس لهم ضلع في الموضوع . و كان ممن تطوع بتحمل تبعات الاعتراف عبد الله سليمان وحسن رمضان من البقاء وبوي داد من القلي قيرقي وشرتاي جمعة نور من الدواء . وكان ان حكم عليهم بالسجن لمدة سنة ونصف قضوها في هريباء . وتجدر الاشارة ان نفرا من المهاجرين الى تشاد قد عاد الى دارقلا وعقد صلحا مع الشرتاي التيجاني ولكن الاخير ظل على معارضيه بالمرصاد بالقبض عليهم وتغريمهم حينما يأتون خلسة الى ذويهم ، وذلك انتقاما لما بدر منهم ماعدا شخص واحد قد سلم من ذلك الا وهو طاهر آدم عتيقة . اما زعماؤهم فقد آثروا البقاء في تشاد ولم يقرروا العودة الى السودان الا في عامي 1972 و 1973 وحطوا رحالهم في خزان ابو جداد ويتبعون ادارة الكبقاء بزعامة السلطان حسن برقو الذي تربطه ببعضهم صلة القربى من ناحية أمه المنحدرة من عشيرة الشقيراء.

معالم عمودية القلي قيرقي :

القرى والحلال :

فوراوية – حنقالا – باقوقيلي – ايرشي تير – تاري ماراء – كيدباء – طويشة – سوراء هاء – هامي – جيربو – كوتوباء – كو – تمباشي – مسترى قوربي – مسترى تاوقيلي – مسترى ابوتياء – دوابي هوتاء – دوابي قيد ابوروء – دوابي قورمي – اليتامو – لاوتاء – تقاراء – بياكيدا قيلى – اويداء – قوفوبيري – موتيو – بي ديرقيرو – قارحجر – قوروكويلاء – عمار جديد – دارما هيري سيللو – ماي سيقي – تولاتي كويلاماراء – سوبولي قورفو .

الجبال :

أبرهاء – قوي بتي – حجر ماراء (فوراوية) دارماهاء – سدّي – سدي تيلي – جواء – تيري جوراء – هاناو – كورا هاء – سبكاهاء – ها جير – بيري فيلا – فتاهاء .

الوديان :

وادي فوراوية _ قرضاي – ايرماراء – باردارء (يمر الطريق الى بئر العطرون "بودوياء" تيري جوراء .

الآبار:

ويه باء (آبار فوراوية) او ما باء – بوباباء (خزان دارماء) – شيمي ايري .

(6) زغاوة الكايتنقا "kaitinga "

الأصل وتسلسل الحكم :

زغاوة الكايتنقا فرع من فروع قبيلة الزغاوة . ويرجع انحدارهم السلالي الى اولاد تاكو المتفرعة عن رزيقات الشمال . ويطلق عليهم ايضاً زغاوة تكاراء . وكانت منطقتهم الاصلية في كبورو في دار قلا شرق كرنوي .

يروي الحاج عبد الرحمن علي دهب ان كلمة كبورو نابعة من عملية كبر الاشجار اي قطعها وازالتها التي صاحبت اقامة حاضرة زغاوة التكاراء حيث كانت هنالك غابة كثيفة مما استدعت تنظيف المنطقة بكبر "قطع" الشجر .

اما اسلافهم فقيل إنهم – والقول للراوي نفسه – قدموا الى منطقة دار زغاوة اثر خلافهم مع والي الشام الذي اخذ إبلهم عنوة . فشاور جدهم ويدعى شائك ود محمود ود أحمد الرزيقي مع زعيمهم جمعان العويس "جد بني هلبة" ، فاستقر رأيهم على رفض أمر الوالي حيث قالوا "لاندفع ولانتبع" واتخذوا من حرف النفي "لا" وشما لابلهم ويعرف بالدوال وهو ركاب سرج الحصان . وقرروا الهجرة بعيدا عن نطاق نفوذ والي الشام /

فضربوا في البلاد حتى حطوا رحالهم في منطقة " نيو" الواقعة بين دار القرعان و ارادا شمال دار البديات وتعقبهم جيش والي الشام بقيادة ود السودة لارجاعهم الا ان جمعان العويسي قرر مقاومة ود السودة فوضع مكافاة مجزية عبارة عن تنازله عن ملكه وتزويجه ابنته "جنوب" ومنحه مراح ابقاره " الخضر" لمن يتمكن من منازلة ود السودة والقضاء عليه . فوافق شائك ود محمود فبارزه وارداه قتيلا . و أوفى جمعان بوعده ولم ينقض شائكا شيئا ، اذ مكنه من تولي السلطة والزواج من ابنته جنوب كما آلت اليه ملكية الابقار الخضر . اما جمعان فقد آثر السفر واستقر في دار بني هلبة الحالية .

وطد شائك حكمه في أرادا وتوسعت رقعة حكمه وامتدت حتى حدود البرقو "وداي" فولد له ابن سماه محمد تاكو الذي تولى الحكم من بعده وانجب ذرية كبيرة من بنين وبنات إلاّ أن أبناءهم – بعد مماته – قد اختلفوا فى من يخلفه فتنافسوا و تشاجروا فكوى أحد الإخوة أخاهم الأكبر بالنار مما جعل المصاب يتجه شرقاً طالباً المؤازرة من الحكام للقضاء على أخيه و استرداد حكمه. اما باقي ابناء محمد تاكو فقد تفرقوا الى خمس فرق اثر تلك الفتنة وهي سرقاي – جمعاي – صيطي – كردوسى – عيراي . وتجدر الإشارة ان للجمعاي ذرية اخرى في دار الرزيقات وتكون سبع عموديات كما لديهم مشيخة في دار كوبي في منطقة جقراباء.

اما جمعاي فقد نزح من ارادا واستقر في كبورو بينما بقي اخوته في دار الغرب . واثناء وجود جمعاي واهله في كبورو غزاهم افراد من قبيلة خزام العربية بقيادة زعم ، ودارت معارك طاحنة فمات عدد كبير من اولاد تاكو . ويقال ان الموتى قد دفنوا في مقابر جماعية لكثرتهم .

نجا جمعاي وابنه جامع من الموت فنزحا الى دار سويني الحالية وحط رحاله في قرية ابتو غرب الدور وهي قرية معروفة ومعمورة حتى اليوم حيث مات جمعاي هناك . فولد لابنه جامع ذرية كبيرة سكن بعض من افرادها في منطقة تكاراء او تكارابيه من قرى ام شدق شمال الدور .

تعرض اولاد تاكو اثناء وجودهم في ابتو الى غزو من بعض افراد قبيلة الزغاوة ، فسلبوهم جميع مالديهم من ابل فعدموا الراحلة ، الامر الذي اعجزهم عن الرحيل . فاستوطنوا المنطقة واختلطوا بسكانها وتصاهروا مع قبائلها التي كان يغلب عليها الزغاوة .

واطلق على منطقة اولاد تاكو هذه اسم دار سويني . والسويني منسوبة الى سواني (جمع سانية) وهي آبار طويلة في وادي فخمة شرق الدور ومنها اشتقت دار سويني.

حكام الكايتنقا

يقال ان جد الكايتنقا ويدعى ابراهيم قدم الى دار سويني والتحق بحاشية سلطان دارفور ، وصار خياط ملابس ماهر فأطلق عليه ابراهيم "كايتي" إشارة الى مهنة الخياطة (كايتي = خيطي اي خيط باللغة الدارجة ويقلب حرف الخاء كافاً عند قبيلة الفور . ومثال ذلك : كايِّتي كلاقي تعني خيِّطي حلقي ، اي خيط جلبابي) . فأرسله سلطان الفور الى جبل مرة وجعله مندوبا عنه في منطقة مري (حاليا عمودية اتيم سلامة) .

لم يطب لابراهيم المقام في مري فعاد الى بيت السلطان حيث عينه شرتاي على دار الريح التي كانت تشمل دارتوار ودار ارتاج ودار سويني ودار فروق . فاستمر يحكمها حتى حتى انفصلت دار توار في زمن الشرتاي سوني ود طاهر . والسبب في ذلك يعود الى ان بحر العقباوي دملج دار توار عندئذ قد زوج ابنته حواء عنكوليب للمقدوم آدم محمد والد المقدوم شريف الميدوبي . فتعمد المقدوم آدم على مؤازرة صهره بحر الذي درجه السلطان حسين ابو كوده ملكا على دار توار مع فصلها عن الشرتاي سوني ودطاهر بعد الفتنة التي حدثت بين مواطني دار توار والشرتاي سوني ود طاهر .

وجاء الى الحكم علي كروكرو ود طاهر خلفا لأخيه سوني الا انه قتله جنود التركية تحت امرة محمد خالد زقل شنقاً . وخلفه اخوه نورين ود طاهر الذي عزله السلطان علي دينار من الحكم وعين مكانه محمد حمارو ود طاهر ملكا . ومالبث ان

ارسل علي دينار الملك محمد حمارو في العام 1902 الى دار مساليت لمحاربة السلطان ابكر اسماعيل . فقتل في تلك المعركة وخلفه الى الحكم الملك طاهر ود نورين في نفس العام.

الارتاج وادارة الكايتنقا :

في 1920 رفض افراد قبيلة الأرتاج ان يكونوا تحت امرة الملك طاهر ود نورين ، وعصوا امره . فرأت الإدارة البريطانية انه من الأصلح تعيين الدملج خميس ود منّا ملكا على الأرتاج وفصلها عن سويني التي بقيت للملك طاهر بجانب دار فروق .

وفي العام 1923 ثار الأرتاج ضد ملكهم خميس ودمنا فعادوا تابعين لادارة طاهر ود نورين في سويني . فماكان من الاخير الا ان خصص خمس عموديات لهم وهي على النحو التالى: عين عبد الله عمر عمدة على خشم بيت بيرجي ، وعثمان عمر عمدة على أولاد آدي وادريس تكو عمدة على دنقاري ومحمد احمد فوري عمدة على ام سريراء ثم محمد اسحق عمدة على لوقي .

لم تدم الهدنة مع الأرتاج طويلا حتى تنمروا وابوا الاستمرار تحت حكم الكايتنقا . وقد تزامن ذلك زيارة حاكم عام السودان لفتابرنو جنوبي كتم . فعين الحاكم العام بخيت يعقوب تريري " نموراء" ملكًا عليهم . الا انهم سرعان ما ثاروا على الملك بخيت الذي تم عزله وعين مكانه موسى خميس ملكًا .

اما الملك طاهر ود نورين فقد عزلته الادارة البريطانية عن الحكم وعينت ابنه آدم طاهر ملكا على دار سويني في نفس العام الذي عين فيه الملك بخيت ملكا على الأرتاج ، وتم فصل الأرتاج نهائيا عن سويني .

نظام الحكم :

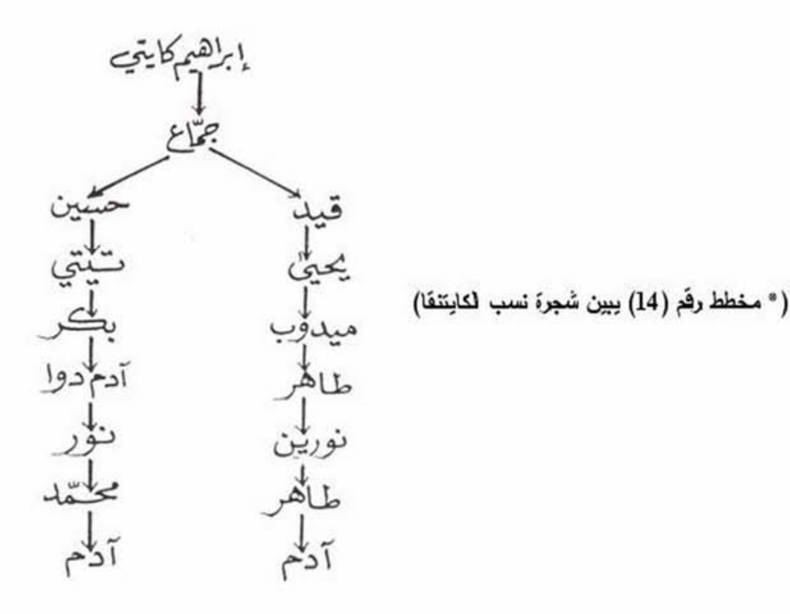
نظام الحكم عند زغاوة الكايتنقا وراثي لايخرج عن نطاق الأسرة الحاكمة . وكان يطلق على بعض حكامهم الشرتاي لكن تسمية الملك هي الراسخة فيما بعد. وحاضرة

مملكة الكايتنقا هي الدور وزعيمها الملك آدم طاهر نورين الذي ظل ممسكا بمقاليد الحكم حتى صفيت الادارة الاهلية في مايو 1969.



(* الملك آدم طاهر نورين)

وبعد وفاة الملك آدم طاهر نورين خلفه إبنه شريف



(* مخطط رقم (14) يبين شجرة نسب لكايتنقا)

دار فروق وادارة الكايتنقا :

كانت دار فروق تتبع لادارة الكايتنقا حتى تم فصلها في عهد السلطان حسين أبو كودة الذي منح الجزء الغربي منها للفكي عبيدة الكايتنفاوي بينما أبقى الجزء الشرقي منها حاكورة لابنته الميرم ام دريس وبعد زوال حكم السلطان حسين أبو كودة تم دمج جزأي فروق شرقها وغربها وعين الفكي عبيدة الكايتنقاوي ملكا عليها بعد ان اصبح زوجا لبنت المقدوم شريف . اما الجزء الخاص للميرم ام ادريس فقد عين لها محمد دلدوم عمدة لها فخلفه فيما بعد العمدة احمد عجين . وامتدت حدود دار فروق غرباً حتى فورنونق (إدارة الملك آدم حسن كنجوك وجنوب شرق مع دار بيري (إدارة الملك آدم محمد نور).

حدود دار سويني :

تحد دار سويني من الناحية الغربية جبل كورقو وجبل تومات ووادي أوري, ومن الشرق جبل نومو وقريود وقرفه وام شديرة وجبال ديلما وتنتهي في وادي فخمة (ديسه). ويفصل وادي فخمة ادارتي سويني وبيري من الناحية الجنوبية الشرقية وتمتد شمالا حتى بئر العطرون.

عموديات دار سويني:

تنتظم دار سويني في عشرة دمالج واستبلت التسمية من دمالج الى عموديات وهي :

1. قرية قوري وعمدتها اسماعيل مهاجر
2. قرية خربان وعمدتها حسن علي
3. قرية أولاد دعات وعمدتها مولودو عثمان
4. قرية كوراء وعمدتها احمداي ابراهيم
5. قرية تمورقي وعمدتها ادريس آدم (أبو تواء)

6. قرية اولاد دقين	وعمدتها	ازيرق احمد
7. قرية البرتي	وعمدتها	احمد نور يوسف
8. قرية قومي– اولاد هلال –	وعمدتها	ادريس حسب الله ادريس
9. قرية سينجا(سينقاء)	وعمدتها	الياس جلال الدين
10. قرية ابتو وناوراء وسالي	وعمدتها	علي بخيت

الكايتنقا وإدارة دار بيري:

كانت ادارة بيري وحمرة تابعتين لمملكة التنجور . وعند وفاة احد ملوك التنجور فرح اتباعه وذووه ، وانشغلوا بالداولانقا عن امور المملكة وفي من يخلف الملك الراحل . انزعج سلطان الفور لعدم تلبية دعوته من قبل اهل ملك التنجور المتوفي . وفي غضون ذلك غضب ابن اخت ذلك الملك فانطلق حيث سلطان الفور وروى له ماكان من امر التنجور . فما كان من السلطان الا ان درجه ملكاً على دار التنجور بالرغم من انه من الكايتنقا وبذلك صارت للكايتنقا ادارتان إحداهما في دار سويني والثانية في بيري بعد ان انفصلت عنها حمرة تحت ادارة السلالة التي انحدر منها الملك محمد عبد الرحمن .

حكم دار بيري اسلاف الملك محمد نور حيث خلفه إبنه الحاليالملك آدم محمد نور . وكانت حاضرتها في هشابة وانتقلت منها الى كتم . وكانت دار بيري ضمن عشرة شراتي التابعين للمقدومية في كتم . ولدار بيري اربع عموديات وانكا منها .

(7) زغاوة كجمر (Kajmar)

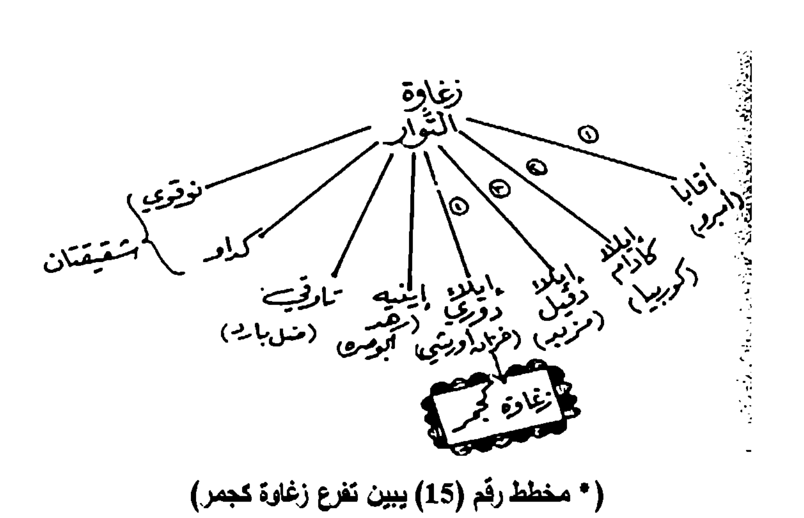
الأصل :

الكجمر فرع من فروع قبيلة الزغاوة . ويطلق على أفراد الكجمر مجازا – بعرب الزغاوة – نسبة للبيئة التي انتقلوا اليها والقبائل التي عاشوا بينها وما اسفر عنها من تأثير وتأثر .

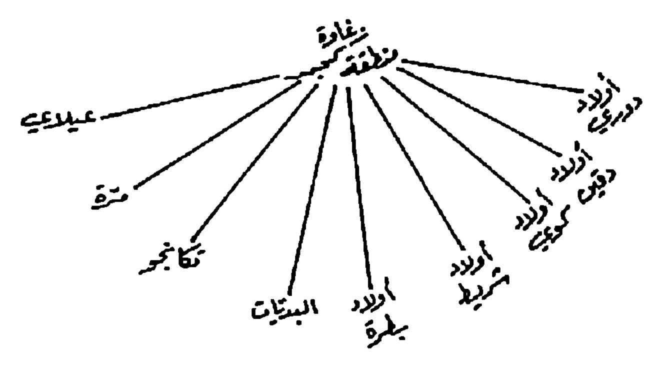
يعود الإنحدار السلالي لزغاوة كجمر الى أصل زغاوة التوار ، ومن عشيرة ايلاء دوري او اولاد دوري المتفرعة عنها والتي تعد احدى الفصائل الاربع المكونة للتوار .

وكما ذكرنا سابقا فإن التوار ينحدرون من ذرية محمد البرناوي حسب الترتيب التالي :

" محمدين آدم صبي بحر بن النعمان بن مي بن جطوا فسقي بن ثابت ابن محمد الحاج بن القسير بن محمد البرناوي "



(* مخطط رقم (15) يبين تفرع زغاوة كجمر)



(* مخطط رقم 16 يبين عشائر زغاوة منطقة كجمر)

والشاهد ان دوري – جد الكجمر – هو شقيق كل من اقابا (عقابا) وكادام ودقيل واختيهم كداو ونوقوي . وجميعهم من ذرية محمد البرناوي ، وجدتهم تدعى "دومة" وهي عربية من بني هلال.

منطقة أولاد دوري :

يقطن أولاد دوري (إيلاء دوري) في خزان أورشي الواقع في الطريق بين أمبرو حاضرة زغاوة التوار والدور حاضرة زغاوة الكايتقا . ولهم عدة عموديات يشرف عليها كل من العمدة ابكر عبد الله في حلة تتقة والعمدة صالح ابراهيم حسن في حلة اورشي .

هجرة زغاوة الكجمر :

علمنا ان زغاوة الكجمر ينتمون الى الأسرة الحاكمة لدار التوار التى كان لها نظام خاص لتوارث الحكم ، بحيث انه ينتقل تباعاً على نسق متفق عليه منذ الأيام الأولى لتولي التوار على الحكم . فكان مقررا ان يحكم اولاد دقيل اولا ثم اولاد دوري و يليهما عقايا ثم كجمر . ولما كان الدور في الحكم من تصيب كجمر وآل اليهم النحاس حسب الاتفاق الاسرى المسبق استأثر بنو عمومتهم العقابا – الذين أخذوا دورهم من قبل – الحكم لأنفسهم وحجبوا عنهم احقيتهم مما ادخل الطرفان في خلاف مافتئ ان تطور الى نزاع مرير وصراع على السلطة .

ولما وصلت المشاكل ذروتها ولم تؤد جهود الجودية والمصالحة الى حل مرض ومنصف ، آثر الكجمر على الرحيل الى خارج منطقة دار الزغاوة الى بقعة اخرى ينسون فيها – على الأقل – ظلم ذوي القربى وهموم الحكم .. متمثلا فيهم قول الشاعر العربي :–

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على النفس من فعل السنان المهند

وأيضاً :

ألا أن قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذي عهد

وفي نفس الوقت ضرب المنطقة جفاف وقحط شديدين فاختار الكجمر كردفان ملاذا ومنفى اختياريا لهم وهاجروا اليها وحطوا رحالهم بالقرب من بارة ، حيث حاضرتهم كجمر وصاروا يتبعون اداريا لمجلس ريفي بارة . وهناك اصطدموا مع سكان المنطقة الذين اغاروا عليهم فأبادوا تسعة وتسعين رهطا من زغاوة كجمر ولم يبق منهم الا رهط (بيت) واحد يمثل الكجمر الحاليين الذين هم من سلالة ذلك البيت الناجي من المذبحة .

يقول الراوي الشيخ بشير أحمد قسم الله الزغاوي المقيم في قرية أم جر الشرقية بالنيل الأبيض شرقي مدينة الدويم :

" إن هجرة زغاوة الكجمر إلى كردفان تمت قبل ظهور المهدية أي حوالي 1800م . و اقاموا في منطقة كجمر التابعة لبارة. كان تعدادهم حتى عام 1958 حوالى 28 الف نسمة ولديهم 28 شيخاً يمثلون العشائر القبلية للزغاوة . وتجدر الاشارة ان بعضاً من تلك العشائر قد تغير اسماؤها ، بينما بقيت الأغلبية على مسمياتها الأساسية التي وفدت بها من دار الزغاوة في دارفور .

وفيما يلي جدول شامل للتفرعات العشائرية للزغاوة التي تقطن منطقة كجمر :

	إسم فرع العشيرة	الفرع الذي ينتمي إليه بدارفور	مناطق سكناها بمنطقة كجمر بكردفان
1	أولاد دوري	إيلاء دوري – توار	قرى أم دية/مقاحرة/الهجليج /كجمر
2	أولاد دقين	إيلاء دقيل – توار	قرى الهبوبية/ الحقينة
3	أولاد كوي		قرى كجمر /القبورات/ الكتر
4	أولاد شريط		قرى مقاحرة /القريوت/قرقود/ التبون
5	أولاد بطرة		قرى القريوت/جبل القليع/الهبوبية
6	البديات	البديات – توباء	قرى الشوافة–الكتر /الشوافة الثانية
7	تكانجو (تكانيو)	أغلب الظن من الكوبي	قرى الجهانية/بنيوتي/الحليلة/الحريز
8	مرّه	مِره أو ميراء – الكوبي	قرى القبورات/الحريز /الوادي
9	عيلاي		قرى الحقينة/جزء من كجمر /جزء من الهبوبية

نظام الحكم :

نظام الحكم عند زغاوة كجمر وراثي بصورة عامة إلا انهم خرجوا عن هذه القاعدة احياناً لظروف خاصة بهم . والاسرة الحاكمة هي عشيرة أولاد دوري . ويسمى زعيم الكجمر وحاكمها الملك ثم تغير لاحقا إلى العمدة وهو يملك النحاس الذي يعتبر رمز الحكم ، أما حاضرتها فهي كجمر .

تسلسل الحكم :

اول من تقلد زعامة كجمر في كردفان هو الملك التوم ابراهيم من أولاد دوري الذي خلفه ابنه محمداني الملك التوم بعد وفاته ، لكن الحكم إنتقل إلى عشيرة اخرى عندما تولى العمدة احمد رجب تريكاوي مقاليد الحكم ثم اعاد أولاد دوري حكمهم في عهد

العمدة إدريس ودهجو . وآلت السلطة إلى العمدة حسن أحمد الصديق من عشيرة عيلاي الذي ظل في هذا المنصب حتى صفيت الادارة الاهلية في مايو 1969 .

الحرفة الرئيسية :

يمتهن أفراد زغاوة الكجمر حرفتي الزراعة وسعاية الماشية كالابل والضان والبقر شانهم في ذلك شان سائر فروع قبيلة الزغاوة ، كما أن بعضهم يعمل في التجارة التقليدية وتجارة المواشي في كردفان وام درمان .

التقاليد واللهجة :

احتفظ زغاوة كجمر – ولمدة طويلة – بعادات الزغاوة وتقاليدهم ولغتهم "بيري آء" التي لم تستطع الصمود لظروف تلك البيئة الجديدة ، فظلت تنحسر شيئاً فشيئاً إلى أن اضمحلت في أوساط آخر جيلين تقريباً ، وبقي الحنين الدائم إلى الجذور والأهل موصولاً رغم النوى ، كما ظل الكجمر محافظين على هويتهم الزغاوية على الرغم من تأثيرهم وتأثرهم بالقبائل التي تجاورهم .

القرى و الحواضر الهامة لدى زغاوة الكجمر:

كجمر –أم ديه – مقاحرة – الهجيليج – الهبوبية – الحقينة – القيورت –الكتر – القريوت – قردود – التبون – جبل القليع – الشوافة – الشوافة الثانية – الجهانية – بنيوتى – الحليلة – الحريز – الوادى.

(8) زغاوة الكوبي (Koobei)

الأصل و نظام الحكم:

الكوبي فرع من فروع قبيلة الزغاوة ويرجع انحداره السلالي إلى أُصول ليبية ، ويعتبر من أكثر فروع الزغاوة التي لها انتشار مكاني . وتتمتع منطقة زغاوة الكوبي بأهمية خاصة لأنها تتكون من ثلاث إدارات منفصلة ، إثنتان منها في السودان وهما سلطنة الأنقو جيراء بزعمة السلطان دوسة عبد الرحمن وحاضرتها الطينة . وسلطنة الكبقاء بزعامة السلطان حسن برقو وحاضرتها طنضبايه . والثالثة تقع في تشاد وهي

سلطنة الأنقو تبويراء بزعامة السلطان عبد الرحمن حقّار وحاضرتها هريباء . وسنعرض عن الكوبي بالتفصيل في الباب الثالث الذي خصصناه له . والكوبي على الرغم من تعدد إداراتها إلا أنها ظلت وحدة متماسكة مرتبطة كجزء لايتجزأ من قبيلة الزغاوة .



(* السلطان دوسه عبد الرحمن)

نظام الحكم عند زغاوة الكوبى وراثي والحاكم يسمى السلطان . وفي العهود السالفة كان يعاون في تسيير مهام سلطته مجموعة من زعماء العشائر لهم تسميات كثيرة منها :

أ) **إيناء** : كما عند البيري و التبوقى وناوراء وأبو قوناء و ويراء و بورسو .

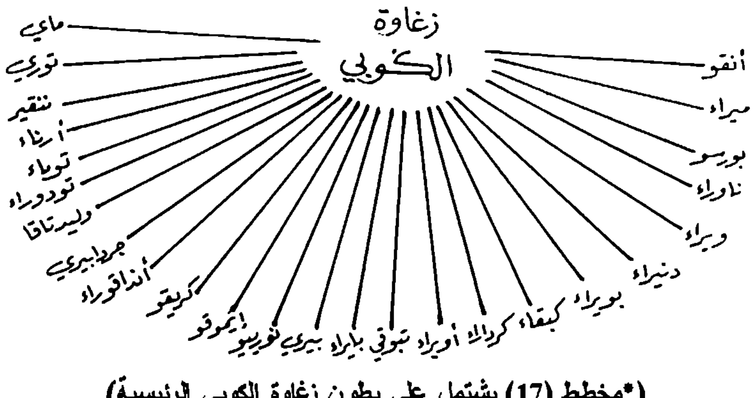
ب) **خليفة** : كما عند الأويراء (خليفة هورون) و السناراء (خليفة ضراء) وعند حداحيد الجيراء : خليفة أرقو خليفة تاوي وخليفة مرجان .

ج) **مقدوم** : كما عند الأنقو مايكاسوراء " مقدوم فضل" فى تشاد و مقدوم سيردو فى السودان.

د) **كاميني** : كما عند الكريقو " كاميني ديقي وكاميني كويوي ".

هـ) **تقانجو** : كما عند الميراء .

وظل الحكم في الجانب السوداني يدار بنظام الأهلية حتى صفيت في مايو 1969 . كما صفيت الادارة الأهلية في الجانب التشادي بعد قيام الثورة التشادية.



(*مخطط (17) يشتمل على بطون زغاوة الكوبي الرئيسية)

- **نرجو أن نشير لى نه توجد بطون اخرى يجدها لقارئ منكورة في مكان آخر من هذا لفصل.**

تعتبر زغاوة الكوبي من أوسع فروع قبيلة الزغاوة تشعيباً في الفصائل والعشائر التي يستحيل وضعها في مخطط واحد ، لذلك رأينا ان تصنفها إلى مجموعات في الباب الثالث .

العموديات :

عموديات دار الكوبي كثيرة لايمكن حصرها بسهولة ، لكن المهم ان المسئولين المباشرين امام السلاطين لهم مسميات محلية متعددة – كما أسلفنا إذ يطلق على بعضهم "إيناء" وبعضهم الآخر " خليفة" ومشايخ القرى "قيني بتاء".

حدود المنطقة :

تحد دار زغاوة الكوبي دار قلا من جهة الشرق ودار القمر ودار المساليت من جهة الجنوب في السودان ، ودار البرقو "وداي" والتاما ودار القرعان والتوبو في تشاد ، ويتضح انها رقعة واسعة من الأرض تقع في نطاق دولتي السودان وتشاد .

معالم دار الكوبي :

القرى والحلال : نود أن ننوه هنا أن بعضاً من المناطق المنكورة مشتركة بين زغاوة الكوبي وزغاوة البديات :

1) الطينة: (تونـاء) – باسـاو (خـزان باسـاو) – بامنـا– باهـاي – باكاقوسـوري– هيـري كوناء – باقوكوناء – حر ما بنزل – توقيى أو بوباية ديب او عشته – بوباية أبو هاي – اوسطاني – شيك – نقوبيه – إيريه – كيرا حلـة أبوبكر – كيرا حلـة ابو ادريس – كيرا حلـة آدم جربو – نوربيه – جبيه ماراء – سيني كوبوك – جبيه تاي – باساو حلة ابو نور – وباساو حلة جاردا بيري – جوبا حلـة أبو بشر – جوبا حلـة خليفة مرجان – تايراحيقو حلـة أولاد إيناء حقار – تياراحيقو حلـة مونقوسى أبو عمر – تياراحيقو حلـة فضل بامبو – قدير منجور باء – قدير مناء – قدير حلـة ابو حيارة – قدير حلـة ميس أبو آمنة – قدير حلـة ابو ابراهيم عامر – قدير موديوء – قدير سوراء جاري – قدير حلـة إدريس قصب – قدير بييه تير – كرينـك – كيرابـاء – شـديب – مـاعون – حوقـاي – اورسينق – جتيراء.



(* صورة لخزان باساو)

(2) طنضباية (طندباي دومباريك) – ناناء – بوربون – سيقيني – تقوروبيه – دمانيك – اوديه – جريرا– أديابيه – سقيباء – حوجي – جيناي – ايني كايرو – سيوبيه – قوزبيه – بيقي بيه .

(3) هريباء – كوباء – بارداباء – تريباء – بورباء – جقراباء – مايباء – اوريباء – بيباء – نقوياء – دوقوباء – سرديباء – سقيباء – تامباء – أورباء – باسقيري – باكوري – باجوسي – باقوكوناء – جوماكوناء – سونودانقا – باكوناء – إيقاء – أورداء – تارياء – قوياء – كوراء – نيو – إير – كي هاي – قاوجي – آرقاقوني – آني – مودور – مسروب – دميسي حوجي – كوراء سيري – أوقناء– سارين – سوقوني – سندي – قولكا – مادي قوندي – كورفو – نانو – أوديه – أودوء – بوروبي – توباء سيقي – دورقوسي – تندارا – ويه – إيريه – توبوي – اري كيدي – قورفوتن تين – جوقي – تريسور – كيروقوي – منهير – أوقوتايرو – كشم ألجني – (خشم الجنة) – نورسى أدياء _ نورسي ماياراء – تورقوء – دارباراء – قيرا سوقوت – جوردوقي – نوي – بوريه – بويري – أم بلات – بيرقى جوك – ام بليل – موردي – باو – مارديبيه – يركي – تولو.

الجبال :

كوبي – مير – نانوسورو – جيري تاقورو– توبوي مانيراء – ويه – نورسي ماياراء – كبقاء – دورقوسي – كيراوي "جبل السنة" – تانداراء – بيباء – أوقوياء – إنيميه – مياء – أوموراء – حروه – كاراء – موردوسورو – ماروقوي – كوبوء – ماردي بيه – واياء – تري كوفوء – إيناء قينى – بقدار ماراء – إيه جوي – ايربيه – بيديه – هامي – تياراحيقو – جويوبيه – حر ما بنزل – ديرونق – أويوء – قاوجي– ايمي سيري – هميسي – جباد – كورقوء – مايكاسو – هاييري – أنداقو – باو.

الأودية :

أبوسنط (ابوسون) إير – اورباء – تريسور – كورنوي – كودوقا – توبوي – قادير – سيراء "وادي عرديب " – سواتتقي – تريباء – جورا مقونوس – منجور باء.

(9) زغاوة منطقة أنكا – (Anka)

مقدمة :

زغاوة منطقة أنكا فرع من فروع قبيلة الزغاوة . وتعاقبت على الحكم فيها ثلاث عشائر هي البيرياراء والمِرّة والنيقيري لذلك رأينا انه من العسير إطلاق اسم احدى هذه العشائر على إدارة منطقة انكا والسبب الثاني ان هذه المنطقة تابعة لإدارة بيري تحت حكم زغاوة الكايتنقا وبالتالي فهي جزء هام لايتجزأ عن تلك الإدارة . ويشبه وضعها تماماً سلطنة الكبقا التابعة لادارة الكوبي في الطينة .

إدارة زغاوة النيقيري "Nigiri "

إن جاز لنا ان نسمي منطقة أنكا بإدارة الزغاوة النيقيري فمردها إلى أن النيقيري هي آخر العشائر الثلاث السالفة الذكر والتي حكمت منطقة انكا فترة طويلة .

الأصل :

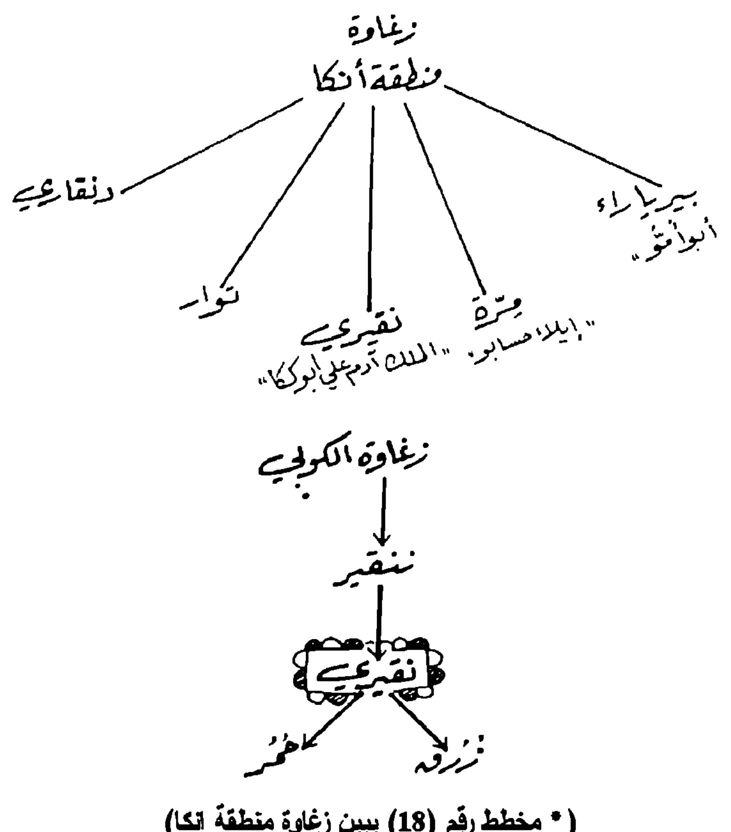
يرجح أن يكون الانحدار السلالس لزغاوة النيقيري متصلاً بقبيلة النتقير المتفرعة من زغاوة الكوبي .

نظام الحكم :

كانت إدارة أنكا تتكون من ثلاثة دمالج والدملج أكبر من الشيخ وأقل درجة من العمدة . لكن تسمية الدملج تغيرت فيما بعد إلى العمدة ثم إلى الملك . وعادة يترأس الدملج عشرة مشايخ . ونظام الحكم غير وراثي إذ تعاقبت على إدارة أنكا ثلاث عشائر (أسر) حاكمة هي البيرياراء وزعيمها أبوأمو (منا) والمرة وزعيمها إيلاء حسابو تور

جقيل والنيقيري وزعيمها الملك آدم علي أبو ككا الذي ظل في الحكم حتى صفيت الادارة الأهلية في مايو 1969 وحاضرة الحكم هي أنكا.

وتتبع إدارة انكا لدار بيري التي يرأسها الملك آدم محمد نور الكايتنقاوي . وفي السنين الاخيرة صارت كل أنكا في دملجية واحدة حيث تركزت السلطة الادارية في عشيرة المرة بينما آلت نيابة الادارة للبيرياراء اما السلطة القضائية فبقيت عند النيقيري .



(* مخطط رقم (18) يبين زغاوة منطقة انكا)

ينتمي زغاوة منطقة انكا الى خمسة "خشم بيت " كما أن ثلث السكان ينحدرون من اصل زغاوة التوار (عقبة و دقين ودوري) . وتعيش فيها أيضاً بعض القبائل العربية وقليل من اولاد ضاد .

عموديات دار زغاوة انكا :

تنقسم إدارة زغاوة أنكا إلى ثلاث عموديات :

1- عمودية ساني شرقي وهي التي تتبع لها أنكا .

2- عمودية قونق.

3- عمودية ديسا.

التجارة :

زغاوة منطقة أنكا شأنهم شأن بقية فروع قبيلة الزغاوة يعنى أفرادها على تربية الإبل والماشية والاتجار فيها . وسوق انكا من الأسواق الهامة في المنطقة . يأتي إليها التجار من مليط ومزبد وأم درمان لشراء الجمال التي يرسلونها إلى أم درمان ومصر وليبيا لبيعها . كما تزدهر فيها تجارة الخراف التي ترسل الى الفاشر ومليط والأبيض والنهود وام درمان وأيضا الى مصر .

القري الهامة في المنطقة :

أنكا – حلة أمرابيه – سيري تير – لبوس – حديله – ام هشاب – قونق وديسه .



(* رجل مسن من الزغاوة يسرج حصانه)



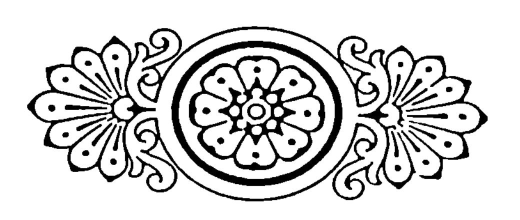
لباب الثالث

زغاوة الكوبي
Zaghawat Al-koobei

الفصل الأول : مقدمة عن الكوبي وتقسيماتها .

الفصل الثاني : النشاط البشري وجغرافية لمنطقة

الفصل الثالث : تاريخ التعليم في دار الزغاوة



الفصل الأول : مقدمة عن الكوبي وتقسيماتها

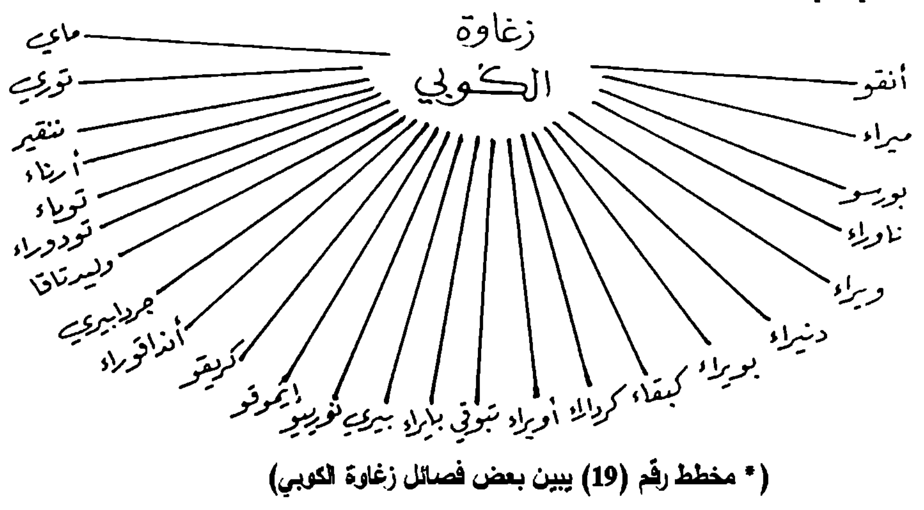
زغاوة الكوبي او الكوباراء فرع من فروع قبيلة الزغاوة – كما رأينا في الباب الثاني من هذا الكتاب– وهي ذات اصول ليبية وقد أخذت اسمها عن جبل " كوبي أو هاء كوب " في شمال شرق تشاد الحالية . وفي هذا الجبل استقر اسلافى الكوبي اول ما دخلوا هذه المنطقة قادمين اليها من ليبيا . ويطلق على الفرد الكوبي اصطلاح الكوباوي او الكوباراء .

وكانت دار كوبي هي المنطقة التي تشغل المساحة الممتدة من دار قلا (كرنوي) شرقا الى دار البديات (بيريبه) والقرعان (فادا وفايا) شمالا ودار وداي غربا في ابشي ودار القمر (كولبيوس) ودار مساليت في الجنينة جنوبا . وهي منطقة شاسعة تتخطى الحدود السياسية الحالية لأن المستعمر الفرنسي والبريطاني لم يدخلا هذا الجزء آنذالك ولم تكن الحدود قد رسمت بين تشاد والسودان الحاليتين ، فأقامت الكوبي سلطنتها التي تعد من اقدم الممالك في افريقيا اذ امتدت من 1410م حتى صفيت الادارة الاهلية ابان مايو 1969 م. وظل الحكم وراثيا ابا عن جد محصورا في فرع الانقو وكانت حاضرتها في جبل كوبي ثم انتقلت الى كوباء التي تقع شرق هريباء ثم شرقا الى منطقة بنيبي Binibeh ودور قوسي Durgoosi فكيراباء Keiaba واخيرا الطينة Attina الحالية .

ان انتقال حاضرة الكوبي كما ورد اعلاه نتج عن عدم الاستقرار السياسي الذي كان سمة هذه المنطقة التي ظلت بين الشد والجذب بين مملكتي وداي في الغرب ومملكة الفور في الشرق – وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل في الباب الخامس والخاص بالتاريخ السياسي للكوبي .

ان لزغاوة الكوبي فصائل عديدة وكل فصيلة تتشعب بدورها الى عشائر "بطون وخشوم بيوت " والمخطط ادناه – لضيق المجال – غير شامل لكل فصائل الكوبي

وسنفرد لها المجال ونشير اليها فيما بعد . تجدر الاشارة هنا الى ان اكبر فصائل الكوبي هي : الانقو والبورسو والناوراء والويراء .



(* مخطط رقم (19) يبين بعض فصائل زغاوة الكوبي)

تقسيمات الكوبي :

تعد زغاوة الكوبي من اكبر فروع قبيلة الزغاوة فصائلا وبطونا ولايمكن وضعها على نسق منتظم ماعدا الانقو التي ينحدر منها احد عشر فرعاً معلوما ، اما باقي العشائر فإنها في الغالب ليس لها بطون اخرى فرعية ماعدا القليلة جدا ولاتتعدى بطونها الثلاثة ، لذلك رأينا ان نضعها جميعا في ثمان فصائل او مجموعات حتى يسهل على القارئ تتبعها بسهولة ويسر . وتجدر الاشارة هنا الى ان اغلب هذه الفصائل تأخذ اسمها من اماكن سكناها الأولى او من شواهد بيئية كالجبال والاودية والاشجار الكبيرة واحيانا من الكائنات الحية ، وهذه سمة – بالضرورة – لكي تميز بها نفسها عن باقي الفصائل من حيث أصلها وحدود مناطق سكناها لذا نجد ان نهايات كثير من اسماء هذه الفصائل تنتهي بالهمزة او الهاء وهما من اكثر الحروف التي تنتهي بها الكلمات في لهجة الكوبي . والفصائل المعنية هي :

الفصيلة الأولى : " الأنقو – Ango "

هـي الفصيلة التـي حكمت الكوبي منذ أقدم العصـور وحتـى التاريخ الحـديث . ويشترك جميع أقسام الكوبي وعشائرها التي لها ملك في جبل واحد هو حجر كوبي " أو هاء كوبى". وتتقسم فصيلة الأنقو الى عشرة بيوت "خشم بيت" والبيت الحادي عشر هو بيت حداد الانتقو وهي كما يلي :

1- جيراء (نسبة لجبل جيري)

2- ميكاسوراء (نسبة لجبل مايكا سوراء)

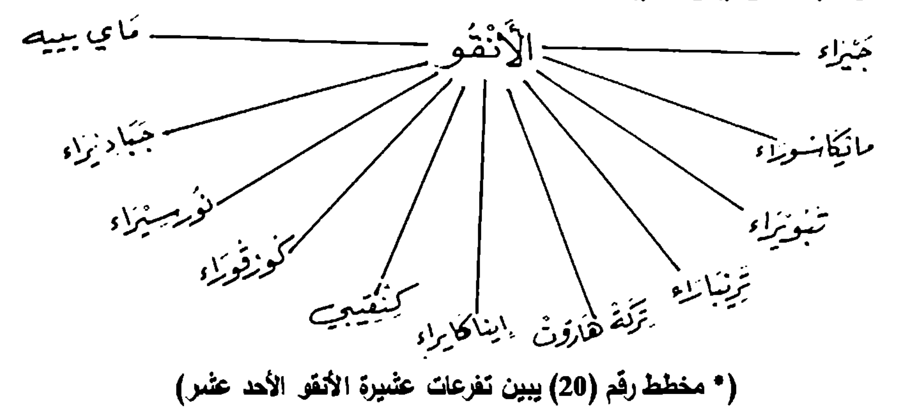
3- تبويراء (نسبة لجبل تبوي)

4- تريباراء(نسبة لبئر تريباء)

5- تركة هاروت (نسبة لهاروت بن هلال "حنان")

6- ايناء كايراء (نسـبة لاينا كـاري) وكلمـة اينا كـاري تتكـون مـن مقطعين "إيناء" وكاري" فكلمة ايناء تعني الملك او الحاكم وكاري معناها جاء فمعنى اينا كاري اذن جاء الملك او الحاكم .

7- كنقيبي (ينسبون الـى القرعان او بديات الارديبه عن طريق امهم) وكلمـة كنقيبي تتكون من شقين "كنقي" التـي تعنـي الشيخ و"بيي" وتعنـي البيت لهذا فإن كنقيبـي تعنـي بيت الشيخ ويقال ان التسمية ناتجة عن ان فارق السن كان كبيرا بينـه وبين بقية اخوانـه الانقو حيث كان يبدو مشيبا .



(* مخطط رقم (20) يبين تفرعات عشيرة الأنقو الأحد عشر)

8- كورقوراء (نسبة لجبل كورقو وينتسبون الى قبيلة عربية من جهة امهم).

9- نورسيراء (نسبة لجبل نورسي شمال شرق هريباء).

10- جباديراء (نسبة لجبل جباد في اورباء).

11- ماي بيبيه (هذا هو حداد زغاوة الكوبي).

الفصيلة الثانية : الكبقاء (Kabga)

نسبة الى جبل كبقاء وتتكون هذه الفصيلة من ثلاث عشائر هي :

1- انايراء (السلطان آدم عبيدة)

2- كونسيراء (السلطان حسن برقو)

3- سعيد كابي (السلطان باري)

وللكبقاء سلطنة عريقة في تشاد ومنطقة طنضباية .

الفصيلة الثالثة : هي أهالي المنطقة قبل نزوح الانقو اليها وتشمل :

1- جودي : وهم اقلية تتواجد في تشاد وينتسب اليهم ايناء كودي يعقوب الذي حكم البايراء .

2- ميراء او مِرة (نسبة لجبل مِر mir المجاور لجبل كوبي) ومعنى مِر بلهجة الكوبي تعني الحنظل . وهم حكام البلد الاصليون قبل استحواذ الانقو على حكمهم حيث الاسطورة تقول بأن الانقو قد اشتروا الحكم من الميراء بسن الفيل بدهاء في وجه سذاجة وغفلة الطرف الآخر .

3- مِيس – mis

4- نوريبو – Norio

5- تودوكورقي- Todokorgei

6- برقيبيرا - Bergibeira-

7- قاراقوروق- Garagoroug

8- تاريارا- Tariara

9- تاقياراء - Tagiara

10- بيباراء (نسبة الى بيباء) بئر الغنم

11- هريباراء (نسبة لبئر هريباء).

الفصيلة الرابعة : وهي أكبر الفصائل عددا بعد الانقو وتشمل :

1- بورسو : وينقسمون الى بورسو هريماراء (نسبة لهريماراء ابيري – اي بوباية البقرة الحمراء). وبورسو هابيراء (نسبة لجبل هابيري – أي الجبل البنى) .

2- ناوراء : وينقسمون الى ثلاثة اقسام (أ) مَردي باراء (نسبة لساكني النقعة وهي الارض الفضاء). (ب) ناوراء مي (زُرْق) . (ج) ناوراء ماراء(حُمْر).

3- ويراء : نسبة لجبل ويه وينقسمون الى فرعين (أ) ابيراء(ب) بوقوجويره ولهم مقدومية واشهر مقاديمهم حمد الله .

4- بيري : وينقسمون الى ثلاثه فروع أ) كيراوراء(نسبة لجبل كيراوي – جبل السنة ب) قاوجيراء (نسبة لجبل قاوجي). ج) ايميراء (نسبة لجبل إيمى سيري بالقرب من كوياء قرب هريباء).

الفصيلة الخامسة :

1. جارد ابيري 2. ننقير 3. بيبيراء

4. همسيراء (نسبة لجبل همسي) 5. أيوقاراء 6. تريباراء

7. توري وينسبون الى عرب العطورية (العطاوية) من ناحية أمهم.

8. ايموقو ومنطقتهم جبل درباء ومن حكامهم ايناء اتيم .

9. وليد تاقاء (أولاد تاكو وهم عرب ، يسكنون جرّاباء غرب الطينة ومنهم إيناء احمد ونصر بنقي

10. اورديو
11. دنيراء (اشتهروا بجمال نسائهم وهم خوال السلطان راكب)
12. كردارار‌اء
13. داربارا‌ء
14. بايراء وهي أربعة اقسام :

أ. اقوباراء (ايناء كودي يعقوب –"سوندو".
ب. تلوراء (ايناء أبتا)
ج. ديرونقداء(نسبة لجبل ديرونق).
د. قروفتاء(نسبة لجبل قروف ، منهم ايناء عبد الله).

الفصيلة السادسة :

1- كريقو وينقسمون الى اربعة اقسام :أ) مارتيني ب) ايوقاراء : نسبة لجبل أويوء (جبل الجير ج) ترونقاراء د) ارسوراء
2- توبوقي (إيناء احمد جوء)
3- بويراء
4- أويراء
5- تودوراء
6- ايراء ومنهم ايناء قورجوء
7- آرنا ء
8- كرداراء
9- جيرباراء
10- موردوراء
11- تاقياراء
12- نقور جوناراء

13- بي ديراء (في الشمال) وأبوديراء (في الجنوب) وينسبون للبرتو من جهة امهم ويسكنون قرب نانو.

14- قوقورداء

15- ايروديراء

16- ساتاراء ومنها أبوهاي

17- كاناقاراء

الفصيلة السابعة :

1- أبوقوناء Abu-guna

2- باوراء Bora نسبة لباو

3- نوقوري Nugoori

4- هابايقي

5- برودوبيراء

6- نوريو n'eoreo

7- قاربو Garbo

8- تورني Torni

9- مايديراء Mydira

10- انداقوراء (نسبة لانداقو كيدياء)

11- بقادا مايراء

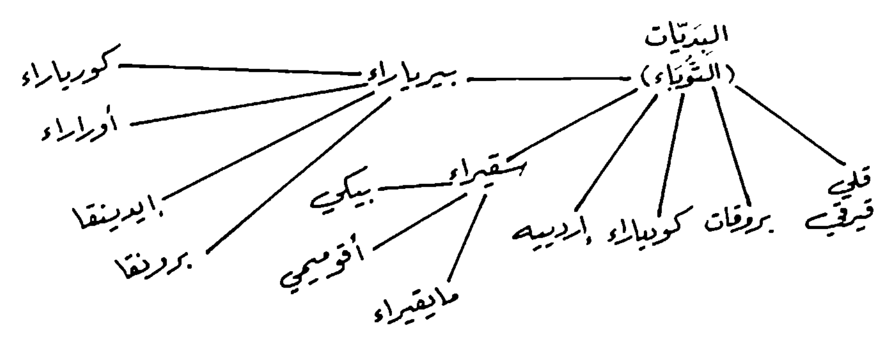
12- ماي اديارا ء

13- مايقيراء (نسبة لمايقي) اشتهروا بأنهم يسبقون الناس في الحرب والاغاثة .

الفصيلة الثامنة :

البديات ذات الصلة القوية بالكوبي وينقسمون الى :

أ) قلي قيرقي . ب) بروقات ج) كورياراء . د) سقيراء و) بيرياراء



(* مخطط رقم (21) يبين البديات ذات الصلة القوية بالكوبي)

الفصل الثاني : النشاط البشري وجغرافية المنطقة

السكان وحرفتهم

أغلب سكان دار كوبي هم زغاوة الكوبي وزغاوة البديات ومجموعات من القرعان وأقليات من قبلائل اخرى . والكوبي متوسطو القامة سمر البشرة ولهم لهجتهم " آء" الخاصة وهي "البيرياء" التي تفهمها باقي فروع قبيلة الزغاوة . ويستخدمون اللغة العربية الدارجة وسيلة للتفاهم بينها وبين القبائل الأخرى . وحرفتهم الرئيسية – شأنهم شأن باقي فروع الزغاوة – رعي الماشية (كالابل والبقر والاغنام وتربية الجياد الأصيلة) والزراعة الموسمية التي تكون في فصل الخريف . ويتخذون من القطاطي منازلا لهم وتبنى الأجزاء السفلية من الحجارة والطين المخلوط بروث الأبقار (الآجر) واحيانا من الاعشاب ، والاجزاء العلوية من قصب الذرة والدخن او البوص ونوع اجود من الحشائش يسمى المرحبيب او المحاريب . ويكون شكل القطية مخروطيا . ولكل بيت باب واحد

يكون – في الغالب الاعم – من جهة الغرب ويكون قصيراً بحيث لايسمح بمرور ضوء الشمس المباشر ولا المطر . أما في المناطق الحضرية فتبنى البيوت على نفس الشاكلة علاوة على المنازل التي تبنى بالطوب الأحمر والآجر.

العاصمة :

للكوبي ثلاث عواصم نشأت بعد التقسيم الذي حدث لتلك المنطقة بمعاهدة سايكس – بيكو عام 1924م بين الاستعمار البريطاني والفرنسي وما اعقبها من رسم الحدود ليتبع الجزء الشرقي للسودان ويحكمه السلطان دوسه عبد الرحمن فرتي وهو من فرع الأنقو – جيراء وقد اتخذ من الطينة Tina او " تيناء" عاصمة لحكمه وهي تقع في اقصى غرب السودان . ويقال ان الطينة اصلها التيلة وهي نوع من الخرز الكبير (الزيتون) تتخذها النساء زينة لصدورهن ونحورهن ، فحرفت الى التينة .. فهي الطينة . أما الجزء الغربي فيتبع لما كان يسمى بالسودان الفرنسي (تشاد الحالية) ويحكمه السلطان عبد الرحمن حقار وهو من فرع الأنقو – تبويراء وحاضرتها هريباء في شرق تشاد . والعاصمة الثالثة هي طنضباية حاضرة زغاوة الكبقاء أو "البيقي – Beegee " التي تقع جنوبي الطينة وحاكمها السلطان حسن برقو.

مناخ المنطقة :

منطقة دار كوبي وماجاورتها من مناطق تقع في نطاق مناخ السافنا الفقيرة وتهطل الامطار فيها في فصل الخريف الذي يمتد لمدة ثلاثة واربعة اشهر من يونيو حتى سبتمبر او اكتوبر وتستمر الخضرة حتى فصل الشتاء "الدرد " فيتوفر الكلأ والماء للماشية وتتم الزراعة الفصلية في هذا الموسم فتزرع الحبوب كالذرة والدخن والسمسم والكركدي والطماطم والبطيخ والفول السوداني . ومعدل الامطار بين 125 و200 مليمتراً في السنة ، الا ان الجفاف يكتسحها صيفا . وتجدر الإشارة هنا الى ان المناطق الجنوبية لدار كوبي تتميز بغطاء نباتي كثيف وتكسوها الأشجار الكبيرة الخضراء والغابات والحشائش الطويلة ، وتكثر فيها الحيوانات المتوحشة والمفترسة كالاسود

والنمور والذئاب والزراف ، والطيور بكل أنواعها ، وفي المناطق الصخرية والتلال توجد النعام والغزلان بانواعها.

التضاريس:

الأراضي سهلية منبسطة تتخللها التلال الرملية والمرتفعات الصخرية الناتئة المتآكلة بفعل عوامل التعرية . وتخترقها افرع صغيرة وخيران تجمع المياه في فصل الخريف لتكون روافد طبيعية واساسية للأودية التي تتجمع في كثير من الاحيان لتصب في الأودية الكبيرة . هذه الأودية تكسوها الأشجار التي تظل مخضرة طول العام.

في فصل الصيف تجف البرك والرهود التي كانت مصادر رئيسية للمياه في فصل الخريف ، فيرحل الاهالي بماشيتهم من قراهم البعيدة الى حيث الاودية الكبيرة التي تحتفظ بمياه جوفية قريبة من السطح . ويشيدون "فرقانهم" – وهي قرى فصلية مؤقتة – في رمال الوادي وتبنى البيوت تحت الاشجار الظليلة ، وهذا الترحال موسمي ويحدث كل عام . ويحفرون الآبار الضحلة ويخرجون الماء بالدلو ، وتسقى البهائم في "تَنْقَلْ" وهو حوض خشبي يصنع من جذوع الأشجار . وينقل الماء في القِرَبْ وتحمل على ظهور الحمير والجمال . وعند الرشاش "بداية الخريف" يعودون الى قراهم الاساسية فيشرعون في تجهيز الأرض استعدادا لزراعتها .

النشاط البشري :

في السابق كانت المرأة في دار كوبي تشارك الرجل في معظم الاعمال اضافة الى عملها كربة بيت ، فتقوم بإعداد الطعام وطحن الغلال " بالمرحاكة" قبل دخول وسائل الطحن الحديثة ، وجلب ماء الشرب بالقرب او الأواني الفخارية من مصادر المياه كالآبار والرهود وسقاية الأبقار والاغنام والعجول ان لم يكن لها اطفال يساعدونها . وتشارك بفعالية في الزراعة والعناية بمزرعتها الخاصة "الجبراكة" علاوة على عملها الاساسي في تربية الاطفال والقيام بواجباتها الزوجية واكرام الضيوف .كما تقوم بدباغة وصنع قرب الماء وبناء الأجزاء السفلية لمنازل الطين وربط الحوش (السور و الرواكيب)

والتسوق الذي كان يتم بالمقايضة ثم دخل التعامل بالنقود فكان الريال المجيدي (التركي) يساوي عشرين قرشاً . وتبيع المرأة مالديها من سمن و"ودك" وذرة و بعض الحبوب "ميقا عسل" لتشتري بقيمتها الشاي والسكر والاواني وبعض الملابس والحلي والصابون.

والرجل – بالاضافة الى قيامه بأعباء الحياة اليومية كالرعي والزراعة التي تشاركه فيها المرأة – فهو المسئول عن حفر الآبار في فصل الصيف وجلب الغلال والكساء من اماكن الانتاج بالقوافل ، كما يعنى ببناء المنازل وحظائر الماشية وترويض الخيل والجمال وصناعة المتطلبات مثل الحبال والدلاء والمشاركة في النفير والفزع كالحرب والزفة ويقوم بتربية الماشية . اما الأطفال فيساعدون امهم في كثير من اعمالها كل حسب مقدرته الجسمانية ومايتلائم مع عمره وجنسه.

الفصل الثالث : تاريخ التعليم في دار الزغاوة

مقدمة :

ان الكلام عن التعليم في دار الزغاوة لايستقيم الا بتتبع مراحل دخول التعليم وانتشاره في كافة أرجاء مديرية دارفور ، كما هو معلوم ان دخول التعليم النظامي جاء متأخراً عن بقية اجزاء السودان لأسباب عدة منها البعد الجغرافي للمنطقة عن مركز القرار في الخرطوم وان الادارات الاهلية لم تكن تحفز أو تشجع المواطنين على طلب العلم و ربما كان تأخر دخول الإستعمار في المنطقة أثره السلبي على توفير المدارس النظامية في أرجاء دارفور النائية . وبعد فتح دارفور عمد المستعمرون غلى فتح عدد قليل من المدارس لاعداد وتخريج موظفين محليين يساعدونهم في ادارة شئون البلاد بالعمل في المجال الكتابي والحسابي الذي كان سيكلفهم كثيراً من الوقت والجهد والمال في تعلم اللغة العربية إذا مااعتمدوا على موظفين إنجليز يجلبونهم من بريطانيا . وبالطبع لم يكن هدفهم نشر الوعي والتعليم .

وفي ظل الحكومات الوطنية المتعاقبة كان حظ دارفور من التعليم قليلاً مقارنة بباقي مديريات السودان ، اذ لم تضع تلك الحكومات في برامجها هذه المشكلة ضمن اسبقياتها وذلك رغم الوعود الكثيرة التي ظل يتلقاها المواطنون ابان الحملات الانتخابية حتى اذا ماانتهت تلك الانتخابات راحت تلك الوعود ادراج الرياح . ويمكننا القول إن فترة حكم عبود (1958- 19649)- رغم ماعليها - حظيت دارفور ببعض طموحاتها في في الخدمات التعليمية ، حيث تم فتح معظم المدارس التي نشاهدها اليوم. اذا كان هذا هو حال التعليم في دارفور عامة فما باله في دار زغاوة في أقصى غرب السودان النائي؟!

الخلوة:

تحتل الخلوة في دارفور - كما في سائر أنحاء السودان- مكاناً بارزاً وهاماً في الحياة الدينية للناس . فهي نواة التعليم الأهلي والشعبي ومركز الاشعاع الديني تعنى بتحفيظ القرآن الكريم للنشئ "بنين وبنات" وتعليم مبادئ الحساب بجانب تدريس علوم الفقه والتوحيد والعبادات والسيرة النبوية الشريفة .

وقد ظلت الخلوة تخرج الدعاة والمشايخ الذين ينشرون الدين الاسلامي على نطاق واسع . اضافة الى ماتقدم فإن الخلوة هي المسجد والضراء " لتكريم ضيوف القرية" ، وفيها يعقد مجلس الشورى وتنظر في الامور المتعلقة بالحياة الشخصية في عقود النكاح واشهار الطلاق وفض النزاعات والدية والميراث .

تعرف الخلوة أيضاً بالمسيد ويقوم بالتدريس فيها "الفكي" أو الفقيه الذي يكون حافظاً للقرآن الكريم .عارفاً بالسنة وأصول الدين الإسلامي الحنيف .

ويكتب الدارسون الذين يسمون "الحيران" أو الماهاجرين على ألواح رقيقة من الخشب تغسل وتطلى بالجير (الطبشور) الابيض ويكتبون عليها بأقلام القصب والبوص . وتستعمل الدواة أو الدواية _ والتي يطلق عليها العمار أيضاً وتصنع من خليط الصمغ

والماء والسكن الذي يغطي سطوح اواني الطبخ – في الكتابة . وتحتفل الخلوة "بالشرافة" عندما "يختم" أحد التلاميذ جزءاً من القرآن الكريم (جزء عم أو يس الخ) .

وكانت أشهر خلاوي دار كوبي خلوة الطينة التي تأسست سنة 1928م وتعاقب على التدريس فيها كل من الفكي علي أحمد عبد الرحمن والفكي اسحق والفكي ابكر سليمان عبد الشافع . وفي سنة 1949 ألحقت مدرسة صغرى أو سبقريد – كما كانت تعرف– بهذه الخلوة ، فعملتا مندمجتين تقومان بتعليم النشء . وعند دخول الاستعمار في دارفور 1916 لم تحظ منطقة دار زغاوة – كسائر مناطق دارفور – بالمدارس للأسباب التي ذكرناها في مقدمة هذا الموضوع.

سياسة مور التنصيرية وأثرها على التعليم عند الزغاوة:

من الأسباب الرئيسية التي أدت الى تأخر التعليم في دار الزغاوة محاولة المستعمرين تنصير المنطقة والمقاومة التي ابداها الأهالي حيالها تركت في نفوس الانجليز نقمة لامثيل لها فصاروا ينتقمون من كل المنطقة بتطبيق سياسة المناطق المغلقة أو المقفولة. وقد تعاقب على شمال دارفور ومركزه مفتشون انجليز ومن بينهم المستر مور 1933 الذي كان يعاقب بالحبس والجلد كل من يأتي إلى كتم مرتدياً زي الحضر كساعة اليد أو النظارة او الجلابية السودانية المعروفة او يحمل في أمتعته كتاباً او قلماً، لاعتقاده ات تلك الاشياء عتبر منقولات حضارية من شانها تبصر الناس وتعلمهم بمافي العالم الخارجي . وفي منطقة الزغاوة حاول المستر مور – الذي كان مبشراً للمسيحية اضافة الى عمله – تنصير سكانها . فكان يوزع للناس الهبات التي ترد إليه من مجلس الكنائس العالمي في شكل مساعدات ومواد تموينية كالسكر والشاي والملابس . وحاول إستمالة الحكام بأن أغدق عليهم الهدايا الغالية والعطايا وكساوي الشرف والسيوف كل ذلك لأجل ترغيبهم لما ينوي البوح به مستقبلاً . فلما خيل إليه أن سياسته وجدت القبول عند الناس ، دعا حكام الزغاوة الى كتم وأكرم وفادتهم ثم عرض عليهم اعتناق المسيحية بدلا عن الإسلام وذكر لهم محاسنها وان منطقتهم ستشهد طفرة

تعليمية واجتماعية وتبنى لهم المدارس والشفخانات . وان التموين ياتيهم مجاناً وسرتاح الأهالي وستؤول لكل حاكم سيارة خاصة به وأنهم سوف يرقون إلى رتب أعلى ومنحهم الألقاب الملكية مثل لورد وسير واتاحة الفرصة للسفر الى بريطانيا العظمى لمقابلة جلالة الملك . ثم اطنب واوفى واخبرهم بان أول كنيسة سوف تشيد في أمبرو ، وبالتحديد مكان الشفخانة الحالية . فطلب منه الحكام مهلة للتشاور والتفاكر ثم إفادته بما يجمعون عليه . فكان لهم ماارادوا ، واتفقوا على رفض الفكرة جملة وتفصيلاً ، واغلظوا له القول ، وأنهم محال أن يتخلوا عن دينهم الاسلامي مهما كلفهم الأمر وانهالوا عليه بالشتائم واعلموه أنه كافر دنس وسوف لن يطاع له أمر . فجن جنون المستر مور واستشاط غضباً فتوعدهم ونقم عليهم وقرر أن يحرم أبناء الزغاوة من التعليم 25 سنة . في هذه الفترة تعرض الزغاوة إلى حملات شرسة من التعذيب على أيدي مور وأعوانه وقد ظلت هذه السياسة سائدة حتى بعد ذهابه من المنطقة لأن من خلفوه من مفتشين انجليز عملوا بمذكراته و وصاياه حتى الاستقلال . ورغم كل تلك الحملات الانتقامية ازداد الزغاوة تمسكاً بالدين الاسلامي الحنيف .

كان فشل مور في تنصير الزغاوة انتكاسة اخرى لسياسة الإستعمار ف دارفور إذ منيت بهزائم مثيلة فيها . وإزاء خيبة أمله كتب مور الى حاكم عام السودان – آنذاك – المستر جون مفي المعروف بنشاطه التبشيري وعدائه الشديد للاسلام ان لا أمل في استمالة الزغاوة واقترح عليه ان يكثف المبشرون جهودهم ويحصرونها في منطقة جبال النوبة وجنوب السودان . واتبع المستعمر الفرنسي مع الزغاوة في تشاد سياسة تنصيرية مماثلة لتلك التي اتبعها الانجليز مع زغاوة السودان ولكنهم ايضا لم يفلحوا في مسعاهم ذلك إلا أنهم نجحوا في تنصير قبائل تشاد الجنوبية وخاصة الساراء .

لم يكن أبناء الزغاوة مكتوفي الأيدي حيال سياسة الحرمان التعليمي التي فرضها مور وأعوانه بل كانت دافعاً قوياً لهم في السعي الحثيث لتلقي العلم في مناطق أخرى من دارفور مثل منطقة دار مساليت ودار القمر و وداي (خلاوي أبشي وشوقو يونق) وجبل مرة ومدينة الفاشر التي كانت مركز اشعاع ديني كبير ذاع صيت خلاويها

على نطاق واسع . " على سبيل المثال نذكر هنا بعضاً من تلك الخلاوي والتي لم يزل بعضها قائمة الى اليوم :

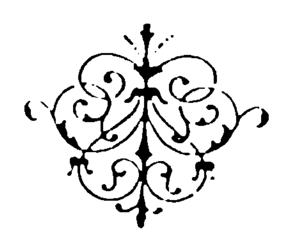
1- خلو ةالفكي سليمان – وأيضاً المسجد
2- خلوة الشيخ التيجاني عبد الماجد – المدرسة التيجانية
3- خلوة الشيخ احمد التيجاني (منقه) – جامع التيجانية
4- خلوة ود نهار – جامع بابكر نهار في برنجية
5- خلوة الشيخ عوض الله – جامع عوض الله
6- خلوة الفكي محكر – جامع الزيادية
7- خلوة الفكي محمد سعيد- حي الطريفية
8- خلوة الفكي مهاجر – جامع أحمد مهاجر
9- خلوة الفكي محمد فضل – حي كفوت
10-خلوة الفكي عبد الله نحلة – جوار المدرسة التيجانية
11-خلوة الفكي حمد النيل – حي المعهد

وكان من الذين درسوا القرآن الكريم وعلومه من آبناء الكوبي في خلوة الفكي سليمان هو الفكي علي احمد عبد الرحمن الذي صار فيما بعد ناظراً في المدارس الصغرى والحاج شرف الدين احمد عبد الرحمن في اوائل العشرينات (حوالي1923م) . بالإضافة الى هذه الخلاوي كانت المساجد تمثل دورا هاما في تعليم علوم القرآن والفقه واللغة العربية علاوة على العبادة . وتوجد في الفاشر عدة مئات من المساجد والزوايا منتشرة فى كل اصقاع تلك المدينة المترامية الأطراف حتى قيل إن من فاتته الصلاة المكتوبة في الفاشر فلا نية له في الصلاة ! وذلك اشارة الى انتشار المساجد في كل صوب.

التعليم النظامي :

إبان فترة الاستعمار لم يحظ كثير من أبناء الزغاوة أي تعليم نظامي وقليل منهم اقتصر تعليمه على الاولي اذ ساعدته الظروف بوعي من ذويهم وتمكنوا من مواصلته حيث وفدوا الى مناطق خارج دار الزغاوة ونهلوا من مدارسها ماتيسر لهم من العلم . ومن هؤلاء الذين التحقوا بالمدارس المزدوجة الأولية بالفاشر الشرتاي التيجاني الطيب واخوه محمود الطيب عام 1934م من زغاوة القلا ومحمود دوسه واخوه بشاره دوسه 1935 من زغاوة الكوبي وابناء الملك محمدين وهم الملك علي ومحمود وصالح من زغاوة التوار كذلك الملك آدم طاهر نورين من زغاوة السويني ومعهم آخرون . ويلاحظ ان هؤلاء جميعهم من ابناء زعماء من ابناء زعماء العشائر . كذلك الحال مع زغاوة الكوبي في تشاد حيث هاجر من اسعفته ظروفه الى مدن بلتين وابيشي وفادا او الى العاصمة فورت لامي (انجمينا) والتحقوا بالمدارس الفرنسية وتخرج بعضهم من الجامعات الفرنسية ومن جامعة الأزهر وتسلموا مناصب هامة في الحكومات التشادية المتعاقبة.

اما التعليم الاوسط والثانوي العالي فكان من نصيب منطقة دار زغاوة الكوبي منه الحرمان التام ، الا ان الطموح الكامن عند ابناء هذه المنطقة دفع بهم للنزوح خارج حدودهم لتلقي العلم، فكان لهم مارادوا.





(* الخلوة وتعليم القرآن)

الباب الرابع

التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة

الفصل الأول : النظام الإجتماعي للزغاوة

الفصل الثاني : الأفراح

الفصل الثالث: المأكولات الشعبية

الفصل الرابع : الحرب ...الثأر والفزع

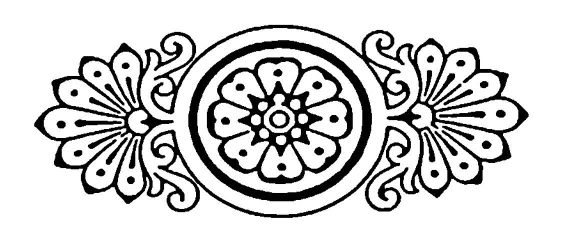
الفصل الخامس: الحداحيد ..لغة الزغاوة

الفصل السادس: الطب الشعبي عند الزغاوة

الفصل السابع : القصة عند الزغاوة

الفصل الثامن : الهمبتة عند الزغاوة

الفصل التاسع : الرقص والغناء عند الزغاوة



مدخل :

يعالج هذا الباب دراسة التراث الشعبي أو ماصطلح عليه بالفلكلور لقبيلة الزغاوة ويشتمل على العناصر التالية : العادات والتقاليد والفنون والآداب والمعتقدات . ونلاحظ أن فروع قبيلة الزغاوة لاتختلف في ما بينها في مجمل عاداتها وتقاليدها ووفنونها رغم اتساع انتشارهم المكاني لأنها نبعت من موروث ثقافي وحضاري واحد . ونتيجة لهذا نجد أن القبيلة قد حافظت – مر العصور – على هويتها المميزة .

ونود – في هذا الباب – أن نتناول بشيئ من التفصيل سمات وموضوعات هذا التراث منذ عهوده الغابرة متتبعين بالدراسة والتحليل أصوله معتمدين على مايرويه لنا الإخباريون ومن خلال معايشتنا وملاحظتنا للحياة اليومية في دار الزغاوة .

ونحاول في هذا البحث أن نستبين ماطرأ على التراث الشعبي من تغييرات نتيجة للتحول البيئي والاجتماعي الذي انتظم منطقة الزغاوة في سني الجفاف التي تميزت بالهجرات الجماعية إلى أنحاء شتى خارج المنطقة ، وذلك في محاولة لتسجيلها وتاريخها لتفادي اندثار معالم هذا التراث في ظل المد الثقافي والحضاري السريع الذي يواجه أهل الريف عند نزوحهم إلى الحواضر والمدن خارج بيئاتهم .

يجد القارئ في هذا الباب الكثير من الكلمات المستمدة من لغة الزغاوة أبقيناها كما هي ، ولاسيما في الفصل الخاص بالأغاني حيث صعب علينا تحاشيها لوقعها اللفظي والموسيقي الذي لايمكن أن يستعاض عنها بترجمة المعنى . ويشتمل هذا الباب على المواضيع التراثية التالية :

الفصل الأول : النظام الإجتماعي للزغاوة

يرتكز النظام الإجتماعي لقبيلة الزغاوة على النظام القبلي ، ويحكمه العرف الذي يضبط السلوك الفردي أكثر من القوانين الوضعية . فيحترم الفرد موروثات القبيلة

ويسعى للحفاظ عليها . ويحظى شيوخ القبيلة مكانة مرموقة وتوقيراً فائقاً لدى أفراد القبيلة وهم أهل المشورة ونفوذهم واسع وقرارهم في فض المنازعات فاصل وملزم .

يطلق على الحكم عند الزغاوة بلفظة "الكيني Keini" ، وتعني الحلو أو الشهيَ! وهو ذو طبع وراثي عند معظم الفروع . وزعيم القبيلة هو الحاكم وينحدر عادة من الفرع الأكبر والأقوى ، ويفترض ان تتوفر فيه قوة الشخصية من حكمة وحنكة و ومكارم الأخلاق كالشجاعة والكرم وميسور الحال ، ومدعوماً بأسرة متماسكة افرادها ذوي شكيمة وبأس.

ولكل حاكم من فروع قبيلة الزغاوة لقب ، فمثلاً نجد كلمة الملك عند التوار في أمبرو ، والأرتاج في أم حراز ، والسويني "الكايتقا" في الدور والنيقيري في أنكا ، والمقدوم عند البديات في بارداباء وكارو والشرتاي عند زغاوة القلا في كرنوي ، والباسي عند زغاوة أولاد دقيل في مزبد ، والسلطان عند زغاوة الكوبي في الطينة وطنضباية في السودان وهريباء في تشاد . ويعاون حاكم القبيلة عمد ومشايخ في تسيير أمور مملكته في جباية الضرائب وجمع الزكوات والعشور من الزراعة ، وحفظ الأمن في القرى وتبليغه عما تستجد من احداث أولا بأول . وله أيضاً حرسه الخاص ومحكمته الأهلية بالاضافة الى السجن المحلي . وكل حاكم يتبع إدارياً لمفتش المركز أو ضابط المجلس الريفي في كتم.

ونلاحظ أن هذا التقسيم الإداري القبلي قد ابقت عليه كل أنظمة الحكم التي تعاقبت على السودان إبتداءاً بالتركية السابقة ، و مروراً بالمهدية فالحكم الثنائي والحكم الوطني بعد الاستقلال وظل فعالاً في الكثير من مناحي الحياة رغم سلبياته حتى صفيت في عام 1969م. أما في العهود قبل الحكم الثنائي كان هؤلاء الحكام يتبعون لمقدوم الشمال الذي هو الآخر يتبع مع باقي المقاديم الثلاثة لسلطان دارفور .

المعتقدات الدينية

من العسير تحديد دخول الاسلام في منطقة الزغاوة ، ولكن الراجح أن الزغاوة كانوا مسلمين عند قدومهم من شمال افريقيا واستمروا متمسكين بتعاليمه ، أما وجود بعض المعتقدات الوثنية فيعزى إلى أن سكان المنطقة الأصليين من حداحيد وخلافهم كانوا لادينيين يمارسون طقوساً وثنية عندما وفد الزغاوة اليهم . وقد أثرت هذه الممارسة بصورة أو أخرى على نقاء عقيدة البعض في العهود السابقة وتجدر الإشارة هنا أن الوثنية لم تتخذ كنظام ديني ، ولكن بعضاً من طقوسها كانت تمارس رغم إيمان الزغاوة بوحدانية الله وآدائهم لشعائر الدين الإسلامي .

ومما يؤكد ماسبق أن ذكرناه أنه لايعرف كل فروع الزغاوة الوسيط الروحي كالسبر والكجور والسحر المنتشرة في بعض أقاليم السودان . ومن الممارسات الوثنية التي يلجا اليها بعض الزغاوة في الماضي تقديم القرابين لبعض الجبال المشهوره كجبل كوبي المنسوب إليه فرع زغاوة الكوبي إذ كانت تنحر ناقة حبلى كل عام على سفحة الجبل ، ويقوم بهذه العملية زعيم العشيرة الذي غالباً ما يكون السلطان . وقد داوم كل سلاطين الكوبي على ممارسة هذه العادة حتى أقلع عنها قبل أكثر من قرن. كذلك الحال مع بقية الجبال وبعض الاشجار لفروع القبائل الأخرى التي تنسب اليها .

ومن المواقف التي يخلط الناس فيها الدين ببعض الممارسات الوطنية النذر حيث يلزم شخص ما نفسه بأن يوجب على نفسه ذبح شاه لله عند سفح الجبل الذي ينتسيب اليه اذا تحققت غاية ينشدها ! ومن الأمثلة أيضاً كأن يدعو أحد مستعينا بجبل أو حيوان أو خلافهما على خصمه ان تحل به مصيبة نكراء.

وماعدا ماسلف ذكره فإن معظم الزغاوة قد حسن إسلامهم وصفى من الشوائب . وكانت منطقة الزغاوة بحكم موقعها الجغرفي الفريد على صلة قوية بمملكة وداي الاسلامية فى ، كما كانت مرتبطة بالحركة السنوسية في المغرب العربي الأمر الذي أخر تغلغل الطائفية الدينية والطرق الصوفية الوافدة من المشرق العربي إلا مؤخراً . والمذهب المالكي هو السائد والمعمول به في الأمور الفقهية . ومما يدل على تأصل الاسلام في

أوساط الزغاوة فشل الإدارة البريطانية إبّان الحكم الثنائي الذى كان يطلق عليه الإنجليزى– المصرى في السودان في محاولتها تنصير منطقة الزغاوة الاستراتيجية عن طريق أحد المبشرية النصارى المتخفين في شخص مفتش شمال دارفور وذلكم المستر مور طاغية كتم.

الفصل الثاني : الأفراح

تحتل الأفراح مكانة بارزة وهامة في حياة الشعوب وتحظى بخصوصية خالصة ، لمالها من طعم فريد ممزوج بالنثير من لحظات الصدق وصفاء النفس وتجلي الروح ، والمشاركة الحسية والوجدانية للآخرين والتحليق في دنياوات المحبة والفرح ، ولما تعد لها من استعدادات في المناسبات الخاصة بها . بعضها تصير وليدة اللحظة فتأتي عفوية وبدون اتفاق مسبق على إقامتها . والمناسبات التي تقام أو تنضوي تحت مظلة الأفراح كثيرة منها :

1.الزواج :

مقدمة : عادة مايتم اختيار الزوجة من القبيلة أو فروعها ويندر أن يخرج أحد من القاعدة فيختارها من قبائل أخرى . ومن غريب الصدف أن الزغاوة – ولاسيما الكوبي – اصبحوا يتزوجون بنات أعمامهم و بنات عماتهم و بنات اخوالهم وبنات خالاتهم الأمر الذي كان في السابق وغير مألوف لديهم.

(أ)إختيار الزوجة :

يقوم الزوج باختيار شريكة حياته التي يرى فيها الميزات والسمات التي تناسبه . ولا يتدخل الاهل في ذلك إلا على سبيل تقديم المشورة ، وغالباً ما تكون نتيجة تلك المشورة صائبة يوافق عليها الفتى ، لأن الزوجة التي تجمع عليها الأسرة تكون لها مكانة خاصة لديها ، وتحظى باحترام كل العائلة وتعيش بين أفرادها معززة مكرمة . والزغاوة – كغيرهم من أهل البادية – لهم أسس خاصة في اختيار زوجة المستقبل لأي من أفراد الأسرة . إذ يرون أن أسرتها لابد وأن تتسم بالأصالة وخلوها من الشوائب وحسن السيرة

والسريرة . وفي الفتاة نفسها أن تتوفر فيها الخلق الخُلق الحميد ، ويفضل أن يكون لها أشقاء ذكور "أخت رجال"!

بعد أن تتفق الأسرة على فتاة بعينها يذهب أفرادها بزيارة أهل الفتاة طالبين يدها من ولي امرها الشرعي . ومن ثم يسألون راي باقي أفراد أسرتها من (إخوة وخالات- عمات وأعمام وأخوال) ليحظوا على الموافقة التامة والرضاء من كل الأسرة لأنهم بصدد ربط علاقة جديدة لا تنفصم عراها في السراء والضراء . وقد يكون طلاب هذه الفتاة اكثر من واحد من قبيلة واحدة او من قبائل شتي او من أسر مختلفة . فحينما يستشيرها والدها أو أخوها أو أمها عن رأيها في المتقدمين لخطبتها تكون الكلمة الأخيرة لها ، فتوافق على الذي تحبه وتختاره بعلاً لها فينسحب باقي الطلاب بطيب خاطر . ويعين موعد لاتمام مراسم الخطبة ، وفي هذا الموعد يتفاوض أهل البنت وأهل الشاب على المهر الذي كان في السابق يدفع بالأبقار اذا كان اهل الشاب ميسوري الحال ويكون متوسط المهر 35 بقرة . وقد يدفع خليط من الماشية كالأبقار والأغنام والجمال والخيل . اما الماعز والضأن عادة لا تحسب ضمن المهر ولكنها تعطى لبعض أهل الفتاة غير الأقربين (لزم) . وقد يدفع أهل الزوج أشياء أخرى كالبنادق والسيوف والنقود حافزاً لنيل رضاء بعض أقارب الفتاة الأقل حماساً لفكرة الزواج منه، وهذا مايعرف بال "ميقرىMigiri " و الذى قد يعنى "المغرى" علماً انه لا تقبل الحمير قط فى مهر الحرة.

(ب) المهور

يختلف المهر أو الصداق إختلافاً بائناً لدى كل فرع من فروع قبيلة الزغاوة ، وأعلاهم مهراً هم البديات إذ يكون المهر بالنوق(40 ناقة) وعند الكوبي مابين 30 و40 بقرة والكاليبا والتوار ومعظم باقي الفروع 12 بقرة (تنية) ، علماً بأن المهور تدفع مقدماً ولايدفع منها بالأجل (مؤخر). ويستعين الخاطب باهله الأقربين في دفع المهر حيث يساهم كل قريب حسب طاقته بجمل او بقرة وهذا مايسمى "عوناء" ويعني العون أو المساعدة . وتجدر الاشارة هنا أن عادة دفع المهور "بالماشية" فد اندثرت وحالياً تدفع نقداً فقط.

(ب) إعلان الخطبة:

عندما تتم الموافقة ، تعلن الخطبة للملأ بالزغاريد وإطلاق الأعيرة النارية في الهواء . وتتبع الخطبة عقد الزواج ودفع المهر" الصداق" . ويتم تخصيص جزء من المهر للعروس ، ويعاد جزء آخر منه للعريس ، فيما يتم توزيع بعضه الآخر على أهل العروس الأقربين (الخال والخالة و العم والعمة).

(جـ) العرس:

يعرف العرس بالسبوع لاستمراره اسبوعاً ، ويعد من أهم مهرجانات الفرح الكبيرة في حياة الناس . وتسبقه استعدادات كثيرة خاصة من جانب أهل العروس حيث يشيدون داراً خاصة للعرس تبعد عدة أمتار بجوار دارهم ويضعون فيها أثاثات قليلة . وتقوم مصصفة الشعر "المشاطة" بتسريح شعر العروس فس أبهى صورة بينما تكون والدتها قد جهزت لها الحلي والزينة التي تتكون من قلائد الخرز "الزيتون والسوميت" والزمام للأنف من الذهب والخلخال أو العرجون للأرجل ، والفرج الله – وهما قرطان كبيران من النحاس – للأذنين ، وغوائش "بتير أبو إبرة " وهي الأسورة المصنوعة من الفضة للمعصمين ، وقلادة ذهبية للعنق والصدر . والمسوحات من الدهون والدلكة والكركار والعطور . كما تجهز سريراً وبرشاً "كوباء" أو أكثر من السعف يسمى دندور او أتَلاَبَاء.

وتختلف هذه التجهيزات من أسرة لأخرى حسب مكانتها الأجتماعية وحالتها الاقتصادية . وتقوم أم العروس أيضاً – بمساعدة قريباتها – بتحضير المأكولات والمشروبات وتشييد رواكيب إضافية لاستضافة العريس واهله طيلة أيام السبوع .

زفة العريس : (بقوراء – سوري Bogura- Sauri–)

على العريس – من جانبه – تحضير الشاي والسكر والعطور وملابس العروس وقريباتها والذبائح . وفي الموعد المعلوم يزف العريس على جواد إلى بيت عروسه ليلاً ويكون في معيته الكثير من أصدقائه واقربائه من الشباب وهم يمتطون جيادهم والفتيات يمشين على الأقدام حول جواد العريس ويطلقن الزغاريد ويغنين للعريس فيما تمسك إحدى قريباته من وقت لآخر بلجام حصانه وتغني أغان تمجد العريس وأسرته وقبيلته

ومآثرها من الشجاعة والإقدام والكرم وطيب الأخلاق والوسامة والجمال .. الخ و يمضي الجميع في مهرجان بهيج ببطء. وقد تكون الزفة مصحوبة "بالنقارة" لدى الكثير من البطون القبائل فيما لا تشارك النقارة بعضها الآخر. وتصدح النقارة بايقاعات أغاني الأعراس فتسمع من مسافات بعيدة تعلو كلما اقتربت الزفة من قرية العروس حتى إذا ما وصل الجمع دار أهل العروس يجدون الباب الخارجي قد قفل بشجرة شوكية كبيرة يصعب اختراقها ، ومن ورائها يقف فتية اقوياء شاهري السيوف والرماح لاستعراض القوة . وهي عادة لاتعني ابداء الشر والنية لايذاء العريس وأهله ، إنما ليظهروا لهم بأن العروس من عائلة شجاعة ولها حرمتها وحماتها . هنا تسكت النقارة والاغاني فيعلن احد أقارب العريس بأنهم يفدون العروس بهدية تليق بها كالبقر والضأن فتعلو الزغاريد مرة أخرى فيفتح لهم الباب بالترحاب.

زفة العروس : (تيني – سوني – Teneh sooni)

ينتظر العريس وصحبه ومعهم قارئ القرآن الكريم مقدم عروسه إليه – وفي منتصف الليل تقريبا تزف من بيت احد أقريبائها في جوقة من النساء مشياً على الأقدام وسط الأغاني والزغاريد . ومن حين لآخر يقف الجمع لتغني لها إحدى قريباتها أو أمها اغانٍ كلها مواعظ وحكم تحثها على الصبر ورعاية زوجها وإكرام ضيوفه و " مسك البيت" وأحياناً في الذم والهجاء إذا م اقصر العريس تجاه أهل العروس . وكثيراً ما تعمل العروس بتلك النصائح . وأيضاً تغني قريبات العريس أغان تنصب في مدح العريس وكريم شمائله كما تمجد ام العروس بانها امرأة مقتدرة "باقوناء" . وعندما تصل الزفة باب دار العرس يقابلها العريس وصحبه بالترحاب فيهدون لصاحبات العروس بعض الهدايا فيسمحن له باستلامها . وهنالك تقرأ سورة يس ويدعو لها الجميع بالتوفيق . والزغاوة في السابق لايستعملون الحناء لذلك تقدم خلطة من العطور والبخور والدهن تسمى "دوي" لتدهن بها أيدي وأرجل العروسين وهي بمثابة الحنة المعروفة عوضاً عنها بالحنة حالياً بالحناء . وبعد ذلك ينفض الجميع تاركين العروسين ينعمان "بليلة الدخلة" .

و من العادة أن يجئ مع العريس طفل يافع من أقربائه لم يبلغ الحلم – لخدمته أيام العرس ويسمى وزير "كوراي" كما وللعروس أيضا وصيفة او وزيرة تقوم هي الأخرى لخدمتها وتسمى "تيني سيراء" . وتختتم مراسيم العرس في اليوم السابع بحلق شعر رأس العريس وتلبيسه زياً جديداً وصنع أحذية بلدية من الجلد لكل من العريس والعروس والوزير والوصيفة "تيقي قيري" وهي علامة أو رمز ودليل على أن العروسين قد دخلا الحياة الزوجية وتأهلا للقيام بدورهم الاجتماعي المتوقع ، وتجدر الإشارة على أن انتهاء طقوس الزواج لايعني نهاية الفرحة ولكنها ايذان باستمرار ليالي السمر والأنس في بيت العرس . فتكثر زيارات الشباب من أصدقاء وصديقات العروسين وأهلهما للتهنئة . وبعد مضي أربعين يوماً على هذا المنوال تنقضي أيام العرس ويمكث العريس مع أهل زوجته فترة قد تمتد إلى سنتين أو أكثر يقوم خلالها بخدمة نسبائه في الزراعة فينادي أهله وأصدقائه للنفير يذبح ثوراً ليتم حشاشة "تنظيف" حقل أهل العروس في يوم واحد مهما كان كبيراً وهذا مايسمى بنفير الحقل "تيبي ايبي" كما يقوم بسقاية البهائم والسفر لجلب الدخن "توء" من اماكن بعيدة ويساعدهم في بيع ثيرانهم في الأسواق وشراء ما يحتاجونها . هذه الخدمة تقدم بكل طيبة خاطر ودون تذمر لأنه صار عضواً في الأسرة وساعدها الأيمن .

وبقدوم أول طفل لهما يطلب إلى خاله بحلق شعر رأس المولود جرياً على ما اعتاد عليه الناس ويبادر الخال باهدائه بهيمة .. ويتوج قدوم المولود بترحيل العروس إلى منزل زوجها في ديار أهله وهذا مايسمى باعطاء البيت "بيبه كيري – – Biyeh keiri) ، فتحمل الدواب بكل احتياجات المنزل الجديد وتركب الزوجة ووليدها جملاً فيما يمتطي الزوج على حصانه وفي معيتهم بعض اهليهم والماشية الخاصة بهم المتبقية من المهر "الصداق" . وعند وصول الركب ديار الزوج يستقبل اهل الزوج الزوجة ووليدها بالحفاوة والترحيب ، وتناخ الركائب في دارها التي شيدت من أجلها ، وتبادر هي باهداء اهل زوجها أدوات و اوان منزلية احضرتها معها من ذويها لتوثيق عرى المحبة معهم ، وتظل مخدومة من قبل أسرة زوجها ولايسمح لها القيام بأي عمل شاق .

ومن مظاهر الإحترام لدى الزوجة أنها لاتنادي أبوي زوجها باسميهما ولاينادي الزوج أم زوجته باسمها ول يأكل معها أو في حضوررها وأيضاً ابوا الزوج لايناديان زوجة إبنهما باسمها لشدة احترامهم لها . لكنهم جميعاً يتبادلون الهدايا الرمزية بينهم لرفع الكلفة . ومن تلك المظاهر أيضا أن يخلع العريس نعاله ليسلم على أم زوجته ولايأكل الطعام كله في بيت نسابته ولو كان جائعاً بل يأكل بعضه فقط . ومن عادة الزغاوة – في السابق– أنهم لايأكلون مع النساء عموماً.

بعض مظاهر الرفض في الزواج :

نسوق هنا بعضاً من مظاهر الرفض التي تصاحب بعض الزيجات والتي غالباً ماتكون نتيجة لتعنت الأهل ورفضهم لمن تحبه إبنتهم وتعتبر من المظاهر النادرة ولكنها كانت تمثل مظهراً من مظاهر الرفض القوية المفعمة بالسلوك العدائي التي تكون نتائجها سلبية على نطاق الأسرة والمجتمع نذكر ثلاث أمثلة منها :

1. يحدث أن يحب الشاب فتاة ويتفقان على الزواج لكنهما يواجهان رفضاً شديداً من أهل أي منهما لسبب أو لآخر يستحيل معه اتمام الزواج بالطريقة الاعتيادية فيتفق الاثنان على الهرب فيقدم الشاب على خطف فتاته والذهاب بها الى بلد آخر ليعقد قرانهما قاض شرعي ، هذا مايعرف "بالجمونقا" أو الجمبكة. مثل هذا الزواج يحدث على نطاق ضيق جداً وغالبا مايكون مصحوباً بمشاكل وتعقيدات أسرية . يرسل على ضوءها الشاب (العريس) الأجاويد الى أهل العروس لإلتماس رضائهم . فيعتذرون لما بدر من ابنهم ، وتنتهي المفاوضات بالتراضي والصفح والتسامح ودفع المهر . فيعود العريس بعروسه إلى ديار أهلها معززة مكرمة ، محملة بالهدايا فتذبح الذبائح وتقام الأفراح والليالي الملاح .

2. في بعض الأحيان ترفض البنت الزوج المفروض عليها من قبل أولياء أمرها إما لفارق السن بينها وبينه او لأنه متزوج من أخرى او أخريات . أو أنه غير كفؤ لما تراها فيه من عيوب ونقائص . وأنها ربما تحب شاباً آخر ترى فيه فارسها المنتظر لكن أهلها

لا يودونـه . وتسمى هذه الحالـة بالبنت الطامحـة "تينـي تاميـه Teney "Tameh اي البنت الرافضة. قد ينجم مثل هذا الرفض من الفتاة قبل عرسها أو بعده . وهناك ملامح ظاهرية تعرف من خلالها ان هذه الفتاة رافضة وهي :

أ) إنها تحرم علـى نفسـها لـبس الحلـي والزينـة وكـذلك العطـور والمسوحات مـن الـدهون طالما ظلت الأسباب التي دعتها الى تلك الحالة قائمة . فتظهر دائماً وعنقها خال من العقود كما و كأنه مظهر من مظاهر الحزن الناتج عن موت احد الاقربين.

ب) تضفر شعرها علـى هيئة حبال كما تفعل المرأة الارملة دلالـة علـى الحزن العميق . كما تضع ريشة النعام في إحدى ضفائر شعرها التي تجاور اذنها.

جـ) تحرص علـى الظهور فـي الأسواق والأماكن العامـة وتغنـي فـي الأفراح أغانٍ حزينـة مليئة بالشكوي والتظلم وتهجو فيها ذلك الشخص المفروض عليها فيذيع صيتها وتنتشر اغنياتها بسرعة في البلد.

د) تظل تلبس الملابس السوداء.

مما تقدم نـرى مـا تعيشـها مثـل هـذه البنـت مـن حالـة الـرفض الناتجـة عـن القيـود الاجتماعيـة ، ومـع موقفهـا المتصـلب واصـرارها الشـديد تحظـى بإشـفاق المجتمـع عليهـا وتعاطفه معها – إن كانـت محقـة – حتـى تفصـل عن ذلك الشـخص غير المرغوب فيه بفسخ الخطوبـة "تيني كايري– Teney Kairi " وقد اشتهرت بعض البنات الطامحات في دار الزغاوة وذاع صيتهن .

3. تعد هذه الصورة من أقوى صور التعبير عن التطرف في الرفض نحو الأسرة بل تتعداها إلى المجتمع الذي يتتمي اليه صاحب المشكلة. وتبرز هذه المشكلة عندما يتقدم شـاب طالبـاً يـد فتاة من أهلهـا ، لكنهم يواجهونـه بـالرفض القاطع وقد يصـل الأمر بهم إلى تهديده علـى عدم التعرض لفتاتهم – علـى الرغم من أنهـا تبادلـه الحـب ولاترضـى بغيره . فيعيش الشـاب نتيجـة لـذلك الـرفض حالـة مـن الكآبـة والاحبـاط . فتقوى رابطـة الحـب بينـه وبين محبوبتـه لدرجـة التطـرف فلايباليـان بأحد ولايحفلان بمـا يقولـه عنهمـا النـاس . ويكون سـلوك الشـاب عدوانيـاً ويجنح للشراسـة والإنتقام . ويمثل اوضـح حـالات

العشق والحب العذرى يهيم على وجهه كصعاليك العرب القدامى ، وقد يجن بحبها ويعيش عيشة الكفاف فينتحل جسمه وتظهر فيه هذه الملامح السلوكية :

أ) يرسل شعر رأسه ولحيته فلايحلقه أبداً – وتشبه حياته حياة "الهيبز" – وتقوم بعض البنات المتعاطفات مع قضيته بتنظيف شعره ودهنه واحياناً إرساله وتضفيره . وفي بعض الاحيان فإنه يحلق رأسه ويبقى منه مايشبه عرف الديك كما يفعل "البانكس" أو قد يرى مايعرف بالقنبور – سوريه –Sorreh"وهو ضفيرة من الشعر تتدلى في مؤخرة الرأس وتشبه ذيل الحصان .

ب) يتزيا دائماً باجمل الثياب لجذب انتباه الناس ولكن بعضاً مما يماثلونه يفضلها متسخة وقذرة لنفس الهدف السابق .

جـ) من شدة تعلقه بمحبوبته ، فإنه لاينام الليل بل يقضيه في التغني بحبها وجمالها وحرمانه منها والأمل في الفوز بها. ويستعين بآلة موسيقية مثل الكوربي (كردنق) أو الأم كيكي (نيني) ومثل هذه الأغنيات ذائعة الشهرة عند الزغاوة . وسنعرض لها في الفصل الخاص بأغنيات الزغاوة . وفي الليالي المقمرة يجتمع اصدقاؤه في داره ليستمعوا الى غنائه في الوقت الذي تقوم فيه الفتيات بعمل الشاي وتقديمه لهم ويعملن كهمزة وصل في نقل اغنيات الحرقة واللوعة هذه الى محبوبته في دار أهلها ، فيما تقوم هي أيضاً بالرد على غنائه في مايشبه المساجلة او المطارحة . قد تنتهي بعض من هذه الحالات بالزواج – وإن طال الزمن – ويبؤ بعضها الآخر بالفشل ، فيتفق المحبان على حرمان نفسيهما من الزواج ابد الدهر ، والشواهد لمثل هذه الحالة قليلة لكنها معروفة في السنين الغابرة .

تعدد الزوجات:

تعمل كل فروع قبيلة الزغاوة – بلا استثناء– بظاهرة تعدد الزوجات حسب ماحددتها الشريعة الإسلامية – أقصاها أربع زوجات – و لارتفاع المهور أثره الفعال إن لم نقل الايجابي – فى الحد من هذه الظاهرة التي تطبق على نطاق ضيق نوعاً ما

ولاقيود للحد منها ، بل تتوقف على الحالة المادية لمن يتوخاها وتنتشر هذه الظاهرة لدى الفئات التالية :

أ) زعماء العشائر والأسر الحاكمة ويتزوجون من عدة قبائل خارج القبيلة لتقوية حكمهم

ب) الموسرين: ويعددون الزوجات لزيادة الإنجاب والتكاثر

ج) الرجل الذي حرمت زوجته من نعمة الإنجاب .. يتزوج بأخرى لعل الله يرزقه بأطفال

د. يتزوج الرجل زوجة اخيه المتوفي للحفاظ على الاسرة والنسب .

وتقبل الزوجة أن تكون لها ضرة أو أكثر بنفسٍ طيبة وكثيراً ما يستشيرها زوجها بنيته في الزواج بأخرى وبالنسبة للتي لاتنجب فإنها كثيراً ما تحث زوجها على الزواج بامرأة أخرى لتتخذ من أبناء ضرتها أبناء لها .

اذا عاد الرجل من السفر وفي عصمته اكثر من زوجة فإنه يحط رحاله في بيت زوجته الكبرى "أول زوجة له " ويبيت أول ليلة هناك ، ومن ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأخريات بالكيفية التي يراها هو .

الطلاق :

يعد الطلاق من الأمور النادرة جداً عند كل فروع الزغاوة ، ربما لأن حياتهم خالية من التعقيدات لاعتبارات العِرض واختلاط الأنساب وعدم التفريط في الملكية الخاصة . وتلتزم الزوجة برد مهرها السابق كاملاً الى زوجها اذا هي طالبت بالطلاق عن طريق المحاكم الشرعية وهذا مايعرف بالنشوز ولكن قلما يحدث ذلك . والأرملة يحق لها أن تتزوج من اسرة زوجها المتوفي وقلما تخرج عنها إذا كانت لها أطفال . وفي الحالات النادرة التي تخرج فيها الأرملة عن هذه القاعدة تتعرض لعقبات من قبل أفراد أسرة زوجها السابق الذين يهددون الزوج الجديد بالثأر منه ويعتبرونه غريماً "بون-Bon " ولا يهدأ لهم بال حتى يبادر ذلك الشخص بدفع الجودية "باديرقي – Badergei " لهم . والجودية عادة عبارة عن جمل أو ثور يدفع فداء لحقن الدماء . واستمرت هذه الحالة حتى لوقت غير بعيد، واستقر الرأي في المجتمع أن من حق الأرملة الزواج ممن تشاء حتى ولو كان خارج أسرة زوجها المتوفي . وشاع مايعرف بال" موت طلاق" ويعنون

بذلك أنه بموت الزوج تصبح الزوجة في حكم المطلقة يمكنها الزواج بعد مضي الفترة الشرعية "أربعة أشهر وعشرة أيام ".

4- "الطهور"الختان : Tairabeh

يحرص أفراد قبيلة الزغاوة على ختان أولادهم قبل سن العاشرة عملاً بالسنة النبوية الشريفة . ويعتبر الطهور من المناسبات الهامة في حياة الناس وتتبع هذه الأهمية من ارتباط الختان بنظرة المجتمع السلبية تجاه من لم يطهر والذي يطلق عليه كلمة " الأغلف " التي تعني النجس .

والمختون يعتبر في العرف الاجتماعي بأنه في صف الرجال ومؤهل للقيام بمهام مثل انكاء البهائم عند الضرورة . ويقوم رجل ذو خبرة جراحية "بصير" بعملية ختان الصبيان التي عادة تتم في الصباح الباكر لاعتقادهم بأن قابلية الجرح للنزف أقل وفي ذات الوقت يكون الجسم أكثر تهيئة لتجلط الدم . والأدوات المستعملة بسيطة وتتكون من السكين الحادة أو موس وشعيرات من ذيل الزراف أو الحصان للخياطة ومسحوق من ثمار شجرة القرض كمطهر ومانع للنزف . ويستعمل لوح خشب شجرة "القفل " الهشة في عملية القطع. وفي المكان المعد مسبقاً ، يتجمع أهل الصبي المختون من الجنسين ويلتفون حوله إظهاراً لدعمه والوقوف في صفه . وتتم عملية الختان وسط مظاهر الفرح والزغاريد التي تحمس المختون على تحمل الألم . وهذه هي الصورة التي كانت تتم بها عملية الختان في وقت لم تكن الخدمات الصحية كالمستشفيات والشفخانات متوفرة . وبعد مضي اسبوعين تتوج عملية الختان بإقامة إحتفالات قد تستمر اسبوعاً . وتسمى الرقصات الخاصة بالمختون بـ "تيراء دنقيت".

أما بالنسبة للبنات فإن الزغاوة ايضاً يحرصون على خفاضهن ماعدا عشيرة أو عشيرتين تمتنع عنها لعادة قديمة عندها . وتتم عملية الخفاض في سرية تامة وتحضرها النسوة فقط . وتقوم بها امرأة خبيرة مسنة ، وتتفاوت درجات الخفاض هذه من فرع قبيلة لأخرى ، إذ تصر بعضها على الخفاض الفرعوني البغيض ، والأغلبية تعمل بما يعرف بخفاض السنة.

الأعياد :

للعيد مكانة خاصة في حياة الزغاوة ، ويحتفلون – شأنهم شأن كافة المسلمين – بالأعياد الدينية المعروفة : عيد الفطر المبارك ، عيد الأضحى والمولد النبوي الشريف . وعند زغاوة الكوبي فالاحتفالات المتبعة في عيدي الفطر والأضحى لا تخرج عن طابعها التقليدي في العهدين العباسي والأموي. ويعلن عن العيد في الليلة التي تسبقه بواسطة طبل كبير "ندر – Neder" فيما تصدح النحاسات ملهبة مشاعر السامعين . ويتوافد الناس من شتى أنحاء السلطنة منذ الصباح الباكر للصلاة . وتخرج الجموع في موكب بهيج مهيب يتقدمه السلطان راكباً جواده في أجمل صورة ويسير من خلفه وجانبيه خدامه وهم يحملون الأسلحة النارية والبيضاء والبيارق متزيين زي المحاربين وهم ينشدون و"يرفعون الجلالة " والشهادتين " لاإله إلا الله ، لاإله إلا الله ، محمد رسول الله " والحداحيد يضربون النقارة فتدوي بأنغام تتفق وجلال المناسبة الكريمة والفرسان يمتطون صهوات جيادهم وظهور إبلهم والمشاة بكامل أسلحتهم والنساء والأطفال في ملابسهم الجديدة وكامل حليهم والجميع ينشدون فتعلو أصواتهم عنان السماء.

وفي المكان المعد مسبقاً للصلاة ، وفي أرض فضاء لاتبعد كثيراً عن الحاضرة الطينة تصلي هذه الألوف الكثيرة في صفوف متراصة خلف إمامهم الذي هو القاضي في نفس الوقت . فإذا قضيت الصلاة يسبِّح الجميع بحمد ربهم ويشكرونه على جزيل نعمائه عليهم ويهنئ بعضهم بعضاً ثم يرجعون الى الساحة الواسعة أمام بيت السلطان ويصطفون على ركائبهم فيمر عليهم السلطان على حصانه يحييهم فتنطلق الأعيرة النارية فرحة وبشرى فيما تضرب النحاس والنقارة ، ويتبارى الفرسان في السباق المعروف بالدّفرة بجيادهم وإبلهم وهم يلوحون بأسلحتهم وسط زغاريد النساء وصيحات المعجبين .



(* بعض أفراد الأسرة الحاكمة لسلطنة الكوبي في الطينة يحتفلون بعيد الفطر المبارك)

وينفض الناس إلى بيوتهم والضيوف إلى بيوت أهلهم ومراكز ضيافتهم ويريح الفرسان ركائبهم ويعودون الى نفس المكان لكي يتناولوا طعام الفطور المقدم من السلطان وسائر سكان الطينة الذين يعتبرون هذه الجموع ضيوفاً عليهم جميعاً . وبعد ذلك يلقي السلطان كلمته وهو جالس على كرسيه ، ونسبة لعدم وجود مكبرات الصوت في ذلك الزمن كان الأمين فضل الله المعروف "بكلام تام" ومن بعده رابح مرسال المشهور "بخشم السلطان" بصوته الجهوري ، بتكرار مايقوله السلطان بصوت عال يسمعه كل الحاضرين وينصب خطاب السلطان في مجمله على تهنئة الناس بالعيد السعيد ويتمنى لهم الخير والتوفيق ومن ثم يقدم إليهم نصائحه في شأن الزراعة وتربية الخيول والزواج والمرعى والسياسة العامة والضرائب والتعاميم الواردة إليه من المركز أو المديرية وماإلى ذلك . ويسمح لمن يريد التحدث عن أي موضوع أو إبداء الرأي فيه ، فيقوم الفصحاء في " لغة الزغاوة" بتهنئة السلطان والدعاء له بأن ينصره الله "الله ينصرك" ويعلن أحدهم مثلاً عن جمله أو حصانه الضائع فيورد اوصافه بأسلوب شيق بليغ واضح ويقدّر الجائزة التي أعدها لمن يُعلمه شيئا عنه . وآخر يعلن عن شيئ ضائع يوجد عنده .. ألخ ولكل إنسان الحق فى أن يقول مايشاء ، وينفض الجميع إلى ساحات

الرقصات الشعبية القبلية المنتشرة في أكثر من مكان للمشاركة في اللعب (الرقص) أو للتفرج ، وتستمر الأفراح أسبوعا كاملاً.



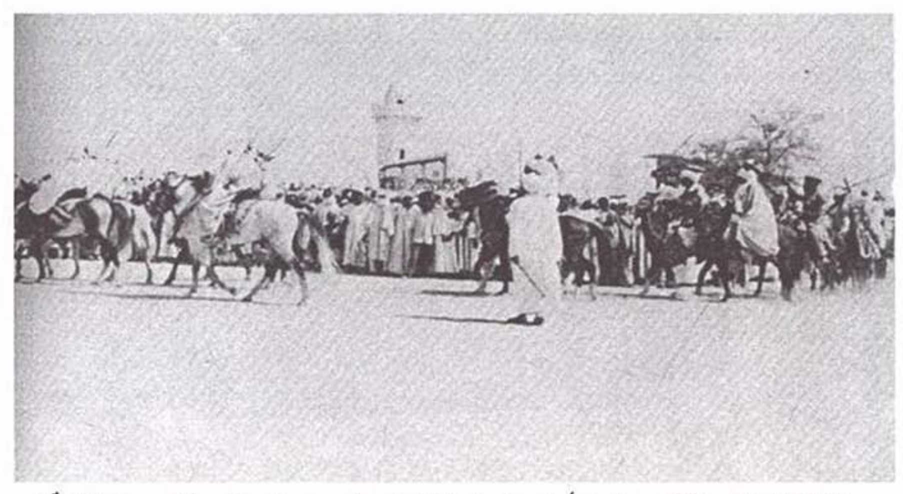
(* فرسان زغاوة الكوبي في العرضة الخاصة بالعيد)

المولد النبوي :

أما الإحتفال بالمولد النبوي الشريف"عيد الكرامة " فيقتصر على تجمع أهل الحاضرة ليلاً في ساحة منزل السلطان وتضاء الفوانيس ويجلس قراء المولد ويتناوبون في قراءة فقرات من كتاب المولد ، بينما يجلس حولهم عامة الناس يستمعون للانشاد ويرددون بعض المقاطع . أما النساء والصبية فيجلسون في مكان غير بعيد مستمعين دون مشاركة في الإنشاد . وخلال هذه الفترة يوزع الشاي والحلوى والتمر على الحضور ويعطر المكان بالبخور . ويختتم الاحتفال بتناول وليمة العشاء وينفض الناس الى منازلهم ، وتجدر الاشارة بأن مظاهر الرقص ودق الطبول التي نشاهدها اليوم في المدن الكبرى أثناء المولد لايعمل بها الزغاوة قط ، ويعزى هذا إلى عدم تعمق الطرق الصوفية وإنتشارها بين الزغاوة.

مايقال في التهنئة بالعيد

عندما يصحو الناس مبكرين إستعداداً لاستقبال العيد فإن أول مايفعلونه هو تبادل التهاني ، إذ يقبلون على بعضهم مهنئين بفرحة مقدمه و داعين بخيره . وغالباً مايقوم الكبار بهذه التهنئة بترتيب معلوم وأسلوب خاص لايخلو من البلاغة والفصاحة . وتنصب معاني التهنئة في الدعاء بطول العمر والسعة في الرزق – بالمال والبنين – والحج لبيت الله الحرام وحسن الخاتمة . وتتضمن على الكثير من صور المحبة بين أفراد الأسرة الواحدة . والمحافظة على العلاقات الطيبة بين الاسرة والجيران وبالتالي تشيع المحبة والتسامح بين الناس . كما أن الاسلوب المتبع في التهنئة غني ومليئ بالصور المأخوذة من البيئة المحلية . ولا تختلف فروع قبيلة الزغاوة كثيراً في التهنئة بالعيد . وهذه الصورة التي ننقلها عن التهنئة بالعيد عند زغاوة الكوبي كمثال . وهناك اختلاف يسير في الضمائر وأسماء الإشارة التي تخص الشخص أو الأشخاص المعتيين والمخاطبين بهذه التهنئة .



(*الاستعراض التقليدي للعيد أمام بيت السلطان دوسه ويبدو في الصورة مسجد الطينة)



(* لحضور لكثيف للأهالي يعتبر من مظاهر لعيد في دار لكوبي ويبدو قصر لسلطان دوسه وسوره لعتيق)

النموذج الأول :

وهو الشائع، ويشمل قطاعات عريضة من الناس والخطاب هنا موجه لجمع المنكر السالم أو جمع المؤنث السالم . ونفس هذه الألفاظ يخاطب بها الرجل أو المرأة . اما التأنيث والتذكير فإن أثرهما غير واضح لغوياً إنما يكمنان في التخفيف والثقل في اللفظ . والجدير بالإشارة هنا أن التهنئة تطول وتقصر حسب مقدرة قائلها ، فما يَرُدُّ المُخَاطَبُ بعد كل جملة بكلمة آمين . ويلاحظ القارئ أن صيغة التهنئة والدعاء تأتي مرتبة ترتيب نشأة الانسان ومراحل نموه ، وما تمر عليه من احداث وما يقدم عليه من أفعال حسنة من المهد إلى اللحد .

	مايقال في العيد بلغة زغاوة الكوبي	مايقابله باللغة العربية

1	آير أوزُو عيد تباردينا دي داء	الحمد لله الذي الحقنا بالعيد سالمين
2	عيدتاء قوارا قيني نكييه	مبروك عليكم العيد
3	تاء داناي تاء اوو نقّينية	بالعافية والسلامة
4	طول العمر نكييه	أطال الله في اعماركم
5	درباي كي نكييه	وسع الله لكم فيما تزرعون
6	ديمينيه كي نكييه	وسع الله لكم فيما تزرعون
7	إيروقو آير تاقيبي سوكو كورو كويبيري نكييه	حقق الله لكم كل أمانيكم
8	باء ببيرو دي نقّينيه	أعزكم الله وجعل اسرة ابيكم سندا لكم
9	كيراء بييرو دي نقّينيه	أعزكم الله وجعل اسرة امكم سندا لكم
10	أباقونو كيبيري نكييه	اطال الله في عمر والدكم
11	اياقونو كيبيري نكييه	أطال الله في عمر والدتكم
12	كيراقونو بور كيبيري نكييه	أطال الله في عمر اشقائكم
13	موروبؤ كوري تكييه	أمدكم الله بالقوة والمنعة
14	تورداء قيري قيتي نكييه	أنعم الله عليكم بالصحة وطول العمر
15	اورداء انيرو هيدي نقّينيه	أجزل الله لكم سعة في الرزق
16	تاقوني انيرو نؤ نقّينيه	انعم الله عليكم بذرية صالحة
17	كورفوراء انير تير ديرقير ونقّيتيه	جعل الله ايامكم وضاءة سعيدة
18	حوري انيرو كي ديرقيرو نقّينيه	
19	جارداء بيه انيرو هيري نقّينيه	حباكم الله الغلبة والنصر المؤزر
20	تودو كمندي "ميرتي" نقّودوريه	وقاكم الله شر الهم والغم
21	باء باقوتير نكييه	
22	كينيقي تودوك تقّينيه	وهبكم الله عمر الشيوخ المتوج بالحلم الحكمة
23	بورقو نوماي نسبيريه	احياكم الله لتروا فرحة عيالكم
	بورقونو بورقو دي ايري نقّينيه	جعل الله بيتكم عامرا بالبنين والبنات

24	بييه تودوري بيه تتبيه	جعل الله حيكم مزادنا بالاهل والجيران
25	قوية كيديربو "كوسو" نكييه	يرزقكم الله من حيث لاتحتسبون
26	خيربلا شر نكييه	ان يمدكم الله بالخير الوفير
27	مكة كعبة بارو بيبيه	ان تنعموا بأداء فريضة الحج
28	جبل عرفات طلعي نسيري	
29	اينيري آري كلمة شهادة بيبيه	وهبكم الله حسن الخاتمة في الحياة
30	أووء نونويراء جنة زُو بشرى نقينيه	ان تكون الجنة مثواكم الاخير
31	ايبي آرارا حَيْ زُو تباردي عيد تيديه	أعاده الله باليمن والبركان
32	مسامح لِلّايْ تيري	المسامحة لله ورسوله
33		

النموذج الثاني :

تردد نفس المقولة السابقة في النموذج الاول للذكور او للمفرد منهم مع هذه الإضافة :

34	باقو دي بارو كيدبيه نكيه	الدعاء له بالزوجة الصالحة
35	بييه دي اوقوايرو بوبيه	الدعاء له بحياة زوجية سعيدة

النموذج الثالث :

تقال التهنئة في النموذج الاول للاناث او المفردة منهن مع هذه الاضافة :

34	بورو دي بارو كيدبيه نكيه	الدعاء لها بالزوج الصالح
35	بييه دي اوقوايرو بوبيه	الدعاء لها بحياة زوجية سعيدة

التحية ومايقال عند الزيارة

من آداب الزيارة عند الزغاوة عدم دخول بيوت الناس دون استئذان اهلها وطرح السلام عليهم .

نورد هنا أمثلة للتحية بلغة زغاوة الكوبي : عندما يصل الزائر باب الدار التي يريد زيارة أهلها يقول :

بييه بارتاء .. نيرياء؟. بمعنى يا أهل الدار هل أنتم موجودون ؟

فيجيبه أهل الدار :

اينق .. أروكيو . اي نعم .. تفضل .

(أ) اذا كان الوقت صباحا قال :

بيه بارتاء ..اوررونقيا . اي صباح الخير يا أهل الدار .

فيجيبونه : اينق .. اورو تيقي .. عوجة تيدو . بمعنى نعم اصبحنا بخير الحمد لله بلا عوجة.

(ب) وان كان الوقت نهارا يقول :

اورو تارقوريا . اي طاب نهاركم.

فيجيبون عليه :

اينق ..اورو تارقوري . نوء نديرو ناقوري ؟ (بصيغة الجمع ويقصد هو وأهله)

اي : بخير .. وأنتم كيف حالكم ؟ (بصيغة الجمع ايضا).

فيجيبهم : عوجة تيدوء . اي الحمد لله نحن بخير – ما فيش عوجة.

(جـ) واذا كان الوقت مساء واراد الزائر وداع اهل الدار قال لهم :

ايرورونيه نيقو . أي تمسون في أمان الله .

او : كييقي .. نيقَيو . أي تصبحون على خير .

الجدير بالاشارة هنا انه من آدابهم في الماضي ان يخلع الزائر حذاءه عند مدخل الدار ويبدأ بالتحية على أهليها إحتراما وتأدباً . وقد يتبع ذلك الجلوس على الأرض . وتختلف التحية وتتباين حسب العمر حيث يبادر الصغير بالسلام على الكبير . فيقترب

منه ليُمَكِّن الأخير من التربيت على كتفه الايسر . وقد يطأطئ رأسه لكي يمسح عليه الكبير دلالة على العطف والمحبة . وهذه الطريقة تسري على الجنسين رجالاً ونساء . اما التحية على زعماء القبائل وحكامها تاخذ طابعا مماثلا لما ذكر ويستثنى من ذلك حاكم زغاوة الكوبي الذي يسلم عليه الفرد وهو يجلس حاسر الرأس حافي القدمين ويضرب راحتي يديه ببعضها ومردداً جملة "الله ينصرك".

اما اليوم فقد تبدلت صور التحية التي اشرنا اليها نتيجة التحول الاجتماعي الذي صاحب التغييرات البيئية وهجرة الناس الي المدن فأخذت التحية تقترب مما نراها في سائر انحاء السودان.

المطر والرعد :

يعتمد الزغاوة اعتمادا كليا على المطر في حياتهم الزراعية والرعوية ، لذلك فانهم يهتمون به كثيرا لما لهم من فراسة ودراية بالانواء واتجاهات الكواكب السيارة وتحركات النجوم . ويمتاز بعض الناس عن غيرهم بالتنبؤ باتجاهات الرياح وموقف الامطار لعام او اكثر ، وما اذا كان الخريف يبشر بالخير او بالقحط والجفاف والمجاعة . ومن أوراق الشجر يعرفون طول الخريف او قصره . ويتفاءلون كثيرا ببعض الأشخاص الذين يعتبرونهم موفورى الحظ دائما في الزراعة فيختارونه "ملكاً" للمطر "بي ايناء" – – Bee Ina " عقب بعض الطقوس وذبح شاة وتفريق لحمها في عدة اتجاهات وتوزيع جزء من اللحم للناس "كرامة" ثم يربط في يده خيط من الحرير ويظل خارج داره عند نزول المطر الذي ينهمر – بإذن الله – بغزارة .

وعندما تشح الأمطار في اواسط الخريف – و يصطلح عليه – " أريقو arigo " فإن اهالي القرية يجتمعون فيما يسمونها بالبلاء او "رفع البلاء" – وبطريقة جماعية يشترون ثورا فيذبحونه ويوزعون كمية من لحمه على كل بيوت القرية و يطهون ما تبقى لتقدم وجبة غداء للرجال الذين اجتمعوا تحت الأشجار الظليلة يقرأون القرآن الكريم وآخرون يسبحون بحمد الله ويالطيف .. ويصلون في جماعة . ويختمون يومهم بالدعاء

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . اما في اعوام القحط فإنهم يصلون صلاة الاستسقاء يسألون الله الغيث .

وارتبط الرعد او الصاعقة "أم طرقاع" أو "بدو" في اذهان بعض الناس بما يحمله من كوارث وحرائق واحيانا يتسبب في موت الناس والبهائم ، لذلك تجدهم يتحاشون ذكر اسمه في الخريف – لاعتقادات قديمة – ويعتقد الزغاوة عموما في السابق مثلا– اذا شخص انكر زوراً ضلوعه فى جريمة سرقة إتهم فيها فإن صاحب الشيئ المسروق يحق له أن يطلب أن يحلف بالرعد الذي يعتقد أن تكون استجابته سريعة وقاضية ورادعة في نفس الوقت ، مما ترك في نفوس الناس ترسبات من الفزع والخشية تجاه الصواعق و الرعود . وعندما يصوت الرعد ويحدث دويا شديدا مصحوبا بوميض البرق الذي يسميه الزغاوة بالسيف ، يمضغ الكبار والصغار ثمرة القرض الجافة ويطلبون الرحمة من الله وابعاد خطر الصواعق ، ولهم سلسلة من الادعية لايتسع المجال لذكرها ، اما الذين اوتوا من القرآن علما فإنهم يقرأون آيات من كتاب الله الكريم من سورة الرعد.

الزراعة والحصاد

يستعمل الزغاوة ادوات تقليدية بسيطة في الزراعة التي يشترك فيها كل افراد الاسرة فيقومون بتنظيف الارض من بقايا زراعة الموسم الماضي ويسوون الأرض ويعدونها للموسم الجديد. وقبل موسم الامطار يدفن بعض الناس بذور الذرة والدخن في التربة الجافة تحسبا لهطول الامطار المفاجئ في اي وقت . ولكن الغالبية العظمى فإنها تقوم بزراعة المحاصيل بعد نزول أول غيث وهي : الدخن والذرة الشامية والبامية والكركدي والبطيخ والفقوس. أما الشمام والبطيخ فتزرع في اواخر فصل الخريف في الاراضي الطينية .

والادوات المستعملة في الزراعة او التيراب– Teirab هي الطورية "هيقيت– Heget " وتشبه السلوكة ، وفي الحشاشة "إزالة الحشائش" فتستعمل الكدنكة او "الدرباي– Darbai " والجراي أو الحشاش . وفي موسم الحصاد تستعمل السكاكين

ومايسمى بال" كنقوء– congo " في قطع قناديل الذرة وسنابل الدخن . ولأن المزارع واسعة وتحتل مساحات شاسعة من الأراضي الرملية "القيزان" ولحمايتها من الدواب والبهائم ، تحاط بزرائب من الشوك .

ويتعاون الناس فى عملية ازالة الحشائش ، اذ يجتمعون في النفير "أبي " ويعملون بصورة جماعية في انجازها بأسرع وقت ممكن . ويعد يوم الأربعاء عطلة ويسمونه "يوم البطالة " لاعتقادهم انه يوم شؤم يمتنع الناس عن العمل فيه ، وخاصة الاربعاء الاخير من كل شهر قمري . وتقوم النساء فقط في عملية ذر الذرة او فصل الحبوب عن سنابل الذرة وتسمى "باقاء كيري –Baga kiri " أو دق العيش على المدق " توء – Tooe " بواسطة المضارب والضرابات "دوقون – Doogoon " فيما تكنس بالمقشة "جوردو djordoe " وتذر بواسطة طبق كيديه –Kedeh " وتوضع في الريكة "كداره – Kadara " او "كيريه –Kereh " وتكال الذرة والدخن بمعيار صغير وهو المد او "الميد – Mid " والكميات الكبيرة بال"سيقير Sigir " وتجب الزكاة في الدخن والذرة عند الزغاوة في عشرة من المكيال الذي يعرف بالسيقير – حوالي 15 أردب – وتنقل الى القرية " قينيه – Geneeh " على الدواب في حاويات متباينة السعة تعرف بالجراب أو " اوردوبور – Urdobor " ومتوسطة تسمى " أوردي urdi " أما القرفة أو " كاراء Kara " فتعد اكبرها وتحمل على الجمال وتخزن في شون كبيرة مصنوعة من الطين على هيئة براميل واحدها دبنقة " نونوء Noonoo " أما الكميات الكبيرة التي تصل الى الزكاة او اكثر فإنها تخزن في السويبه "كوركور Kurkur " أو في صوامع تحت الأرض وتعرف بالمطمورة .

وعند الإنتهاء من موسم الحصاد يَكُونُ السلطان قد علم بمدخرات المحصول لدى الناس عن طريق مشايخ القرى ، فيرسل مندوبيه اليهم لجمع الزكاة والعشور والفطرة وهي كميات عينية من الذرة والدخن تخرج للسلطان كل عام.

إحضار الماء وجمع الحطب :

في فصل الخريف " قييه – Giyeh "، تورد النساء والبنات الماء " بيه – Beeh " من البرك "كي– Kay" والرهود القريبة من القرية ويحملنه فى الجرار " قارو Garoe" ويحفظ الماء في الازيار " تي Teeh" ويستعمل في الشرب اناء مصنوع من القرعة المرة او كأس يسمى "ميساء Misa".

وفي فصل الشتاء "دابو Dabou" أو "الدرد Tarba "حيث تجف البرك تقوم النساء اللائي ليست لهن بنات – مع بنات القرية – بجلب الماء من رهود بعيدة تحتفظ بالماء لوقت طويل . هنا تستعمل القرب وتحمل على الحمير "زوج من القرب" او على الجمال (أكثر من زوجين) . وعندما يكون ماء الرهود غير نقي تعمل النساء على تنقيته بملح السبخة الذي يستخرج من الأرض و يسمى " أورقوي–Orgoi " او بلحاء شجرة المخيط "ماديراء–Madira " أو مادة الشب . أما في فصل الصيف "آيقي – Aigi " يعتمد الناس في مياه شربهم من الآبار "باء– Ba" ويستخرجون الماء بالدلو "كوي– KOI " ويصب في احواض من الخشب تسمى مادي – Madi " لسقاية البهائم او ملء القرب.

أما حطب الحريق فلا تشكل مشكلة في دار الزغاوة لكثرة الغابات في ذلك الزمن ويجمع الحطب " أوروء – Uroo" باليد بواسطة النساء والبنات من أطراف القرية ويكسر من الاشجار التي جفت منذ وقت طويل " أورو – تواري " باليد وراحة القدم وقد يستعمل الفأس " تيفير – tefer" أو الفرار فى شق الكتل الكبيرة – الجدول – "مودور –Moodoor " . والحزمة التي تستطيع المرأة حملها على رأسها تسمى ربطة او كرية "اورو توقوي" وهي تربط بالحبل " إيبوء– Iboe " ، في وسط الزغاريد والاغاني تحتطب البنات ويرجعن الى القرية بنفس مظاهر الفرحة والسرور .

الفصل الثالث : المأكولات الشعبية :

تعتمد كل فروع قبيلة الزغاوة في غذائها على الأطعمة الشعبية التي تنقسم الى خمس مجموعات غذائية رئيسية هي :

1- الحبوب والبقوليات

2- الألبان

3- اللحوم

4- المكيفات والمشروبات

5- ثمار الأشجار

معظم هذه المأكولات الشعبية يشترك في تناولها سكان دارفور بمختلف مناطقهم ومشاربهم ، لما فيها من قيمة غذائية عالية تكون غذاء متكاملاً . ولكي نتعرف عليها يحسن بنا ان نتعرض عليها بشيء من التفصيل .

أولاً : الحبوب والبقوليات:

الحبوب الرئسية هي الدخن والماريق " الذرة بأنواعها من فتريتة ومايو والدبر ..الخ " والضفرة " ؟؟ بأقسامها الثلاثة : دوقوري –أيري – جيقري " والكوريب "بوء" وبوء بوء" وتشكل العصيدة "قو Goe" وتعني القوت – غذاء رئيسيا . وتطهى بالماء ودقيق الدخن . أو المنزوع القشرة " دامرقة damirgah" . وهناك انواع مختلفة من المأكولات يدخل الدخن في صناعتها مثل ال" قوقور Googoor " وهي قراصة الدخن ، و " توقو تادوري – Toogootadori ، وأُم دفان " أبوت " والمديدة " أوموُ– Omoe " والدشيشة " حرقاء –harga وبؤبوُ–Boboe وال" الجير – DjEER وتقوري والبليلة . وتؤكل بانواع مختلة من الايدام (مُلاح) سوُ – sawe كملاح التقلية وملاح الروب وملاح البامية والأمبلوط وملاح الكول "كوال – Kawal- وملاح الحوت "بني كربو" وملاح المرس وملاح اللوبياء وملاح الملوخية والعيير ويدخل في صنع الملاح مسحوق البامية المجففة "الويكة" والشرموط "دقيق اللحم المجفف" والبهارات مثل الكمبة والثوم والكشبرة والقندار "الشمار" والبصل والطماطم المسحون "الصلصة " والملح الزقومي والدومي او الملح الاحمر وزيادة على السمن . وأطيب ملاح هو التقلية . و يدخل العطرون في بعض الماكولات كعصيدة العطرون وملاح البامية.

الجدير بالذكر ان وجبات الطعام الرئيسية اثنتان الفطور والعشاء . وتحتوي المائدة ايضا على أصناف مختلفة من الماكولات . فالخضروات كانت نادرة آنذاك ولكن هناك بدائل عنها من الاعشاب البرية كالخضرة "الملوخية" والتمليكة " نقاي -Ngai والبطاطا البرية (الفقع) والمائية "موقونوء-Moguno والسقيط بانواعها الاسود والاحمر " نقوء بي "(ماراء) ونقؤ كينيه(مبيه) ونبات متسلق يعرف بالعبير - Eyeir وننقيرتاراء والسنه سنه -Seneh Seneh أو السنامكا و" تقورياء ، وتقورو حورو وهي جذر شجرة الفقل الصغيرة .

ثانياً : الألبان

اللبن أو " أوء-Owe " يشكل غذاء متكاملاً ، ومشتقاته متنوعة وكثيرة ، ومصادره تنحصر في الأبقار والنوق والأغنام والنعاج . و يمكن شرب اللبن دون غليه - آنذاك- ولا يسبب الحمى المالطية كما هو الحال في بعض البلاد ، ولكن يفضل شربه بعد غليه جيداً . وهناك مسميات عدة للبن في صوره المختلفة : فهو الليبا "جوي- Joy والحليب " أوء جير-Owejir والبركيب "أوء- كير Owker والروب "أوء تقومو -Owe Togomoe. ومن مشتقات اللبن السمن "بورو حامو - BoroHamo " و الفرصة أو الزبدة "بورو دينيه BoroDenih" ويستعمل الدخن لاستخلاص السمن من الزبدة ويسمى الراسب منه "بورو سورو - Boro Soro " الذي لا يأكله الرجال لاعتقادهم انه يضعف الرجولة ويقعدهم عن ركوب الخيل . ومن السمن ما يستعمل للأكل ومنه ما تتخذ النساء دهاناً لشعرهن . وله استعمالات لأغراض أخرى . وتصنع من اللبن الأجبان ، كما أنه يدخل في العديد من الأطعمة والماكولات كالعصيدة وقراصة الدخن . ويختر اللبن " أوء كارس-owekaris" بثمار نبات يسمى " نبوق- Noboug" وبالعامية الجَبَن جَبَن ، ويدخل هذا النبات في دباغة الجلود.

ثالثاً : اللحوم

تنحصر مصادر الحصول على اللحوم " إيني-Eni" لدى الزغاوة في الآتي :

1- لحوم الابقار والاغنام والجمال :

لم تنتشر الجزارات في دار زغاوة على نطاق واسع وذلك لعدم الحاجة الى شراء اللحوم لسهولة الحصول عليها بطرق مختلفة . والجدير بالذكر ان الزغاوة –آنذاك – قلما يذبحون الابل والابقار او الاغنام لأكل لحومها الا إذا كانت آيلة لأن تنفق لسبب من الأسباب .. ولكنهم كثيرا ما يبحونها للمناسبات الكثيرة التي تمر عليهم وخاصة اكرام الضيوف حيث يقوم المضيف بذبح شاة لهم ولو كان شخصا واحدا ، ويعيب على الزغاوي الذي يأتيه الضيف ولا يذبح له . ويدعو جيرانه واهله في القرية ليتناولوا الطعام مع ضيفه . وتحفظ اللحوم لمدد طويلة بتقطيعها الى شرائح رفيعة "دير" وتعلق لتجف بالشمس "شرموط" واحيانا تتم عملية التجفيف بالتمليح او بمسحها بالرماد الخالي من الشوائب.

2- لحوم الحيوانات البرية :

نسبة لكثرة الحيوانات البرية في الغابات والبراري آنذاك ، فإن الأهالي كانوا يقومون بصيدها بكل سهولة متى ما احتاجوا الى اللحوم . فكانوا يصطادون فلا يستطيع اصطيادها الا رجال قلائل مهرة يستخدمون انواعا مختلفة من الرماح والبنادق وهم على ظهور الخيل . ويستخدم الصيادون الكلاب والاسلحة النارية – بعضها من صنع محلي – والرماح الخفيفة والسفاريك (جمع سفروك) ويشتهر الحداحيد (فصيلة مضطهدة من الزغاوة) بصيد الحيوانات البرية باستخدام الشراك والرماح والحفر التي يعدونها مسبقا في مناطق مختارة ، ويستخدمون أساليب التمويه والخدع والاغاني وبعض طرق السحر في صيدها . ومن ثم يقومون بتقطيع لحومها وتجفيفها وبيعها للناس .

وهناك جانب آخر هام لصيد الحيوانات المفترسة ليس للحومها بل لجلودها او للتخلص منها اتقاء لشرها لأنها تشكل تهديدا طبيعيا للماشية والدواب والناس . وهذه الحيوانات هي الأسد "سوراء – والنمر" اوقي – والذئب او المرفعين " سرديه والخنزير البري " تونقور – الذي يخرب المزارع . ولكل من هذه الحيوانات طريقة في صيدها . لكن اصعبها واشرسها صيداً هو الاسد الذي يتم صيده بصورة جماعية ولا

يصمد امامه سوى الرجال الشجعان الذين يستعملون الحراب الكبيرة والمعروفة بالشلكاية "كايار – والرماح "كوء- وكثيرا ما كان الفرسان يتعرضون للأذى البليغ من الاسد وهم يصرون ويصمدون لقتله مهما كلفهم الامر من ضحايا وجرحى.

3- لحوم الطيور الداجنة والبرية :

تشكل الطيور الداجنة والخلوية مصدرا غذائيا ثابتا وفي متناول اليد . فالدجاج "كودي- المنزلي يتكاثر دون تعب في تربيتها . فالطيور البرية يصطادها الأهالي بطرق واساليب واسلحة مختلفة ، فالعصافير "تورفوء- Tarfoe كالدوري والفرا وأبي الحطب وغيرها تصطاد اما بشراك التمويه او ببندقية الخرطوش ، كذلك الحال بالنسبة لدجاج الوادي " قوروي Goroy والطفاوي "كوراء- Kura فإنها تصطاد بالكلاب او بالشراك المصنوعة من حبال رقيقة قوية تسمى "جوري Juree- من شجرة ال"تيموTimaw- وهي في اعشاشها "دكة Dakka- تحت الأشجار وبين الحشائش والنعام "إيموء Imo" اكبر الطيور حجما لكنه للايستطيع الطيران ، انما عوض عنه بسرعة الركض لذلك يصعب اصطياده وتستعمل الحيلة والتمويه في ذلك بحفر حفرة قرب المكان الذي تبيض فيه الأنثى – لون ريشها بني او رمادي – وتغطى الحفرة بفروع الاشجار والاعشاب وبطبقة رقيقة من التراب وتوضع بيضة واحدة فوقها لتستدل بها النعامة . فما أن تطأ عليها حتى تهوي في الحفرة وتقتل بأبسط ضربة على رأسها . والطريقة الثانية في صيد النعام هي بالخيول السريعة وقد تستعمل الاسلحة النارية ايضا في صيدها . وتصطاد الحبارى " حوء Huoh بالشراك والاسلحة النارية. مثلما لحوم هذه الطيور طيبة فإن بيضها تشكل مصدرا بروتينيا وزلاليا هاما ويتناسب بيض الطيور تناسبا طرديا مع احجامها ، لذلك فإن بيضة النعامة هي اكبرها على الاطلاق . وتستعمل وعائها الخارجي ذو الشكل الجميل في الزينة بالرسم عليها او بتشكيلها بالجلد المشغول الملون والسكسك والودع.

4- لحوم الأسماك :

توجد أسماك الحوت "حوت"-على قلتها – في البرك الكبيرة ذات المياه الساكنة فتؤكل طازجة او مجففة بطريقة التمليح . وتجلب احيانا من مناطق بعيدة ويعمل فيها نوع من الايدام"ملاح" يعرف بملاح الحوت – أو الليبا –Liba.

رابعاً : المكيفات والمشروبات:

أ) الكيف : في الحقبة من التاريخ التي نتحدث عنها كانت المكيفات كالسجائر والتمباك والسعوط (تابا–Taba") لم تكن منتشرة وغير مألوفة في مناطق عديدة من دار الزغاوة وكان القليلون الذين يدخنون السجائر او يستعملون السعوط لايجدون قبولا في المجتمع. لذلك ظل بعضهم يتعاطاها في الخفاء تفاديا للحرج واتقاء لاشانة سمعته في أعين الناس.

أما الشاي فيعتبر أهم أداة للكيف لدى معظم سكان دار زغاوة. ولايخلو بيت منه بل وتقام مناسبات خاصة بشربه وهي جلسات تضم الجنسين ولها فنون وطقوس خاصة بصنعه تختلف من منطقة لأخرى . وللشاي ادواته الخاصة مثل الشعبة"سيبه–Siba" الحديدية ثلاثية الأرجل التي تعلق عليها "الكفتيرة– Kafateira" وهي الابريق الذي يسخن فيه الماء . وبراد الشاي والكبايات التي تختلف في أحجامها وأسمائها مثل ال"درنوس–"Dornos وساق السيل"سكسبيل" والسقاسيك–" Sigasik والشوب و المُشَلَّخَة والسادة وأخرى تعرف بأسماء بعض مطربي السودان المشهورين آنذاك . ويعرف أن اكبرها حجما هي الشوب واصغرها السقاسيك . وللسكر أسماء منها رأس السكر " التليجي " والبغيتة " السكر الناعم . وللشاي ايضا كالشاي اليوغندي والسلون نسبة لجزيرة سيلان (سري لانكا) مهد الشاي. وللسفرة والملاعق اسماء ، حتى النار واللهب والجمر ونوع الحطب المستعمل لاتخلو مما اشتهرت بها من أسماء.
وهناك آداب وطقوس خاصة بطريقة تقديم الشاي وتناوله من الشاربين الذين يجلسون في حلقة (قعدة) تعقد ليلا ويتبارى الجميع بأشعار وبأغنيات خاصة لمدح الشاي ووصفه والفتاة التي تقدمه علاوة على مغامراتهم الشخصية وبطولاتهم. كما أنهم يصنفون شاربي

الشاي الى قسمين فالفرد في القسم الاول يسمى البرمكي او " الحريف – Hareef" وهو المحترف الحاذق الذي ينشد الكيف ويحسن صنع الشاي ويتحلى بآداب شربه . وفي القسم الثاني "الكملكي –Kemkeli" وهو عكس الحريف لايهتم بالشاي ولا يبالي بآدابه وغير مبال بشربه . وللحريفات ذائعات الصيت مجالسهن والحديث عنهن وعن مجالسهن يطول . وننوه هنا أن تسمية البرمكي والكملكي اكثر ذيوعا عند قبائل البقارة ؟

ويفضل الشاي السادة على الشاي بالحليب "شاي البن" وتدخل البهارات في تطييب الشاي . فالشاي بالنعناع تضرب به الامثال وايضا القرفة والقرنفل والحبهان "الهيل" وبعض العطور . أماالقهوة فلها شاربوها ومجالسها الخاصة التي لا تقل اهمية عن مجالس الشاي كما لها ظرفاؤها وحرفاؤها . وقد يجمع بين شربها وشرب الشاي في جلسة واحدة حيث يتناول الشاي اولا ، وتمارس طقوسه ومن ثم يلي شرب القهوة بكامل اركانها!!

(ب) المشروبات: ويمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين: مسكرات وغير مسكرات

1- المسكرات : في الماضي – كانت المشروبات التي تصنع من الغلال كالذرة والدخن والكوريب (بوء) تشكل ظاهرة اجتماعية منتشرة بين الرجال بالرغم من ان النساء يقمن بصنعها . وتقدم في معظم المناسبات – وإن لم تكن كلها– وكان يتعاطاها الناس دون حرج بالرغم من معرفتهم الدينية بحرمتها وذلك جريا وراء اشباع الرغبة ما تجلبها الخمر من اثارة وشعور بالنشوة والشبع . والخمر تسمى" قورو‌ء–Gurue" ويصعب تعليل معناها في لغة الزغاوة . وهي أنواع منها:

أ) المريسة: وتسمى بخو أو "بغو – Bogho" وهي المشروب الشائع وتحتوي على نسبة كحولية متدنية.

ب) العجينة : وتعرف بالدشيشة وهي تؤكل وتشرب "حرقاء–Harga"

جـ) قوم زوط

د) مسكاء دونق كودورونق

هـ) كونيو مورو

2- غير المسكرة . وهي:

أ) مديدة ومشتقاتها ب) أمبيلي- Ambelly ج) كمان جاني د) مسكاء- عسلية Asalia هـ) دكاي Duckai. و المشروبات غير المسكرة قد يتعدى تناولها الرجال حيث يمكن ان تشارك في شربها النساء والاطفال لأنها فى العادة تكون بمثابة المشروبات الغازية كالبيبسي والكولا والسفن أب فهي لاتسكر ولاتذهب بالألباب مالم تضف اليها الخميرة كالذراء او الذريعة !

وللمريسة حلقاتها وشاربوها من السكرجية "السُكارى" الذين يتغنون عند شربها واحدا بعد آخر . ولها آدابها واغنياتها في المدح والهجاء . كما لاتخلو هذه الجلسات من اللحم المشوي "شواء او شية" وتوابعه من الشطة والملح والبصل والمرارة (إتاقة) و"أم فتفت" والمزّة.

ومن الأواني والادوات التي تستخدم لصنع المريسة – ومعظمها تصنع من الفخار "الخمارة-khammara " وأصغر اناء للشرب هو القلة او دولانق " أوء Oue" والمتوسطة تسمى " ميرقاء وصغير يسمى تبوساي "ميسابور Misabour"-والجدير بالذكر ان المشروبات الكحولية الروحية البلدية كالعرقي وماشابهها لم تكن معروفة فى كل دار زغاوة في الحقبة السابقة التي تؤرخ لها .

خامسا : ثمار الاشجار

ونقصد بها الاشجار التي تنمو دونما زراعة او رعاية من الناس. وتنتشر هذه الاشجار المثمرة في كل مكان من دار زغاوة ، لكن لها بيئاتها وفصول نموها والتربة التى تصلح لها . فمثلا بعض الاشجار لا تنمو الا في المرتفعات الجبلية والكثبان الرملية ، وبعضها تكثر في المناطق المنخفضة واخرى في الأودية والخيران ، وبعضها الأخر في شواطئ البرك والمياه الراكدة . ولها مواسم مختلفة تستوي فيها هذه الثمار كمنتصف فصل الخريف وفصل الحصاد "الدرد “ وفصل الشتاء والصيف. وتؤكل هذه

الثمار عوضاً عن الفواكه التي يندر وجودها في المنطقة لاعتبارات مناخية معلومة ، ولعدم اهتمام الاهالي بزراعتها لانشغالهم بالرعي والترحال . هنا نورد بعضاً من هذه الأشجار وثمارها:

تسلسل	الاسم	الثمرة	الشجرة	تسلسل	الاسم	الثمرة	الشجرة
1	نبق	Kabara كبراء	كبابراء	7	-	Songo سوقونوء	سونقوراء
2	كورنو	Keyeh كييه	كيراء	8	-	Turooe توروء	تورداء
3	طنضب	Namar نمار	نمارداء	9	-	Tudoe تودوء	تودوراء
4	مخيط	Madi مادي	مانيراء	10	صمغ	Norgoe نورقوء	نورقوراء
5	قضيم	Nyari نياري	نيابراء	11	لالوب	Giyeh قييه	قيراء
6	قرقضان	Korfoo كورفو	كورفوراء	12	عرنيب	Meder ميدير	ميديراء

تجمع هذه الثمار بواسطة النساء اللائي يقمن في معسكر ويعملن بصورة جماعية ،علما بأن لكل واحدة منهن نصيبها حسب نشاطها وانتاجها من المحصول . ثم يعدن الى قراهن على ظهور الدواب المثقلة بهذه الثمار. وتسمى هذه العملية بـ" كيقي kegeh وهناك مأكولات كثيرة تصنع من بعض هذه الثمار وعلى سبيل المثال فإن الكوندو – Kodoe" ويشبه الكيك يصنع من النبق او الكورنو وكذلك الميقاء عسل Miga – Asal.

الأكلة	الثمرة التي تصنع منها
كوندو	النبق أو لكورنو ويشبه الكيك
ميقا عسل أو "لجبن جبن"	لب لنبق والكورنو مخلوطة بعسل لنبق
قورلو	لب اللالوب وعسله
قيميه	تساق للالوب الاخضر قبل نضجه

العسل الطبيعي:

يطلق الزغاوة كلمة " اينيه Eneh - على عسل النحل و"هاني مورروء Hani-Maroo" على النحل وليس لكلمة العسل مرادف لها في لغة الزغاوة انما تعرف بنفس التسمية ويوجد عسل النحل الطبيعي بكميات صغيرة في جوف الأشجار الكبيرة " أُولّوقاء Ullooga"- وفي اشجار القفل اما الكميات الكبيرة منه فتوجد في المناطق الجبلية بين الكهوف والشعاب وايضا يوجد العسل في بيوت النمل " تورتوداء Turtuda" التي تنشأ بأشكال مخروطية على سطح الأرض. ويستدل على مكان العسل بمدخل النحل ، ويستعمل الدخان لطرد النحل من بيوتها استعدادا لجمع العسل وذلك لاتقاء لسعاتها المؤلمة الخطرة.

تقورياء Togoria

وهي ثمرة شجرة القفل ، كروية الشكل صغيرة الحجم ، تسقط على الارض عند نضجها – فهي لا تؤكل لكن يستفاد منها في صنع القطران " ايقوء "eigoe-الذي يستخدم في دباغة الجلود ، وعلاجاً للبهائم (الغنم والجمال) من مرض الجرب.

الصمغ:

الصمغ العربي انواع مختلفة لتنوع اشجاره ونورده هنا وان لم يكتن ثمرة بالتحديد الا انه يمثل ثروة طبيعية وتؤكل معظم انواع الصمغ في وقت لم تكن تعد بكميات تجارية.

الأشجار التي يستخرج منها الصمغ" نورقوء"

الشجرة "نورقوراء"		ملحوظات
سيه	sih	يسمى الصمغ سبردي
كايدو kaido	اللعوت	بها نوعان من الصمغ 1. طعمه حلو
تويه بيرى- brown	الهشاب	كالسكر
تويه بيري-dark	الكتر	2. لونه غامق يسمى كلّوء وهو لايؤكل

مسوماراء	الطلح	بل يستعمل للحام
منجور	Monjor	
كيديراء	السيال	

النـار

اهتم الانسان منذ بداية نشأته اهتماما عظيما في طريقة ايقاد النار لما لها من اهمية كبرى في الكثير من شئون الحياة . وتتلخص فوائدها للانسان الاول في الجوانب التالية :

1- رأي ان اللحم الذي يأكله نيئا غير مستساغ وتسبب له كثيراً من الاوجاع في المعدة الامر الذي حدى به الى البحث عن طريقة افضل ورأى في تعريض اللحم على حرارة الشمس وتتشيفه املا فيما كان ينشده ولكنه اتضح له ان عملية التنشيف هذه تحتاج لمدة طويلة ولاتتناسب الا لأغراض الحفظ والتخزين . وكان ان وجد ضالته في النار التي اعطته نتائج سريعة في الشواء والطهي .

2- اتخذ من النار وسيلة هامة في عملية التدفئة لأن أغطيته من ورق الشجر والجلود لاتقيه من شدة البرد في الكهوف التي يتخذ منها بيوتاً.

3- كان يعيش حالة من الخوف والفزع وعدم الاستقرار من جراء الهجمات المتكررة التي تشنها عليه وعلى اسرته الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية. لذلك كان يوقد نارا عظيمة خارج مسكنه ليخيف بها تلك الوحوش. وربما اضطر لايقاد نيران كثيرة تمشيا مع عظم الخطورة التي يتعرض لها .

4- اهتدى الى طرد الحشرات القارصة كالبعوض بتكثيف الدخان المنبعث عن النار . كما كان يعاني في مسكنه من الرائحة النتنة المنبعثة من بقايا طعامه او بسبب الرطوبة مما حدى به الى اكتشاف بعض الأعشاب ذات الرائحة الزكية عند وضعها في النار ، فكانت هذه اول عهد للانسان بالبخور .

5- ولما كانت الحاجة أم الاختراع فإن اجدادنا القدماء استهدوا الى الدخان كعلامة ارشادية الى بيوتهم وسط الغابات والاحراش حيث لا توجد طرق تؤدي اليها وايضا للاستدلال به للوصول الى مساكن الآخرين ، كما انهم يعرفون بواسطته نقطة تجمعهم من قرى مختلفة عند قيامهم بعمليات الصيد الجماعية حينما تفشل الأبواق عن إيصال الرسالة المطلوبة نقلها !!

الزغاوة وسبل الحصول على النار والوقود

تسمي الزغاوة النار – "جبيهdjiyeh" وتعني الحارة كما يطلقون ذلك على جهنم. وقد تمكنوا من ايقاد النار بطرق بسيطة لكن نتائجها كانت باهرة وأكيدة . ففي بادئ الأمر عرفوا كيفية اذكاء النار من مصدرين رئيسيين :

الطريقة الاولى:

عن طريق "الفرك" أو الاحتكاك وذلك بإحضار قطعة من خشب شجرة "العقل" الناشفة تسمى "آرسي– arsi" وتحديد نقطة في وسطها ويحرك عليها فرع رفيع من الخشب يسمى (آرسيبور) ذو رأس مدبب بقوة وسرعة براحة اليدين ذات اليمين وذات الشمال حتى يتطاير الشرر ويتساقط على خرقة أو قطعة من القطن وضعت على جانبي الخشبة او تحتها فتمسك بها شرارة ويتصاعد الدخان وتنشأ النار . وهذه الطريقة عملية جدا وسهلة . وهي تنتشر عند الزغاوة الذين يستخدمونها لشواء لحوم الصيد او الطبيخ في الخلاء.

الطريقة لثانية :

عن طريق ضرب حجر يعرف عند الزغاوة "هاء تاقوروء – Ha-tsguroe" على حجر آخر فيتولد عنهما الشرر الذي يتساقط على قطعة قطنية او لحاء بعض الأشجار ويشب عليها النار بسرعة ومن ثم توضع عليها الحطب وتنفخ فيها بالفم او يحرك عليها الهواء"بالهبابة" للمزيد من الاشتعال .

ومن المصادر الاخرى للحصول على النار حجر الزناد والكبريت .

مصادر الوقود :

تنوعت مصادر الطاقة لكن أهمها :-

أ) حطب الوقود (الخشب) ب) روث الماشية

ج) الحشائش د) القصب من الحقول

هـ) بعض أنواع الحجارة الصلبة الملساء

إستخدامات النار (فوائدها) :-

للنار استخدامات كثيرة وفوائد جمة غير الطهي والاضاءة .فإن قبائل الزغاوة تتخذها للتدفئة ووشم الماشية لتمييز ملكيتها من فرع قبيلة لأخر كما أنها تستعمل في عملية الكي علاجا للإنسان والحيوان . كما تنظف بها الأراضي الزراعية بما يعرف "بالتحاريق". أما الدخان فيستعمل لابادة الحشرات والآفات من المزارع كالجراد والفراشات والديدان وكمبيد حشري ضد البعوض والذباب والزنابير .

ومن استعمالات النار ايضا صنع القار "القطران" الذي يسميه الزغاوة " ايقوء Eigoe " وتستخدم في دهن الجلود بقصد تليينها بعد عملية دباغتها . اما الحداحيد فيعتمدون بشكل اساسي على النار في صهر خام الحديد لصنع ادوات الزراعة والاسلحة البيضاء وبعض مستلزمات الخيل وخلاف ذلك من استعمالات النار المعروفة .

الاحتياطيات اللازمة لدرء خطر النار :

مثلما للنار فوائدها الجمة فلها أيضا مخاطرها واهوالها ." والنار عدو" كما يقوله المثل الشائع لذلك يعمل الزغاوة حسابا شديدا وحذرا بالغا لتفادي الحرائق في مقار سكنهم (قراهم) ويحطاطون منها ببناء بيوتهم بعيدة عن بعضها وبطريقة تسهل على اخماد الحريق بالسرعة المطلوبة دون احداث خسائر كبيرة. لذلك تخلو البيوت والحيشان من تعقيدات البناء خارجيا وداخليا .هذا وعلاوة على طلاء اسفل المنازل من الداخل بالطين وروث الابقار الذي يحول دون نشوب الحريق كما يمنع دخول ماء المطر والهواء المباشر كذلك الآفات والزواحف الى المنازل . كما وأن الزغاوة يجيدون الاساليب الجماعية في الفزع حيث يهبون بسرعة ملبين نداء المستغيث لاخماد الحرائق سواء اكان

ذلك في القرية او في المراعي كما يفعلون ذلك في حالة الفزع للحاق باللصوص او لمحاربة الجناة والغزاة .

ومن مخاطر النار ماهي من صنع الإنسان ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة وتحدث نتيجة للاهمال . تلك الحرائق الكبيرة غير المحسوبة التي تخرج عن سيطرة الانسان فتأتي على الأخضر واليابس مما تشكل عاملا اضافيا من عوامل التعرية . ومن العوامل التي ساعدت على التعرية والتصحر حرق الأشجار بقصد الحصول على الفحم .

الحفاظ على النار :

في ذلك الزمن الذي نؤرخ له لم تكن وسائل الحصول على النار من أعواد الثقاب او القداحات وغيرها معروفة ، لذلك كانت عملية الحفاظ على ما يشعلونها من نار باقية على الدوام امرا عسيرا . فابتكروا طريقتين :

الأولى : ايقاد نار عظيمة توضع فيها كتل من الحطب لتظل مشتعلة على مدار الساعة يأخذ سكان القرية حاجتهم منها ، وهي طريقة غير عملية وتنطوي على خطر انتشار الحرائق في البيوت او المراعي والغابات .

الثانية : و هي الأكثر امانا وسهولة ، تحفظ النا بدفن الجمر تحت الرماد الحار وتغطيتها باناء فخاري . هذه الطريقة اضمن للحصول على النار في أي وقت . وتستغرق مدة الحفظ هذه نصف يوم تقريبا ، وتجدد العملية لفترة اخرى ، وهكذا .

هذا – و لأهمية النار سميت قرى بأسماء مشتقة من النار مثل حلة "جييه تاي – djieh Tai" وتعني النار المشتعلة وحلة "جييه ماراء–djieh Mara" أي النار الحمراء . وقد وصف الزغاوة الكريم والفقيه الذي يعلم القرآن بصاحب النار التي لاتخمد "جييقو سوقوروء" . كما أطلقوا على الذين انهت المنية نسلهم وانقرض اصلهم بأن نارهم قد خمدت "جييه كوقو كوريه " وللذين يعانون من الفقر المدقع بأنهم لاحاجة لهم لايقاد النار في بيوتهم "جييه تايرنو" وامثال أخرى لاحصر لها.

السفر

كثيرة هي أسفار الزغاوة التي فرضتها الظروف المعيشية في بيئة البادية . والضرورة تقتضي السفر والترحال لقضاء كثير من حوائج الحياة ومتطلباتها . ووسائل التنقل فى الأسفار عموماً هى الخيل و الجمال أما الحمير فللأسفار القريبة أو الأسواق التي عادة تستغلها النساء – دون الرجال – لحمل البضائع او الركوب . وتتحصر الاسفار في الأتي :

(1) الملاحة "الدومي– doumi

وهي السفر الى بئر العطرون في الصحراء الغربية من السودان لجلب العطرون والملح الذين يستخرجان من باطن الأرض و التمر (البلح) من واحة نخيلة. وتكون الرحلة جماعية وعلى ظهور الابل وتستغرق شهرا او اكثر ولايستطيع تحمل أعباء هذا السفر الا الرجال الاشداء الاقوياء الشجعان الذين عرفوا بقوة التحمل ويتقدمهم خيير بالاتجاهات يستدل بالنجوم ليلاً حيث لاطريق يبين في الصحراء او العتمور ذات الرمال المتحركة ولايشاهد فيها غير السراب . ويفضل السفر ليلاً "السُرى" ويحثون الابل على السير بالغناء والحداء والدوبيت .

(2) الآتياء :atia

وهو السفر الى داخل تشاد – و تحديداً – منطقة العرب البقارة التى تقع فى إقليم البطحاء في قلب تشاد؛ وعاصمته مدينة آتيا التي تبعد عن أنجمينا بنحو 450 كلم؛ لشراء أو مقايضة الجمال بالأبقار الأصيلة المعروفة بكثرة ألبانها وولادتها . وهي تشبه الابقار الهولندية من فصيلة "الفريزيان".

(3) الباجوري :bajoori

وهو السفر الى ما يسميه أهل دارفور عموماً "البحر" ويقصدون "الجزيرة المروية" فى الإقليم الأوسط فى السودان للعمل في الزراعة فى الحواشات وجني القطن كعمال موسميين. وهناك العديد من الاغنيات تمجد هذا السفر والمصاعب التي يلاقيها المسافرون بعيدا عن ديارهم والآمال التي يطمحون في تحقيقها.

(4) المهاجرة mahajira

وهي الهجرة الى مناطق بعيدة تكثر فيها الخلاوي لتدريس وتحفيظ القرآن الكريم . يمكث الشباب "المهاجرين" عند " الفقرة " أو الفقهاء فيما يشبه المدرسة الداخلية يقومون فيها بالاعتماد على أنفسهم في تأمين مأكلهم ومشربهم بالعمل الدؤوب ولايرجعون الا وهم حفاظ للقرآن حاملين للاجازة الشفهية بأن كل منهم صار فقيهاً "فكي" والبعض الآخر ربما آثر أن يدرس في المعاهد والخلاوي المشهورة فى ام درمان والجزيرة و هناك من إنخرط في طائفة الأنصار منذ وقت طويل فحفظ القرآن وراتب المهدى و"جاور" الجزيرة أبا وجامع ودنوباوي منقطعاً في خدمة المهدية.

(4) النشوق "نسيك"Naseek

وهو السفر بالماشية لمناطق بعيدة تتوفر فيها الكلأ والماء لمدة قد تطول شهورا وذلك من اجل تسمينها ويطلق عليها ايضا في مناطق اخرى بالمرحال (المراحيل)

(6)السفر للإستشفاء :

ويقصد به شد الرحال الى المناطق التي تتوفر فيها المياه الكبريتية حيث يسافر اليها بعض الناس بغرض التداوي والعلاج من بعض الأمراض الجلدية والروماتزم. ومن المناطق التي اشتهرت تشمل دار المساليت والتى تسميها الزغاوة بالجنوب" توروءToru" نسبة لاتجاهها من ديارهم ، وجبل مرة وبئر العطرون والقضارف التي ظهرت بها البئر التي سميت الفكى أبو نافورة.

(7)جلب الذرة "توء-Toe":

وهو السفر الى الجنوب "توروء Toru" الذي يقصد به المنطقة الواقعة جنوب دار الزغاوة وتشمل جرجيرة وكولبوس ودار الجبل والجنينة . وكان الزغاوة يسوقون بعض الماشية ويبيعونها في تلك الاسواق ويشترون بأثمانها الدخن والذرة.

(8) التجارة :

لما كان الزغاوة – في ذلك الوقت – يعتمدون اعتمادا كليا على المرعى والزراعة فإنهم كانوا يعملون كثيرا في تجارة ماشيتهم . وكانوا يسوقون الأغنام والخراف والثيران

لبيعها في بعض الأسواق مثل كبكابيه وطويلة -كتم- الفاشر - الجنينية -كولبوس - دار الجبل- مليط وأم كدادة . أما أسواق الإبل المشهورة فهي الفاشر ومليط - النهود- الأبيض - أم درمان - دار الهدندوة في الشرق ودار الكبابيش في كردفان ودارالبطانة . كما كانت تجارتهم مزدهرة مع كل من مصر وليبيا وتونس إذ كانوا يسافرون اليها بإبلهم لمدة قد تصل شهورا سالكين درب الأربعين وصحراء العتمور مرورا بالواحات الداخلة والخارجة ويبيعونها فى أسواق معروفة حتى يومنا هذا ويشترون بأثمانها السجاجيد والبطانيات والاسلحة والاواني المنزلية من النحاس والالمنيوم والملابس.

(9) الحج :

يحرص جميع فروع قبيلة الزغاوة على آداء فريضة الحج . ولايختلفون في ذلك عن سائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . وتسبق كلمة الحاج والحاجة من يؤدي فريضة الحج تكريما واحتراماً .

(10) الاغتراب :

بدأت حقبة جديدة وهامة من تاريخ الزغاوة الحديث. ففي أواخر الستينات وبداية السبعينات من هذا القرن الماضى -كما هو معلوم- اكتسحت منطقة غرب السودان عوامل الزحف الصحراوي والجفاف الذي نتج عن قلة الأمطار . وفي نفس الوقت كان كل من السودان وتشاد يعانيان من حروب داخلية (حرب الجنوب والمشكلة التشادية) وحالة اقتصادية مترديـة ، الأمر الذي جعل الكثير من الزغاوة ينزحون الى مناطق أخرى. وعقدت مؤتمرات وندوات - غير موفقة- لتهجير بعضهم و توطينهم فى مناطق معينة لها سمات بيئية شبيهة بمنطقتهم على غرار ماحدث لسكان وادي حلفا مع فارق الأسباب والظروف . ووصل الشباب الى قناعة أن لاخلاص الا في الاغتراب . وكان ان اتيحت لهم فرص العمل -كغيرهم- في ليبيا التي شهدت طفرة اقتصادية سريعة وهائلة -وهي المجاورة لمنطقتهم في تشاد والسودان ولأجدادهم صلة وثيقة بها - فاستوعبت هذه الأيدي العاملة التي اندفعت اليها لتعمل بهمة في البناء والتعمير و في قطاع الشركات واضعة نصب أعينها الظروف التي دفعتهم الى هذا الإغتراب . وكان

الرجال يقطعون تلك الصحراء اللامتناهية على ظهور الإبل ولأيام عديدة يتعرضون فيها للاهوال والجوع والعطش وماتت قوافل ضلت طريقها في الصحراء.

وشهد شمال دارفور انتعاشا اقتصاديا هائلا فإزدهرت التجارة بينه وبين ليبيا. وعاد هؤلاء المغتربين الزغاوة ليكوّنوا قوة اقتصادية يحسب لها حساب . وفي ظل هذه الطفرة تغير نمط الحياة لدى قطاعات عريضة من المجتمع . وصاحبت هذه النقلة الحضارية الجديدة الكثير من العادات تمثلت في العديد من مناحي الحياة الاجتماعية المختلفة كالزواج ودور السكن ، وبرز في المنطقة ايضا ماعرف بأدب الإغتراب ، وأغان من لون جديد تمجد المغتربين في ليبيا مما تحفز الآخرين وتحثهم على اللحاق بهم . كما تستفز من لم تمكنه ظروفه من السفر ، فكان ان ترك معظم العاملين في القطاع الحكومي وظائفهم ولحقوا بأقرانهم وذلك لإقتناعهم بأن المردود المادي من عملهم في الوظيفة لايفي بمتطلبات الحياة والتزاماتهم الاسرية والاجتماعية .

ان حالة الاغتراب هذه فتحت آفاقاً جديدة للزغاوة مكنتهم من الاتصال والاختلاط بشعوب العالم وسافر الكثيرون الى دول اوروبا وشمال وغرب افريقيا وامريكا الوسطى وعمل بعضهم في قطاع النفط في فنزويلا . واتيحت لهم فر ص العمل في دول الخليج وشبه الجزيرة العربية كالمملكة العربية السعودية والكويت والعراق واليمن. وحفزت الكثير من الشباب على مواصلة تعليمهم في الجامعات والمعاهد في الخارج فكانت لليبيا والجمهورية العراقية قصب السبق في اتاحة الفرص لهم في هذا المجال. ومن ثم دول أخرى خارج النطاق العربي .

الأتراح:

يطلق الزغاوة على الوفاة كلمة "ايني –Enih " وهي أس الحزن. ولا يمارسون أية طقوس عند وفاة احد ولاتختلف مراسم الجنازة من الغسل والصلاة والدفن مما هي عليه في سائر بلاد المسلمين . ولايقيمون بناء أضرحة او قبابا(جمع قبة) على القبور ولايكتبون على شواهدها اسماء الموتى قط .

وعندما يموت أحد الأفراد يجتمع الناس فيغسل جثته طائفة منهم ويكفنونها ثم يحملونها في سرير خشبي على الأكتاف حتى يصلون المقابر فيصلون عليه و يدفنونه . ومن ثم يعودون الى دار المتوفي فيتسابق أقرباؤه .. كل يأتي بذبيحة . ويجتمع حفظة القرآن الكريم وقرآؤه فيختمونه ، والذين لايحسنون قراءته يسلمون ويحوقلون ويذكرون الله باسم الجلالة(لاإله إلا الله) والتسبيح بالدعاء (سبحان الله والحمد لله والله أكبر) عدة آلاف من المرات وبالطيف مائة واربعة وعشرين ألف مرة . ويترحمون فيها للميت ويهبون ثوابها له بأن يغفر له ذنوبه ويدخله مدخل صدق مع النبيين والشهداء وان تكون الجنة مثواه.

وتوزع لحوم الذبائح على المساكين والضعفاء كما يقدم الأكل والشاي للمعزين . ويقوم الرجال بجمع بعض المال – كل على حسب طاقته – مؤاساة ومشاركة منهم لأسرة المرحوم .

وتقسم تركة المتوفى ميراثا على ما نص عليه الشرع . وعند الحداد تدخل الارملة مايسمى "بيت الحزن" اربعة اشهر وعشرة أيام . ويحق لها الزواج بعد ذلك ، الا انها كثيرا ما تتقيد بالعرف فلا تتزوج الا بعد مرور حول على وفاة زوجها . ويطلق على الأرملة "باقو توقوي Baga Togoi–".

الفأل والشوم

منذ أقدم العصور عرف الإنسان الخير والشر من خلال خبراته في الحياة. فصار الامل يحدوه لبلوغ مايسعده وتفادي مايضره من شر . فكون حصيلة من الثوابت استخلصها من مجموعة احداث فصنف بعضها مؤشرات للفأل والأخرى للشؤم، مثله كحال خبراء الإرصاد الجوية– رغم الفارق العلمي بينهم – الذين يبنون معلوماتهم على التنبؤات المستقاة من احصاءات تكونت لديهم في الماضي . فأصبح لدى الانسان شواهد بيئية ترمز بعضها للتفاؤل والبعض الآخر للتشاؤم . فمن أبرز هذه الشواهد الصيد البري (الغزلان) والطيور وبعض الألوان والرياح والكواكب والنجوم والانسان

بجنسيه صغيراً كان او كبيراً . ولقبيلة الزغاوة مجموعة من الشواهد يتشاءمون من بعضها ويتفاءلون من الاخرى.

التفاؤل :-

اول ما يتفائل الزغاوة به هو اللون الأبيض وكل شيئ يدخل اللون الأبيض في تكوينه او تركيبه لذلك فإن اللبن خير مايتفاءلون به . فيقولون في الامر "أبيض لبن" أي لاشائبة فيه ، كما يتفائلون بالخيول والاطفال والهلال عند مطلعه مائلا ناحية الجنوب وظهور النجمة المسماة "تلاف" في اتجاه الجنوب ايضا لأن ذلك بشير خير للأمطار والزراعة والرخاء وطول عمر الناس . و يتفاءل الزغاوة أيضا بالغزلان "موروء Moroe" إذا ما اعترضت طريق المسافر منهم ومرت أمامهم من ناحية اليسار لليمين . ويسمون ذلك موروء سوباري-Moroe subari" ، أي الغزالة العائدة الى الدار ، ويعتقدونها دليلا على الخير والسؤدد.

التشاؤم:

يتشائم الزغاوة عموماً باللون الأحمر لأنه يشبه لون الدم و بأشياء كثيرة في بيئتهم مثل بعض الطيور كالغرنوق " قوندوء- gundooe"، وهو طائر لونه أسود ، فأذا مارآه أحدهم فأنه لايتركه الا بعد ان يجعله يطير فتبين القوادم البيضاء من جناحيه ، لطرد الشؤم واحلال الفأل. وهناك طائر يسمى "حوقار- Hogar" يحدث بالليل صوتا يتشائم منه الناس فيردون على ذلك الطائر بعبارة "أشرب دمك" . كذلك يتشاءمون من بعض الظواهر الطبيعية كالكسوف والخسوف الذين يعتبرونهما موت للشمس والقمر ويطلق على السنة التي كسفت فيها الشمس بالسنة التي ماتت فيها الشمس . ففي هذه الحالة يقرعون قدور الطعام ويقلبونها وهي نذير شؤم يعتقدون أن شخصية هامة سوف تموت . كما يتشاءمون بنجم يظهر من ناحية الغرب ويتنتج عن ظهوره شح في الأمطار وشيوع المجاعة ويطلقون على هذا النجم "تلّاف" كذلك الحال مع الهلال عند مولده اذا كان مائلا ناحية الشمال . اما عند السفر او الذهاب لخطبة بنت ومرت في طريقه غزالة و اكثر من اليسار وسميها الزغاوة "موركيبي- Moroe kibo" فهي نذير شؤم يقطع

الشخص عن طلب يد الفتاة ويطلقون على ذلك "سوراء نوء Sura Now" أي حظاً سيئاً ويعود المسافر ادراجه لذلك السبب.

و يتشاءمون بيوم الأربعاء الأخير من كل شهرقمرى فلا يقومون بأى نشاط زراعى فيه و يطلقون عليه يوم البطالة.

استقراء الغيب :

نجد أن معظم فروع قبيلة الزغاوة في الماضي يعتمدون في محاولات استقراء الغيب على الرمل " قوروء– Guroora" فالرَّمَّالِي " قوروراء Gurooa"هو رجل خبر الناس فيه الحكمة . وفي آداء عمله هذا يقوم برسم نقاط متتابعة على التراب بأصبعه السبابة والوسطى في خطوط مستقيمة تتوازى في نهاية المطاف ، ثم يقوم بعدها حسب الاعداد الزوجية . ويضع خطوطاً جانبية بعد عملية العد هذه ويتفحصها بدقة ، فيقارنها بالثوابت التي يعرفها من قبل ويعتبرها من أسراره الخاصة ، ومن ثم يخبر صاحب الأمر بالنتيجة . وهناك أمور شتى يلجأ إليها الفرد فيها الى الرَّمَّالِي منها:

1- السفر وما إذا كان ميسرا ودون عقبات ليقدم عليه ان كان خيرا والا امتنع عنه .
2- الزواج وما اذا كان موفقاً فيسعى لاتمامه والا يغض الطرف عنه .
3- مايضيع من الماشية وما اذا كانت وسيلة البحث ستسفر عن العثور عليها دون عناء والا التمس وسيلة اخرى مغايرة.
4- عند حفر الآبار واختيار اماكن للزراعة
5- عند اختيار موقع لقرية جديدة
6- عند الشراء والبيع
7- عند الغزو والحرب

والجدير بالذكر ان الحداحيد يمتهنون "الرَّمْل " دون سائر الزغاوة وان كان من الزغاوة من يعرف عنه ايضا . ولايأخذ الرمالي شيئا من المال مقابل تقديم هذه الخدمة المجانية التي تعتبر "استشارة فنية" !! وبالرغم من ذلك الا ان الاهالي يقدمون بعض

الهدايا الرمزية للحداحيد ، ويطلق عليها "البياض" دلالة على استفتاح بالفأل وحسن النية، أما ظاهرة التنجيم وقراءة الكف وقراءة الفنجان قليلة الانتشار ان لم تكن معدومة عند بعض فروع الزغاوة . أما الفكي فيستعين به البعض لعمل الاستخارة "الخيرة" حيث يقوم الفكي بما يصطلح عليه "فتح الكتاب" او بالدعاء المأثور بنية التفاؤل بالرؤيا الخيرة.

الفصل الرابع : الحرب .. الثأر والفزع

حَفُلَ تاريخُ الزغاوة بالكثير من الحروب والتي كانت الدوافع لها ومسبباتها كثيرة أيضاً. فمنها ماكانت داخلية بين فرع وآخر او بين عشيرتين ، ومنها ماكانت خارجية تدور بين فرع من فروع قبيلة الزغاوة وقبيلة اخرى مجاورة أو بعيدة بسبب الحدود والمراعي .

والأسباب التي كانت الحروب تنشأ من اجلها عديدة ولكن الاكثر شيوعا هي تلك المتعلقة بمواضيع الزواج والعِرْضْ والكرامة والتي لايتهاون الزغاوة فيها ابداً . وتعتبر من المشاكل المعقدة التي تنتج عنها ازهاق الارواح في بعض الأحيان عن عمد أو عن خطأ . ويحتاج فض مثل هذه المنازعات باللجوء الى العرف والاحتكام به في مجالس الأجاويد او المحاكم الأهلية .

وفي حالة حدوث القتل لابد من عمل اجراءات الدية التي عادة ما تكون قيمتها بالماشية . ويشترك كل أفراد قبيلة القاتل فى جمعها ودفعها . واحيانا تزوج احدى اخوات القاتل الى احد افراد اسرة القتيل دلالة على التصافي وتوثيق عرى المحبة والتوفيق بين القبيلتين.

وتعمل القبيلة مع فروعها متحدة و بطريقة جماعية في الملمات الكبيرة كالحرب والثأر والفزع ، ويلبون نداء الداعي فيتسابقون في تقديم المساعدة والعون والحماية متى ما اريد منهم ولا يتقاعسون عنها . ويقومون بحماية المستجير بهم مهما كانت العواقب والنتائج حتى يتم تسليمه الى السلطة المحلية لتأخذ العدالة مجراها . وقد يدخلون – جراء ذلك– في معارك مجانية ليست لهم مصلحة ولاهم المسببون لها ، انما لنصرة

المستغيث والمظلوم . ومن المشاكل التي تؤدي الى نشوب النزاعات القبلية في دار الزغاوة المراعي ومصادر المياه ودخول الماشية في مزارع الآخرين وتخريبها.

الثأر :

الزغاوة كغيرهم من قبائل البادية يتصفون بالحمية والشجاعة وشدة المراس في الحروب للبيئة التي عاشوا فيها . وهم شديدوا الأنفة وعزة النفس والاعتداد بهويتهم وعضون عليها بالنواجذ . لذلك نجد أن الثار عند قبيلة الزغاوة بقي ماثلا رغم دخول المدنية والتعليم في اوساط افرادها ، لأن الثأر من الموروثات المتأصلة عندهم منذ القدم واصبح من المسلمات التي لايخضعونها الى القانون أو المنطق بل يهرعون الى تنفيذه كلما دعى الداعي . ويعتبرون التقاعس عنه ضرب من الذلة والخزي والعار وطعن في حميتهم . وفي هذه الحالة يعمل أفراد القبيلة على الأخذ بالثأر ويسمون القاتل "أوقوراء- O'gura" ويتربصون به – ولو لأعوام طويلة – ولا يهدأ لهم بال حتى ينالون منه أو من احد افراده . ويذكرنا حالهم حال الشاعر الجاهلي والملك الضليل امرئ القيس عندما قتل بعض الاعراب اباه حجرا بن كنده وحمل اليه نبأ مقتل أبيه وهو فى حالة سكر شديد وسط اصدقائه وجوقة من البنات . فلم يبد تأثراً لكي لايخرب على اصدقائه جلستهم لكن خاطبهم قائلاً :

"ضيعني أبي صغيراً وحملني دمه كبيراً . لاصحو اليوم ولاسكر غداً ، اليوم خمر وغداً امر" وطفق يأخذ ثأر أبيه حتى لقي حتفه "

ومن دواعي الثأر عند قبيلة الزغاوة مايلي :

1- القصاص من احد افراد العائلة او حتى من أحد فرع القبيلة عمدا . وفي هذه الحالة يؤخذ الثأر من الجاني حتى ولو أتم مدة العقوبة بالسجن . ولايهدأ بال أهل القتيل حتى يقتصوا منه او يدفع الدية المنصوص عليها في العرف .

2- القصاص ممن تسبب عمدا على الحاق الاذى الجسيم او العاهة المستديمة بأحد افراد الأسرة او فرع القبيلة ، وذلك اما بإحداث اذى مماثل او برد كرامة اسرة المجني عليه بدفعه تعويضا يتناسب والأذى الناتج حسبما يراه العرف.

3- الانتقام من الغريم "الخصم" الذي يسميه الزغاوة "بون- Bon" وهو شخص اما يكون قد حرض على فسخ خطوبة او تزوج خطيبة غيره او تزوج أرملة احد أفراد الأسرة في وجود أشقاء او ابناء عمومة المتوفي . وفي الحالات النادرة من اقدم على اختطاف زوجة احد افراد القبيلة وهذه تأخذ طابعا قبليا اعتقادا ان كرامة القبيلة قد اهدرت . وأن امان القبيلة قد هدد .

4- الاقتصاص ممن اقدم على اخذ ماشية احد افراد القبيلة بالقوة مع إهانة الشخص ، الامر الذي يثير حفيظة كل القبيلة فيستنفر افرادها للانتقام من الجاني انى وجدوه حتى ولو حكم عليه من قبل السلطة القانونية وقضى المدة المقررة من العقوبة .

5- يقتص من الشخص الذى قام بقذف احد افراد الاسرة بما ليس فيه مما يشين كرامته وسمعته، فيسعى افراد الاسرة في الانتقام منه مالم يطلب الجاني السماح مع تقديمه ودفعه تعويضا عينيا "باء كوراقوء"Ba koragoe" اعترافا منه ببراءة الشخص الذي قذفه ونقاء سريرته من الشوائب.

الفصل الخامس : الحداحيد

مقدمة :

نريد ان نفرد لهذا الموضوع حيزا خاصا بشيئ من التفصيل لأن الحداحيد فئة فريدة لها ميزاتها وخصائصها التي تختلف عن بقية فروع قبيلة الزغاوة فى أُمور شتى ، رغم وجودهم المستمر في دار الزغاوة منذ أقدم العصور ، ولأنهم يعيشون حياة هامشية موغلة في البدائية والتأخر ، مهضومة الحقوق، ومشوبة بالذلة والمهانة والاضطهاد . ووضعهم الإجتماعي مزري علاوة على انه غير انساني في بعض الأحيان ، الأمر الذي يحتاج الى العلاج.

تعريف :

الحداحيد هم مجموعة عرقية قائمة بذاتها من الزغاوة يصعب الحاقها بأي فرع من فروع الزغاوة من ناحية النسب الا اننا نجد لكل قبيلة من قبائل الزغاوة او فروعها حداحيد خاصة بها ، فيقال حداحيد الكوبي وحداحيد القلا وحداحديد البديات وحداحيد التوار ..الخ . وتطلق كلمة ماي "ماي– Mai" بمعنى الحداحيد والمفرد منها "مَيْى Mai"وهو الحدادي . كما ترى ان كلمة الحداحيد هي اسم لهذه المجموعة ولا تعني بالضرورة المشتغلين بحرفة الحدادة المعروفة بالحداد . والزغاوة يطلقون كلمة ماي ايضا على الكبد لكننا لم نجد علاقة للإسمين .

أصلهم :

من الصعوبة تحديد او معرفة اصل الحداحيد . ولكن الراجح انهم السكان الأصليون للمنطقة قبل مجئ الزغاوة اليها من شمال افريقيا . وكان الحداحيد عندئذ قبائل بدائية مترحلة يعيشون على صيد الوعول والغزلان وخلافها وجمع ثمار الأشجار . إذ لم يألفوا الزراعة والرعي او اية حرفة اخرى . فعمل الزغاوة على الإقامة في المنطقة واستعمروها واستصلحوا اراضيها واهتموا بتربية ماشيتهم . فشمل هذا الاستيطان مصائد الحداحيد ومضاربهم . فأبدى الحداحيد مقاومة ادت الى مجابهة أسفرت عنها حرب غير متكافائة نتجت عنها سقوط الكثيرين من جانب الحداحيد واستجار من بقي منهم بفروع الزغاوة المختلفة ، ولكنهم بحكم أقليتهم النسبية ذاب كيانهم وسلكوا طريقاً مماثلا لضروب حياتهم السابقة . فأصبحوا مواطنين من الدرجة الدنيا ، وحدث لهم ماحدث بالسكان الأصليين "Aborigines" فس شمال وشمال شرق استراليا عند قدوم الاوروبيين او الهنود الحمر في امريكا الشمالية عند الغزو الاسباني والاستيطان بها ومن ثم صاروا طبقة منبوذة تماثل – مجازا– المنبوذين من الهندوس "caste" في عهد البرهميين في الهند القديمة حيث كانت القوانين العرفية لاتسمح بزواج فرد من طبقة اخرى وتحكم نوع من الوظيفة ونوع الطعام بكل طبقة !

ولما لم يرق لهم نمط حياة الزغاوة المتمثلة في الرعي والزراعة آثروا حياة الصيد والتنقل فأصبحوا شبه ما يكونون بالغجر "gypsies"- (الحلب) ، غير ان ترحال الحداحيد لم يتعد حدود دار الزغاوة ومن سخرية القدر ان بعض الحداحيد قد عرف ما آلت اليه حالهم لصروف الدهر فقال شاعرهم أُرجوزة دالة على أصلهم اثناء احتفالهم بصهر الحديد بالطينة 1960م حيث يروى أنه قال:

كنا الأصول وكنا الأوائل ولكن ساءت اقدارنا بأفعالنا فسخطنا .. فصرنا الأواخر والرذال

توقوي ايرو بور سو تيري Tugoori eiro bor soo terieh

بوي كي تيديه تقوسونويه تونوريه boi kei tedeh togosunoweh tonoureh

المكانة الاجتماعية :

نود أن نشير هنا على أن الحداحيد ليسوا مملوكين او ارقاء او خدماً او عبيداً او قِنّاً – كما كان الحال في النظام الطبقي في اوروبا في العصور المظلمة – لأفراد او جماعات في يوم من الأيام ن ولكنهم نسبة لفقدان الثقة بأنفسهم وشعورهم بعدم الطمأنينة ارتضوا بمكانتهم الاجتماعية دون احتجاج او حتى شكوى جهرية ، فضربت عليهم الذلة المسكنة وفقدوا مصداقيتهم فأصبح الناس ينظرون اليهم نظرة الازدراء والاحتقار . والحدادي لايمكنه ابداء رأيه في معية الزغاوة او يأكل معهم او يجلس على فراشهم او يتسمى بأحد منهم . ويحرم عليه مجرد التفكير في الزواج منهم . وفي الحالات النادرة يسكن الحداحيد بقرية للزغاوة ولكن بيوتهم كثيرا ما تنشأ في الناحية الغربية للقرية تفصلها ساحة فضاء من فضاء لما لبعض حرفهم من دخان ملوث لبيئة القرية .

أما اذا اقاموا قرية خاصة بهم فإن الناظر اليها لايختلط عليه الامر لمعرفتها من اول وهلة وذلك لتميزها عن قرى الزغاوة من حيث عدم النظام والنظافة وكثرة الكلاب وقلة الماشية وبعدها عن اماكن الزراعة . كما و يمتهنون حرفاً يعتبرها مجتمع الزغاوة حرفا غير نظيفة يترفع افراد قبائل الزغاوة العمل بها ومن هذه الحرف صيد الحيوانات بالمصائد والشراك ، واعمال الحديد وصهرها ، و دباغة الجلود وعمل الحبال و انواع مستلزمات القيد وصناعة سروج الخيل ، واحتراف دق النقارة. هذا عند الرجال ، اما

النساء "الحداديات" فيقمن بصناعة الفخار من ازيار وجرار وغيرها . كما يقمن بتصفيف شعر نساء الزغاوة ومشاطتهن اضافة الى تقطير القطران.



(*إمرأة من الحداحيد تقوم بصنع الأواني الفخارية)



(* من منتوجات المرأة الحدادية وتظهر عليها لمسات فنية رائعة)

و الجدير بالإشارة أن نؤكد أن الزغاوة يعتبرون محرما ومحظورا ان يقدم احدهم على الزواج من الحداحيد . ويعاب على الزغاوي المشاجرة مع الحدادي او الاكل معه او تبادل الراطة معه . ويروى أنه إذا حدث ان أحداً من الحداحيد قتل زغاوياً فكان الحكم في الماضي البعيد أن يحرق الحدادي على مشهد من الناس حتى الموت وذلك بوضعه مكبلا في قيود داخل شجرة الطنضب مشتعلة فيه النار .

معتقدات الحداحيد:

رغم دخول الاسلام في المنطقة بنزوح الزغاوة اليها ظل الحداحيد – والى وقت قريب– يتمسكون ببعض المعتقدات الوثنية ، ويقل الوازع الديني والتورع عند كثير منهم فلا يأبهون الابتعاد عن الدين . وهذا الجانب من حياتهم احد الاسباب الهامة التي وضعت حاجزا اجتماعيا سلبيا بينهم وبين بقية فروع قبيلة الزغاوة .

ونود أن نشير هنا إلى ان هذه الصورة قد تغيرت كثيرا الآن اذ انتشرت تعاليم الدين الاسلامي في أوساط الحداحيد ، وحسن اسلام الكثير منهم نتيجة دخول ابنائهم المدارس وتزوح الكثير منهم الى المدن والحواضر الامر الذي سهل انخراطهم في مجتمع المدينة الذي تقل فيه المميزات العرقية .

لغة الحداحيد "ماي كوبولو"

يقول الرواة إنه في قديم الزمان كان لحداحيد الزغاوة والِ جَبّار – ينتمي اليهم – يدعى "كوبولو Kobollow". وكان ظالماً قاسياً ، يقتل من يرميه قدره من الحداحيد في يديه بسبب او بدونه . كما كان يقتل الذكور من اطفالهم ، يأخذ مايصيدونها من الحيوانات ، مما جعلهم ينفرون منه ، ويهربون من ظلمه وسطوته وبطشه . فصار مضرب الأمثال في الطغيان كما اصبح هاجساً وبعبعاً مخيفاً للحداحيد . فهجروا مجتمع الجماعة وتفرقوا اشتاتا يبنون اكواخا متواضعة لهم في اماكن متفرقة اتقاء لشره . ومنهم من ترك المنطقة لينجو بجلده . ومضت السنون ولم يزل الناس يذكرون الحدادي كوبولو "ماي كوبولو" "mai Kobolo " حتى ظن الحداحيد – على مر العصور – انهم جنس مغضوب عليهم في الدنيا واعترتهم النظرة الدونية والتشاؤمية في كثير من امورهم

الحياتية . و أوصلتهم هذه الحالة الى الاعتقاد بأنهم عنصر منقرض لأنهم – كما يزعمون – من "سلالة مُرّة" لايعيش أفرادها كثيرا لأن لعنة كوبولو لم تزل ماثلة فيهم . ويعتقد الناس في زمننا الحاضر – خطأً – أن ماي كوبولو مرض قاتل يصيب الحداحيد ، لكنه اعتقاد لا أساس له من الصحة مطلقاً.

حواضر الحداحيد

يندر للحداحيد ان تكون لهم حواضر ثابتة لأسباب موضوعية اشرنا اليها الا ان بعض القرى في اماكن الزغاوة كانت خاصة بهم كحواضر اشتهرت على مر السنين ومنها :

1- كارشا ماي قيلي ، وهي حلة قديمة في مزبد.
2- شيرقيني كوك ، وبيه كيسي – وكو وجميعها قرى في منطقة فوراوية .
3- قاسمبا بيتير في دار قلا .
4- جوبا حلة الخليفة مرجان في دار الكوبي.
5- كاركاب ماي قيلي في انكا .
6- فرقان قليلة جدا وهى قرى موسمية في دار التوار .

لهجة الحداحيد

تطلق فروع قبيلة الزغاوة على لهجة الحداحيد "ماي آء- Mai'a" لأنها لهجة مشتقة مولدة من أصل لغة الزغاوة "البريآء" و يسمونها " آء بور – A'aborr" وقد ابتكرها الحداحيد بأنفسهم ولأنفسهم منذ قرون خلت وسيلة للتخاطب بها فيما بينهم إضافة الى اللغة العامة للزغاوة "البيرياء-Beira" التي يجيدونها أيضاً واستحدث الحداحيد لهجتهم هذه نتيجة للضغوط الاجتماعية والنفسية والنظرة الدونية التي ظلوا يعانون منها من مجتمع الزغاوة والتي ورد في هذا الباب في الموضوع الخاص بالحداحيد.

وتمتاز هذه اللهجة بالكثير من الخصوصية والميل إلى استعمال المحسنات اللغوية والبلاغية وتحتوي على العديد من صور التجريد والتورية وضرب الأمثال تفادياً للحرج والدخول في مشاكل هم في غنى عنها وليس في مقدورهم تحمل تبعاتها . لذلك

فهم يستعملون لهجتهم كشفرة خاصة بهم وهي بمثابة "كلمة السر" إذا اصطلحنا ذلك حسب المفهوم العسكري . كما يستعملونها للخلاص من المواقف الحرجة والتي تنطوي على عنصر المفاجاة والمباغتة في مجال عملهم ، خاصة أثناء الصيد . فإذا مابا غتهم أحد يريد بهم شراً أو لأخذ صيدهم فإنهم يلجأون للهجتهم لتحذير رفاقهم بالخطر المحدق بهم وطريقة الإفلات منه.

ويكثر الحداحيد استعمال كلمة نوح –Noah" التي لايُعْرَفُ معناها بالتحديد إلا انها إحدى المحسنات البديعية وتماثل كلمة "أوراه–orah" عند زغاوة الكوبي والتي تفيد التعجب والاستغراب وأيضاً التحسر على ماحدث أو يحدث . وربما للتمويه مع التهرب من الإجابة المباشرة . فنجد مثلاً عند ما يريد أحد الحداحيد الاجابة على سؤال بالنفي وعدم معرفته بالشيئ فإنه يقول "نوح توقو–Tougoe" " Noah فيما تستعمل فروع الزغاوة "توقوء" لتعني النفى القاطع أو لست أدرى. و للإجابة على سؤال بالإيجاب يقول الحداحيد: "بودوء إنّيْ Bodoe Innei" لتعنى نعم فهو كذلك . ويقول زغاوة الكوبي :" إينق –Ing" وتعني بلى . كما يقول الحداحيد "أياو كيتو– Ayao kito" فكلمة أيا للنداء (كما هي الحال في اللغة العربية الفصحى "، و أياو تفيد المفاجأة والمبالغة في النداء ، والمعنى: لا ليس هكذا ، فيما يستعمل الزغاوة كلمة "كِيتَوْ Kitow" لتعني ليس كذلك.

وهذه مقارنة بين لهجة الحداحيد ولغة الزغاوة:

الكلمة	بلهجة الكوبى	بلهجة الويقي	بلهجة البديات	بلهجة الماي
حدّادي	ماي(أقيراء)	ماي	ماي	تامار
زوجة	باقو	بقؤ	بقؤ	دريراء
بقرة	هيري	هيري	هيري	سيناري بيراء
حمار	آردي(كودي)	آدي	كودي	هيرقي
أرنب	سوموني	سويولي	ساموني	أنقور
إخضِز	كورو	كادو	كارو	كيدو

آكل	سيه	شيه	سنيرو	كودوكنو
ردئ	نوء	لوء	ناو	
غزالة	موروء	بادوء	ماروء	موروء
تعزية"موت"	إينيه	إيليه	إنيه	قرقي

ونورد هنا مثالين من القصص القصيرة بلهجة الحداحيد:

ذهب الحداحيد يوما للصيد فأصطادوا بعض الأرانب وفجأة رأوا رجلاً من الزغاوة قادما نحوهم . فأرادوا أن يخبئوا صيدهم عنه فقال أحدهم لأصحابه:

ماري كيرقو أنقور سايقو (nail kergo angor saigo) أي

أحد الزغاوة قادم خبئوا الأرانب

فقاموا باخفائها . فلما جاءهم الرجل قال له الحداحيد : ليتنا اصطدنا كثيرا من الأرانب كي نعطيك إياها.

فضحك الرجل (وقد فهم قولهم السابق لسوء حظهم) وقال لهم بنفس اللهجة:

– مارو كيرقو أنقور سايقو يبى ايبيسي (Maro kergo, angor saigo ,yebeh ibseh)

أوء إيتير قينيق نامارا قيرقى تيدى Oo-iter gining, maro gergi tidy

– أوء نامار نوكتي كيقيني آيقي قينيق

(oa –namar nokkotti ker kegineh aigiging)

– أوء كانا تيقيري ديرارو أفورقي قينيق

(Oo- kana tegeri deiraro outorgi gining)

– سوموء تانجار تيقو قينيق

(somo tanjar tigo gining)

– هيرقي مودو حوحوي ييقي

(hergey moudu hohouegi)

فخاف منه الحداحيد ومن تهديده ووعيده فقالوا لرفاقهم

أياو كيداو

(ayao keidao)

أي احضروهن حالاً!

وخلاصة القصة أن الرجل قال للحداحيد "إنكم ترفضون إعطائي لحم الأرنب فسوف تكون كرامة " وتعزية في قريتنا غداً. فإذا رأيت أحدكم هناك فإنني سوف اضربه ضرباً مبرحاً و"أبهدله" وأطرده منها دون أن يأكل شيئاً. فلما علم الحداحيد أن الرجل سوف يحرمهم من تقديم واجب العزاء والمشاركة في تناول الأكل وخافوا من تهديده ورضخوا لطلبه فاحضروا له الأرنب!

القصة الثانية :

ذهب الحداحيد يوماً إلى أحد السلاطين لتحيته وتقديم فروض الطاعة وكان السلطان بديناً(سميناً) فالتفت أحدهم الى الذي بجواره يوسوس له بلهجتهم قائلاً. إذا كان هذا (ويعني السلطان) السمين بقرتك وذبحها فإن زوجتك سوف تفرح كثيراً بلحمها الطيب!

– أوء كي سيناري بيراي كينوي قينيق.

(Oo key sinaru beera kinoy gining)

-حوحوي ييني قينيق،دريراء قينو أنيني! (hohoyanini gining derira gino)
(inini

وكعهدهم بسوء الطالع فإن السلطان كان يفهم لهجتهم فقال لهم ضاحكاً وفي نفسه شيئ من الحزن "وهل انا أسيئ معاملة الحداحيد حتى أوصف بهذه الطريقة"

آينا اير ايرقي ناماردو مورو إيراء

Aina err erigi nam ar do moru era?

فارتعد الحداحيد خوفاً وآلوا على أنفسهم وعاهدوا السلطان ان يهدوه مائة من الات الزراعة ومائة من الأدوات التي تستخدم في حشاشة المزارع كفارة لما جنتها عليهم ألسنتهم السليطة !!.

درباي ميه	ديمينيه ميه
Darbai mee	demeneh mee

لغة الزغاوة

يسمي شعب الزغاوة اللغة التي يتكلمون بها "بيرياء-Beria" وهي غير مكتوبة حتى الآن. ومن العسير معرفة أصلها بالتحديد ، والراجح – كما يقول د. عبد الحق – " إنها لهجة من الأسرة الليبية القديمة وقد استقلت عنها قبل دخول العرب شمال افريقيا . فلهجة الزغاوة ولهجة التيبو تمثلان فرعين من عائلة لغوية واحدة لدى البربر سكان الصحراء أو ربما كانت لغة الزغاوة في الأصل هي لغة التيبو نفسها كما يرى بعض الباحثين . وذلك للمشابهة الكبرى بينهما" . أما المؤرخ ماكمايكل يجد علاقة وتشابهاً في بعض الكلمات بين لغة الزغاوة ولغة البرتي المعاصرة فهي عبارة عن لهجة عربية وإن كانت تتصف بالركاكة وارتضاخ العجمية أكثر من غيرها بين لهجات المنطقة العربية .

ويجمع الكثير من الزغاوة على أن لهجة الكوبي هي أساس لغة الزغاوة.

وبملاحظتنا لمفردات لغة الزغاوة نجدها تفتقر إلى بعض الحروف الهجائية (الأبجدية) العربية ، مثال ذلك بعض الحروف الحلقية كالحاء والخاء والعين والغين وينعدم فيها حرف الضاد – كما نتوقع – ولانجد حرف الذال والزاي والطاء والظاء والصاد والثاء. ولا يستخدم حرف الشين إلا نادراً. ويغلب على لغة الزغاوة المصدر عند حديثنا عن تصريف الفعل. و يتحكم الصوت والحركة في نشأة الكلمة.

أما لهجة زغاوة الكوبي فإننا نلاحظ أنها تتميز بكثرة حرف الكاف والميل لاستعمال حرف النون مكان اللام . ونجد عكس ذلك عند فروع قبيلة الزغاوة الأخرى وخاصة الويقي إذ يتميز لسانهم بالإكثار من إستعمال حرف اللام عوضاً عن النون ، مثال ذلك:

الكلمة بالعربية	عند زغاوة الكوبي	عند معظم فروع الزغاوة	عند زغاوة البديات
ماذا؟ سعدتم نهاراً	نوراي؟ نارقوريا	لواي؟ لاكورو	داي؟ نوكوريا

ونلحظ أيضا أن لهجة زغاوة البديات هي لغة وسطى تجمع بين سمات لهجة الكوبي ولهجة الويقي "باقي فروع الزغاوة" وتتصف بخاصية السرعه والخفة في النطق وتليها لهجة الكوبي ، أما لهجة الويقي فتمتاز بالثقل والبطء في النطق. وهناك ميزة أخرى في لغة الزغاوة وهي ان الكلمة الواحدة قد تتغير وتعدد المعاني الدالة عليها بمجرد إمالة اللسان في نطقها – دون تبديل الحركة من حيث الضم والرفع والكسر – الأمر الذي يجعل تعلم لغة الزغاوة في غاية الصعوبة لغير الناطقين بها ، مثال ذلك:

أ) في ماى – mai تعني حداد مِي –mi تعني عجل . – مِيَىْ –miyeh تعني أسود.

ب) بِي–Bee تعني ماء – بَيْ – Bei تعني غنم ، بَيْى– تعني وعل .

جـ) بيري= زغاوة ، بِيْرَيْ = عام . بِيرِئ = يتقلب في الفراش . بِيري يمسك.

د) باء = بئر . باء= أب . باء = يد.

هـ) أوء = إنسان . أوء= لبن.

و) توء= نذهب . تو = بندقية . تو سلفة. تو = السفر لاحضار الدخن . تو = الحصان الذي بلا سرج .

طبعاً هذا لاينفي وجود ضوابط وقواعد في الكلام . وهذه اللهجات كغيرها من اللهجات المحلية في أفريقيا لاتوجد فيها أدوات للتأنيث مثل التاء إذ يشار إلى الذكر والأنثى بنفس الأسلوب والطريقة .

مثلاً نقول : أحمد كاري. أي جاء أحمد .

كما نقول : آمنة كاري . أي جاءت آمنة .

ونجد اللغة العربية الدارجة أيضا تأثرت بمثل هذه الظاهرة الناتجة – في اعتقادنا – عن اختلاف الألسن واختلاطها في كثير من مديريات السودان.

الضمائر وأسماء الاشارة:

نشير إلى أن الضمائر البارزة في لهجة الزغاوة – وكما نرى لاحقاً– هي :

آيْ " ضمير المتكلم (أنا) . ناء = ضمير المخاطب أنت أو أنتي . بر = ضمير الغائب هو أو هي بَيْر : ضمير الجماعة هم أو هن . توقوي : نحن والملاحظ أن الضمير يسبق الفعل مثال :آي كِيِيَقِى ، بمنى أن سأذهب . كذلك المبتدأ والخبر آي محمّد تـي . بمعنى انا محمد ، مع إضافة المقطع تي الذي يفيد التأكيد بالإيجاب لكننا إذا وضعنا المقطع تو (آي محمد تو) فإن المعنى يتغير كليا لأن "تو" يفيد النفي لذلك يقول المتكلم هنا أنه ليس محمداً.

أما أسماء الإشارة فهي قليلة لكنها تفي بالغرض المراد تماماً وهي كِي –kee وتعني هذا وهذه . توء Toe وتعني ذلك وهؤلاء وقس بهما باقي أسماء الإشارة .

الجدير بالملاحظة أن أثر اللغة العربية على لهجة زغاوة الويقي أوضح عما هو عليه عند باقي فروع الزغاوة ولكن بعض المفردات العربية مثل الطاقية لايوجد لها مرادف في لهجة الويقي حيث يقولون "تاقى" التى هى قريبة من "طاقية" علماً أن لها مرادف في لهجة الكوبي وهو "توريه–Toreih". وعموما فإن لهجة الزغاوة تمتاز بالبلاغة والبيان

والفصاحة ، كما تتسم بالحكمة وتكثر فيها التورية والتشبيه. ونجد هنالك بعض الفروق غير الجوهرية في لهجة زغاوة الأرتاج إذ يلحنون قليلاً بقلب الواو ألفاً مثل(أورو) بمعنى بهمة ينطقها الأرتاج (آرّو) كذلك (بورو) بمعنى رجل تنطق (بارّو) وهكذا . كذلك الحال مع زغاوة الكوبي حين يقلبون التاء دالاً مثل "أتيم" تصير "أديم" وهناك اشتقاقات كثيرة للكلمة الواحدة في لهجة الزغاوة . ونلمح فيها أسلوب التصغير التدريجي بإضافة المقطع "بور " أو بوراء" أو "مناء" كما في هذا الجدول :

الكلمة	باللهجة	تصغير 1	تصغير 2
طفل	جاء	جابور	جابوراء
حمار	أردي	اردي بور	اردي بوراء
طائر	تورفو	تورفوبور	تورفوبوراء

والتصغير بمقطع "مِناء أو منقاء يشمل الجنسين وهناك اختلافات جوهرية لدى فروع الزغاوة مثلا:

مايراد تصغيره	عند زغاوة الكوبي	عند زغاوة الويقي	عند زغاوة البديات
المرأة الصغرى	باقو مِنّقّاء	باقو مناء	بقو منيقو
ولد صغير	بور منقاء	بور مناء	بور منيقو
بلد صغير	دار منقاء	دار مناء	دا منيقو
طفل صغير	جاء منقاء	نياء مناء	نياء منيقو

للسؤال والتأكيد يستعمل مقطعين (-يا) أو(- وا) في نهاية الفعل المراد توكيدها أو بتكرارها مثلا كلمة "كيقيني" تعني ذهب .أما كلمة "إيا" تعني يا أمي وكلمة "أبا" تعني يا أبي.

الجملة أو الكلمة	معناها
محمد كيقينيوا؟	هل ذهب محمد؟ أو لعل محمد ذهب؟
سعدية كيقيتيا؟	هل حقاً ذهبت سعدية؟
سعدية كيقيتي كيقيني	أي أن سعدية ذهبت فعلاً

وتكرار الفعل عند الزغاوة يعني التحدي أو الأمر الواقع الذي لامناص منه مثال ذلك

دقيس دقيس – نواري كاقاني	فعلت ذلك –ماذا أنت فاعل ؟!	للتحدي
إيقيس إيقيس – ندى ينيني؟	قلت ولا أنكر– ماذا ستفعل ؟!	الأمر الواقع

الجمع : غير واضح في لغة الزغاوة مثلاً كلمة أنداء= مراقب أو جاسوس تستعمل للمفرد والجمع على السواء ويلاحظ الفرق من صيغة الجملة فقط ومن خلال ميل لايكاد يوضح كثيراً.

وتوجد من الألفاظ ما تفيد التعجب والمفاجأة وايضا التحسر والندم على شيئ لايراد حدوثه : فللتعجب تبدأ الجملة هكذا: أيا كرايقي كى ناديو؟ بمعنى وا بأمى هل هذا أنت؟!! وللمفاجأة و الهول تبدأ الجملة بكلمة "أياو" مثال ذلك:

أياو نونوء .. تو ناى؟! و المعنى هلا نظرتم من هو ذاك؟!

و للتحسر و الندم و التورط فى أمر ما فإن الجملة تبدأ بكلمة "إيميه" التى تفيد ظرف الزمان مثل قولهم: " إيميه نديبقى حرديقى كورى ؟!! بمعنى مذا أفعل الآن و قد ضاع حصانى؟!!

الضمائر :

تظهر الضمائر المنفصلة جلياً فيما تنعدم الضمائر المتصلة لكنها تعرف ضمنياً من سياق الكلام كذلك الضمائر المستترة وتقديرها . ونلاحظ أن هذه الضمائر دائماً تبدأ الجملة بها في لهجة الزغاوة.

الضمير		دلالته	المعني به
آي	ai	أنا	للمتكلم
ناء	na	أنت-أنتِ	للمخاطب
بر	ber	هو- هي	للمفرد المذكر أو المؤنث
توقوي	tugoi	نحن	للمتكلمين في صيغة الجمع
نوء	nou	انتم- أنتن	للمخاطبين في صيغة الجمع

المنادى:

تستعمل للنداء اداتان "ياء" و"هوي" وتأتي الأولى في نهاية الجملة عكس ماهي في اللغة العربية بينما تأتي الثانية في وسط الجملة أو نهايتها . مثلاً إذا أردت أن تنادي أحداً فإنك تقول :

ياعلي — علي يا . أو "علي هوي "

تعال ياجمال — جمال هوي .. كيو

كما تستعمل هاي كأداة للنداء لتبدأ بها الجملة هكذا

ياحسين — هاي حسين

مقارنات في لـهجات فروع الزغاوة

باللغة العربية	لـهجة الكوبي	لـهجة الويقي	لـهجة البديات
إنسان	أوء	أوء	أوء
حيوان	أوروء	أوروء	أوروء
نبات	ايـني	ايني	ايني
ماء	بي	بي	بي
سماء	بيقي	بيقي–تندي	بيقي
أرض	إيري	إيدى	إيري
تراب	سواء	إرشيه	سواء
طين	دوقوء	تين	دوقوء
شمس	إيدوء	أوتو	إيدوء
قمر	أوردي	أوردي	أوردي
نجمة	مار	بار	مار
وادي	أوريه	أوريه	أوريه
بئر	باء	باء	باء
رجل	بوروء	بوروء	بوروء
إمرأة	باقو	باقو	باقو
ولد	بور	بور	بور
بنت	تينيه	تيلي	تيني
طفل	جاء	نياء	نياء
شاب	بوييه	بوييه	بوييه
فتاة	تيني تومبو	تيلي تومبو	تيني تومبو

يد	باء	باء	ماء
قدم	دي	دي	دي
وجه	كؤ	كو	كو
شجرة	بقيدي	بتي	بقيدي
ملك	إيناء	إيلاه	إنا
أنا	آي	آي	إي
بلد	دار	دار	دار
قرية	قيني	قيلي	قيني
أغنية	كو	آبي	آي
صباح الخير	نقيا	لقيلو	نيقيا
تعال	كيو	كويو	كويو
جهة	هيه	هيه	هيه
الشمال	بواء	بيرييه	بيرييه
جنوب	توروء	صعيد	تورو
زغاوي	بيري	بيري	بيري
عربي	أراو	أراو	أراو
ميدوبي	ديقيري	ديقيري	ديقيري
برتاوي	دوقاء	دوقاء	دوقاء
فوراوي	كوراء	كوراء	كوراء
انجليزي	نساراء	نساراء	نساراء
لهجة/لغة	آء	آء	آء
اللغة العربية	آرماء	آرماء	آرماء
اللغة الإنجليزية	نساراء–آء	نساراء–آء	نسارا– آء
اللغة الفرنسية	فرنسا–آء	فرنسا– آء	فرنسا– آء

أسد	سوراء	سوراء	سوراء
نمر	أوقي	أوكي	أوقي
ذئب	ايقيريم	دولّو	دوندو
جمل	دي	دي	دي
حصان	هردي	هرتي	هردي
بندقية	توء	مندوق	تو
حرب	كو	كو	كو
عدو	نوء	لوء	نوء
الكذب	كواء	كواء	كواء
الصدق	سيبه	شيبه	سيبه
قلب	تودوء	توتوء	تودوء
دم	أوقوء	آقو	أكو
لحم	أينـي	إيلـي	إينيه
غزلة	موروء	بادوء	مارو
ثور	بوء	بوء	بوء
بقرة	هيري	هيري	هيري
خروف	جوء	تُز	جوء
طائر	تورفوء	تورفوء	تارفوء
القيامة	بوي بيه	بوي بيه	بوي بيه
الجنة	جنّي	جنّي	جني
النار	جيبه	بيه	جيه
يأكل	سيري	شيري	سيري
يشرب	جاري	ياريه	ياري

قماش	تاري	تاري	تاري
حذاء	تيقي	تيقي	تيقي
الحلي	تيرياء	تيرياء	تيرياء
مطر	بودوء	بوتو	بتو
رعد	بودو أوني	أم طرقاع	بتو أوني
الخريف	قييه	قييه	قييه
الصيف	آيقي	آيقي	ميري
الشتاء	دابو	دابو	دابو
أخضر	جير	جير	جير
أحمر	ماراء	ماراء	ماراء
شجاع	كوراء	كوراء	كوراء
جبان	كويراء	كويراء	كويراء
ليل	قيني	قيلي	قيني
نهار	كوباي	كوباي	كوباي
حمار	آردي	آرتي	أردي
طريق	قاردي	قاردي	قردي
خير	دي	دي	دي
شر	نوء	نوء	نوء

الأسماء عند الزغاوة

رغم أن الأسماء في العادة لاتخضع للتعليل ، إلا أننا رأينا إضافة بعض مدلولاتها واختيارها عند أفراد الزغاوة . ويمكن القول على أن قبيلة الزغاوة تختار لأفرادها

من الجنسين أسماء عربية وإسلامية في الغالب الأعم . مستمدة من أسماء الأنبياء والصحابة والسلف الصالح، وهذه يشار إليها بأسماء الكتاب مثل محمد وعيسى وموسى وعلي وعثمان وعمر وأبوبكر الذي يختصر إلى "أبكر" ، وفاطمة وعائشة وحواء ومريم .. الخ. ويمكن ان يشتق الأسم من أيام الإسبوع كجمعة وخميس و"أرباع" أو من شهور السنة كرمضان ورجب أو من فصول السنة مثل خريف أو من اليوم مثل نهار . وقد يستمد الاسم كذلك من البيئة المحلية كأسد ونمر وجاموس وصقر وحجر وبحر عندما يريدون إضفاء صفة القوة إلى المولود الذكر .

الكنية:

نجد أن الزغاوة لايتحرجون في أن يكنوا بأسماء بناتهم إذا كانت البنت هي أول مولود لهم ، ومثال ذلك أبو آمنة وأبو حوة وأبو مكة ..الخ . ولايميل أفراد قبيلة الزغاوة إلى التكني إلا بعد أن يولد لهم ، إلا أننا نجدهم يطلقون أسماء كأم الحسين وأم الفقراء وأم الناس وأم دلال على الإناث ولا نرى مقابل تلك في الذكور . وكان الأولون من أفراد قبيلة الزغاوة يرون من عدم اللياقة والذوق الحضاري تجريد الشخص من كنيته المعروف بها .

اللقب:

تقل ظاهرة الألقاب عند الزغاوة بصفة عامة إلا في نطاق الأسر الحاكمة لفروعها ، فمثلاً نجد لقب "أبّو" ويطلق على الفرد الذكر المنحدر من الأسرة الحاكمة ويقصد به الأمير أما البنات فيلقبن بكلمة "أمّو" وتعني الأميرة . وكلمة "كوياراء" لزوجات أفراد الأسرة الحاكمة وهذه بمثابة الشيخة أو الأميرة . والغريب في الأمر أن زوجات حكام الزغاوة لايتمتعن بأي لقب مميز !! وهناك لقبان يطلقان على أشخاص ليسوا من الأسرة الحاكمة وهما :" أمين" ويلقب به الخلصاء من المملوكين ، وعادة يتولى أسرار الحاكم الداخلية ويحتفظ بمفاتيح الخزائن ويوزع الحصص التموينية لزوجات الحاكم ويقوم بجرد الموجودات وطلب النواقص منها . أما "كورسي" فيلقب به شخص لاينتمي الى

المملوكين يختاره الحاكم أو يتطوع لخدمة الحاكم الذي يكلفه القيام بمهام مثل السفر ونقل الرسائل الشفوية والبحث عن الجناة والقبض عليهم . وتطلق كلمة "جهادية" كلقب على الأرقاء في العهود التي سبقت استقلال السودان لتحل مكان كلمة العبيد التي يتورع الناس في إستخدامها . هذا وقد أشرنا إلى ألقاب حكام فروع قبيلة الزغاوة في الفصل الثالث من الباب الثاني.

درج الزغاوة في الماضي على إختيار بعض المواقف لاشتقاق أسماء منها ، وهذه المواقف في مجملها تتعلق بالموت وذلك إما تيمناً بشخص مات أو درءاً لتشاؤم قد يحدث ، ونمثل ذلك بالآتي :

1. بورماي: ويطلق على الطفل الذي يولد ويعيش عقب وفاة إخوته السابقين أثناء الولادة.
2. بورباقي: ويماثل "بورماي" إلا أن إخوته السابقين قد توفوا لأسباب ليست لها علاقة بمولدهم.
3. أتيم: وهو اليتيم الذي لم ير والده (مات أبوه وهو في بطن أمه).
4. أبو كوري(أبو قوري) : وهي المولودة التي تتزامن ولادتها مع وفاة جدتها.
5. إيركوري (ايرقوري) : وهو المولود الذي تتزامن ولادته وفاة جده.
6. بوركورقو : وهو آخر حصيلة الأبوين من الأطفال .

وقد تختار الإسم لاستبعاد الشر عن المولود وذلك بإختيار أقبح الأسماء له كقولهم آري حمارو للذي يريدون تسميته بالجحش أو الحمار. ويلاحظ أيضاً أن بعض الأسماء تشير إلى أحداث مثال ذلك دوسه وحربه وتطلق على المولود الذكر إذا تزامن مولده باندلاع حرب أو غزوة . أما التوائم فيطلق عليهما أسماء مشابهه إذا كانا ذكوراً مثل حسن وحسين ، توم وتيمان . وإذا كانا ذكراً وانثى مثل توم وتومية أو تومة ، حسن وحسنية أو حسين وحسنة . وفي حالة ميلاد طفل بعد توأمين يسمى هري وان كانت طفلة سميت هرياء.

الأسماء المساعدة :

نجد أن الزغاوة قد أطلقوا أسماء حركية "مشكار" مرادفة لبعض الأسماء المعروفة وتكون أكثر شهرة واستعمالاً أثناء الطفولة واليفاعة ومن هذه .

عمدة لمن يسمى محمد صالح

عصر ونامو لمن يسمى محمد

مِنّي وجبّة لمن يسمى سليمان . ويقال دلّي لمن يسمى عبد الله .

بركة وخليل وقرض لمن يسمي إبراهيم . ويقال جرناء لمن يسمي يوسف اما عبد الرحمن فله ثلاثة أسماء مساعدة :جروه ،شادود وفرتي . ولفظة شطة وأحمداي مقابل أحمد . وهري لهارون .

اما بالنسبة للإناث نجد عائشة يدلعونها بلفظة كنجوري ، ومستورة يقال لها جكي وتواء لكلثوم أو كلتومة ، وحليمة يقال لها كباي وست الاهل يطلق عليها مرقوني.

وتميز أسماء فرع زغاوة البديات بغرابتها وميلها إلى اللغة الزغاوية منه إلى العربية وهم- كما نعلم – سكان البادية التي توحي لهم بأسماء البدو الجزيرة العربية ، أمثال مورنو ، قارينو – قيرنو – نيقي– اونيقي– نيقيد – نوتاء– مقوري – جوقوي – دقيم – حنتو ...الخ .

وأكثر أسماء الزغاوة غرابة تتسمى بها فئة الحداحيد والذين يندر أن تجد لهم أسماء ألفها الناس . كما علمنا في الباب الخاص بهم – يعمدون الى الإبتعاد عن إختيار أسماء اشخاص في طبقات اجتماعية أخرى ، ومن اسمائهم : مقو ويعني المر وأسار ويعني إهمال ، دوي ويعني وحيد – ماراء –بيري – ديوفيو – ماي قاي– ارقو– ميبقيت – آرو – دنقا . أما الإناث فأسماؤهن موغلة في القبح مثل قيديه – توري – باسيه – وكل هذه الأسماء يقصدون بها إخفاء هويتهم وصولاً إلى تفادي الدخول في حرج كامن قد يحدث .

ومن الملاحظ أيضاً ان الزغاوة يقرنون أسماءً حركية "مشكار" بالأسماء الأصلية لقراهم مثال ذلك توناء للطينة ، دمباريك (وأظنها ضل بارد) لطنضباي . دايا (واظنها ضاحية) لكرنوي . دوردور لخزان باساو وهكذا.

الأعداد الحسابية

لاتوجد في لهجة قبيلة الزغاوة الحروف الهجائية "الأبجدية" كما سبق أن أشرنا إليها و بالمثل ليس لديهم نظام حسابي مكتوبة الأعداد . ويعتمد النظام الإحصائي للأشياء على مركبات العشرة ، فيبدأ عد الأشياء من الواحد إلى العشرة إلى العشرين فالثلاثين ، فمازاد عنها لايوجد عدد مقابل للأربعين أو الخمسين الخ . لذا يستخدم مركبات العشرة أو العشرين او الثلاثين للحصول على المجموع الكلي إلى ما لانهاية .

وتستخدم وسائل مثل أصابع اليد والمسبحة لعد الأرقام دون المائة فيما تستخدم الحصى بألوان مختلفة لترمز إلى المئات والآلاف ..ألخ . ونجد أن رعاة الماشية يقومون بحصر قطعانهم بتدقيق النظر على القطيع وفحص افرادها وتفقدها وصولاً لمعرفة عددها وما إذا كانت ناقصة العدد أو خلاف ذلك عن طريق الفراسة دون اللجوء إلى إتباع أسلوب العد التقليدي وهذه ميزة سائدة لدى جميع فروع قبيلة الزغاوة .

يطلق الزغاوة على العدد الزوجي (آقي – A'gi) وعلى العدد الفردي "موقوء" ويتبعون أحياناً الطريقة الإحصائية في كتابة الأعداد في مجموعات يسهل عدها واحصاؤها . فمثلاً تكتب الخمسة هكذا (/////) أو (////\ ) وبالتالي فالعشرة هي نتاج جميع مجموعتين منها (////\ ////\ ) . ونورد هنا النظام الحسابي عند زغاوة الكوبي :

العدد	بلهجة الكوبي	منطوقة باللغة الإنجليزية
0	تبراتوه (جوه)	
1	نوكو	Nokko
2	سوي	Sooy
3	ويه	Weh
4	إستي	Isti
5	هوي	Hooy
6	ديستيه	Desteh
7	ديستي	Disti
8	أوتيه	Otteh
9	دستيه	Deestee
10	سوقودي	Sogodi

وبالنسبة للأعداد من الحادية عشرة حتى التاسعة عشرة فإن منزلة العشرات تظل ثابتة بينما تتكرر الآحاد فمثلاً العدد 11 يقرأ هكذا سوقودي (وتعني عشرة) إيه(وتعني العين دلالة على الإضافة) أيضاً "قبيه" بدلاً عن "إيه" وتتتابع الأعداد على نفس المنوال ولايختلف تسلسلها عند الزغاوة عما هو عليه في النظام الحسابي العام المتعارف عليه عالمياً.

18	سوقودي قبيه أوتي
19	سوقودي إيه ديسيتيه
20	ديدي (أو) سوقودي سويDedi
21	ديدي إيه نوكو
30	داني أو سوقودي ويه Dani
31	داني إيه نوكو أو داني قبيه نوكو
40	ديدي سوي
41	ديدي قبيه نوكو
50	ديدي سوي قبيه سوقودي(20+20+10)
60	داني سوي(30+30)

70	دلني سوي قبيه سوقودي (10+30+30)
80	لبدي إستي (4+20)
90	دلني ويه(30+30)
100	ميه Meeh
1000	أليف Elif

الجدير بالذكر أن فروع قبيلة الزغاوة الأخرى ليس لديهم نظام حسابي كما لفرع زغاوة الكوبي فنجد مثلاً ان زغاوة الويقي تكرر العشرة في نظامها الحسابي والعددي هكذا :

1	لاكو Lakko	20	تيم شويه
2	شويه Shuweh	30	تيم ويه
3	ويه Weh	50	تيم هوية
4	إيشتي Ishti	100	تيم لي تيم كاقا تيم لو "ميه"
5	هويه Hooweh	1000	تيم لي كاقا ويه(ألف)
6	ديشتيه Deshteh		
7	ديشتي Dishti		
8	وتي otteh		
9	ديشتيهDeeshti		
10	تيم Teem		
11	تيم بير يقي لاكو		
12	تيم بير يقي شويه		

اما النظام الحسابي والعددي لدى زغاوة البديات فلايختلف كثيرا عما لدى زغاوة الكوبي ، والاختلاف فقط في المسميات للتباين الطفيف في اللهجة بين الفرعين وهذا النظام ايضا مبني على أساس عشري.

النظام الحسابي عند زغاوة البديات (التوباء)

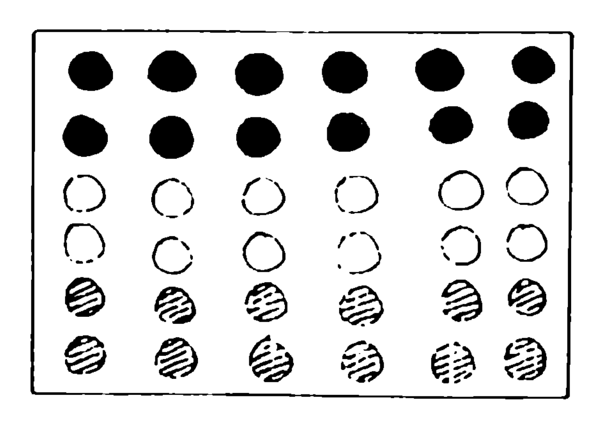
1	ناكو	20	ساقودي سويه 2 x10
2	سوي	30	ساقودي ويه 3x10
3	ويه	50	ساقودي هوي 5X10
4	لستي	90	ساقودي ليستيه 9X10
5	هوي	100	ساقودي ساقودي 10X10
6	لستيه		
7	ليستي		
8	أوتي		
9	ليستيه		
10	ساقودي		

ألعاب التسلية عند الكبار

يقضي رجال قبيلة الزغاوة أوقات فراغهم بأنماط من ألعاب التسلية الشعبية التي تتميز بالمرونة في ضوابطها والسهولة في أدائها ويمارسها الشباب والكهول والشيوخ من الذكور على حد سواء . وتسوق هنا بعض النماذج والأمثلة لها :

1- الضالة :Dala

وهي لعبة واسعة الانتشار بين معظم قبائل المنطقة ، وتشبه الشطرنج إلى حد كبير ويشترك في أدائها شخصان مع وجود مشجع لكل منهما . وادوات اللعب عبارة عن 12 حصاة ومثلها بعر الإبل . ويتم اللعب على رقعة مسطحة من الرمال محفورة فيها 36 حفرة ضحلة . وهناك شروط تنظم اللعبة واهمها عدم إعادة ماتم تحريكه من أدوات الضالة بأي حال من الأحوال ، وهذا الشرط يطلق عليه ال"عود فروء"



2- الطاب :Tab

وهي لعبة تلعبها النساء أيضا كما الرجال ولكن كل جنس على حدة ، وتشبه لعبة الدوميتو "الدومنة" وتتكون من أربع قطع من الخشب أو القصب متساوية في الطول ومتشابهه في الشكل – ولكل قطعة سطح خارجي غامق اللون ويسمى الظهر ، وسطح داخلي أبيض اللون يسمى البطن . ويمكن إشتراك عدد كبير من الأشخاص فيها. وتكمن مغزى هذه اللعبة في المنافسة على زواج وهمي من فتاة جميلة غالية المهر. ويكون فائزاً أول من يحصل على أعلى نسبة من النقاط ، والمهر عبارة عن ثلاثين أو أربعين من الماشية . اما كيفية لعبة الطاب هي أن تقذف القطع الاربع في الهواء فتسقط على الأرض :

أ) فإذا سقطت كل القطع وبطونها الى أعلى = حصان واحد ويقيم الحصان بأربع بقرات .

ب) إذا إنكفأت جميعها = جمل واحد ، ويقيم الجمل بست بقرات .

جـ) إذا انكفأت ثلاث وبقيت واحدة وبطنها إلي أعلي = بقرة .

د) إذا إنكفات إثنتان والأخريات بطنيهما إلى أعلى = حمار تقيم البقرة بحمارين . وتقيم الحصيلة على أساس البقر فمن يكون مجموع نقاطه في اللعبة أربعين بقرة يعتبر فائزاً

وعريساً !! كذلك الحال مع البنات فإن من تكون مجموع ماعندها أربعين تصبح فائزة بعريس!!

3- آبار كاراء (كاراء باء-Kars ba'a)

ولها إسم آخر بلهجة الزغاوة قبيه نيري أو قبيه ليري . وهي أن تحفر آبار (حفر ضحلة) تختلف في العدد حسب المشتركين في اللعبة ويوضع في كل بئر قدراً من بعر الغنم ، وهي لعبة يتسلى بها الكبار وتستغرق وقتاً طويلاً كما أنها تحتاج إلى حدة الذكاء الحسابي وتعتبر من اللعبات المعقدة نوعاً ما . وقد ذكرناها هنا دون تفصيل .

4- دخول السنة :

هي عبارة عن كرنفال شبابي للإحتفال برأس السنة القمرية وتتخلل هذا المهرجان ألعاب ورقصات يشترك فيها الشباب من الجنسين مع تنافس بين قرى مجاورة في اسلوب الاحتفال . ويتم التجهيز لهذه المناسبة قبل يومين إذ تجمع حطب الحريق من أشجار القفل التي بها خاصية سرعة الإشتعال مع تطاير الشرر . كما يحضر المشتركون أدوات التنكر والمكياج من ملبس وألوان تقتصر على مسحوق الفحم والرماد والطبشور . وفي ليلة الإحتفال يجتمع شباب كل قرية أو حي فيوزعون الأداوار فيما بينهم ويلونون وجوههم للتمويه والتنكر وإثارة الرعب في نفوس منافسيهم ثم يشعلون النيران ويحمل كل شخص منهم شعلتين متوهجتين من الحطب فتنطلق صيحات الفرح والزغاريد ثم يهاجم كل فريق الآخر بينما يضرب الشعلتين بعضهما ، فيتطاير الشرر في عنان السماء . وتضيئ ارض الكرنفال فيما يشبه الألعاب النارية التي نراها في أعياد رأس السنة الميلادية في بلاد غرب اوروبا وامريكا .

وتنطوي هذه اللعبة على خطر كامن من جراء الحرائق التي قد تنشأ وتسبب خسائر في الممتلكات والمرعى والأرواح ، اذ يتعرض بعض المشتركين للحروق خلال الاحتفال .

وهناك ألعاب أخرى للتسلية مثل الدونق كروق وابو اربعة والسوكة والسيجة والنطاط والسفرجت والقرقور والوروار وخلافها من الألعاب التي لايسعها حيز هذا الكتاب.

ألعاب الأطفال

كانت ألعاب الاطفال في الماضـي تقام بطريقة جماعية ، منها ماهي للصبيان فقط ومنها ماهي للبنات ، ومنها الأخرى تجمع بين الجنسين دون العاشرة من العمر . وكانت هذه اللقاءات تنطوي علـى البراءة ونقاء سريرة الأطفال إذ كان أطفال القريـة يعتبرون أفراد أسرة واحدة . أما المغزى من هذه الألعاب فهو تدريب الأطفال وتعليمهم وتعويدهم على التربية الرياضية والفروسية وحياة الجماعة . ومن الالعاب التي تقام في الليالي المقمرة مايلي :

1. قوقوء – Googoo أو الشليل

ينقسم الأطفال إلـى فريقين ، ويقذفون قطعة من العظم تسمى " قوقوء" ثم يقوم الفريقان بالبحث عنها . ومن يعثر عليها يحدث صوتاً متفقاً عليه ويركض نحو نقطة الإنطلاق مسجلاً بذلك نصراً لفريقه ، أما إذا حال دونه أحد أفراد الفريق الآخر وأخذ منه القوقؤ فيعتبر فريقه خاسراً.

2. خكّو– hokko او شدّت :

ويلعب فيها فريقان يختار كل منهما من يمثلـه ، فيثني كل ممثل ركبته ويمسك بها إلى أعلى .. و يعدو كل منهما برجل واحدة بطريقة الوثب إلـى نقطة معينة والرجوع إلى نقطة الإنطلاق التي هي نهاية السباق ، ثم يكرر طفلان آخران نفس اللعبة وهكذا دواليك . وقد يعمل كل لاعب جهده في إعاقة خصمه وذلك بفك رجلـه المثنية . وفي الختام تظهر النتيجة وبالتالي الفريق الفائز .

3. تيلام تيلام: Tilam Tilam

وفيها يجلس الاطفال من الجنسين على الأرض في صف واحد باسطين أرجلهم في حلقة دائرية . ويقوم أحدهم بتلاوة فزورة ، وفي كل مقطع يلمس إحدى الأرجل والتي تليها كانه يعدها عداً . ومن تنتهي عنده يعتبر خاسراً ويخرج من الصف . وهكذا تصغر

المجموعة شيئاً فشيئاً حتى يفوز واحد فقط باللعبة . ومما يقوله أطفال زغاوة الكوبي في هذه اللعبة :

"تيلام تيلام .. عاشة نيام نيام ..دري كوندي كوندي .. ديو نا ريڤيس .. نڤو ديورتيني .. كوندوس سيارو.. تاڤينوجو . كانا مانا تام بيو".

وهي نفس اللعبة المعرفة على نطاق السودان ب : تيلام تيلام تيلام جانو ..الخ

ومن الألعاب التي تنطوي على جهد بدني كبير ، وتحمل وشدة يقوم بها الأولاد دون البنات ، وغالبا ماتقام نهاراً ومن خلال رعي ماشيتهم . ومنها :

1) شد الحبل : وهي لعبة معروفة .

2) نط الحبل : وهي أيضاً معروفة .

3) نط الشوك : وهي أيضاً معروفة على شاكلة نط الحبل .

4) حي ولا ميت : وتعتبر من اللعبات الخطرة ، وتتوقف قوة التحمل والصبر ، وهي ان تحفر حفرة في رمال الوادي الناعم في ماتشبه القبر ، ويوضع فيها أحد الصبية ويغطى وجهه بجلبابه فيهيل عليه أقرانه التراب ثم يسالونه بصوت عال "حي ولاميت" ويقول هو "حي" ويهيلون عليه التراب مرة أخرى ويسألونه ويجيبهم حتى إذا لم يسمعون يجيبهم يعلمون انه في ضائقة من أمره فيزيحون عنه التراب و يخرجونه من الحفرة و قد أصابه التعب والإعياء . ثم يليه آخر .. وهكذا .. ومن يقضي أطول فترة في الحفرة يكون فائزاً.

5) المصارعة : " أداري Adari" وهي نوعان: المعروفة وبالصدر وقد تشترك البنات فيها أحياناً.

6) الفروسية : وفيها يتعلم الصبية ركوب الخيل والتسابق بها وايضاً القفز على حواجز الأشجار والزرائب .

7)الفات الفات : ولها إسم آخر هو " تلّ وفات " بمعنى أطلّ وذهب ، ويشترك فيها الأولاد والبنات وذلك بأن يجلس المشاركون في حلقة دائرية ويدور عليهم أحد الأطفال – من الناحية الداخلية من الدائرة – وهو يخبئ في يده قطعة من القماش ويجري ببطء

وهو يردد "فات فات" ويردد الآخرون "طلّ وفات " . وفجأة يرمي بالقطعة على كتف أحد الجالسين الذي يركض وراءه بسرعة ليضربه بها ، فإن إستطاع الأول ان يجلس في مكانه دون لمسه او ضربه بالقطعة يكون فائزاً وعلى الآخر إعادة الكرة حتى "يخلّص نفسه" ويرمي القطة لطفل آخر وهكذا دواليك.

8) **الرماية :**

وفيها يتعلم الاطفال الصيد ويبدأون برمي "السفاريك" والرماح وبعد إجادتها يبدأون في الرماية بالأسلحة النارية .

9) **الدجاجة والبيض:** وهي لعبة في شكل تمثيلية تعبر عن الدجاجة التي تريد أن تضع بيضها لكنها لم تجد مكاناً . ويشترك فيها الأطفال من الجنسين حيث يقفون في حلقة ضيقة ويضع كل منهم يديه على كتفي الذين يجاورانه فيشكلون سياجاً بأرجلهم ، ثم يجثو احد الأطفال على ركبتيه – ممثلاً الدجاجة – داخل الحلقة الدائرية ويبدأ بالغناء ويجيب عليه الآخرون هكذا :

لمشاركون	باللغة العربية	بلهجة زغاوة الويقي	بلهجة زغاوة الكوبي
الطفل	هل من مكان أضع فيه البيض؟	كيبه جيه قولو بيقا بيقو	كيبه جيه قونو بيقو بيقو
المجموعة	لا .. لايوجد!	كيلاء يوء!	كيينا جوء
الطفل	ولو بيت لدجاج ؟	كوتي بيقاء؟	كودي بيراو؟
المجموعة	لا ..لا يوجد.	كيلاء يوء!	كيينا جوء!
الطفل	ولو فوق الرحي "المرحاكة"	شيقي توتويقاء؟	سيقي تودويراو؟
المجموعة	لا ..لايوجد!	كيلاء يوء!	كيينا جوء!
الطفل	ولو تحت "الدبنقاء"؟	نونو توتو يقاء؟	نونو تودويراو؟
المجموعة	لا .. لا يوجد!	كيلا يوء!	كيينا جوء!

و هكذا تتعب الدجاجة و يصيبها الإعياء و فجاة يضغط الطفل بقوة على أرجل الواقفين و يهرب خارجاً. و يكون الدور للطفل الذى خرجت الدجاجة من بين رجليه، فيقوم بتمثيل نفس الدور.

الفصل السادس: الطب الشعبي عند الزغاوة

مقدمة :

عني الإنسان منذ بدء الخليقة بأسباب بقائه معافى مما يعتل صحته ، وحرص على تفادي مايجلب له الضرر واتقائه. وسعى حثيثاً على معالجة ما ألمّ به من مرضٍ . ومع مرور الأزمان تجمعت لديه حصيلة من الخبرة والمهارة في معرفة الداء وإيجاد مايلزم من الدواء . وفي سبيل ذلك إعتمد على البيئة المحيطة به لاستخلاص الدواء من مكوناتها كالأعشاب والأشجار والماء ومكونات التربة . فإستحدث وسائله في سبر تضميد الجروح وجبر الكسور ، ومن خلال ممارسته لفن التطبيب مر بمراحل التجربة والخطأ والصواب حتى إستدل على بعض الحقائق والأسس الثابتة عن الامراض التي كانت تفتك به والعلاج لها . وعندما لم يجد من البيئة المحيطة به تفسيراً أو علاجاً لبعض الظواهر المرضية أوّل ذلك لقوى خارجية كالجن والسحر والعين والحسد والارواح الشريرة كأسباب لما أصابته من علة وبحث العلاج عند المعالجين الروحانيين وخلافهم .

وقبيلة الزغاوة عرفت التداوي بالأعشاب وجبر الكسور وسبر الجروح والكي بالنار والحجامة والفصادة لأمراض الجسد ، كما عرفت طرقاً للعلاج النفسي كما أنهم أخذوا بأساليب الوقاية من الأمراض وعملوا بها .

الجراحة وجبر الكسور:

خبرت قبيلة الزغاوة أساليب الجراحة وجبر الكسور والتي استمدها من نمط حياتهم الرعوية التي كثيراً ماعرضتهم للإصابة بالجروح الناتجة عن أسلحتهم البيضاء والنارية في الحرب و السلم أو من فعل احتكاكهم اليومي بماشيتهم او من الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور وخلافها عند تعقّبها للقضاء عليها . أما الكسور فكثيراً ما يحدثها السقوط من ظهور الدواب أو من على الأشجار أو في قاع الآبار وقمم الجبال او الإصابة بطلق ناري عن طريق الشجار والثأر .

يستخدم مسحوق ثمار شجرة "القرض" أو مسحوق لحاء شجرة الحراز لوقف النزف من الجروح الحديثة . ويستعمل لحاء أشجار السيال والسنط والهشاب كضماد ، وذلك بلفها على الجروح السطحية لتقيها من الأتربة والملوثات . أما بالنسبة للجراح العميقة تتم خياطتها بعصب الدواجن او بسبائب شعر الخيل والزراف وذلك بعد تنظيفها بالقرض والملح. اما الكسور فيقوم البصير بارجاع العظام المكسورة إلى طبيعتها عن طريق الشد ثم تثبيتها بجبيرة (تابا–Taba) تنسج من اعواد القنا أو البوص وتبطن بالصوف ، وهي عادة تتيح التهوية اللازمة للطرف المصاب وسهولة جريان الدم في العروق .

جراحة الرأس:

ولقبيلة الزغاوة فنها الخاص في علاج جروح وكسور الرأس . وفي الفترة قبل إنتشار الخدمات الصحية الحديثة إشتهر نفر منهم في فن جراحة المخ والأعصاب وكان البصير يقوم بفحص الجريح وسبر غور الجرح ويقرر على ضوئه ما إذا كانت حالته تحتاج إلى فتح الجمجمة او خلافه معتمداً على خبرته الذاتية المستقاة من تجارب أسلافه الذين اخذ منهم المهارة. فمثلاً البصير لايقدم على عملية "الترينة" أي عمل ثقوب في الجمجمة ورفع العظم المكسور أو إزالته لإراحة أنسجة المخ إلا إذا وجد المصاب لايستطيع التحدث أو في غيبوبة . الأمران اللذان يدلان على مدى جسامة الضغط على المخ .

ويستخدم البصير في هذه الحالة قليلاً من الأدوات كالمسبر "منقاش" وموسى من الحديد وسكين حادة وإبرة للخياطة وخيوط من عصب الدجاج وقطن وسمن حار ومسحوق القرض كمطهر ومخدر ومجلط للدم وماء ملح الطعام ، وسبائب شعر الخيل لخياطة فروة الرأس . وتستعمل الآلات البسيطة لعملية إزالة العظم أو رفعه . ويعاون البصير في هذه العملية مساعدون ذوو خبرة وعادة تجرى العملية في الصباح الباكر إعتقاداً منهم بأن نزف الجروح يقل في هذه الفترة من اليوم . ونجد أن نجاح مثل هذه العمليات في تلك الحقبة عالية . ويتم إقرار أهل المصاب بإجراء عملية جراحة الرأس

عرفياً . وقبل إجراء العملية يوضع المصاب في حفرة إلى وسطه مع دفنها وذلك لمنعه من الحركة أثناء العملية لعدم وجود وسائل التخدير "البنج" ، وهذه في حالة المريض بكامل وعيه ، أما في حالات الغيبوبة فلا تستدعي اللجوء إلى مسألة الحفرة.

علاج الملدوغ والملسوع :

يتم علاج لدغة الثعبان ولسعة العقرب بوسائل مختلفة بالفصادة والحجامة أملا في إفراغ السم من موضع اللدغة مع ربط اعلى الجزء المصاب للحد من سرعة إندفاع الدم الحامل للسم إلى بقية أجزاء الجسم وعلاج الجروح الناتجة عن اللدغة لايقاف النزيف . والعلاج بعروق الأعشاب و الأشجار التي عرفت بفعاليتها ضد السم ومعظم هذه الأدوية مقيئة.

الحجامة والفصادة والكي بالنار :

من الاساليب المستخدمة في علاج بعض العلل الحجامة ودواعي استخدامها الصداع الحاد والمصاحب لضربة الشمس الذي يعتقده الزغاوة ناتج عن تراكم دم فاسد في عروق الرأس ومؤخرة الرأس والرقبة الأمر الذي يجعل البصير يفصد موضعين في مؤخرة الرأس حذاء الأذنين ثم سحب الدم منها بالمحجم . وتستمر هذه العملية لفترة يقررها البصير فيشفى الشخص من الألم. ويلاحظ أن بعض الناس قد اعتاد على الحجامة دورياً في كل عام خاصة بعد موسم الحصاد "الدرد" للوقاية من نوبات الصداع .

اما الفصادة فهي عبارة عن إحداث جروح دقيقة في جانبي الوجه عند الصدغين مع إزالة الدم النازف من هذه الجروح عدة مرات حسب مايراه البصير . وعادة تستخدم الفصادة في حالات الأطفال المصابين ببعض أمراض العيون والحميات . والكي بالنار علاج قديم قدم التاريخ . وقد استخدم لعلاج الإنسان والحيوان . أما دواعي استعماله للانسان في حالات الصفار "اليرقان" إذ تكوى نقطتين في وسط الزراعين ، وقد يستعمل الكي أيضاً في إصابات الرأس التي تؤدي إلى كسور في الجمجمة وأيضاً لأمراض

الجهاز الهضمي المزمنة المفعمة بالأمل كما يستخدم في حالات إنزلاق المفاصل وكعلاج أخير للعلل المستعصية .

التداوي بالعقاقير الشعبية :

ونعني بالعقاقير الشعبية العلاجات المستخرجة من الأعشاب والأشجار ومن التربة والحيوان .

التداوي بالأعشاب :

تستخدم جذور "عروق" الأعشاب والأشجار وأوراقها وثمارها ولحاؤها في أشكالها وتركيباتها المختلفة في تسكين الآلام وعلاج الأسقام ، ومن هذه السنه سنه أو نبات السنامكة الذي تستعمل أوراقه في علاج الإمساك للصغار والكبار . أما الحِلْبَة فيعطى محلولها الحار للمصاب بالدوسنتاريا المزمنة واحياناً تمضغ حبات الحلبة عوضاً عن المحلول . وتوصف محلول الكركدي "العنقارة" والقرض وحبات من الدخن – معاً لعلاج الزكام والتهابات الشعب والالتهاب الرئوي . ولتسكين السعال "الكحة" تمتص ثمار شجرة السنط (القرض) أو تعريض المصاب بالكحة على دخان ثمرة القرض مع إبعاده عن تيار الهواء المباشر ، وذلك بتغطيته. اما شجرة الهجليج"اللالوب" فلها إستعمالات عدة : تمص اللالوبة كعقار لفتح الشهية وملين في حالات الامساك والزكام ، أما زيتها فيستخدم لعلاج السعال الديكي "أم قنطو" . و زيت السمسم يدخل في تطبيب شتى العلل منها السعال بأنواعه وبعض الأمراض الجلدية . وللملاريا وصفات منها محلول شجرة العرديب . ولأمراض الفم والأسنان يستعمل محلول لحاء شجرة الجميز وشجرة اللبخ . أما الليمون فيدخل في علاج الكثير من الأمراض كالتسمم من الأكل والمغص "القبضة" . وفي حالات إلتهاب العيون الذي يلازم المصاب بمرض الحصبة يستعمل ماء بليلة الدخن كقطرة كما توصف خلطة الدخن والثوم والبصل في شكل شراب لمرض الحصبة ايضاً . ويعطى مرضى اليرقان "الصفار" محلول نبات الريحان "أبو الريحان" والكول بعد إذابتهما في الماء ، أما الهرجل "الحرجل" فيشرب مستحلبه كالشاي لعلاج آلام البطن غير أن الشيخ يشرب محلوله لأوجاع القلب "فم المعدة" والطمام "اللوعة" . أما في

حالات إلتهابات الجيوب الأنفية فتعالج بنشوق مسحوق ما علق من دخان على سقف "القطية" من الداخل . ومن وصفات الأمراض الجلدية الاستحمام بمنقوع عشب المحاريب"المرحبيب".

2) التداوي بمكونات التربة :

يستعمل الطين بتلبيخ جسم المريض المصاب بالجدري الكاذب "البرجم" لتسكين الحكة "الأكولة- أو الكاروشة"! كما نجد أن النساء عند وحام الحمل يأكلن الطين الجاف الذي يهدئ حدة الحموضة واللوعة . ومن إستخدامات العطرون " النطرون" المغص والحموضة "حيرقان المعدة" . وفي الحالات التي يتعذر الحصول على العطرون يستخدم الرماد بديلاً عنه .

3) التداوي بالزيوت ومستخرجات الألبان :

أ) **زيت النعام** : وله خاصية التسرب السريع لذا يستخدمه الزغاوة في دهن المفاصل المصابة بالروماتزم "الرطوبة" وفي حالات قصر الأطراف أو تشوهها بعد تعرضها للكسور نتيجة لسوء تجبيرها فتدلك بهذا الزيت بطريقة معلومة ولمدة محدودة يقررها البصير .

ب) **زيت السمسم** : فهو علاج للسعال عند شربه وللأمراض الجلدية عند مسحه وله استطبابات اخرى .

ج) السمن البقري : وهو ترياق لعلل شتى في مفهوم الزغاوة ويدخل في علاج امراض الجهاز الهضمي المزمنة والالتهاب الرئوي والربو الشعبي "الأزمة- التتك" وفي حالات السعال عند الأطفال كما يستخدم وسيطاً لصنع لبخات لمسحها على الجسم في الأمراض الجلدية كالجرب إضافة إلى إستخدامه كدهان للشعر للوقاية من القشرة . وهذا قليل من كثير من أوجه إستعمال السمن البقري اما الزبدة والمعروفة بالفرصة تعطى الأطفال الرضع كملين.

4) عسل النحل :

قال تعالى في سورة النحل "وأوحى ربك إلى النحل أن إتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبُل ربك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (69) صدق الله العظيم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الشفاء فى ثلاث : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا أنهي أمتي عن الكي ". وفي حديث آخر :" عليكم بالشفائين العسل والقرآن " وفي حديث ثالث :" إن كان في شئ من ادويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لزعة بنار ترافق داء وما أحب أن اكتوى " صدق رسول الله.

يستعمل العسل لأمراض الجهاز التنفسي كنزلات البرد والزكام والسعال بأنواعه وامراض الرئة وايضا يستعمل في أمراض الجهاز الهضمي لعلاج زيادة الحموضة "الحيرقان" وامراض الكبد "اليرقان" ويستعمل في حالات إسهال الأطفال والدوسنتاريا عند الكبار كما يستخدمونه ايضاً في حالات الضعف والوهن ويعطى للمريض في طور النقاهة من الأمراض المزمنة لفتح الشهية للطعام . ونلاحظ أن العسل في كل هذه الحالات- يقدم للمريض بصورته المصفى الخالي من الشمع وبقية عناصره الأخرى.

5) الدسوسة :

وهي الطريقة التي يلبّس المصاب بالحمى المجهولة جلد خروف او عجل فور سلخه حيث يدثر به كل جسمه مع عدم تعرضه لأي تيار هواء مباشر لمدة تتراوح بين ست إلى اثنتي عشر ساعة .

العلاج الشعبي للأمراض العقلية

كما سبق أن أشرنا فى مقدمة هذا الباب إلى أن الإنسان عمل جاهداً لمعرفة مسببات أمراضه ولما لم يجد تفسيراً واضحاً عزاها إلى قوى خارجة عن بيئته المادية المحيطة به كالجن والسحر والعين والحسد " العمل " والارواح الشريرة كأسباب لما

أصابته من علل وبحث العلاج لدى المعالجين التقليديين مثل الفكي والكجور وشيخات الزار والمعراقيين والمشعوذين والذين يدخل في وسطهم احياناً كثير من المحتالين والدجالين الذين كل همهم أن يبتزوا أموال البسطاء.

أسباب الاضطرابات العقلية :

إنطلاقاً مما أشرنا إليه فإن مفهوم أفراد قبيلة الزغاوة لأسباب الأمراض العقلية إنحصر في :

1- **الشيطان** : ويعتقد ان الشيطان "يضرب" شخصاً وغالباً هذا الشخص يكون صغيراً في السن وينتج عن ذلك نوبة الصرع المعروفة ويكون المريض بين النوبة والأخرى سليماً ويطلق عليه بالمشوطن . ومثل هذه الحالة يتم علاجها عن طريق الفكي "الفكي- Feki" بقرآءة القرآن " وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً * سورة الإسراء الآية 82 " . أو بالعزيمة أو بالتمائم والأحجبة . ويصرف الزغاوة على المعالج بسخاء وعادة يعطونه كمية من الماشية عند شفاء مريضهم .

2- الجن : يعتقد الزغاوة أن الجن يسبب الاضطرابات العقلية المزمنة التي تتصف بالسلوك العدائي الشاذ وكثرة الكلام الفارغ أو السكوت المفاجئ . ويطلق على مثل هذا المريض بالمجنون . ويصعب علاج هذا المرض رغم محاولات ذويه بالصرف عليه وطرق أبوب شتى المعالجين التقليديين من الفكي إلى "العرافات" ومزارات الأولياء وأخيراً ينتهي بهم المطاف إلى تقييده بالأصفاد.

3- العَمَلْ "الطِّب" : والإعتقاد ان هذا ينتج من فعل كيدي يقوم به خصم المريض وعادة باستعانته ببعض المشعوذين لجلب الضرر بأشكال مختلفة حسب مايتفق عليه، فيصاب المريض بالوهن والوساوس وفقدان الثقة بالنفس والأرق . ويقال في مثل هذا الشخص فيه "طب" أو عمل . ولا يمكن علاجه إلا بعد معرفة نوع العمل سواء أكان ذلك بعقد الحداحيد او مربزط بحبل البنده "banda" وعندئذ يتمثل العلاج في تبطيل العمل عن طريق العرافة أو الساحر أو الفكي وتجدر الإشارة إلى ان كل هؤلاء المعالجين هم عادة من غير الزغاوة ويفدون إلى المنطقة لترويج سلعتهم .

4- العين : الاعتقاد السائد أن الإصابة بالعين تحدث من شخص حاسد يتميز بمقدرة ان بإمكانه إختراق الأجسام عن طريق النظرة التي تترك ضرراً بليغاً أينما وجه بصره إليه بنية سيئةٍ . وهنالك قصص من تراث الزغاوة ويذكر فيها بعض الأشخاص الذين كان الناس يتفادون نظرتهم لاتقاء أنفسهم وماشيتهم شر اعينهم . ويطلق على صاحب العين "بالسحّار" و يعرف المصاب بالمعيون. ويعتقد أن حدة العين تكون على أشدها في الصباح الباكر وقبل أن يتناول السحار طعام الإفطار"على الريق". ومن أساليب العلاج ريق السحار " بصاقه" ، يمزج بالماء ويعطي للمعيون إنساناً كان أو حيواناً فيشفى.

5- القسم بالزور : الاعتقاد هنا أن بعض الأمراض العقلية نتاج حلف اليمين بالزور سواء أكان هذا الحلف بالمصحف الشريف أو بغيرها كالصاقعة والأوثان مثل الجبال والاشجار والآبار أو الأسلحة او الحلف بالتسمم من الطعام . والمريض بفعل حلف الزور يعاني عادة من تعاسة الحظ وسوء التوفيق فى أموره الحياتية إضافة إلى الأسقام والعلل التي تلازمه وتقعده احياناً وقد ينتقل سوء الطالع إلى ذريته وماله . ويتمثل أسلوب علاجه في تقديم القرابين والنذور مع إبداء الندم والتوبة وهذا بالضرورة يزيل حلف اليمين زوراً حسب ما يعتقد فيشفى .

6- الدعاء: ويعتقد هنا أن المريض قد أصيب بالدعاء عليه لفعل شنيع اقدم عليه وتنحصر أنواع الدعاء في هذه الحالات في الدعاء على شخص بإبتلائه بشر يصيبه من الصاعقة والآبار وفي هذه الأخيرة تسبقها طقوس وثنية او سحرية . و يعترى مثل هذا الشخص من العلل وسوء الطالع فى شخصه وأهله وماله ولا يتم العلاج إلا برد حقوق من ظلمهم او حصوله على عفوهم مع تقديم القرابين والنذور والاستعانة بالمعالجين التقليديين كالعرافات والمعراقيين والسحرة والفكي.

أساليب الوقاية من المرض عند الزغاوة:

عرف الزغاوة منذ القدم ان بعض الأمراض مثل الجدري والسل الرئوي والسحائى والحمى الراجعة والسعال الديكي عند الأطفال معدية وينبغي أخذ الحيطة والحذر

بالابتعاد عن المصابين بها . ويسمح فقط للأشخاص الذين اصيبوا بها من قبل ثم شفوا منها "العتيق" بالقيام بالتمريض والعناية بالمريض .

ويعزل المصاب بالجدري خاصة في بيت منعزل يبنى غرب القرية وعلى مسافة لاتقل عن الكيلو متر ، ويكلف شخص عتيق لكي يعنى به حتى يشفى او يقضي نحبه . وفى كلتا الحالتين يتم حرق ذلك البيت وما احتوى عليه . اما بالنسبة لبقية الأمراض السالفة الذكر فيطلب من ذوى المصاب أن يحدوا من تحركات المريض خارج دارهم وعدم الاختلاط بالناس أو مشاركتهم في الأكل والشرب .

كما يحرصون على عدم تناول لحوم او البان المواشي المصابة ببعض الأمراض الفتاكة حيث يحرقون بقاياها او يدفنونها .

أما في الأمراض غير المعدية فيكتفون بغلي ألبانها عند الشرب وتعريض لحومها على النار وعدم تناول بعض أجزائها مثل الكبد والطحال والرئتين . ومن محاسن عاداتهم دفن الغائط اذا ماقضى احد حاجته في الخلاء. ونجد أنهم يتبعون اساليب مماثلة للوقاية من الأمراض يطبقونها على ماشيتهم من أبقار وابل واغنام وخيول . ويستثنى من ذلك عدم المامهم بما قد ينتج من تلوث مياه الشرب في البرك والرهود حيث كنا نجد الانسان يشارك ماشيته في ماء شربه من نفس المصدر ولاسيما عند انحسار مياه البرك والرهود اذ تتلوث المياه بروث وبول الحيوانات في نهاية الخريف وقبل الشروع في حفر الآبار . ولعلنا نعزي ذلك لعدم وجود البديل وضيق الامكانيات.

الفصل السابع : القصة والأمثال الشعبية عند الزغاوة

مقدمة :

التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة حافل بفنون القصة والأمثال الشعبية وتشتمل على الأحاجي وأقاصيص البطولة والغرام وأقاصيص السفر والمغامرات إضافة الى الطرفة والفكاهة واللغز . أما الأمثال الشعبية تتعدد مراميها واغراضها في قوالب إبداعية تجمع

بين الافادة والمتعة والخيال والتجريد ، وتشكل في ذات الوقت إبداعاً فكرياً وأداة تربوية تنم عن الرقي في الطرح والمعالجة .

القصة الشعبية :

الأحاجي أو القصص الشعبية عند الزغاوة شاملة وتحتوي على كل الفنون المعروفة من حيث اعتمادها على الأسطورة والخرافة والتي تدور القصة فيها حول الجن والعفاريت والبعاعيت وبعض الحيوانات كالأسد والثعبان وغيرها ، فهي تجلب السعادة أو الشقاء للشخصية محور القصة . وجدير بالإشارة هنا أن الحجوة عند الزغاوة تتخذ من وادي سيراء (وادي عرديب) مسرحاً في اغلب الاحيان لوعورة هذا الوادي ولوجود الغابات الكثيفة التي تشكل حظيرة طبيعية للحيوانات الوحشية وللاعتقاد السائد عند الزغاوة أن الجن يتخذ وادى سيراء مرتعاً ومسكناً له.

والحجوة عند الزغاوة نوعان : قصيرة وتدور القصة فيها حول لغز أو مسألة صعبة وتبدأ بعبارة (حجيتك مابجيتك) وفيها يحاجي المرء غيره ويتحداه ويتطلب منه الجواب . وطويلة هي العبارة عن الحكايات التى تسترسل في السرد.

الأحاجي الطويلة :

وينسب الزغاوة هذه القصص الى الجدات او الحبوبات ويسمونها " أوبوتي " Oubotei اي قصص الجدات ، وذلك لان الجدة عادة لها حصيلة وافرة من القصص والحكايات المتنوعة والشيقة المتواترة التي ترويها لأحفادها الصغار بعد وجبة العشاء حين يجلسون حولها ويصغون إليها بشغف تلك القصص المفعمة بالطرافة والجدة والحزن والفرح والتي لاتخلو من المواقف المحرجة والدراماتيكية وأيضاً الكوميدية علاوة على القصص التاريخية والخرافية التي تغذي خيال الاطفال .

وقبل ان تبدأ الجدة في سرد القصة يردد الأطفال كلمة "ساسا" وتعني السكوت السكوت حتى يتمكن الجميع من سماعها بوضوح . ويتنوع موضوع القصة ، الا أنها تدور حول نوادر شخصية "نبيه" والتي تماثل شخصيات ود نفاش وام غلبونا في التراث القومي السوداني وشخصية جحا في الأدب العربي . ونبيه هذا رجل يفتعل البلاهة

و"الاستهبال" إلا أنه في واقع الأمر يتميز بالذكاء وسرعة البديهة وله المقدرة في ايقاع الناس في مآزق"عويصة" يصعب إيجاد مخرج منها . وكثيراً مايقع هو نفسه في مواقف محرجة ويكون في وضع لايحسد عليه ولكنه يجيد استدرار عطف الناس . وهو بطل في نظر الأطفال المنتصر في كل الأحوال . وتتميز قصصه بالاثارة والتشويق وتكاد لاتكون لها نهاية فهي سلسلة متواصلة من الحلقات التي ما ان تنتهي واحدة حتى تبدأ أخرى وغالباً ما يكون لكل حلقة موضوع مختلف وتشبه في ذلك قصص ألف ليلة وليلة من الحوادث العجيبة والقصص الغريبة والنوادر الفكاهية مما تحفز الأطفال على متابعتها والحرص على حضور باقي الحلقات في ليلة لاحقة .

الأحلجي القصيرة(الألغاز):

وهذه تعتمد على الذكاء وسرعة البديهة وتشبه لحد كبير المطارحة الشعرية وفيها يمزج الراوي الخيال الشاطح مع الكذبة البيضاء المبالغ فيها ونمثل ذلك بالتالي :

التقى رجلان يسميان كاذب وكذاب فادعى كل منهما أنه يفوق صاحبه في الكذب والمبالغة . فدعا كذاب منافسه لزيارته في داره في وقت معلوم لكي يثبت له صحة إدعائه . فلما أتى كذاب في الموعد المحدد لم يجد في دار كاذب سوى إبنه الصغير . فدار بينهما هذا الحديث :

كذاب: أين أبوك ياولد؟

الطفل: إنه خرج لتوه إلى هناك – مشيراً بيده – لكي يزيل اعوجاج الطريق الملتوي لأن شخصاً مهماً سيزورنا اليوم– لعله أنت! و أوصاني ان تنتظره وسوف لن يتاخر عليك كثيراً.

كذاب: لقد تأخرت على أبيك لأن النار قد شبت في البحر منذ يوم أمس وتعبت في إطفائها لأنني كنت لوحدي حتى تمكنت من إخمادها .

الطفل : صدقت .. فقد رأيت البط والأوز تطير مسرعة من هنا وقد شبت النار في ريشها !

ثم طلب كذاب من الطفل ان يأتيه بالماء كي يشربه ، فدخل الولد في البيت وظل يتلكأ فيحرك الماء في (الزير) فيحدث صوتاً عالياً . فناداه : ماذا تفعل أليس في داركم ماء؟

فاجابه الطفل : إن في زيرنا مزيج من ماء الأمس واليوم وانا بصدد فصلها لأعطيك ماء اليوم لتشربه !

وطفق الطفل يطرد ديكاً أبيض فقال له كذاب في استغراب : وما شأنك بهذا الديك تطرده وتثير علي الغبار؟ فرد عليه الطفل : انني اريد ان امسك به واحلبه لكي اصنع لك من لبنه "تسيه" ويعنى به الروب الممزوج بالماء!! وتعجب كذاب من الفتى فقال له وهو يودعه :

اذا كنت أنت هكذا فكيف يكون أبوك ؟ اذا جاء كاذب فقل له انه "مش كاذب وبس انما شيخ الكضاضيب كافة، وانه كسب التحدي" ومضى في سبيله .

ويمكن ان يتنوع اللغز فيكون في صيغة سؤال يطلب فيه الراوي او السائل من الأطفال معرفة مرماه بالإجابة ، فيبدأ السائل بلفظة "ساسا" و التى تماثل حجيتك ما بجيتك عند عموم اهل السودان ثم يلقي بسؤاله على مستمعيه الذين شد انتباههم كأن يقول:

جوقيس كيقيس نوراي أقاتي ؟!

تراني غادياً ورائحاً فمن انا ؟!

وهنا يبدأ الصغار في ترديد مايرونها الاجابة الصحيحة بينما ينفي صاحب اللغز صحتها حتى إذا اهتدى احدهم الى الصواب "الباب" صفق له الجميع فرحين مهللين . وتستمر الجلسة المرحة وتتكرر الأسئلة ويسبح الصغار في خيالهم التجريدي للحصول على مرامي الالغاز التي يقذفهم بها الراوي الى ساعات متأخرة من ليلة الخميس من كل اسبوع لانشغال الاطفال في الليالي الاخرى بالدراسة في الخلوة او التفرغ لأنواع أخرى من الألعاب كالشليل وخلافها من أنماط اللهو البرئ لتزجية الوقت . ومن الجدير بالتنويه ان الصورة التي أشرنا إليها كانت سائدة في حقبة تاريخية لم تكن المدارس النظامية

منتشرة في منطقة دار الزغاوة وبالطبع فإن النشاط والواجب المدرسي قد امتص بالتدريج الفراغ الذي كانت ليالي السمر تشغله ولم يبق وقت لما ذكرناه الا في نطاق محدود في القرى والبوادي في العطلات السنوية للمدارس حيث يعود التلاميذ الى ذويهم .

الزغاوة وقصص البطولة :

نجد ان الزغاوة بجميع فروعها لها قصص محورها الأساسي سيرة بطل شجاع يخوض المعارك ويجندل الخصوم ويخرج منتصراً . ومن هذه القصص الملحمية قصة حقّار هاروت عند زغاوة الكوبي . يروى أن لحقّار هذا قوة خارقة وشجاعة نادرة في مقارعة اعدائه والحاق الهزيمة بهم ، فصارت الحكايات عنده أساطير تناقلتها الاجيال وفيها دونت كثيرا من أخبار الحروب وسجلت أحداث تاريخية هامة . ويقول الرواة انه في آخر معركة شهدها وقتل فيها قد أحاطت به فصيلة حسنة التسليح من جيش سلطنة وداي وهو في نفر قليل من رجاله فحارب بشراسة تسنده قوة خارقة متمكناً من القضاء على معظم تلك الفصيلة . ثم تعقب فلولها الهاربة حتى أصابه رمح طائش في أحشائه فخر صريعاً. فأتاه إبن أخت له محاولاً اخذه والانسحاب به الى مكان آمن لينقذ حياته فأبى حقّار ذلك قائلاً ما الفرق بين مايسمى بالانسحاب والهرب فالموت في سبل الحق شهادة وشرف، سأسمح لك انت بسحب نفسك من المعركة ان اردت. فما كان من ابن اخته الا ان هجم على خصومه وابلى بلاء حسناً واستشهد هو الآخر .
اما حقّار فقد لفظ انفاسه الأخيرة في ساحة القتال متأثراً بجراحه.

وبعد أن تاكد جيش وداي من موت حقّار قدم قائدهم في معية ثلة من جنده وامر ببقر بطن حقّار واخراج قلبه ليفحصه لمعرفة تكوينه التشريحي ان كان يختلف من قلوب سائر البشر والذي قد يكون تفسيراً لشجاعته الفذة والقوة الخارقة اللتين كان يتميز بها حقّار هاروت.

وتسترسل هذه القصة الملحمية ويستطرد الرواة قائلين بأن جنود وداي عندما اخرجوا قلبه لم يجدوا فيه المكونات الطبيعية للقلب بل رأوا قطعة من العظم ذات شعبتين . فأصابتهم الدهشة وداخلهم الخوف والرهبة فعادوا القهقهري واقلعوا عن اطماعهم

التوسعية في بلاد الكوبي . وهناك قصص أخرى في البطولة كقصص بحر دقلو وقصة احمد إبرة وأيضاً قصة سيرفوء. ويمكن اعتبار سير بعض همباتة الزغاوة أمثلة لقصص البطولة وإن إتخذت طابعاً مغايراً للصور التقليدية التي تعارفت عليها .

الزغاوة والقصة الغرامية

إن مجتمع الزغاوة لايخلو من القصص التي تصور شخصية المحب ومواقف الحب المفعمة بالعشق والغرام والوله والتضحية والعفاف والحرمان . وقد سجلت الأساطير شواهد من هذا القبيل .

نوره قمراء

هذه القصة الغرامية التي ترد نكرها نابعة من التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة ظل الناس يروونها بلهجتهم المحلية جيلاً بعد جيل . فهي قصة واقعية كان مسرح أحداثها قرية في منطقة الطينة حاضرة زغاوة الكوبي .

بطل هذه القصة يدعى حماد والبطلة قمراء بنت رجب . نشأ الاثنان وترعرعا في قرية واحدة . وهما ينحدران من نفس العشيرة ولما شبا عن الطوق صار حماد فارساً قوياً شجاعاً يتحلى بمكارم الأخلاق ، مما جعلته محل إحترام أهالي القرية . ومن جانب آخر فقد كانت نوره قمراء فتاة غاية في الرقة والجمال ، كاملة الأوصاف فاصبحت محط أنظار شباب قريتها والقرى المجاورة ، مما حدى بكل منهم محاولة التودد إليها والتقرب منها عله يظفر بحبها . ولكن دون جدوى فقد سبى قلبها حماد المتيم بحبها حيث نشأت بينهما قصة قوية من الحب العذري والغرام المفعم بالعشق والوله . وصار حماد – من فرط تعلقه بمعشوقته – يتغزل بها ويقول فيها الشعر ، مما حدى ببعض أفراد أسرتها على تحذيره من مغبة التعرض لها واعتبروا اشعاره في بنتهم تشهيراً بها .

تقدم حماد طالباً يد نوره قمراء من أبيها الذي لم يبد حماساً كبيراً في الموافقة ، بل عمد على إقصائه من زمرة خطاب إبنته بان بالغ في حجم مهرها . ولما كانت عادة الزغاوة آنئذٍ دفع المهور بالماشية فقد قرر رجب –والد نوره قمراء– أنه لن يقبل بشيئ أقل من ستين بقرة . ولما كان حماد لايملك الا جزءا يسيراً منه حزن وساورته الشكوك

في نوايا والد محبوبته تجاهه . ولكنه لم يستسلم لليأس بل قرر امام هذا التعجيز ارتياد الصعاب والسفر الى الديار البعيدة بغية الحصول على مهر معشوقته . فأمتطى جواده وتمنطق سيفه ويمم غرباً الى منطقة آتياء في السودان الفرنسي حيث اشتهر اهلها بتربية اصائل الابقار والاتجار بها .

كان الطريق الى تلك المنطقة محفوفاً بالمخاطر ووعراً تقطنها السباع والوحوش الكاسرة . وترتادها عصابات من قطاع الطرق. وبالرغم مما قابلته من صعاب استطاع الوصول الى آتياء وتجول في سوق الماشية فاستبدل مامعه من جمالٍ وحلي بالأبقار . وكان البيع مجزياً إذ اكتسب سبعين رأساً منها ثم قفل راجعاً يشده الشوق والحنين إلى ديار أهله وحبيبته . ولما بلغ مسيرة يومين اعترضت طريقه جماعة من قطاع الطرق وشهرت في وجهه السلاح فدارت معارك حامية الوطيس استخدم فيها حماد سيفه البتار وهو يضرب ذات اليمين وذات اليسار يصرع خصومه أينما إتجه . وفي خلال هذه المعركة التي أبلى فيها بلاءً حسناً كان لاينفك يشدو بشعره في حبيبته نوره قمراء ويردد باستمرار عبارته "اكو نوره قمراء" التي كانت تمده بقوة خارقة وثبات منقطع النظير .

أسفرت المعركة عن انتصار حماد على العصابة التي أبيد معظم افرادها بينما فر الباقون بجراحهم . وفي هذه الآونة تدور شائعات عن مصيره يروجها منافسوه في خطوبة محبوبته ، اذ قاموا وقالوا ان حماد قد هلك في مجاهل وداي باري في غرب دارفور على أيد لصوص البقر . فحزنت له نوره قمراء في حين ان والدها تنفس الصعداء وحسب ان خطته قد نجحت وان الوقت قد حان لينفذ ماكان ينوي من فعل تجاه تزويج ابنته من عامر ابن شيخ القرية والذي عرف بسعة رزقة وكثرة ماله عياله، ثم حدد موعد للخطوبة. هذا ماكان من امر اهل نوره وخطابها اما هي فما ان علمت ما يبيت لها أبوها حتى توسلت اليه الا يجبرها على الزواج من عامر الذي لم تكن تحبه يوماً . إلا أن أباها بقي على إصراره قائلاً ان البنت ليس لها رأي في مسائل الزواج ، وعليها ان تذعن إلى مايقرره لها ذووها . وحيال هذا الموقف والمصير الذي ينتظرها جاهرت برفضها وآلت على نفسها ألا تلبس الحلي والزينة وان تحرم نفسها من الطيب وألا تأخذ

من الطعام والشراب الا مايسد الرمق ، وجعلت تذرف الدمع مدراراً وتأرقت فلم تجد للنوم طعماً ونحل جسمها وشحب لونها . ولم تفد محاولات أمها وقريباتها من أن تعود الى رشدها بتناول الطعام وقبول الأمر الواقع . اما حماد فقد جمع أطرافه وساق أبقاره بعد المعركة وإتجه صوب الطينة . و وصل وداي أبو سنط حيث حط رحاله ليستجم من عناء السفر وجهد المعركة اللذين بلغا به أي مبلغ ، وترك أبقاره ترتع في مروج الوادي بينما غط هو في نوم عميق لم يوقظه منه إلا زئير الأسد وخوار أبقاره الفزعة المستنفرة فهب قائماً وركب جواده واستل سيفه وشهر رماحه وحمل على الوحش الذي كشر عن انيابه ثم أرغى وازبد فملأ الغابة رعباً وجلبة بعد أن تمكن من إفتراس إحدى تلك الأبقار ، فرماه بثلاثة رماح اصاب منه مقتلاً ، ثم ترجل عن صهوة جواده وعمل في الأسد ضرباً بالسيف وطعناً بحربته الكبيرة "الشلكاية" حتى مات ، فجمع حماد أبقاره واحصاها وقصد ديار أهله فرحاً يتوق إلى لقاء حبيبته وهو لايدري ماكان يدبر في غيابه.

ولما بلغ مشارف القرية لقي صبية فاعلموه أن كل شيئ في القرية على مايرام وأن نوره قمراء ستزف إلى عامر في ذلك اليوم ، فصعقته الاخبار الا انه تجلد وتذرع بالصبر وواصل سيره حتى وصل ساحة القرية وغبار أبقاره تحجب الشمس المائلة الى للغروب.

التفت المجتمعون ولما رأوا قطيع البقر ومن ورائه حماد – سادهم الوجوم والدهشة ولم يقو بعضهم على البقاء فتفرقوا إلى منازلهم وقراهم من شدة الحرج بينما أومأ حماد عليهم بالتحية ومر مسرعاً إلى دار أهله الذين إستقبلوه بمشاعر مفعمة بالفرح والحزن في آنٍ واحدٍ فآووه وآزروه محاولين التقليل من حدة الصدمة التي ألمت به .

لم يستسلم حماد للأمر الذي فرضه عليه آل محبوبته بالرغم ماكان يحسها من مرارة وكآبة وحرمان والتي جعلته يهيم على وجهه وقد براه الوجد والهيام وكانت اشعاره الملاذ و الهرب من شجونه وهمه وغمه ، ويقضي الليالي الطوال يعزف على آلة الكوربي (الكردينق) ويغني بمحاسن معشوقته نوره قمراء ويندب حظه ويوبخ من سعوا

في شقائه من أسرة حبيبته بينما يهجو عامراً مر الهجاء ويتوعده اذا لم يفسخ خطوبته المزعومة .

كانت الليالي التي يأرق فيها حماد بمثابة منتدى لبعض شباب القرية من الجنسين يشاطرونه بالإصغاء اليه والسهر معه وتنقل الفتيات مضامين شعره وغنائه الى نوره التي صارت حبيسة في دارها اذ فرضت عليها الرقابة ومنعت من الخروج من المنزل إلا أنها كانت تفلت أحياناً من عين الرقيب وتلتقي بفتاها حماد فيتناجيان ويبث كل منهما الآخر شجونه بينما ينقل كل منهما للآخر إصراره والتزامه بالوفاء وامل اللقياء في نهاية المطاف في بيت زوجية رضي الأهلون بها أم أبوا .

راجت أقاويل في هذه الأثناء في القرية أن العاشقين جعلا يلتقيان خلسة . وعمد المروجون للشائعات في تأجيج نار الفتنة . وتناقلت إلى مسامع عامر تلك الأقاويل مفخمة فاستشاط غضباً واتخذ من حماد موقف الخصم الذي يهدر دمه في عرف الزغاوة ويطلق عليه "بون– Bonn" وهو المنافس الذي يحرض ويغرر بخطيبة غيره ، ويلزم الأخذ بالثأر منه على يدي أي فرد من أهل الخطيب.

تمر الأيام وتتلوها الليالي وتتأزم العلاقة بين ذوي حماد وعامر . وتسود حرب باردة بين الطرفين وتصل الخصومة قمتها في ثاني أيام عيد الفطر المبارك . وخلال الإحتفال التقليدي لأهالي قرى المنطقة يتقابل حماد وعامر كلاهما في معية أقربائه وخلصائه من الأصدقاء في حلبة رقص الفتيات ، فيتأبط عامر شراً ويباغت حماد بضربة من سيفة إلا أن الأخير لم يخترق السيف جسمه الذي زعم انه كان موقي بالأحجبة والتمائم ، فيلتفت حماد دون أن يفلت منه عامر فيسدد له عدة طعنات من سكينه . وتوسعت دائرة المشاركة بمشاركة أهل الطرفين . وحمي الوطيس واختلط الحابل بالنابل وساد المكان الهرج والمرج ولم يعد الناس إلى رشدهم وفض الشجار الا بعد تدخل زعيم العشيرة بحراسه المدججين بالسلاح .

اخذ المصابون الى خلوة القرية وجلب لهم البصير لمعالجة جراحهم بينما اعتقل المشاركون في المعركة الى بيت زعيم العشيرة وظلوا فيه حتى كتب الشفاء للجرحى ،

فشكلت محكمة اهلية من الاجاويد لفض النزاع على العرف السائد ، واسفرت المحاكمة عن تغريم كل من عامر وحماد بقرة وافرج عن المعتقلين .

ولما رأى والد نوره قمراء ماوصلت إليه الإمور من اقتتال وتنافر من جهة ورفض ابنته واصرارها على عدم الموافقة على الزواج من عامر من جهة أخرى استدعى عشيرته الاقربين واسرة عامر في حضور ابنته ليبلغهم قراره القاضي بفسخ خطوبة عامر من نوره درءاً للمشاكل التي افسدت حياة القرية العامرة . ونزولاً على رغبة إبنته التي لم توافق قط على عامر . وفي نفس الوقت طلب منها ان تمنحه حق التصرف فيها مقابل فسخه لهذه الخطوبة . فوافقت في غمرة سعادتها وهي تكاد لاتصدق نفسها هذا التحول المفاجئ في أبيها . لكنها لم تكن تدري ماوراء ذلك التحول ومايضمره لها أبوها .
وكان من الحضور من الناس بين مصدق ومكذب حتى اذا فرغ رجب من فسخ تلك الخطبة انبرى الى نوره قمراء قائلاً: " بنيتي انني قد حققت لك ماكنت ترغبين حيال رفضك لعامر . . ولكنني أقسمت الا اسمح لك بالزواج من حمادٍ أيضاً ، فأختاري ممن تشائين بعلاً لك ".

ووقعت هذه الكلمات في نفس نوره قمراء وقع الصاعقة فأغمى عليها . كذلك ساءت حالة حماد النفسية فعاشا في حرمان تام . وقيل أنهما كانا يلتقيان من وقت لآخر يندبان حظهما العاثر ويشكوان قسوة "رجب" الذي وأد حبهما وقد تركا كثيراً من الاشعار والأغاني وأصبحت سيرتهما الذاتية تشبه الى حد كبير مجنون ليلى ومافتئ أفراد القبيلة يتناقلونها جيلاً بعد جيل.

الزغاوة والأمثال الشعبية

تكثر الأمثال الشعبية في تراث الزغاوة وتتنوع بتباين الظروف الحياتية . ومحاولة تعريبها وترجمتها تفقدها الكثير من رونقها وحلاوتها علاوة على ضياع فصاحتها الخاصة وأسلوبها المميز . ونورد هنا بعض النماذج عنها:

1. دي تارى مان كاقاي (تجمع الحمل على رأس الراحلة) المعنى (بلغ السيل الزبي)

2. دي تاقو كو إيرو (الجمل مايشوف عوجة رقبتو) (لايرى المرء عيوبه)

3. دار دار كينودونق .. سوموني قو جاقينو سيري (دار ولادارك .. أرنب تاكل عيالك) ويعني (لايشعر المرء بمكانته وعزته إلا في وطنه)

4. تاميسي سينا تابارو (العين لاتعلى على الحاجب) أي يستحيل لمس الأنف باللسان.

5. آقو كويبيري باقو حيرو(ربط الخشم ما تفكو اليد) أي الربط بالكلام أقوى من الوثاق بالحبل .

6. بي بيري ديرقي سبيري (المعزة المفارقة للمراح كثيرة الثغاء) أي نادم من فارق الجماعة .

7. دي تينونق بوي نيري.. بييه تينوتق كيري نيري ، ويعني (حال معدوم الراحلة كحال العازب).

8. تايني تاسيرو (لايمكن إعادة الشباب بعد الكبر) أو (هل يصلح العطار ما أفسده الدهر).

9. كينو او كيري دي (جرادة في الكف ولا ألف طائر) أي (شيئ خير من لاشيئ)

10. أيه كيديرو تتيراء .. أوء دار كوفينيى (إلزم حدودك في ديار الآخرين).

11. بيي قينو دي ورنيقيني .. بيقينو تييه كير يرا اكينو (مد رجللك على قدر لحافك).

12. بوني بيونق ..بوء هيري دور بوبيدي ديه (جِنّاً تعرفو ولا جِنّاً ماتعرفو !).

13. ايري تيني نيقيرو .. كانيرو سويقي .. تيني نيقيدي ديه .. أي (أن تُمْسِي كاظماً للغيظ خيرمن أن تصبح نادماً).

14. تبار تونق .. ديسنو (المابتلحقو .. جدعو).

15. قير قتيراء .. نسيرو (جعجعة بدون طحين).

الفصل الثامن

الهمبتة عند الزغاوة

مقدمة :

لم نعثر على كلمة الهمبتة أو أي من اشتقاقاتها عند البحث عنها في معاجم اللغة العربية للتحقق من مصدرها ومعناها . لكنها اصطلاح يطلق على عمل يمتهنه أفراد من المجتمع عرفوا بالهمباتة ، خرجوا عن المألوف واحترفوا المخاطرة بحياتهم وصولاً لأخذ مال الغير عنوة وغايته صياغة فكر اجتماعي فريد يحمل في طياته معان ومفاهيم شتى منها الرفض والثورة والثأر والبطولة حينا والتمرد على الظلم والحرمان احيانا أخرى وخلاف ذلك من الدوافع والغايات .

والهمبتة تكاد ان تكون مؤسسة اجتماعية لها مفاهيمها واعرافها واخلاقياتها كما ولها آدابها وسلوكياتها المميزة . ولم تكن الهمبتة وليدة اليوم او محصورة عند قبيلة الزغاوة فحسب ولكنها وجدت عبر التاريخ عند القبائل البدوية المترحلة ولاسيما تلك التي تعنى بتربية الإبل (الجمال) . ففي تاريخ العرب في الجاهلية نرى شواهد للهمبتة من خلال دراستنا عن شعراء صعاليك العرب أمثال عروة بن الورد والشنفري وتأبط شراً وعمرو بن براق وسليك بن السلكة وخلافهم الذين ينتمون الى قبائل مختلفة جمع بينهم نمط حياتهم وفكرهم الاجتماعي المفعم بالثورة والرفض الذي كان يقلق مضاجع الأغنياء والسادة فغلبت على شعرهم الطبيعة القتالية حيث يؤكدون فيه لزوم الحرب في سبيل الحياة الكريمة دون ذلٍ أو ضيم.

ونجد الهمبتة منتشرة على نطاق السودان في قبائل الجلول والمهرية والعطيفات والكبابيش والكواهلة وقبائل رفاعة والبطاحين في البطانة (الطيب ود ضحوية) والزغاوة والميدوب والزيادية وقبيلة التبوسا في منطقة كابويتا بالاستوائية وبعض قبائل شرق السودان والتي تعرف همبتتها – ان جاز التعبير – بالشفتة.

وحياة الهمبتة تتسم بالقساوة وشظف العيش ، محفوفة بالمخاطر وتشبه لحد كبير الصورة الدرامية لحياة راعي البقر (الكاوبوي) في الافلام الامريكية (الوسترن).

أما الخلفية الأسرية للهمباتة فتتباين تباين الأشخاص ، فنجد الكثير منهم ينحدرون من أسر ميسورة الحال بمقاييس بيئاتهم ومجتمعاتهم والقليل منهم من خلفية فقيرة محرومة . ومن الملاحظ ايضا ان الخلفية الثقافية لافراد البيئة التي ينتمي إليها الهمباتي عادة لا تنكر أو تعيب الهمبتة بل تجدها مقبولة وإن نظرت إلى الفرد منها الذي يحترف الهمبتة بنظرة إشفاق شديد خوفاً مما قد تعتريه من عقبات ومخاطر ، وما يتعرض له من مساءلات قانونية من قبل السلطات . وتعتبر الهمبتة إحدى إفرازات المجتمع.

آداب الهمبتة وسلوكياتها :

من أهم سلوكيات الهمبتة الالتزام بالعرف الذي يكاد ان يكون قانونا ويشمل هذا حفظ الأسرار وعدم الإفشاء بها ولو أدى ذلك إلى هلاكه . والذي يحيد عن هذا الإلتزام الاساسي يعرض نفسه الى تصفية جسدية والثأر من ذويه مع ما يتبع ذلك من إشانة لسمعته وإلحاق العار بشخصه ومقاطعته . وهم شركاء بالتساوي فيما يحصلون عليه من مال عن طريق الهمبتة وهناك مايشبه الضمان الاجتماعي يتكفل به الهمباتة برعاية أهل من يصاب منهم بالعجز أو يتعرض للسجن او الموت.

ومن آدابهم عدم التعرض لأموال القبائل المتاخمة لهم في السكن أو المستجيرة بهم مالم يكن ذلك انتقاما منهم لوشاية أضرت بهم من احد أفراد تلك القبائل المجاورة . ومما يترفعون عنها سرقة ماشية غير الإبل ويحرمون أنفسهم سرقة امتعة او نقود . ومن اصول الهمبتة نصرة الضعيف والمظلوم واغاثة الملهوف والترفع عن السطو على المنازل . ومما يعتبرونها حلالا مستساغا بندقية "الحكومة " او جمال الهجانة "جمل ميري" ومن رفيع أخلاقياتهم الوفاء لرفقاء سلاحهم من الهمباتة الذين تآخوا معهم من قبائل أخرى على نطاق السودان.

وللهمباتة مايشبه الشفرة "كلمة السر" عند تخاطبهم مع بعضهم او عند تركهم وصية مع اهلهم لابلاغها لأحد رفاقهم. ومن سلوكياتهم ايضا المبالغة في الكرم والفدائية في الشجاعة . ويتم الحاق المستجد من الهمباتة الى عصابتهم بعد اجتيازه اختبار قوة التحمل والشجاعة والصبر والصدق عوضا عن اجادة الرماية بشتى انواع الاسلحة

النارية من بنادق تقليدية الى البنادق الحديثة سريعة الطلقات "الأوتوماتيكية " مثل ال(جي م3) والكلاشنكوف والقنابل اليدوية والمدافع في السنين الأخيرة !

مشاهير الهمباتة:

نود أن نشير هنا إلى أن الهمبتة عند الزغاوة تنتشر في نطاق ضيق وعند بعض الفروع دون الاخرى عكس مايشاع ويعتقده كثير من الناس – بصورة نمطية –حتى صارت سرقة الجمال كسمة مرادفة لكلمة الزغاوة . وهذا الموقف قد ألحق الضرر لكثير من الأبرياء لمجرد إنتمائهم لقبيلة الزغاوة عند اتهامهم بنهب الجمال ، وماقد يتبع ذلك من تأثير على مجريات العدالة حينما يصعب توفر الادلة الثبوتية والبينات لدى السلطات القضائية .

وقد اشتهرت بعض الشخصيات من الزغاوة بالهمبتة فأصبحت سيرهم الذاتية اسطورية تناقلتها الالسن جيلا بعد جيل ومن هؤلاء عبد الكريم كراديو من فرع زغاوة البديات اذ روي انه كان يتمتع بمكارم الأخلاق ولاسيما الشجاعة وكان متمردا على السلطة الحاكمة في اواخر الثلاثينيات من هذا القرن حيث كان الانجليز يحكمون السودان ويطبقون سياسة العصا الغليظة مع تنفيذهم قانون المناطق المغلقة على دار الزغاوة حيث كانت اولويات هذا القانون تجريد السكان من السلاح الناري وتعقب من يعتبرونهم مشبوهين والقبض عليهم واهانتهم واكراههم على الاعتراف باقتناء السلاح ثم إحضاره بأي ثمن في مدة زمنية وجيزة . فبرز عبد الكريم في تلك الآونة كأحد الرافضين لتلك السياسة الاستعمارية فجند نفسه واخوانه ورفقاءه للاقتصاص والثأر من السلطة الحاكمة آنذاك فولدت القساوة عنفا مقابلا فذاع صيت عبد الكريم كراديو فخاض معارك كثيرة اسفرت عن انتصاراته الباهرة . فعملت السلطات على القبض عليه لكنه لم يمكنهم إذ كان يفلت بدهاء شديد واستمرت الحرب سجالا بينهما حتى اسدل الزمان ستاراً عليه في معركة فاصلة وقع فيها عبد الكريم في الاسر بعد ان أبلى بلاء حسناً واخذ الى الفاشر وحكم عليه بالاعدام فتم شنقه في سجن خير خنقا في بداية الاربعينات من هذا القرن.

وتزامن ظهور عبد الكريم مع ذياع صيت عبد العزيز الزغاوي في منطقة شرق دارفور في شريف كباشي . وكانت ثورة عبد العزيز موجهة ضد الإستعمار واتخذ طريق من الفاشر – ام كدادة- الابيض مسرحا لعملياته القتالية . فكان يترصد السيارات الحكومية الناقلة للبوليس ومهمات الدولة دون المساس بممتلكات الأهالي او مركباتهم بسوء. وقد أزعجت حركته مضاجع الإنجليز في الفاشر مما حدا بهم الى ارسال قوة مسلحة من الشرطة تجوب منطقة نفوذ عبد العزيز فالتقت تلك القوة به فدارت معارك حامية الوطيس انتصر فيها عبد العزيز ولم ينج من القوة الا القليل من الرجال الذين فروا الى الفاشر . ثم أرسلت حملة تلو اخرى حتى استشهد في احدى المعارك لتنطوي تلك الصفحة من تاريخ الهمبتة المميزة.

ثم عادت الهمبتة الى منحاها التقليدي بعد الاستقلال فبرز من الشخصيات هري ادريس من زغاوة انكا وعاصر خويجيل الجلولي . فذاع صيته وانتشرت اخبار معاركه مع شرطة شمال دارفور الذين تمكنوا من مداهمة قريته صباحا وأردوه قتيلاً بعد معركة ضارية قيل ان زوجته كانت تقاتل معه.

أما بوبو حسن من زغاوة البديات قد دوّن حياته ومماته في أغنيات تميزت بالطرافة بجانب استقرائها للأحداث ومنها دنو أجله ، فافترض ان منيته ستقترن بالهمبتة من اجل النوق في حين ان صديقه إيري "غضب" سيصرع في معركة نليلة بسبب ولعه بالغنم ونهبها وهي امور يترفع عنها الهمباتة . ومن سخرية القدر أن بوبو حسن مات وهو في فراشه ميتة طبيعية بمنزله بقرية هلالية جنوب غربي كرنوي و يقول في إحدى أشعاره:-

إريقا بي جوريقو دوري   بوبو حسن قا دي جوريقو دوري !

وهناك من أقلع عن ممارسة الهمبتة نهائياً آيباً وتائباً ومنصهراً في المجتمع بعد صولات وجولات ، ومن هؤلاء آدم حفيظ من زغاوة قلا الذي كان آخر عهده بالهمبتة عند هروبه من سجن السلطان دوسة في الطينة متجهاً إلى منطقة القضارف حتى وافته المنية في 1960.

ومما يروى عن الهمباتة من أخبار ان ابراهيم المنتمي لفرع زغاوة البديات انه كان السبب المباشر لنزوح عرب الجلول من شرق تشاد ابان الاستعمار الفرنسي الى السودان . قيل انه كان في صفوف الحركة الوطنية ضد الاستعمار حينئذٍ فتوطدت صلته بسلطنة وداي التي درجته عقيدا على العرب الرحل الا ان المقام لم يطب له لمضايقة الفرنسيين له مما حدى به الى الهجرة للسودان في معية القبائل الرحل التي منها الجلول التي قويت علاقته بها بعد زواجه من احدى كريماتها واختار منطقة شمال دارفور مقرا له واقام قريته في مكان يقال له الفوز وهو لايبعد كثيراً عن السريف . وظل العقيد ابراهيم الزغاوي حلقة وصل بين قبيلة الزغاوة وعرب الجلول ، وساعد في فض النزاعات القبلية التي كانت تنشأ من وقت لآخر بسبب المرعى وموارد المياه أو خلافها.

الغناء والهمبتة

لعبت الهمبتة دوراً هاماً في إثراء أغنيات الحماسة فصارت كل منها تؤثر في الأُخرى فتولد نوع من الادب الشعبي المميز الذي يمكن ان يطلق عليه مجازاً أدب الهمبتة . وهذه الاغنيات هي المحرض الأول لعصابات الشباب ومجموعاتهم الرافضة مما تجعلهم يلتحقون بالهمباتة او الخلباطة كما يطلقها عليهم بعض الزغاوة كمنطوق غير فصيح او محرف لتعني الهمباتة.

ونجد اغنيات الهمبتة في منطقة الزغاوة تتناول مواضيع عديدة منها الفخر والشجاعة ومكارم الأخلاق من كرم ونصرة الضعيف والجهر بالقول في وجه السلطة . كما تحث اغنياتهم على الترفع عما يشين سمعتهم او كل ما يخالف مبادئهم ومثلهم من فعل او قول . كما يشيرون الى ما اشتهر من بلاد واسواق كمراكز تجمع الهمباتة لبيع ماحصلوا عليها من جمال الكيري ، فمما يذكرونها من مناطق مثل تمبول(رفاعة) البطانة – الدماذين – أمبادر في شمال كردفان – مليط – المالحة – الجنينة – مزبد– فوراوية – أنكا– باهاي في دارفور – وبارداباء في تشاد.

وعند وصول الهمباتة الى المدن يحطون رحالهم للترويح عن أنفسهم والاستجمام في الأنادي (جمع اندابة - Indaya[*]) المنتشرة في بعض الأحياء حيث تقدم لهم النساء المريسة واللحم المشوي بالاضافة الى الترفيه بالغناء والرقص . كما يتسامرون ويتبارون بانشاد الشعر الشعبي المعروف بالدوبيت . وتدار قعدة الدوبيت على أصول ثابتة وعرف معلوم حيث تقوم شيخة الاندابة بتوفير متطلبات الجلسة . وفي هذا الجو الرومانسي تجود قرائح الهمباتة فتصدح حناجرهم بعيون أشعارهم فيبدأ أولهم بذكر مآثره وبطولاته ورفقاءه من الهمباتة ويصف شقه للعتامير والصحارى والتيه على ظهر ناقته او جمله البشاري "نسبة الى الجمال الأصيلة عند قبيلة البشارين في شرق السودان" ثم تنتقل الكأس الى الذي يليه فيتغنى هو الآخر بالدوبيت ويصف محبوبته التي من أجلها يركب الصعاب كما يمدح صاحبات الاندايات في مناطق عدة ، ويتغزل بجمالهن وحسنهن .

ويمضي الليل وتدار كؤوس المريسة ويظل السهارى يشربون دون السكر فيغدقون بنات الاندابة بالهدايا والنقود ومن ثم يشدون رحالهم و يتابعون سيرهم ليلا بعد ان افرغوا جيوبهم مما حوتها من نقود على المثل القائل "إصرف مافي الجيب يأتيك مافي الغيب"!

أمثلة من دوبيت همباتة الزغاوة

تجدر الاشارة هنا بأننا أفردنا مساحة كبيرة لدوبيت الزغاوة في الفصل التاسع من هذا الباب وهو الخاص بالرقص والغناء عند الزغاوة ، لذلك نكتفي بنماذج من دوبيت همباتة الزغاوة:

1- دوبيت زغاوة البديات :

جير بو دام دام ، ديريني سوتو نيقي ، ديريني أوريروتيقي ديريني تورو نيقي ، بيقيني كوتوو آبو كسيري بيرقي ، تاوري قيني تيقي ،حيرني قيني بييقوا جاقو ، ساييناء قيني توي باي جاقي ، مجوير دانار تيقي.

[*] الإندابة : مكان تباع فيه الخمور البلدية بواسطة نساء، وللإندابة شيخة هي صاحبتها.

الشرح:

يقول الهمباتي يصف جمله البشاري الذي يطاوعه في عملياته لما توثقت من رابطة الحب بينهما فيمشي الهوينا متى ما أراد ذلك حتى لايكاد يسمع وقع خطاه لأن أخفافه تطأ الثرى في خفة . ويعطف على جمله لأنه يضربه أحياناً بالسوط ليسرع وهذا يسبب للجمل هماً ومن جانب آخر انه يحمل عليه قرب الماء والزاد وكذلك بندقيته والجبخانة اللازمة للقيام بهمبتة الجمال . ويشفق على جمله – الذي يحبه كثيراً – لأنه لايجد الوقت الكافي للأكل مما يضطره احيانا الى أكل الرسن ! ويقول إنه إتخذ من الخلاء سكنا له شانه في ذلك شان الهمباتة كما انه يترفع عن تناول الطعام او شرب الماء من منزل امراة لاتحسن صنع الطعام (خمباء)!! لكنه يشرفه ان ينزل ضيفا في دار المرأة "الفنجرية" التي تجود طبخ الأكل . وانه يتفاءل اذا ما اعترض طريقه نوع من السمبريات.

2- دوبيت زغاوة الويقي :

تشير وقا حرامي شيقى ، تمباك توقوي كوقى، دي تتيراقا توقوري ماني شيقى ، باء تتير اقا بييق وياقو ، تولو بوري توقر كاروقا بيرقي باما قوري اوري كاروقا بيرقي ، جزاريقا انييقو شيقو ، تيلي تيقا مال لوقو شيقو، قوروقا شردي بييه ايني بيقي ، موسوبورقا تيني شراقي ديري تاوقي ، قاضي قاكرسي باري بيري ، أفنديقا قلم باري بيري ، تاء مييقا سجاني كاقاي ، دي كوريقا بوليس كاقاي، آيقا كلوقو تيقي سورقي ، جنينة أردا مارتاقا سوقيلي كينجا يقيلي ، دايقا تياريقي بويقي.

الشرح

في هذا الدوبيت مجموعة من آداب وسلوكيات الهمبتة يقول الهمباتي وهو يجر النم انه يعرف الحلال والحرام لكنه يتعاطى الحرام ويسف السعوط (التمباك) لكنه في نفس الوقت عفيف يترفع عن الرذائل كما أنه يحفظ حرمة جيرانه فلا يسرق جمالهم او يصيبهم بسوء ، انما يحميهم ويموت من اجلهم . ولايتعدى على اموال المستضعفين لكنه يجاهر بشربه للخمر ويأكل اللحم المشوي من المال المسروق "الكيري" ويفتخر

بذلك ويتحسر على القاضي الذي يقضي العمر في المشاكل والقضايا والأفندي ويقصد به كاتب المحكمة الذي يؤرقه هم تسجيلاته وتدوينه للقضايا . وعلى السجان الذي يسهر الليالي في الحراسة كما أنه يشفق على الشرطة الذين ما ان يسرق جمل الا وتابعوا اثر اللصوص ليواجهوا الاخطار . كل ماتقدم يعبر الهمباتي عن المكنون الانساني في نفسيته وربما شعوره بالذنب ، لكنه فجأة تعتريه الحالة العداونية في داخله فيحزم امتعته ويشد راحلته ويذهب الى الجنينة وأرادمتا لشراء ما يحتاج اليها لرحلة الهمبتة الطويلة فيقوم – بتهديد صاحب المراح الذي تركه يرتعد خوفا وساق كل المراح وذهب لوجهة غير معروفة .

3- دوبيت همباتة الزغاوة بالعربية الدارجة :

أ) حوت ياجمل ده بلد الغربة ، بلد البعيد ، بلد الأم شقوق ، كمل لينا قرب المويه ، شراب المويه ما تتخلى ، ترمينا في بيار قصار ، مرة في تيقة ومرة في جدية مرة في ام المركوبة . ابو اجلاً قصير خلاني مطر مع صوابه (نزوله) . الحي يقوم يودي خبرنا.

ب) أمهات البنات للفقري كيف بابوه

والفقر زرزرنا دخلنا في الراكويه

لاجملاً سديس لاناقة مطوية

كركون سلاح ساكن جبال النوبة

جـ) كنت ولداً صغير قبضونا قضية الناقة

وجابونا الزنزانة ، الضابط قام ضرب القلم في سنو

قال لي أم الحوار ديل من وين ؟ ياضابط نظرك كفاية

أم الحوار ديل من وادي كجا وغادي

د) أمك سماكي حليمة ونحنا سميناكي حلايم

يالمشطوكي وكربو ليكي تمايم

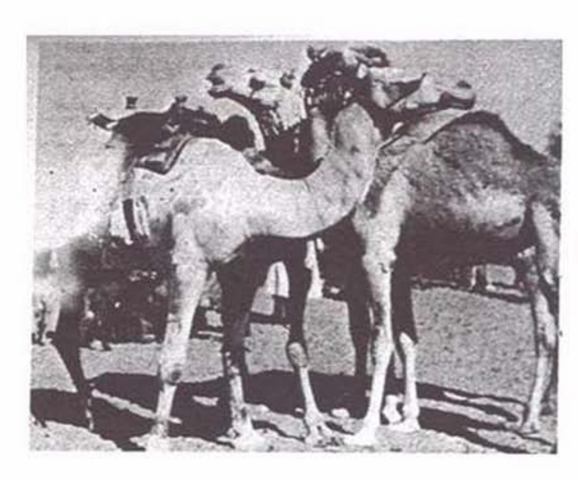
ياقاش الخريف الأخضر وناعم

زي شجرة القرنفل تحتو قامت معالم

يوم الذكروا إسمك في العالم مافي زول نايم

هـ) من الدوبيت الذي يقوله الهمباتة في قعدة المريسة ، يقول احدهم يمدح المريسة :

1- كاكرني ، كل صباح تحضرني .



(*الجمل الكيري كان محور الهمبتة في الماضي)

2- نمدم .. تشربو بكرة تندم.

3- كاس كاسين أخير من ناسين.

4- أديني كاس نلحق ناسي.

5- الواطا اصبحت ..فقراء قاموا وصلوا ..

نحنا وأم الحسين قاعدين في بلد الحردلو ..

وين ياالجمل تزتاح الخلوق انقلو ..

ك) والهمباتة يمدحون وسائل الكيف مثل التمباك والشاي قال احدهم يشكر التمباك "التابا" او الصعوط :

1- زُمْزُتْ الداخو يمرض   أي ان التمباك يمرض من يذوقه أو يستافه

2- راسا بلا كيف اريتو بالسيف

3- السفه أحسن من بنات (...) كافه

وقال آخر يمدح الشاي :

الشاي بالنعناع أخير من مَرَه بالقّانقا (أي ان الشاي بالنعناع أفضل من إمرأة ووليدها .

فرد عليه جليسه الذي يوافقه الرأي :

لو شفت المره أم القانقا .. تتش جرن النعناع !!

أي أنك اذا رأيت جمال المرآة التي تحمل وليدها فإنك سوف تحرق مخزن النعناع!

ل) أما هذا المقطع فيعتبر من عيون حردلو زغاوة البديات لما فيه من لغة شعرية ووصفية راقية بغض النظر عن موضوع الطرح الذي هو همبتة الجمال والعركة التي تلتها قول الهمباتي انه خرج ليلا على جمله البشاري والرسن عروس يخاصرها وسلك طريقاً يهابه الجبناء وساق مراحاً من الابل بالقوة وكانت البنادق ترعد لكنه لشجاعته يعتبر رائحة البارود كالبخور الطيب ويفتخر بأنه لايهاب الموت وكالأسد يهجم ويكر ولايفر أبداً . ويقول انه "اخو البنات " سيكسب المعركة

قيني هديديم بشاري باسور تيقّي ، رسن تيني أوموراي كابيري بيقي

قاردي كويقو بيرو قوراقي ، بارو داي مراح هين بناري تيبيقي

مندوك باتوي اوقيني ، بارود ديرقوي أوري

ساو بوروي ايني جوقو ، سوراء بورواي تاتو هتيقو

نبيه تيني كير يقّينو كونى كيقى أسكورى داي



(*النهب المسلح)

النهب المسلح Armed Robbery

تعريف :

النهب المسلح هو أخذ ممتلكات الغير تحت تهديد السلاح وهو نوع من الإرهاب . وقد اخذ هذا الاصطلاح طريقه الى وسائل الاعلام في السودان حديثا . ولايخفى ما

يحمله هذا المصطلح من حساسية وما يترتب عنه من نتائج لمن ينسب اليه هذا السلوك ، ولمن يقع فريسة له .

وفي الأونة الاخيرة أصبحت منطقة دار الزغاوة ضحية للنهب المسلح من ناحيتيين : تارة تتعرض للنهب المباشر من قبل جماعات مسلحة تجوب البلاد وتبطش بالمواطنين وتأخذ ماتشاء من ممتلكاتهم دون وازع او رادع . وتارة اخرى تكون المنطقة كلها في موضع إدانة وتجريم دون مراعاة بالقاعدة الفقهية القائلة "المتهم برئ حتى تثبت إدانته "، فتبطش القوات النظامية بالأبرياء من سكانها . وعملت وسائل الإعلام المحلية على تهويل وتضخيم مسألة النهب المسلح في منطقة دارفور وجعلها ظاهرة واختلط الحابل بالنابل فصار تمييز بين فعل من اخذ القانون بيده وسمى نفسه رجل امن وبين من خرج عن القانون خروجا بينا مع اشهار السلاح في وجه قبائل المنطقة دون استثناء بغية السلب والنهب غير واضح .

والنهب المسلح لم يكن وليد اليوم بل كان سائدا في جميع أنحاء السودان منذ زمن ليس بالقصير وبصور مختلفة اخذ طابع قُطّاع الطرق والتهريب تحت تهديد السلاح او الكسر المنزلي او الهمبتة. لكنه لم يتعد حدود الحوادث الفردية . اما الموضوع الذي نحن بصدده الآن هو أنه حينما صارت ظاهرة النهب المسلح مستفحلة في اواخر عهد النظام المايوي.

أسباب النهب المسلح :-

نعتقد ان النهب المسلح – كظاهرة عظيمة الخطورة ومشكلة مستفحلة – لم يأت من فراغ ولارماد من غير نار، نجمل هنا هاتيك الأسباب التي عملت بطريقة او اخرى على ظهورها وانتشارها:

1- ضعف اجهزة الأمن وفسادها .
2- الظلم الاجتماعي والسياسي.
3- التحولات البيئية من مجاعة وقحط.

4- تصفية حسابات قديمة ناتجة عن خلافات بين القبائل ونتيجة لهجرات الجماعات المتضررة الى مناطق اخرى بحثا عن الكلأ والغذاء والماء على أساس ان السودان لكل السودانيين لكن سكان بعض تلك المناطق لم يرحبوا بالقادمين الامر الذي يحدث احتكاكا ومصادمات احيانا.

5- افرازات المشكلة التشادية : افرزت الحرب التشادية نوعا من العنف وتدفق اللاجئين الى مديرية دارفور المتاخمة لحدودها الشرقية وأصبحت امكانية الحصول على الاسلحة سهلا.

6- افرازات الحكم الاقليمي السلبية التي نتجت عنها اذكاء نار القبلية والفتنة وتطبيق مبدأ فرق تسد وتقريب وتفضيل بعض الفئات على حساب الاخرى وهي في مجملها محسوبية قبلية بغيضة وظاهرة شعبية حديثة خاصة في عهد.

7- وجود الفريسة والضحية متمثلة في العُزّل والمسالمين من المواطنين كأحد أركان الجريمة.

8- صعوبة ضبط الدخول الى السودان من الدول المجاورة الثمان وذلك لترامي الحدود وضعف الرقابة وكانت عبارة شح الامكانيات ملاذا ومبررا لجميع من تعاقبوا على الحكم في السودان.

9- لم يضع البديل الفاعل للادارة الاهلية عند تصفيتها مما أوجدت فجوة سحيقة بين سلطة المحاكم الشعبية القليلة الصلاحيات وبين الخارجين عن القانون .

10- قيام مليشيات شعبية مسلحة في بعض مناطق السودان بعلم من الحكومة .

11- وجود جهات تذكي نار الفتنة والتناحر بين أفراد الشعب الواحد وتعمل في المياه العكرة وصولا الى مكاسب شخصية وذاتية ضيقة .

تحديد الهوية :

ليس من اليسير تحديد هوية مرتادي النهب المسلح من حيث انتمائهم القبلي ومناطق سكناهم على وجه الدقة وذلك لأسباب عدة منها :

1- تباين قبائل من تم القبض عليهم أو من حكم عليهم.

2- اختلاف ما يتم نهبه أي أن بعضهم ينهب الماشية والبعض الآخر يتخصص في قطع الطريق للركاب المسافرين بالعربات وغيرهم ينهب قرى بكاملها بينما تنهب فصائل اخرى الأسواق !

فبالنسبة لدارفور نجد أن من ألقى القبض عليهم رهن التحقيق و أودعوا السجن بتهمة النهب المسلح ينتمون الى معظم قبائل دارفور الرئيسية . بمعنى آخر لايصدق من يقول ان قبيلة بعينها هي المسئولة عن ظاهرة النهب المسلح ، فهذه النقطة الأخيرة جديرة بالاعتبار تفاديا للتشهير ببعض القبائل دون الاخرى وجعلها مستهدفة وفي موضع اتهام الأمر الذي يزيد من اضرام نار الفتنة واثارة النعرات القبلية في وقت يسعى السودان الى الوحدة الوطنية واحتواء الفرقة والشتات في اضيق نطاق.

أما الحل الجذري لهذه الظاهرة القديمة الجديدة فيكمن في علاج الأسباب قدر المستطاع مع إشاعة العدالة والمساواة مع توفير الأمن والطمأنينة على النطاق القومي والاقليمي واشعار المواطن بوجود حكومة تمثله لتلبية متطلباته في الحياة الكريمة فتحفظ له حقوقه التي كفلها له الدستور في ظل الحكم الديمقراطي.

الفصل التاسع

الرقص والغناء عند الزغاوة

مقدمة

ان التراث الشعبي لقبيلة الزغاوة يذخر بشتى فنون الغناء والرقص . ويرتبط الرقص "هوناءHoona" أو هولاء بمناسبات كالزواج والطهور والاعياد والحصاد واحيانا تقام الرقصات بدون مناسبة بعينها انما يستغلها الشباب للترويح عن النفس ولاسيما في سني الرخاء . ويصاحب الرقص الغناء الذي يضفي عليه النشوة والاثارة اضافة لما للايقاعات الموسيقية من أثر سحري يبعث الحماسة والبهجة في نفوس الراقصين والمشاهدين وما لها من تنظيم وضبط للحركات أثناء الرقص.

و الرقصات عند جميع فروع الزغاوة تتمثل في أن بعضها تاخذ الوثب "النط" سبيلا لأدائها بينما تأخذ أخرى طابع الضرب بالأقدام على الأرض مع القفز في حين بعضها الآخر تجمع بين القفز والمشي بتؤدة تتخللها حركات التقدم للأمام والوثب للخلف وقد يصاحبها الجري البطيئ في بعض الايقاعات حسبما تقتضيه رقصة بعينها . ونجد ان التصفيق الجماعي بالأيدي مع احداث أصوات حلقية صادرة من طبقات صوتية مختلفة تعرف "بالطمبور "–Tamboor" والطمبارة يتحدثون أصواتاً جماعية عميقة لها رزم منتظم يسمى "الكرير – kareer" والذي تصاحبه الصفقة دائما . ونجد في رقصات اخرى تجمع العديد من الخصائص التي ذكرناها.

أما الآلات الموسيقية فهي كثيرة ونجد النقارة الاكثر شيوعا وهي منتشرة عند كل فروع الزغاوة والنحاس وهو رمز السلطة لفرع القبيلة الحاكم ، والدنقر او الندر أو القانق قانق أداة موسيقية قلما تستعمل في حالات السلم اذ يقتصر استعماله كوسيلة اعلامية نذير للحرب وعظائم الامور "صفارة انذار" . وتلعب الصفارة "موري–mori" دور الناي وعادة تصنع من الفخار او قصب البوص بأشكال مختلفة وتحدث انغاما شجية تذهب بالألباب وكثيرا ما يعزف عليها رعاة الاغنام لتسلية ماشيتهم والترفيه عن أنفسهم من وعثاء الرعي وطرداً للوحدة والوحشة.

الكوربي(Kurbi) :

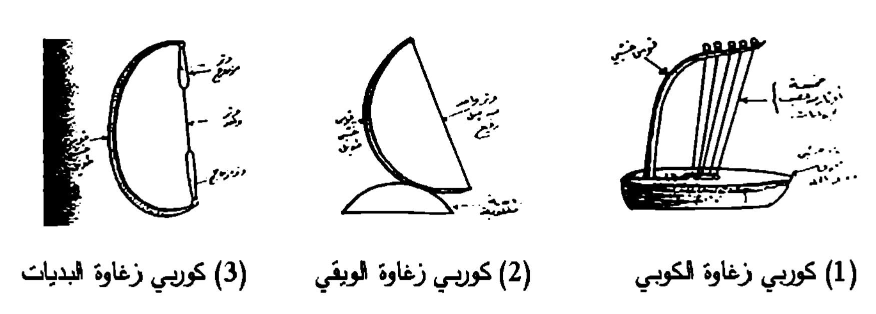
ويعرف عند الزغاوة بالكردنق أو الكرتنق وهي آلة موسيقية وترية تشبه الربابة ولها خمسة أوتار وتعزف بأصابع اليدين دون الإستعانة بريشة او معزف آخر ، ويغني عليها عند العزف على يدي المتيمين من العشاق . وقد برع نفر من زغاوة الكوبي بهذا الفن.

أغاني الكوربي :

الكوربي كما تقدم – آلة موسيقية للعزف المنفرد – مصنوعة على نظام السلم الخماسي الذي يشتهر به الفن الغنائي السوداني وروعي فيه تدرج الأوتار من حيث الطول وشدة الأنغام الصادرة منها والتي يتحكم عليها العازف بمفاتيح مثبتة في القوس

المنحني . وتشتهر اغاني الكوربي عند الزغاوة في مجملها بالقصر والايجاز وربما اقتصرت الاغنية على بيت شعر واحد ، لكنه بليغ وذو مغزى وتنطوي على الفصاحة والبلاغة ويكون البيت قابلا للتطويل باضافة مقاطع أخرى على نفس الشاكلة من حيث التفعيلة والوزن والموسيقى الداخلية وقد تشترك هذه المقاطع في كلمة واحدة تشكل قافية لها .

(* انواع مختلفة من الكوربي)



(1) كوربي زغاوة الكوبي (2) كوربي زغاوة الويقي (3) كوربي زغاوة البديات

هذه الاغنيات عبارة عن خلاصة لحكايات وقصص نابعة من التراث واشارات موجزة تسلط الأضواء على تلك الموروثات الشعبية . وتمتاز ألحانها بالتنوع والابداع الفني . اما الجمل الوسيقية فتمتاز بالبساطة والتكرار المحبب. وتتوقف جودة العزف والغناء على المطرب وطول نفسه وقدرته على تنويع النغمات وتطويعها حسب طبقاته الصوتية . كما تمتاز هذه الأغاني "بالكَسْرِه" المعروفة في الغناء السوداني وهي الدخول في اغنية جديدة حالما تنتهي الاغنية السابقة دونما توقف او احداث ارباك او نشاز موسيقي او لحني .

وتعتبر الكسرة فنا راقيا لايجيدها الا القليل من المطربين . ويحسن بنا ان نورد هنا بعضا من اغنيات الكردينق الشهيرة لدى زغاوة الكوبي كأمثلة :

(1) هذه الاغنية غزلية يصف فيها العاشق محبوبته التي تستعجله في الزواج بالرقة والجمال ويطلب اليها ان تمهله قليلاً حتى يتدبر أمره "يدبِّر حاله" ! ويكمل استعداداته للعرس قائلاً:

تونو جوي جوي كيني كاباراء

مينا أوسيني تيقي تيقي

ديرقن تاتو كيني كاباراء

مينا أوسيني تيقي تيقي

مع التركيز على ترديد المصراع الثاني من البيت عدة مرات لتنتهي الأغنية عندها .

(2) في هذه الأغنية يذكر فيها الشاعر اسم محبوبته كلتومة تواء واختها "حواء" اللتين اشارتا عليه بالمقيل في دار اهلهما حتى تستطيعان رؤيته وتكريمه.. ويعد ذكر اسم المحبوبة من الأمور النادرة في اخلاقيات القبيلة حتى لايعتبر نوعاً من التشهير.

كلتومة تواقو كوسوقو حواقو

نارقوري جونوني

ككيري كيتوني

بيقيدي جانوني قوقيدي سينوني آري ويكنوني

نارقوري جونوني

(3) هذه الأغنية هجائية يصف فيها الشاعر صهر القبيلة "الكورقوراء" وكانت بينهما خصومه في حب احدى بنات تلك القبيلة التي فاز بقلبها المخاطب في الأغنية . ويعنف عليه القول ويحط من قدره بأنه يركب الحمار ويأكل الصمغ والبطيخ وهي من سفاسف الامور التي لايقدم عليها الرجال كما ويهزأ به جزاء لحيته غير المشذبة وبوجهه الذي يصفه بالقبح قائلاً :

كورقوراء دييدو جي كيسيري

آردي كورييه نورقو سيري كتوري جي كيسيري

آدي كيديه كوندي جوباك كتوري جي كيسيري

آدي كويوك أورو سيري كتوري جي كيسيري

تاء تتفاي توري جوقود كتوري جي كيسيري

(4) وهذه الأغنية قيلت في رثاء أحد الأبطال وكان زوجاً لاحدى اميرات الزغاوة سقط في ساحة الوغى . وعاد رفيقه الذي نجا من الموت الى ديار اهله حزينا وهو يقود جواد القتيل واراد ان يخبر اهله بالفاجعة . فألف قصيدة وطفق يغنيها بالكردينق ولما سمع الناس هذه "المناحة" عرفوا ماجرى فأجهشوا بالبكاء. وموسيقى هذه الأغنية حزينة وبايقاع مأخوذ من المشية السريعة للحصان وهي تسمى بال"جركلة" او "جركيل" فقال :

دونقيني كرونقيني نقور كاري بتاكارو هنيقيني

دونقيني كرونقيني نقور كاري باردا كارو هنيقيني

دونقيني كرونقيني كوردونق كاري بتاكارو هنيقيني

دنقيني كرونقيني نقور كاري بيرم بورو هنيقيني

(5) هذه الأغنية ذات النفس القصير جداً يصف فيها المغني قرداً وأهم مافيها موسيقاها المستوحاة من الحركات التي يحدثها القرد عند قفزه هنا وهناك :

توري دينقي جالوت منقو دينقي جالوت

جالوت جالوت جالوت جالوت

(6) هذه الأغنية تصف امرأة تدعى "كورون" وهي زوجة لرجل كسول لايصحو مبكراً ليذهب معها للعمل في حقلها . ففي أحد الأيام تركته نائماً وحملت أدوات الزراعة وسلقت دابتها وذهبت لوحدها للحقل . فلما استيقظ الرجل ولم يجد زوجته لام نفسه على كسله . والملاحظ ان موسيقا هذه الاغنية مأخوذة من مشية الشخص الذي يزيل الحشائش من الحقل .

كورن كيقيني آي نديبقي .. كورن جيقيدي

درباي تبيري .. دميني كسيني .. آي نديبقي

أردي كبيري .. دميني تبيري.. آي نديبقي

كورون حقيدي .. كورون جيقيدي

.. كورون جيقيدي

(7) وهذه الأغنية القصيرة يتساءل فيها المغني : من نصيب من تكون تلك الجميلة ؟

قني بورو تابي ناكيى ؟؟!

قني بورو ديريقينقي ناكيى ؟!

الشعر عند الزغاوة

بالنظر الى تلك الأمثلة التي سقناها والتي لا تمثل إلا إضاءة يسيرة في ديوان الشعر الشعبي لقبيلة الزغاوة نجد ان هذا الشعر الشفاهي المنقول جيلا عن جيل في صوره المتعددة ، المستوحاة من البيئة والمتمثلة في الاغنيات المختلفة والدوبيت والحداء والمناحة يشكل ركنا هاما من الموروث الشعبي . وشعر الزغاوة غير مدون ويمكن تصنيفه مع شعر الزجل والأهازيج . ونلحظ احتواءه على كل أغراض الشعر العربي من غزل ونسيب ووصف ورثاء ومدح وهجاء وحماسة وهو أقرب مايكون من الشعر العمودي المبني على العروض التي وضعها خليل بن أحمد الفراهيدي ، وضمن البحور قصيرة التفعيلة كالسريع والرجز والمضارع والمجتث والمتقارب ، وإن لم يكن .. فلا يخرج عن التفعيلة في معظم الأحوال . وشعر الزغاوة ارتبط ارتباطا وثيقا بالغناء المتعدد الصور كما يحفل بالكثير من الكوميدية والتراجيديا ولايوجد منحى من مناحي الحياة إلا ألم به واحتواه .

تسمى المرأة التي تحسن فن الغناء "تيني كوراء" او تيلي ابيراء وتعني المغنية ، وهي بالضرورة شاعرة ترتجل الاشعار وليدة اللحظة التي تنسجم مع الألحان المصاحبة للصفقة او الرقص في النقارة .

آلات موسيقية أخرى :

من الآلات الموسيقية عند الزغاوة " أم كيكي – Um-kiki" وهي آلة موسيقية تشبه الكمان "الكمنجة" الى حد كبير ، وتسمى أيضا "ام نيني– Um-Nini" وهي

تسمية مستوحاة من الأنغام التي تصدر منها . ونلاحظ ان كل الآلات الموسيقية تصنع محليا وبمواد أولية ماعدا النحاس التي تجلب من مصر والمغرب العربي . ونجد القرعة Gara'a– نوع من الدفوف – وهي ثمرة لنبات متسلق وتدق عليها وهي ممتلئة بالماء . والدلوكة – وهي نوع من الطبول – أخذت طريقها للمجتمعات الحضرية للزغاوة وافدة إليها من المدن وهي تحدث إيقاعات قوية وتستخدم في مناسبات الزواج والطهور وخلافهما من الأفراح . الجدير بالذكر ان القرعة والدلوكة هما الآلتان الموسيقيتان الوحيدتان التي تقوم "النساء" على العزف عليهما دون الرجال .

ومن الرقصات الشعبية عند الزغاوة والتي انتشرت على نطاق واسع واشتهرت هي : الجراري والحسيس والطمبور والطراوة والحجوري والانداو والفنقانق والنحاس والنقارة والدوبيت . والجدير بالذكر ان الخجولين من الراقصين والراقصات والذين تنقصهم الجرأة في الرقص نهارا يقدمون عليه ليلا وهذه الحالة تعرف عند زغوة الكوبي – بـ"Gini-Kabara" أي روعة الليل الذي يغطي الجبال !!!

أنواع الرقص عند الزغاوة

(1) الجراري El Garrari: وأطلق عليها الجراري لما فيها من جر و تطويل لنهايات كلمات الأغاني وفيها يصطف الرجال ويزمجرون بالكرير والصفقة مع ضربة خفيفة بالقدم اليمني على الأرض في آن واحد ، فيما تقف البنات يغنين في حلقة نصف دائرية تتقدم منهن بعض الحسان ناحية الشباب ليرقصن بصدورهن ورؤسهن فيقترب احد الشباب من احدى الراقصات لياخذ منها الشبال فيبشر لها بأن يهز يده مع إحداث فرقعة السبابة وضرب الأرض برجله "سكة-Sakka" فتميل اليه الفتاة وتلامس بجدائل شعرها كتف الفتى . وبعد ذلك يرجع لرفاقه ليتابع الكرير في الوقت الذي تواصل فيه الفتاة الرقص . ونشير الى ان هذه

الأغاني التي تقال في الرقصات الشعبية هي المحرض الاول للشباب فتحمسهم كثيرا كما رأينا ذلك في (الغناء والهمبتة). وتعتبر رقصة الجراري من أهم الرقصات اذ تتم فيها الضرب (الجلد) بالسوط لتسوية حسابات قديمة من جراء التنافس والتحدي بين شابين او مجموعات من قرى مختلفة . وظاهرة الجلد بالسوط معروفة في بعض المناطق من السودان كالمديرية الشمالية في كردفان تشتهر بها قبيلة البديرية وفي دارفور عند قبيلة الزيادية والبرتي والزغاوة (باستثناء الكوبي والبديات) والبرقد (وهي أشهرها) في منطقة غوربشي وفي مناطق اخرى مثل أم كدادة وودعة واللعيت وكتال وشنقل طوباي ونتيقة.

وفي الجراري يمر صاحب السوط المتحدي ويبشر للفتيات ثم يمر أمام الشبان وهو يختال ويمشي الهوينا ويهز سوطه بشدة ويقف عند خصمه ويضرب الأرض برجله فيثير الغبار ثم يرمي السوط على الارض وينظر اليه في ازدراء واستفزاز ويسمعه بعض الكلمات النابية كأن يقول له (سلب ياكلب، او سلب ياحمار). وكل ذلك لكي ينجر لاستفزازه ويقبل التحدي ويوافق على خلع ملابسه استعداداً للجلد. أما إذا كان جباناً (أو عاقلاً) فإنه يتحاشاه و لا يخلع ملابسه، وبذلك يصير ذليلاً مكسور الخاطر مكسوفاً لا يجرؤ على التحدث الى البنات او كسب ودهن لأنهن سيحتقرنه ولا ترضاه اية واحدة منهن زوجا لأنه –في نظرهن – غير كفؤ وتهجوه الفتيات بالاغاني فينتشر سوء سمعته بسرعة على نطاق المنطقة كلها ويلحقه العار ، كذلك يهجوه رصفاؤه في سهراتهم وقعداتهم الخاصة . اما اذا كان المتحدي شجاعا وقبل التحدي فإنه يخلع (يسلب) ملابسه ماعدا السروال ويقف امام كل البنات والكل مابين مشفق عليه ومعجب به . وتمر لحظات الترقب وتتوتر الأعصاب حينما يمر المتحدي بكامل ملابسه وقد لف حول خصره وكتفيه بالثوب على شكل "لام ألف" وهو يتبختر ويهز بسوطه ويبشر للبنات ، ويكون هو البادئ بالضرب. ويتفق المتحديان في عدد الضربات التي عادة

ماتكون فردية (موقؤ-mougoe) وتبدأ من 3 أو 5 او 7 أو 9. اما الأعداد الزوجية (آقي-agi) فنادرا مايعمل بها باستثناء 4 و12.

تزغرد البنات لرفع معنويات "الجالد والمجلود!!" فينهال الأول بالجلد ضربة تلو اخرى بكل قوته مع الاكثار من حركاته الاستفزازية بغية جعله يتحرك من مكانه فيكون مهزوماً . لكن الثاني يقف كالجلمود لاحركة فيه ولايرمش عينيه ويتحمل الضرب بشجاعة فائقة ، والدم ينزف من جسمه وهو لا يبالي . لأن الموقف الذي فيه موقف بطولة وكرامة له ولعشيرته . وللهمباتة القدح المعلى في معظم الرقصات (اللعبات) لأن الهمباتي هو الفارس وهو الفدائي في نظرة المجتمع .

وعند الإنتهاء من هذه العملية يتفق الطرفان على نظام الرد أو "التكفية" فقد يؤخذ الرد في نفس الوقت وفي ذات اللعبة او يؤجل الى موعد آخر وللطرفين الحق في تأجيله مرارا، فيقول الذى عليه الدين "دينَك علينا" واذا تعذر عليه الوفاء بدينه في الموعد المحدد والاجل المسمى لظروف خارجة عن إرادته فيمكن أن يكفي عنه احد اقربائه فيجلد نيابة عنه. ويظل الدين قائما وان طالت المدة ولابد من رده مهما طال الزمن!

وكان من أشهر من برعوا في عملية الجلد آنذاك هذه على نطاق دار الزغاوة شخص يدعى عرجة قيرنو الذي كان مهاباً وهو أمير الجلد آنذاك وكذلك اخوه حقّار والاخوين يوسف وعثمان نور ترايو وهم من زغاوة القَلا (كرنوي) كان الشباب يخوشهم ولا يدخلون في تحد معهم .

(2) رقصة الحسيس- Hasees

وينصب الغناء فيها على ذكر إسم المحبوبة والتغني بجمالها ورقتها ودلالها كذلك العشق ومتاعبه . ويكون الرقص فيها القفزة "النط" لعدة مرات ثم التحول الى الكرير الخفيف. وهي من اللعبات التي تتخللها مظاهر الجلد بالسوط.

(3) رقصة الطمبور-Tamboor

وتتكون من الكرير الثقيل (العميق) مع الصفقة والضرب بأقدام "الطمبار" على الأرض محدثين ايقاعات تتناسب والكرير ويتخللها غناء الفتيات وتصفيقهن.

(4) رقصة الطراوة- Tarawa

وتماثل رقصة الطمبور ولها نفس سماتها مع اختلاف بسيط.

(5) رقصة الحجوري-Hajori

وتشمل كل أنواع النط أو القفز الثقيل منها والخفيف والمتوسط وتسمى " أرقيقة" عند زغاوة الكوبي والنط هنا يكون مع الصفقة أو بدونها مع احداث نغمات صوتية توافقية عند القفز تصدر من الرجال مثل هيّا .. هيّا وتكرارها مع كل قفزة أو سوا .. سوا اي معا .. معا وفيها يتقدم أحد الشبان قافزاً ناحية الفتيات المصطفات واللاتي يغنين ويصفقن حتى يصل أمام البنت التي يريد مراقصتها فتخرج اليه من وسط صاحباتها وتتقدم خطوة او خطوتين لتلعب معها وقد تراقص مجموعة من الاصدقاء فتاة واحدة في آن واحد .

(6) رقصة الأندو - Andow

وتعرف عند زغاوة الكوبي بال"دبيت -Debett" وتلعب بصورة جماعية يتماسك فيها الفتيان بالأيدي على الأكتاف ويقفون في صف واحد ، ويتقدمون الى الامام خطوة مع الضرب بالأقدام على الأرض والرجوع الى الخلف خطوة مع الضرب بالاقدام على الأرض مما يثير الغبار وترديد نغمة واحدة في كلتا الحالتين "أركب.. أركب .. سوّي سوّي " وتراقصهم فيها فتاة واحدة بينما تصدح المغنية بأعذب الالحان اغنية تنكر فيها اسماء مناطق عديدة وتمجدها وتردد بعدها جوقة الفتيات .

وكانت من أشهر اغنيات الدبيت هذه الأغنية التي مطلعها :-

" تورورو جوقي كول سونا سيقو .. بواكير جوقي كورو بورو ايري "
وتعني ان المغنية تحب شخصا من دار البديات وتريد الزاوج منه لكن أهلها يريدون لها بعلاً من الكوبي وجدير بالذكر ان هذه الرقصة شبيهة برقصة "القطة–Galta" المعروفة المنتشرة في دول الخليج والتي تقتصر على الرجال فقط دون النساء.

(7) رقصة النحاس :

النحاس من مقتنيات رئيس القبيلة الذي هو زعيم العشيرة . والرقص فيها محصور لدى نساء وبنات الأسرة الحاكمة. و عند زغاوة الكوبى تلبس زوجات السلطان و زوجات "الأبو– Abbo * زينة خاصة بهن – دون سائر النساء– تعرف بالمامور – mamoor. وهناك رقصة خاصة يؤديها "أولاد بيت السلطان " وتضرب فيها النحاس بنغمة خاصة يلعب فيها المشتركون جيئة وذهابا في تؤدة وهم يحملون مراوح كبيرة من ريش النعام ذات مقابض خشبية طويلة . وتتم لعبة النحاس بحضور السلطان ووجهاء البلد لمشاهدتها . والضرب على النحاس هو من اختصاص موالى السلطان دون سائر الناس.

(8) رقصة النقارة:

تسمى كل انواع الرقص التي تصاحبها النقارة بالـ"أنقلانق –anglang" والنقارة هي الأداة الاكثر انتشارا في أوساط فروع قبيلة الزغاوة . ويرقص فيها كل قطاعات وشرائح المجتمع دون استثناء، وليس هناك أية فروق من أي نوع. والضرب على النقارة دائما من اختصاص الحداحيد دون غيرهم . والنقارة اداة للتحريض تلهب المشاعر. واللعب فيها يكون على شكل دائري يتمركز الحدادي وسط الدائرة . ويراقص كل فتاة شابا جنبا الى جنب ، ويتاخر عنها الشاب احياناً ويتقدمها حيناً آخر أو يدور حولها في احايين أخر حسب لزوميات اللعبة وفنونها . الجدير بالذكر أن الفتاة التي لم تبلغ سن

الرشد لا تراقص الرجال عند زغاوة الكوبي والبديات لكنها تراقصهم عند بقية فروع الزغاوة . وتشتمل الأنقلانق على الرقصات الآتية :

أ)جابوا البلد ب) سكة بنا تربيه

ج) جمبو كايو د) كادا بقادا جورجار

هـ) أبيشي بيروبي توك و) الله كيدا كتاب الله جاكم

ك) عرب ساروا

ومن رقصات زغاوة الكوبي ايضاً أبو صولو بونج وهي النط وتسمى أرقيقا ، ورقصة "جور-Joor" ويقال لمن يرقص فيها أنه "جور سيري" ، رقصة "ويت-wett" ويقال للراقص إنه "ويتي ". وهاتان الرقصتان جور و ويت يرقص فيهما الرجال وحدهم وهناك رقصة تسمى " أوريقو- Origo" للنساء فقط وخاصة النساء غير المرضعات او الحمل ويطلق عليهن الزغاوة "باقو بيري bago beeri" أما اللعبة الخاصة بالعرس والمصاحبة للنقارة فتسمى " بوربي -bourbei" وهناك رقصة هامة هي رقصة الطهور وتسمى "دنقيت- dengeet" ومن تشكيلاتها أيضا أقيمي قيمي ، وكادا بقادا جور جار ، وأبيرو بيريرو كوقيري.

(9) القنقانق والدنقير:

وهما طبلان كبيران تشبهان النقارة شكلاً لكنهما تنقران من جانب واحد والرقص فيهما محدود كما انهما غير منتشرتين على نطاق واسع لأنهما حكر على السلطة القبلية الحاكمة على الأرجح.

دوبيت الزغاوة

الدوبيت هو ضرب من الغناء لا يتخلله الرقص أو اللعب من أي نوع وهو محصور عند الرجال عموماً كما أنه المحرض الأول للشباب لما يحمله من معان ووصف لمواقف بطولية مؤثرة . ويتضمن على الغزل والنسيب وفيه من الهمز واللمز

الكثير كما أنه لايخلو أبداً من المدح والهجاء ومعظم أغراض الشعر . وهو الطريق المؤدي بالشباب الى الالتحاق بعصابات الهمبتة ، لذلك نجد ان الهمباتة هم أشهر من تغنوا بالدوبيت على مر الزمان . وفيه يصفون غزواتهم والطرق التي سلكوها والعتامير التي شقوها !!

وتبدأ مطارحة الدوبيت بالمقدمة المعروفة بالرمية وتليها المناظرة أو المجادعة من أحد المشتركين في الجلسة ويرد عليه الذي يليه او ينقسم المجتمعون الى طرفين متنافسين كل منهما يرد علي الآخر وهكذا دواليك. ولاتصفو ليالي الدوبيت الا بقعدات المريسة والشاي ولمة البنات.

ونشير هنا الى عادة من عادات التحدي واختبار الشجاعة عند زغاوة الكوبي في الماضي وهي ظاهرة "التدقيم" بالسكين وهي اقدام الشباب على طعن أجزاء من اجسادهم بالسكين، وذلك لكي يجرب كل واحد منهم الأحجبة والمعلقات التي يلبسها في ذراعه او حول رقبته في قعدات الأنس والسمر هذه وقد تلاشت الآن هذه العادة التي كانت تتم عندما يتحدى شابان او اكثر في ان ما يحملها من أحجبة افضل مما لدى الآخرين وانها تحميه من طعن السلاح الأبيض والناري . ففي قعداتهم يستل احدهم سكينا ويطعن بها فخذه مثلا فيما تزغرد له البنات فأن لم تجرحه السكين كان ظافرا يستحق تقدير المجتمعين والا كان في محل سخرية الجميع وإزدرائهم . ويعطي السكين الى الذي يليه وهكذا ، ولاتخلو هذه الجلسات من غناء ودوبيت.

وللزغاوة باع طويل في أدب الدوبيت الذي يتغنون به باللغة العربية الدارجة ولهجة الزغاوة على حد سواء.

نماذج من دوبيت فروع الزغاوة:

(1) دوبيت زغاوة الكوبي يعتبر من أقصر انواع النم والحردلو ويرسل دائما بلهجتهم الخاصة. ويعتمد على أسلوب المطارحة المعروفة بالمجادعة او المحاورة ،كأن يقول لآخر :أ– جا –aga) بمنى أشرب.

(2) فيجيبه الثاني رافضا: جاقو (أي لاأشرب).

(3) الأول : نوديني جانو ؟(لماذا لاتشرب؟)

(4) الثاني : تومبوسي تنفيقو .. بوركي قيرقوس.. قنيرا جوقوس ..ايبو اوبويبي أورقنيقي جاقو!! ومعناها أن فتاة تدعى تمبوس تنفي رفضت الزواج ممن لاتحبه كما رفضت الرجوع الى القرية واعتصمت لذلك فإن المتحدث لايريد أن يشرب تضامنا معها واشفاقا عليها .

(ب) والنموذج الثاني هو دوبيت الرعاة عندما يتقابلون ويتجادعون في شكل مطارحة سؤالية ورجز ومايشبه الألغاز ، ويبدأ الآخر أيضا بسؤال إمعانا في التحدي ومباهيا بسرعة في حل الألغاز ولكن يفهم من سؤاله الماهه التام باللغز :

الأول : دي آينو ؟؟ أما رأيت الجمل !؟)

الثاني: دي تارادوء! (إنه ذو الرقبة)

الأول: تاراء ايمودوء!؟ (ذات الرقبة ..النعامة)

الثاني : إيموء دي سويرادو !؟ (النعامة ذات الرجلين!؟)

الأول: دي سويراء أودوء ا !؟ (نو الرجلين هو الإنسان)

الثاني: أوء حويدوء!؟ (الانسان ما هو ذكي!؟)

الأول: حوي ساقوردوء!؟ (الذكي هو الثعلب!؟)

الثاني: ساقور جوراري جو!؟(الثعلب يعيش في الخيران!؟)

الأول: جينق ..جواء!!؟ (موجود.. وغير موجود!!؟)

وبهذا الرد الفلسفي المبهم يختتم هذا الذي يحتاج الى سرعة البديهة والذكاء في الرد والمنطق في السرد المتسلسل. ولايخلو دوبيت الكوبي من التهكم والسخرية والهجاء الممزوج بالطرافة .

(2) دوبيت زغاوة الويقي (وهم الفروع – توار – قلا– أرتاج– أولاد دقيل– نيقيري) بلهجة الزغاوة وهذه الفروع من أكثر الزغاوة قولاً للدوبيت سواء أكان بلغة الزغاوة او باللغة العربية الدارجة:

(أ) جبل مون يوقي ، جبل مرة يوقي ، جبل سي يوقي ، تونقي تانقا أومو بورّي بيقي

تيقي ، فاشر تنقيلي (تندلتي) بوتوشيرو ، هوقو بيقي، كيريه كورسوري دوان بيقي، كبكباية أبودونقو قيلي كيري قو باري، كوباي دايقوياري. كنيني ديه آردي أوروي ..دورقو تيري ، ديقيري داي آيقي، نيا ماري تارما يري بيه كيتي أم بادر داي آيقي، سالوك سيري آء جرري، معاليا دي آيقي، ماي بيري كيبيه تيقي يي . دونكي كوما يوقي، قوسا جمد يوقي ،دونكي كوريا يوقي ، داي كيقيلي اوري شبيري، كوي بور حيساء كيتيو ، ميقيسي بور جورو كيتيو ..(ديري تيقي ايري) وهذه عبارة الاختتام دائماً.

الشرح: يبدأ الدوباي او الحداي الدوبيت بالمطلع العروف "الليلة هو" ثمّ يذكر فيها المناطق التي زارها مثل جبل مون ومرة وسي والفاشر وكبكابية ودار الكنين والميدوب والمعاليا وام بادر ودونكي الكوما وقوسا جمد ودونكي كورويا ويذكر محاسن الابل ويهجو الجبناء والكسالى .

ب) جير قيم قيلى دوقي .. تي ماراي ايري قيقي

كومبوري بوي صعيد بيقي

سوراء انداي ديرو بيقي

قوري بييه تيقي

دكتور حيما بيقى

هير لي باء شيرو بيه انقوي تيقي

مورجا ادليم يوقي

مورجا تويه سيسي يوقي

دي تيني آكييه بيري

جدعه قوا انداي آنوري أيري

تيني بيقي كاروقي

حماري اوي كيتي.. سابولي كيبيه كيتي

تندي ايا بيرو بيقي كورقي

خرتوم توتي راء يوقي ..قاضي دفتر تيقي

عسكري بوبيه تربوش تيقي.. أفندي بوري قلم تيقي

نارساراء ماراء آو تيقي

الشرح : يقول الدوباي انه كثيرا ماسهر الليل وطال به السرى وأنه ذهب الى عدة مناطق لأغراض مختلفة منها همبتة الجمال واحضارها الى دار محبوبته ليبرهن لها ولأمها شجاعته ويختم دوبيته بالسفر الى الخرطوم ورأى من مشاهداته قاضيا في يده دفتر القضايا وعسكريا يلبس "كسكتة" وافنديا بيده القلم ونصارى (دلالة على وجود المستعمرين آنذاك) وهو هنا يصف الجانب القانوني فقط.

(3) دوبيت زغاوة البديات: مما هو جدير بالإشارة ان البديات هم أشعر فروع الزغاوة على الإطلاق . وقد صار دوبيتهم مختلطا بدوبيت زغاوة الويقي حتى أنه من الصعوبة ملاحظة الفرق بينهم وخاصة الحربلو الذي يغني بلهجة الزغاوة لولا فروق اللهجة ونورد هنا نماذج من دوبيتهم : يقول أحدهم:

أ) آدم نوقوم بورقا دايقو ساري تابارقي ، انجو بورقينى ايه جيري دارو آروقيني دارقو تيري، تارفو كيراياقيني جير بيي، ناقو بيقيني تير بيي، سيخ حنا ناقا دايقو ساري تابارقي ماي بيري قيني كيبيه تيقي جيه ، هوقي تيني قيني تارو ورقة كيتي ، كاري تيني قيني تارو اورقة كيتي ، أراو مندي قيني بارو سوت كيتي، هورتا تينى قيني سينارو سومام كيتي.

الشرح:

يقول شاعر البديات وهو "يجر النم" في دوبيت يشبه الشعر الحديث يذكر فيه أوصاف حرائر الجمال في منطقتين من شمال دارفور ويذكر أصحابها بالإسم. فيذكر أولا رجلا غنياً من زغاوة البديات ويدعى آدم نوقوم اشتهرت ابله بالاصالة فيقول إنها حسنة الطلعة عيونها خضراء كعيون بعض طيور المنطقة متشحة جوانبها بالبياض شأن البشاريات وأوصاف اخرى كثيرة . كما يمدح نوق قبيلة أخرى موشمة الاذن مقطوعها ، على أرقابها التمائم حيث يشبهها ببنت الفكى التى تلبس التمائم ايضا مخافة العين والضراء . كما يشبههن ببنات قبيلة البرقو الحسناوات . ويصف تلك الإبل ووشمها

"السوط" في أرجلها الأمامية كما الفتى وهو يحمل في يده السوط يتباهى به . ويختتم وصفه وتشبيهه لنوق الجلول (من رزيقات الشمال) بأنهن كبنات القرعان الفائقات الروعة والجمال وهن يلبسن الزمام في أنوفهن فيكسبهن حسنا على الحسن"ألحسن المكمل".

ب) ميرى تير كتيقا جوقي ، قوندا كتيقا كاس يوقي ، تارا كتيقا دريسة يوقي ، دونكي ابو لحاقا يوقي، دونكي كورإياقا يوقي، اسكوناقا يوقي، او بيناقا يوقي ، تونا كونو تيني كورنوي ضاية آرد امتاجنة النساء ، كبكابي أبو دونقو ، فاشر تنتني(تندلتي) مليط سوق كوما دونكي.. اوراو قيني سودري.. دايقو ساونى ام بادري ودبندا دم جمد تندلتي ، سونو قيني نهود ، تاري كيدي أبيض.

الشرح:

يذكر هنا أسماء المناطق والمدن التي ذهب إليها وهو "يشكرها" ويمدحها.

(4) دوبيت الزغاوة باللغة العربية الدارجة:

أ) قال الشاعر الدوباي ادريس جنونة:

انت يا الجميلة ، عينك براق البطلع ، سنك دهب الوقية، جرجري لي تويك وصفي لي دامرتكم بي وين!؟

ويقول آخرون:

ب) طلعن تلاتة نجوم ، اتنين في الشرق والتالتة في الخرطوم

وين بت الزغوية القبيل جبدت مخدة ، قالت تنوم

حارقة قلبي وخلاص سكن الخرطوم

ج) يا أبوي شراب اللبن الكتير خليتو

ركبت الاشيقر ، للجام شكيتو

عكاز الخيزران فوق البنات هزيتو

سكين المكوكب بين الضلوع غزيتو

كان مت الحمد لله فرق الرجال سديتو

د) حرف الميم والنون معدل حرفو
مكتوب بالحبر على شان البليد ما يعرفو
كل صبحاً جديد جنيه معدل صرفه

هـ) أنا جملي صغير قمه.. جريت اليل والنهار والله ما بتمه
يوم قلعت السوط خليت حايم كيف الصقير في الرمه

و) تبعت لي درب بقى لي دربين .. دربا البوديني بيتكم بي وين؟
سلباتو فضة حتى الدهب روقين.. حراسينكم تمانية عجم حتى كلابكم اتنين ابقى فريخ
أبو درك أخش بلا كرعين !
ك) مرة برايا ومرة مع أخويا صابر .. يوم قرنا البكار داك سكتك
وين أم سوقاط .. بتين نعود للبلد حتى البنات يطرونا
واحديين بزوروا القبب .. واحدين بزوروا ناس حليمة
لو سكرنا كمِل .. نعبي حلبة ونشرب سليقة!

(5) أغاني طمبور الطراوة :

للزغاوة الكثير من أغاني الطمبور التي تغنى في لعبة الطراوة ومعظمها تؤدى بلهجة الزغاوة ، لكن بعضها الآخر تغني بالعربية الدارجة . وهذه الأغنيات وألحانها تكاد تكون القاسم المشترك للكثير من قبائل دارفور. ونلحظ أن هذه الأغنيات تمتاز بالقصر والايجاز مما يجعل من تكرارها ضرورة يسبغ عليها جمالية التطريب والتنغيم . نذكر بعض النماذج من تلك الأغاني:
أ) مرحيبة سنك حليب الناقة.. طمباري من بلاد سكة بعيدة رقيه جرجري لي تويك
خليك قمره يضاوي انت يالسمحة خليك فريد البنات
ب) حسنيه دهب كوره سنيه

جـ) مرا تاجر تشيل اللمبة تتاجر .. نبقى مهاجر نشيل اللوحة نهار

د) كترة كوادر .. سنو كلام نوادر

هـ) نمشي لي خرطوم سكر المردوم.. نمشي لي سنار نلكة بالنوار

و) تيا تيا .. بيتهم بلا جنيه

ك) قربينا شايلين القربينا

ل) أم صدير سنك فضة وصافي .. أم خديداً ناعم صابون صلاحي

م) عاشه كبره كبابي جنب السفره

ن) سعدية بنية فنجرية

ي) لاتلمسوا حرة لا تلمسوها.

(* إحدى رقصات الزغاوة)



الباب الخامس

تاريخ الكوبي السياسي

الفصل الأول : شجرة نسب الأنقو

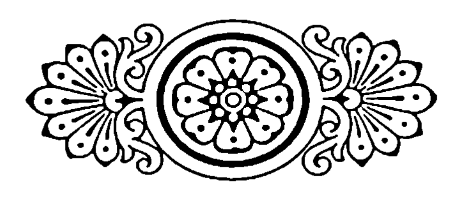
الفصل الثاني: تعاقب سلاطين الأنقو على حكم الكوبي

الفصل الثالث: فرتي يطلب الحكم من وداي.

الفصل الرابع: الصراعات السياسية في تاريخ الكوبي الحديث.

الفصل الخامس:الكبقاء.

الفصل السادس: دور الزغاوة في الثورة التشادية.



الفصل الأول : تاريخ الكوبي السياسي

مدخل:

إقتصر الباب الأول من هذه الدراسة على التعريف بفروع قبيلة الزغاوة وأصولها وهجراتها، كما كتبنا عرضاً تفصيلياً عن أقسامها وتفرعاتها إلى فصائل وعشائر وبطون وفي هذا الباب نود أن نستعرض تاريخ زغاوة الكوبي السياسي من خلال دراستنا التفصيلية عن الأنقو. ومن الأسباب التي دفعتنا على التركيز عليه أن الأنقو هي الفصيلة الرئيسية في الكوبي ومنها انحدر البيت الحاكم الذي عاصر وعايش كل الأحداث التاريخية والتغيرات السياسية التي صاحبت تلك الأحداث، كما وأن هنالك دوافع أخرى منها:

1- أن دار الكوبي تقع في منطقة حدودية متميزة حيث أن قسمي الكوبي في تشاد والسودان تربطهما أواصر القرابة ومتداخلين رغم اختلاف أنظمة الحكم، في الوقت الذي لانجد مثل هذه الميزة لدى باقي فروع الزغاوة الأخرى باستثناء زغاوة البديات ، بالإضافة إلى وجود الحدود الجغرافية الوهمية.

2- نجد أن سلطنة الكوبي ظلت مستقلة عن مملكة وداي (في أبشي) وسلطنة الفور (في الفاشر) في أغلب الأحيان رغم تنافسهما في الاستحواذ عليها وضمها.

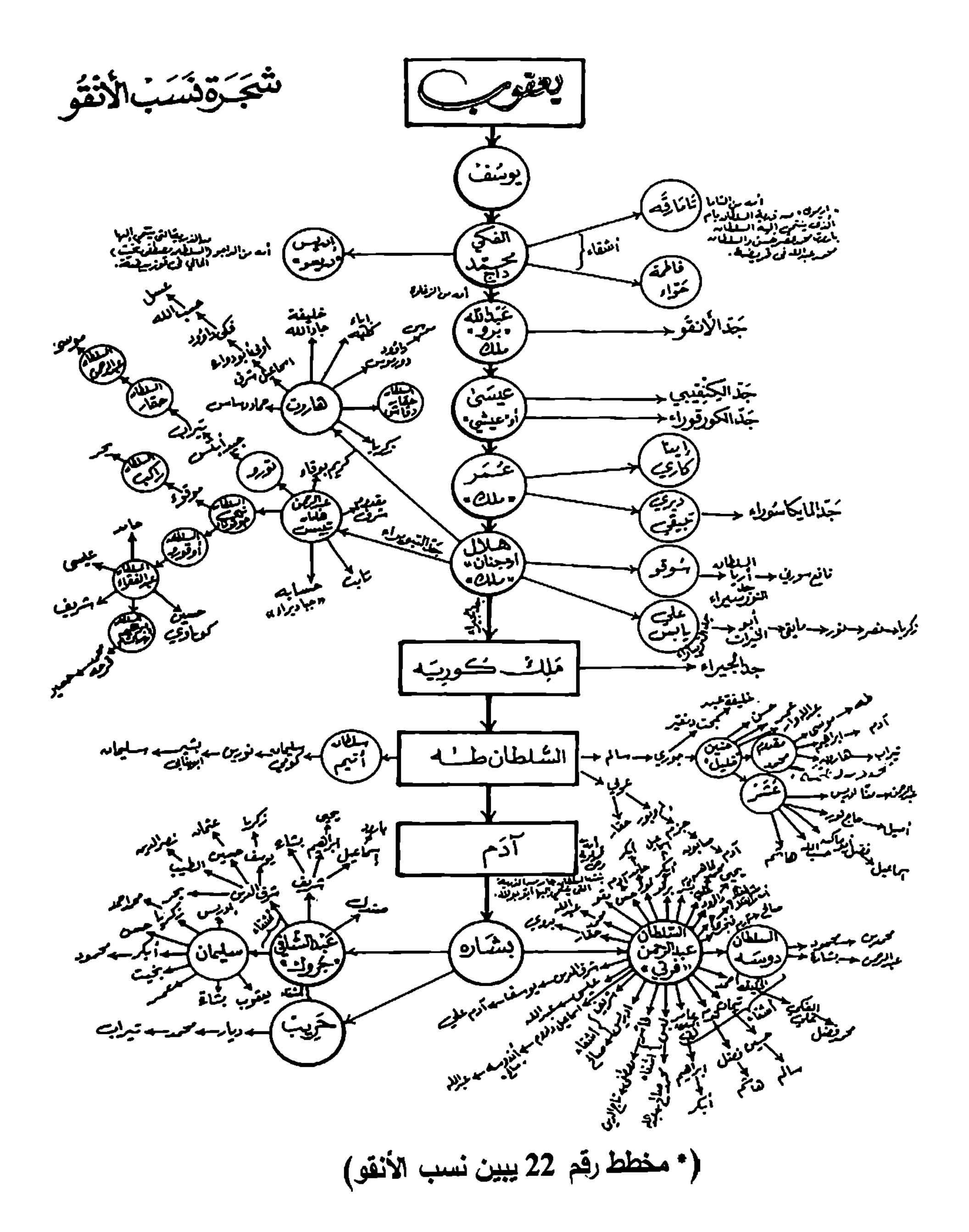
3- كانت منطقة الكوبي في تشاد والسودان محور صراع الإستعمار الفرنسي والبريطاني الذي أسفر عن تقسيمها إلى سلطنتين يفصلهما وادي الطينة.

4- إن الخلافات الداخلية للأسرة الحاكمة للأنقو كانت من العوامل الرئيسة لانشطار الكم مما جعلت منها لقمة مستساغة لأطماع المستعمر الفرنسي الذي إستعان به القسم الأخر من الأنقو(التبويراء) في تصفية منافسيه من (الجيراء).

الأنقو Ango

كما سبق أن أشرنا إلى أن الأنقو هى الفرع الرئيسي والحاكم لزغاوة الكوبي و تشمل إحدى عشر عشيرة ، كل منها تسمي نفسها منتسبة إلى منطقة بعينها في دار الكوبي ، والعشائر هي:

1. جيراء: نسبة لجبل جيري ومنها البيت الحاكم في الطينة بالسودان.
2. مايكا سوراء: نسبة لجبل مايكا سوراء.
3. تبويراء: نسبة لجبل تبوي ومنها البيت الحاكم في هريباء بتشاد.
4. تريباراء: نسبة لبئر تريباء في تشاد.
5. تركة هاروت: نسبة إلى هاروت بن هلال .
6. إيناء كايراء: نسبة لإيناء كاري. و لفظة " إيناء كاري" بلهجة الزغاوة مستعملاً لهجة الكوبي تتكون من مقطعين : إينا ء .. وتعني الحاكم أو الملك، وكاري معناها جاء. فاللفظة تعني جاء الملك كناية عن مولد الملك الذي طال إنتظاره.
7. كنقيبي : يقال إنهم قرعان وذلك لأن جدتهم الاولى كانت من قبيلة القرعان أو من بديات الإردبيه. وكنقيبي تتكون من مقطعين : كنقي وتعني الشيخ وبي تعني البيت. والمعنى العام : بيت الشيخ إشارة إلى زعيم العشيرة وهو الشيخ.
8. كورقوراء: نسبة لجبل كورقوء ويقال إنهم من أصل عربي.
9. نورسيراء: نسبة لجبل نورسي ماياراء شمال شرق هريباء.
10. جباديراء: نسبة لجبل جباد في أوروباء.
11. ماي بييه: و العبارة تعنى بيت الحداد وهى كناية عن حدادي الأنقو



(* مخطط رقم 22 يبين نسب الأنقو)

أصل الأنقو:

يقول الإخباريون والرواة الموثوقون إن الإنحدار السلالي البعيد لزغاوة الأنقو تبدأ جذوره من أصل سلالي واحد ، وهو جدهم يعقوب المولود عام(1446) وإبنه يوسف الذي أنجب الفكي محمد داج في حوالي 1514م وترعرع في كنف أبيه ، وحينما اشتد عوده هاجر إلى بلاد وَدّاي ودار مساليت طلبا للعلم . ومن ثم إلى مشايخ الفونج في عهد السلطنة الزرقاء (1504–1821) ، وتتلمذ على أيديهم ويقال إنه التقى فرح ود تكتوك وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم أصول الدين . وفي طريق عودته إلي دار الكوبي مكث في منطقة الداجو في دارسيلا (قوز بيضة) حيث نزل في ضيافة سلطان الداجو من أسلاف السلطان مصطفى بخيت حيث أحاطه بكل مظاهر الحفاوة والاحترام وحسن الضيافة لما لمس فيه من مكارم الأخلاق وسعة المعرفة بأصول الدين الإسلامي . وبعد أن تعرف عليه وأقام صداقة معه زوجّه إحدى بناته ، فولد منها إبنه إدريس والذي حرف إسمه إلى دريسو وبنتاً اسمها فاطمة حواء . ومكث معهم حيناً ثم رحل مخلفاً زوجته وطفليه بين أهلهم . فوصل إلى قريضة في دارتاما ونزل عند سلطانها من أسلاف السلطان باروت الذي أكرم مثواه وأسكنه ثم زوجه (سلطان التاما) إبنته لما لمس فيه من تدين ومعرفة . فولدت له إبنه تامارقة . فطاب به المقام ولكنه لطول غيابه عن أهله وشدة الحنين إليهم آثر السفر إلى دار كوبي على أمل ان يعود إليهم مرة أخرى.
وعند قدومه إلى أهله اقيمت له الولائم واحتفي به . فقرروا ألا يبرح أرضهم مرة أخرى وذلك بتزويجه من إبنة حاكم الميراء (مِرّه) فانجبت له إبنه عبد الله – الذي شب وترعرع في كنف أبويه فصار فارساً مقداماً مما جعل أهله يطلقون عليه لقب "برو" الذي يعني الجرئ أو الجسور والذي غلب على أسمه الأصلي "عبد الله" وكان ذلك حوالي عام 1544 . ومن عبد الله هذا انحدر الأنقو ويمثل الجيل الرابع من حيث الإنحدار السلالي.

ومن خلال ماسردناه يتضح لنا أن أبناء الفكي محمد داج ثلاثة أولاد وبنت واحدة من أمهات ثلاث ، إلا ان رواية أخرى تضيف بأن الفكي محمد داج قد تزوج أيضاً من

إحدى بنات المساليت وسافر بها في إحدى رحلاته إلى دار البديات "بيرييه" الحالية وولد منها أحد أبنائه وسمى المنطقة "واسي" التي تعني النار بلغة المساليت ، لكننا لم نجد صحة لهذه الرواية لافتقارها الى بعض أركان التحقق منها . وهكذا تفرع الأنقو إلى مجموعات قرابية ثلاث رابعها بنت.

عبد الله برو ملكاً:

إنتقل الفكي محمد داج إلى رحمة الله في دار كوبي دون تمكنه من العودة إلى مقار زوجتيه في كل من قريضة بدار تاما ودار سيلا في منطقة الداجو ، فبقي إبنه عبد الله برو في كنف أخواله من الميراء فعرف عنه الذكاء ورباطة الجأش ومكارم الأخلاق وفصاحة اللسان الأمر الذي جعل أهل أمه يدرجونه ملكاً خلفاً لخاله الذي توفى ولم يكن له إبن يرث حكمه. وهكذا انتقل حكم الميراء إلى الأنقو إذ أصبح عبد الله برو أول حكام الأنقو . فوسع رقعة حكمه فشمل كل قبائل دار الكوبي بما فيها الميراء أنفسهم ، فاستمر حكمه حتى 1623م.

ولد للملك برو ابنه عيسى المعروف بـ"عيشي" وعرف عنه أنه لم يرث حكم أبيه وبذلك ضا ع حكم الأنقو فترة من الزمن ، لكن إبنه عمر إستعاد حكم أسلافه ، ومن فرط فرحه بحكمه سمى أحد ابنائه الثلاثة الذي تزامن مولده تسلمه الحكم" ديري تيبقي" والذي يعني بلغة الزغاوة "إستلمت الحكم" اما إبنه الأكبر فهو إينا كاري وثالثهم هلال"حنان" الذي ورث الحكم عن أبيه عمر وصار ملكاً فتميزت فترة حكمه بإتساع رقعة حكمه ونفوذه كما كثرت القبائل التي إنضوت تحت إمرته . واعتبر الجيل السابع من حيث التسلسل العائلي كما يعتبر هلال أبو سلاطين الكوبي.

ثم إنتقل الحكم بعد هلال إلى إبنه كوريه (1682- 1745) جد الأنقو –جيراء الذي شق عصا الطاعة على سلطان القمر رافضا الخضوع والعمل تحت إمرته . وبذا يكون أول من إستقل بالحكم ، فأصبح ملكاً وحكم دار كوبي زهاء العشرين عاماً وتوسعت رقعة حكمه، وتوطدت صلاته بمملكة الفور الأولى(1650-1874) نتيجة المصاهرة التي ربطت بين سلطان الفور علي بكر والميرام حوريه "قوريه" بنت الملك

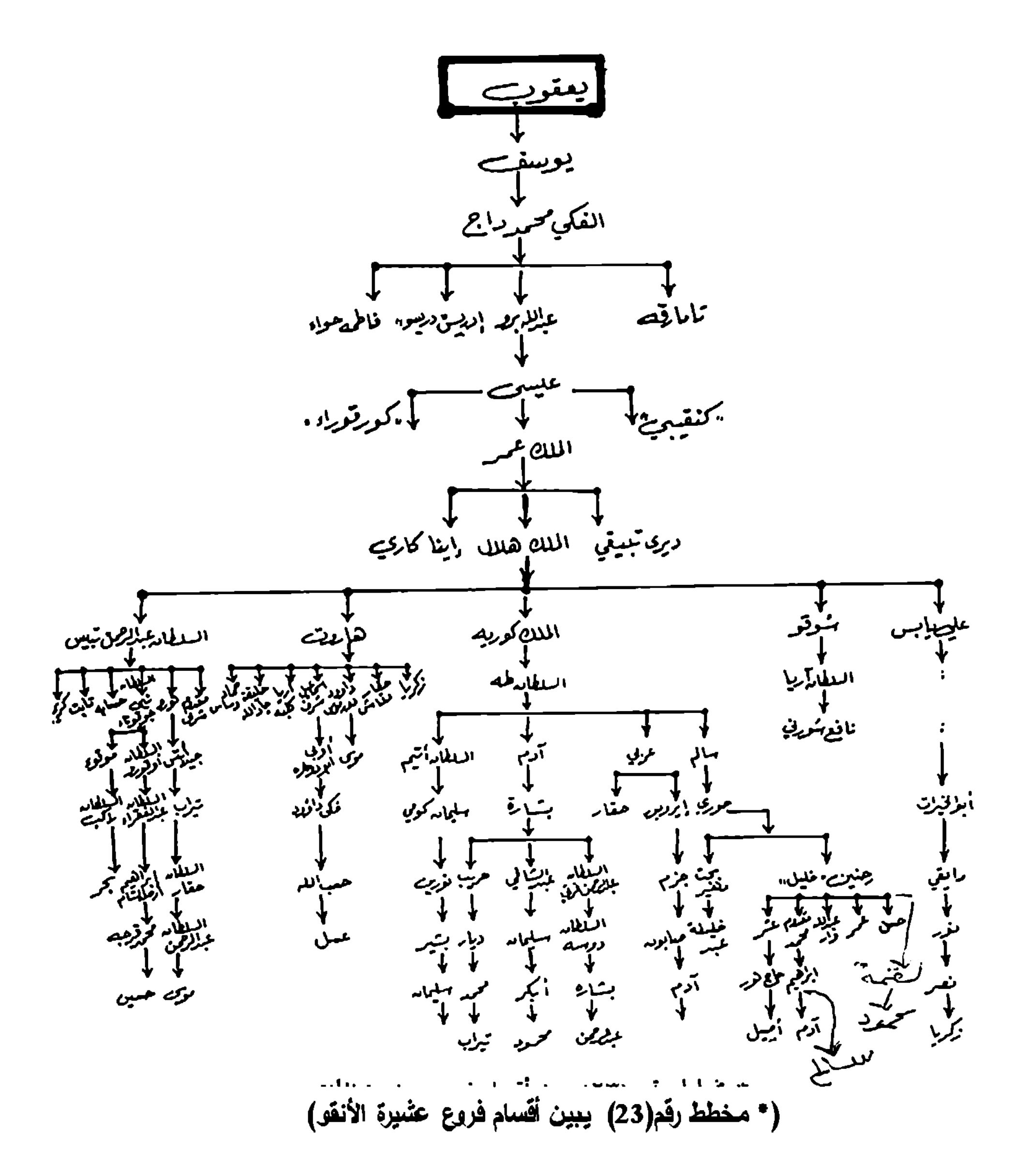
هلال و أخت كل من هاروت والملك كوريه. ومن هذه الزيجة ولد السلطان تيراب الذي حكم دارفور في الفترة من 1768م إلى 1787م والذي كان زغاوة الكوبي يطلقون عليه "تيراب لبن" . الجدير بالذكر أن الملك كوريه أول من أدخل النحاس رمزاً وأساساً لحكم الأنقو.

السلطان طه وقصة حكمه:

هو ابن الملك كوريه بن هلال عاش من 1735 إلى 1806 وكان يتردد كثيراً على الفاشر لمقابلة سلطان الفور كي يدرجه سلطاناً على عموم الكوبي ، غير أنه لم يحالفه الحظ . وفي إحدى زياراته فكر في مقابلة عمته قوريه للتعرف عليها وجعلها تتوسط له عند إبنها في تحقيق غايته وقد تم له ما أراد . إذ أمر السلطان تيراب بتنصيب طه سلطاناً على دار كوبي، وأغدق عليه بالعطايا ومستلزمات الحكم من نحاس وخيول وعبيد واسلحة نارية . فعاد السلطان طه إلى دار كوبي مقر أسلافه ليوطد حكمه . وقد تميز حكمه بالصرامة والجبروت الأمر الذي اثار حفيظة بعض مواطنيه وعلى رأسهم شخص يدعى " كورادبييه " الذي ذهب إلى الفاشر شاكياً و واشياً فدخل على أم السلطان تيراب ، وأبلغها بأن شقيقها هاروت الذي زعم طه وزمرته بموته مازال حياً في دار كوبي يعيش على الكفاف يفترش الأرض ويلتحف السماء وليس له من المال إلا بضع معزات . فاستدعت إبنها ليسمع تلك الرواية المذهلة. وكرر كورادبييه مقولته فأمر السلطان بتجهيز جملين أصيلين محملين بالهدايا ليذهب بهما كورادبييه لاحضار هاروت من دار كوبي خفية مؤكداً له أن مصيره القتل إذا اخفق في مهمته وتبين أن ماروه كان كذباً .

إنطلق كورادبييه قاصداً مقر هاروت فجاءه واخبره بما لديه من اخبار فلم يصدقه بادئ الأمر غير ان كورادبييه أخرج له هدايا ابن اخته السلطان تيراب . فسر أيما سرور ، وشد الرحال وانطلقا مسرعين فوصلا الفاشر خلال ثلاثة أيام ودخلا على السلطان الذي استدعى أمه لتتعرف على الشخص الذي أحضره كوردابييه أن كان شقيقها هاروت حقيقة . وقد تم ذلك وتعانق الشقيقان في مشهد مفعم بالفرح والحزن معا . ولما انجلى

الموقف وتبيينت الحقيقة للسلطان تيراب بواقع الأمر أرسل موفده إلى السلطان طه يطلب منه الحضور إلى الفاشرلمقابلته، و عند وصوله علم سبب إستدعائه فبهت طه وأبدى ندماً وموضحاً بأنه الطمع على الحكم كان الدافع لما أقدم عليه ولم تكن نتيجة سوء نية مبييتة لهاروت فعزله السلطان تيراب وحدد له إقامة جبرية في منطقة كيراباء جنوب الطيتة وعين خاله هاروت سلطاناً على دار كوبي ومنحه سلطات مطلقة ونفوذاً واسعة فامتدت رقعة ملكه فعمل على الإكثار من الزواج ، فقد ولد له من الأبناء مايزيد عن المائتين – ومما يروى عن السلطان هاروت أنه ربما قد تزوج من كل قبائل دارفور وقبائل سلطنة وداي ! وقد عمر طويلاً وصار كفيف البصر قبل مماته. أما السلطان طه فقد أقام في معتقله بكيراباء في معية ابنيه آدم وأتيم بورنوس الذين أحسنا بره ووقفا بجانبه ولازماه في محنته حتى تقدم به العمر ومات 1806م عن عمر يناهز السبعين عاماً . ولحق به إبنه آدم بعد أربع سنوات فمات 1810م وعمره لم يتعد الخمسين عاماً ودفن مع أبيه في مقبرة كيراباء.



(* مخطط رقم(23) يبين أقسام فروع عشيرة الأنقو)

حكم حقار دقاش:

دُرِّجَ حقار هاروت أو حقار دقاش كما يطلق عليه سلطاناً لدار كوبي بعد موت والده فاستمر يحكم سبع سنين وخلال هذه الفترة توفي السلطان تيراب (1787م) وجاء محمد الفضل بن علي بكر خلفاً لأخيه سلطاناً على دارفور . وكان هذا الأخير مستاء

من مساندة ابناء هاروت للسلطان تيراب ، فعمد على التخلص منهم أو إضعاف نفوذهم في الحكم ، فدبر لهم مكيدة فدعا جميع أبناء هاروت إلى وليمة في الفاشر زاعماً انه بصدد الإعلان عن مناصب هامة ستؤول إليهم أثناءها ، فحضر أبناء هاروت ولم يغب منهم إلا القليلون ومنهم السلطان حقار دقش الذي عمل بنصيحة مستشاريه بعدم الذهاب لتلافي المصيدة التي تنتظر ذرية هاروت . وبيناهم في مظاهر الحفاوة والتكريم كان جند السلطان محمد فضل يتحركون مدججين بالسلاح نحو المحتفى بهم فيباغتونهم ضرباً على الهام وطعناً في النحور وتصفية للأجساد، فتسفر المذبحة عن حريق لجثث الضحايا . وأمر بالقبض على السلطان حقار دقاش وعزله ثم سجنه في غار بمنطقة جبل سي ودَرَّجَ في مكانه أتيم بن السلطان طه في كيرباء لاستدرار عطف و ولاء أسرة طه مع خلق خصومة وفرقة بين أبناء هاروت وأبناء طه عملاً بالقاعدة فرق تسد.

واتسمت سني حكم السلطان أتيم بالقحط والجفاف فتشائم الناس منه وشكوا أمرهم للسلطان محمد فضل الذي لم يتردد في طرده من الحكم ، وتدريجه أريا بن السلطان سوقو بين هلال سلطاناً على دار كوبي . لم يدم حكم السلطان الجديد طويلاً غير أنه إشتهر بالحزم وعدم التساهل في أمور الشريعة الإسلامية في المسائل الإجتماعية مثل الزواج والطلاق وطبق بعض الحدود كما يروى الأمر الذي حدى بالناس أن يسموه "أريا جيزه كوني" التي تعني السلطان أريا الذي يمنع الزواج . وكف بصره وعجز عن تسيير أمر سلطنته فاقصي هو الآخر عن منصبه واعيد تعيين حقار دقاش للمرة الثانية بعد أن أمضى في سجنه بجبل سي ثمان سنوات.

والذي دفع سلطان الفور للافراج عن حقار وإعادة تدريجه سلطاناً هو انه أشاع بأن حقار له كرامات شهدها الناس إبان وجوده سجيناً في الغار . إذ كان مما يروى أن ثعباناً يأتيه ليلاً ليضئ له الغار إضافة إلى ثمار و فاكهة تنبت في المغارة فظل يعيش عليها رغم حرمانه من الأكل من قبل حراسه ليموت جوعاً . والأمر الآخر أن من خلفوه في الحكم بايعاز من السلطان محمد فضل فشلوا فمنهم من أقصي من الحكم لشكوة الناس ومنهم من فقد بصره . وخلاصة القول ونهاية المطاف ان حقار دقاش أصبح

سلطاناً على دار كوبي وقرر أن يحكم مستقلاً عن سلطنتي الفور ووداي . والتف الناس حوله وهاجر إليه زغاوة الكوبي من كل صوب وحدب ، فأسس حكمه في جبل كوبي حاضرة اسلافه فأشاع العدل والحكمة والورع فأحبه الناس وسعت كل من السلطنتين آنفتي الذكر للقضاء عليه فارسلت كل منهما جيشاً وراء جيش لأن حقار دقاش قد رد الجيوش على أعقابها . ولم يهدأ لسلطنة وداي بال حتى أرسلت إليه جيشاً لاقبل له من حيث العدد والعتاد في معركة غير متكافئة سقط السلطان حقار دقاش بن هاروت بعد أن أبلى بلاء حسناً كما استبسل غيره من أعوانه من الكوبي . وبذلك أسدل التاريخ ستاره على الحكام من ذرية هاروت أو تركة هاروت كما هو مشاع.

الفصل الثاني: تعاقب سلاطين الأنقو على حكم الكوبي

إنتقال السلطنة إلى التوبيراء:

بعد مقتل السلطان حقار دقاش هيمنت سلطنة وداي على دار كوبي فنصبوا "تي" جوقوناء بن هامان تبيس بن هلال سلطاناً بعد حقبة تعاقب على حكم الكوبي سلاطين من مجموعات قرابية من الانقو غير التبويراء الذين ينتمي إليهم . لم يدم حكم السلطان ني جوقونا غير عام واحد فقط فخلفه إبنه موقو فمات هو الآخر بعد حكم دام سنتين وتسلم بعده السلطان أقورو الذي وسع حكمه ومد نفوذه على أرجاء دار كوبي وتميزت سني حكمه بالرخاء فاخضر الزرع و امتلأ الضرع غير أن الأحوال الامنية لم تكن مستتبة بفعل الغزاة الذين لم يكفوا عن الإغارة على سلطنته . ففي احدى هذه الغارات التي تصدى السلطان أقورو ورجاله لها اصابته بعض الأعراب إصابة قاتلة فمات بعد حكم دام ثمانية عشر سنة ثم إنتقلت السلطنة إلى إبنه عبد الفقراء الذي إمتد حكمه لمدة اثنتين وعشرين سنة فمات بعد ان اقعده مرض عضال وظل طريح الفراش ثلاثة أعوام.

إنتقال السلطنة إلى الجيراء:

من خلال متابعتنا للانحدار السلالي للأنقو ، نجد أن الجيراء عشيرة متفرعة عن الملك كوريه ثم السلطان طه وابنه آدم ثم بشارة الذي يمثل الجيل الحادي عشر للأنقو .

وقد لعب ذريته دوراً هاماً وبارزا على مسرح الأحداث في دار الكوبي وفي استرداد الحكم بعد أن ظلت السلطة في يد سلاطين التبويراء زهاء الأربعين عاماً . فولد لبشارة ثلاثة أبناء أكبرهم عبد الشافع أوشافي جوروك ويليه عبد الرحمن ولقبه فرتي واصغرهم حريب الذي ربما اشتقت من الحرب وهو شقيق لعبد الشافع.

السلطان عبد الفقراء يقعده المرض عن الحكم:

هو ابن السلطان أقوروء من فرع التبويراء – كما رأينا– وقد ولد عام 1802م وتسلم مقاليد حكم الكوبي سنة 1857م وظل في الحكم زهاء الاثنتين وعشرين سنة وفي ثلاث السنوات الأخيرة من حكمه أصابه مرض عضال اعجزه عن تسيير دفة الحكم الأمر الذي جعل ابن عمه راكب بن موقوء يطمع في إنتزاع السلطنة منه والانفراد بها لنفسه . وفي هذه الأثناء ذهب إلى السلطان عبد الفقراء إثنان من أبناء ذويه وهما عبد الرحمن فرتي بن بشارة و عبد الشافع بن بشارة لممارضته وحمايته حينما احسا بأن راكباً يكيد للخلاص منه . وقاما برعايته خير قيام وأحسنا على أطفاله وزوجاته . فأعجب السلطان عبد الفقراء أيما إعجاب بمعاملة فرتي وأخيه له فقرر رد الجميل لهما ، فأشار إليهما بالسعي في طلب حكمه بعد موته من مملكة وداي . وعدم التفريط به حتى لاينتقل إلى راكب الذي كان ينوي إنتزاعه منه عنوة .غير أن راكباً سبقهم بالسفر إلى الفاشر لمقابلة ممثل الحكم التركي آنذاك ، وهو سلاطين باشا فطلب الحكم منه زاعماً بأن السلطان عبد الفقراء صار لايقوى على تسيير أمر الحكم و لا أمل في شفائه ، وابدى استعداده في خدمة الحكم التركي والمساعدة في تمهيد طريق الحكومة التركية للوصول الى سلطنة وداي والقضاء عليها واخضاعها . هذا بالاضافة إلى جمع الضرائب والجزية من زغاوة الكوبي وتسليمها له. فلم يتردد سلاطين في تعيينه سلطاناً على دار كوبي عام 1879م.

عاد السلطان الجديد إلى المنطقة الواقعة جنوبي الطينة ، ولما يعلم السلطان عبد الفقراء بأمره فجمع السلطان راكب أخواله (من فرع الدتيراء) واستعدوا لمهاجمة السلطان

المريض . فأغاروا عليه وأخذوا منه النحاس ومستلزمات الحكم الأخرى ، وهو لاحول له ولاقوة وكان أبناؤه عيسى ديقي وأبو حامد ، ابراهيم أرض الشام وحسين كوباوي وحامد وهاشم – صغاراً لايستطيعون الدفاع عن حكم أبيهم ولا عن نحاساتهم .

وفي الليلة التي سبقت وفاته دعى السلطان عبد الفقراء عبد الرحمن فرتي على إنفراد وقال له:" إنك قد تعبت من أجلي كثيراً يا ابن أخي ووقفت بجانبي طيلة فترة مرضي تمارضني وتطلب لي الدواء اشكرك جزيل الشكر على عنايتك ورعايتك ، لذلك فإنني اريد ان ارد لك الجميل واكافئك وليس لي ما أقدمه لك سوى بنتي الكبرى فأرجو أن تتزوجها". فرد عليه فرتي قائلاً :" ياعمي ..انني ما قمت إلا بما يقتضيه الواجب وعلائق الدم والقربى .. وادعو الله لك الشفاء . واما مسألة الزواج فإنني سوف لن أستطيع الزواج من ابنتك طالما ظل راكب حياً فإنه لن يتركني أفعل ذلك ". فصمت السلطان برهة واخرج من تحت وسادته خاتم ملكه واعطاه لفرتي قائلاً له," خذ يابني هذا الخاتم واذهب به الى السلطان يوسف سلطان البرقو يدرجك سلطاناً لدار الكوبي شريطة ان ترعى أبنائي من بعدي .. واني تاركهم في ذمتك" فأومأ فرتي برأسه موافقاً وأمسك بيد السلطان الذي كان يحتضر وقتئذ . وفي مساء ذلك اليوم مات السلطان عبد الفقراء ولا احد يدري بأمر الخاتم سوى عبد الرحمن فرتي واخيه عبد الشافع.

السلطان راكب يحول المأتم عرساً!:

لما علم السلطان راكب نبأ وفاة السلطان عبد الفقراء سر أيما سرور وأمر بضرب النحاس في بيت العزاء وأرهب الناس وكل من رآه يبكي يطلق عليه النار فيرديه قتيلاً . وامر أرامل السلطان المتوفي بالتزين له وإطلاق الزغاريد عنوة وتزوجهن اجمعين بكل مظاهر الإكراه والتخويف والارهاب وعاث في الارض فساداً . وظل ينحر جذور الناس وماشيتهم ظلماً ولا احد يجرؤ على الإحتجاج الا وقتل فوراً ، رمياً بالرصاص أو خنقاً وذبحاً مما نفر الناس جميعا من حكمه فغنت البنات أغنيات حزينة يندبن حظهن ويرثين أهلهن ومنها هذه المناحة:

اوبيري أورنيقي راكب كارواء؟

حوقار قيني اوقو جاري..

بورو كوجوء كيدي

دنيراي كاقايواء؟

بوء قريقو سروال كيرو سـي!

جوء قريقو آو كيرو سي!

أويوء تيقيقو جنقا كيرو سي!

دار قينو بير ديري

وهذه الأغنية تعنـي:

ما لك الصيحات المنبعثة من جهة الشرق؟

لعل راكب قد أتي

ذلك الذي يشبه الدراكولا!

الذي يمتص دماء البشر

والذي يخيف الرجال !

هل قدم خواله الدنيراء؟!

لاثور يتروكونه يكبر في البلد

ولاخروف يعيش فيستفاد من فروته!

ولاتيس تشب له القرون!

إننا ياراكب تاركو ديارك.

كما أشرنا سابقاً أن السلطان راكب قد عاهد سلاطين باشا على تطبيق سياسة التركية بحزم وطلب من سلاطين تزويده بالأسلحة لتوطيد حكمه ، فلجأ إلى القوة والبطش ولم يركن إلى صوت العقل والانسانية . كما أنه لم يحاول ترغيب الناس لما ينادي إليه ولم يتح لهم الفرصة لمعرفة حقيقة مايسعى إليه وكان يتوعد معارضيه بالويل والثبور وعظائم الإمور . ومن ضحايا بطشه نافع سوروني بن السلطان آريا جد

النورسيراء الذي قتله خنقاً في رهد اندر ، وأقام المذابح للخلاص ممن أبدى المعارضة . ويروى أن البديات ضمن الذين تعرضوا لمحنة التعذيب والتقتيل والابادة على أيدي راكب.

إن أسلوب الارهاب والتصفية أثار كراهية الناس لراكب ومن يقف وراءه متمثلاً في الحكم التركي . ورغم تضاؤل شعبيته المضطردة ، استمر السلطان راكب في الحكم أول الأمر في "توقيي" جنوب غرب الطينة الحالية، ومن ثم نقلها الى منطقة دورقوسي التي تبعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً غربي الطينة.

الفصل الثالث: فرتي يطلب الحكم من وداي

في هذه الفترة التي كان فيها راكب يهادن الأتراك ويحكم زغاوة الكوبي بيد من حديد ، كانت مملكة وداي (1635-1911) فى أوج عظمتها وتهيمن على قطاع كبير من ارض أفريقيا الغربية . ويمتد نفوذها الى سلطنة الكوبي قبل مجئ راكب مدرجاً من قبل الحكم التركي . وكانت مملكة وداي تتخذ من اللامركزية اسلوبا للحكم ، إذ كانت البلاد مقسمة إلى مقاطعات يشرف على كل منها نائب للسلطان يعرف بالعقيد .

ولما شاهد عبد الرحمن فرتي وعبد الشافع سوء أفعال السلطان راكب خشيا على مصير الجيراء من بطشه فقررا الذهاب إلى أبيشي عاصمة وداي لطلب الحكم من السلطان يوسف شريف. وجهزا للسفر غير انهما كانت تنقصهما الراحلة والزاد والعتاد. فاستعانا خفية ببعض أقاربهما ميسوري الحال فحصل عبد الشافع على حصان من زوج أخته . اما عبد الرحمن فلم يفلح في بادئ الأمر لأن اسحق سيري رفض أن يعيره بعيره في غطرسة واستهزاء، فلجأ إلى ميبقيت أحد أخلص حداحيد الجيراء الذي سلمه هجيناً بنفس طيبة ، وأمده كذلك بريش النعام ولوازم الخيل والحبال والقرب وكثير من المصنوعات الجلدية غالية الثمن في تلك الأيام . فانطلق عبد الرحمن فرتي في معية اخيه عبد الشافع و الخليفة عبد حاملاً الخاتم الذي اعطاه إياه السلطان المتوفي عبد الفقراء قاصدين أبيشى.

كان الطريق الى أبيشى طويلاً ووعراً ، محفوفاً بالمخاطر من سباع و وحوش اخرى وتابعوا سيرهم حتى أدركهم الليل في وادي باباء في كبقاء. وهناك امضوا ليلة كليلة امرئ القيس حيث تعرضوا لهجمات اسد شرس جائع عرف آنذاك "بأسد مورجاء"، يريد أن يفترس جملهم فكانوا له بالمرصاد بأسلحتهم البيضاء حتى طلع الفجر فأدوا صلاة الصبح على نهج صلاة الخوف . ومن ثم تابعوا الرحلة.

في مجلس السلطان يوسف شريف:

وصل ركب فرتي ومن معه الى ابيشي واستأذنوا حراس القصر لمقابلة السلطان يوسف بعد أن عرفوا بهويتهم والغرض من المقابلة. وبعد صلاة العصر أذن لهم بالدخول ورأوا السلطان وهو يلبس الجوخ الموشى ويجلس على أريكة كبيرة موشاة بالفضة والذهب وبها وسائد من الحرير الخالص ومن خلفه وقف إثنان من العبيد بمراوح من ريش النعام ، وكما وقف حارسان مدججان بالسلاح . وعلى يمينه جلس خاله ومستشاره الذي عادة ما يقوم بتنصيب الحكام بتخويل من السلطان حسب النظام المتبع في سلطنة وداي . كما جلس رجال من الحكم والوجهاء والأعيان على فرش من السجاد ، أما الرعية والأعوان فقد جلسوا على الأرض في نصف دائره. وكان قبلئذ قد نودي الناس في سوق أبيشى كي يجتمعوا في مجلس السلطان لأمر هام. وأذن السلطان لفرتي ورفيقيه بالجلوس.

هنا قدم فرتي للسلطان يوسف الهدايا بما فيها جمل الخليفة ميبقيت ثم أعطاه خاتم السلطان عبد الفقراء. فخطب سلطان وداي في الحضور معرفاً بعبد الرحمن فرتي بن بشارة واخبرهم أنه أتى إليه من دار كوبي يطلب "الكدمول" أي الحكم كما كان يطلق عليه البرقو . وطلب من خاله أن يقوم بتعيينه سلطاناً على دار كوبي وأعطاه خاتم الملك وأربعة من النحاس وسيفاً مذهباً والبسه كسوة من الجوخ واهداه ورفيقيه ثلاثة خيول أصيلة مطهمة . فقام الأعيان وقدموا له التهاني والتبريكات ، وكان ذلك في عام 1879 وكان عمر فرتي آنئذ خمسين سنة . واتفق السلطانان على أن يدفع فرتي الجزية السنوية لسلطنة وداي على أسس معلومة.

لم يتمالك الخليفة عبد فرحته بتتويج ابن عمه سلطاناً فاستل سيفه وبشر بفرحة عظيمة ثم أنشد بلغة الزغاوة:

"باباء	باتيقا	مورجاء	مورتيقا
قرو	بيري	جرّ ريقي	إيقي
باري	بقيدي	قيرقيري	نييه ساقي إيقيني"!

فهو هنا يحكي ماعاناه وصاحباه وما كابدوه من صعاب في طريقهم لطلب الحكم وما لاقوه من مخاطر في وادي باباء من أسد مورجاء الشرس ، وكانت وجهتهم ابيشي مروراً بأدغال وادي باري وطريقه الوعر .

سأل السلطان يوسف السلطان فرتي عن علاقته بالخليفة عبد فأخبره بأنه ابن عمه . فرد عليه :"إن هذا الرجل سوف لن يقنع بالهبات فعليك بإغداق النعم والإحسان اليه نظير اخلاصه ووفائه وحبه لك".

فرتي يوطد حكمه :

عاد السلطان الجديد ورفيقيه إلى دار الكوبي في غمرة الفرح والحبور . وفي الطريق تشاوروا في أمر حكمهم الجديد وموقفهم من السلطان راكب والمتاعب التي سيلاقونها منه، كما استعرضوا طرق توطيد حكمهم وحمايته ببناء جيش قوي . وفيما هم يتناقشون قال عبد الشافع للسلطان فرتي :" ها قد أصبحت سلطاناً ولكن من ذا الذي يحمي لك سلطنتك ؟" فضحك فرتي وقال له :" ومن ذا الذي يحميها غيرك يا أخي"! إشارة الى تفويضه الى عبد الشافع القيام بأمر تجهيز الجيش وقيادته.

لم يتمكن السلطان فرتي ومرافقوه من حط رحالهم في دور قوسي كما كان مؤملاً وذلك لأن السلطان راكب كان يقيم فيها ويتخذها حاضرة لحكمه . فتوجهوا إلى آوقاء بمنطقة كوباء ، فوفد إليه الناس نرافات ووحداناً من كل صوب هاربين مما لحقهم من إرهاب وتنكيل طلباً للحماية . وبايعوا السلطان فرتي كمنقذ لهم من جبروت الطاغية راكب.

بعد أن أمضى السلطان عبد الرحمن فرتي سنتين في آوقاء ، قرر نقل عاصمته الى موردوء غرب هريباء ، لموقعها في وسط دار كوبي ، في وقت ظل المزيد من العشائر تأتي اليه مبايعة ومؤازرة لحكمه . فبسط نفوذه على كل منطقة ويه . اما في نانوء فقد اضطر الى منع الناوراء من ورود آبارهم بعد أن رفضوا عرضاً منه بمبايعته . وفرض حصاراً حول تلك الآبار حتى تعرضوا وماشيتهم الى عطش شديد ونفق بعضها مما دفعهم للأستسلام والذهاب إليه طائعين ، ومتوجين تأييدهم له بتزويجه احدى فتياتهم.

عبد الشافع يحارب "راكب"

أرسى السلطان عبد الرحمن فرتي قواعد حكمه بمساعدة أخيه عبد الشافع ، ولما انتهيا من وضع السياسة الداخلية للسلطنة بنجاح اشار عبد الشافع الى السلطان نيته في محاربة السلطان راكب لانه لايحتمل وجود سلطنتين في دار الكوبي . ولم يوافق السلطان فرتي في بادئ الأمر إلا أن عبد الشافع لم يكف عن إصراره لمنازلة راكب مهما كانت النتائج . فقال له السلطان "ان راكب تسانده الادارة التركية التي تمده بالأسلحة النارية والعسكر فلا تحاول محاربته مالم يبدأ هو الحرب" إلا أن السلطان فرتي وافق على رأي عبد الشافع عندما لمس إصراره.

تحرك عبد الشافع صوب دورقوسي بجيش عرمرم يتكون معظمه من أصحاب الحق الذين سلبهم راكب أموالهم وامتلأت قلوبهم بالغضب المتحفزين للانتقام من راكب والنيل منه. كما كان يتكون أيضاً من الفرسان الذين يمثلون القبائل والعشائر التي اظهرت ولاءها للسلطان فرتي . فسار بهم في طريق جنوب قرية ترييباء حتى وصلوا إلى جبل دورقوسي ليلاً . وانتظروا في الجانب الغربي منه بعض الوقت ليكملوا استعداداتهم ومن ثم تحركوا حتى وصلوا على مشارف ديم السلطان راكب ، فطلب منه بعض خلصائه الانتظار حتى الفجر لكي يبدأوا الهجوم. لكنه رفض قائلاً انه لايطيق انتظار الحرب حتى الصباح ، فأمر رجاله بالهجوم وهو يتقدمهم على صهوة جواده الابيض

ويطلق الرصاص بغزارة لكي يعلم راكب انهم قادمون وحتى لا يأخذوتهم على حين غرة مما يعتبرونها مخالفة لأخلاقيات حروبهم آنذاك.

دخل جيش عبد الشافع ديم السلطان راكب والتقى الجمعان، ولم يمض وقت طويل حتى انجلى الموقف واسفر عن انتصار جيش عبد الشافع وهزيمة السلطان راكب الذي تمكن من الإفلات مع بعض ممن تبقى من فلول جيشه الذي مات منه الكثيرون، واحتل عبد الشافع عاصمة السلطان راكب وباتوا ليلتهم فيها. وكان لهذا الانتصار وقعه الطيب في رفع الروح المعنوية لجند عبد الشافع ومثبط لهمة جند راكب.

وفي صباح اليوم الثاني تحرك جيش عبد الشافع قاصداً آبار أويراء والتقى جيش راكب الذي اعاد تنظيمه، لكنه منى مرة أخرى بالهزيمة وهرب راكب وبعض رجاله الى رهد اندر (أم در) وامضى عبد الشافع وجيشه نهارهم وباتوا ليلتهم في منطقة تلك الآبار. وفي اليوم الثالث تعقبه عبد الشافع الى رهد اندر وحدثت معركة طاحنة اوقع جيش عبد الشافع هزيمة كبرى بجيش السلطان راكب للمرة الثالثة لكنه افلت هذه المرة أيضاً من الموت وانتقل برجاله وزوجاته واهله إلى سدرة مرداء (مرداء كيراء) وبات ليلته تحت تلك السدرة الكبيرة والمشهورة في أوقوناء. وبات عبد الشافع ورجاله في رهد اندر . وبعث عبد الشافع رسولاً من خاصة رجاله الى السلطان عبد الرحمن فرتي حاملاً اليه اخبار انتصارات جيشه المظفر وانه مازال عند عهده واصراره بهزيمة السلطان راكب والقضاء عليه كما أشار الى السلطان كي يتحرك الى عاصمة راكب في دورقوسي لتكون مقراً لسلطنته هناك. تلقى السلطان أنباء انتصارات جيشه بفرح بالغ ونقل عاصمته الى دور قوسي كما نصح به أخوه.

ويقول الرواة إنه في مرداء كيراء قاوم السلطان راكب جيش عبد الشافع لمدة أربعة أيام ببسالة عظيمة . وآل على نفسه ألا يهرب أو يتحرك من وجه أعدائه إلا منتصراً أو ميتاً . وبأسلوب إنتحاري ترجل عن حصانه المسمى" من الله" فجلس مسنداً ظهره على جذع سدرة مرداء، واضعاً نحاسه أمامه بجانب الذخيرة والبنادق وكان جنوده ينتشرون قرب تلك السدرة ، وبدأوا في إطلاق النار على جيش عبد الشافع بدون توقف .

وابلى راكب بلاءً حسناً ويروى أن أصبعه السبابة قد تقرحت من شدة إطلاق النار وحرارة البارود ، فلفها بعمامته ، ويقال إن الرصاص لم يخترق جسده لتحصنه بأحجبة ضد السلاح . واستمرت الحرب دون توقف ، وفي ما يشبه الحصار أربعة أيام ، فأرسل عبد الشافع رسالة إلى السلطان فرتي يخبره بألا يقلق على حكمه بعد اليوم وأن السلطنة قد ثبتت ، وأن الحرب ما زالت محتدمة في مردا كيراء . وان راكب آل على نفسه ألاّ يتحرك منها إلا منتصراً أو ميتاً ، لكن النتيجة الحاسمة ستكون فى صالحهم . فعمت الفرحة في العاصمة وعلت الزغاريد وغنت احدى قريبات السلطان فرتي تهجو السلطان راكب بلغة الزغاوة قائلة:

"ديم قيري هيردي كيربي

دورقو سيرو هيردي كيربي

مردارو دابابنا تيسي

نييه تحوقيري كوريقيني"

وهي تعني:

إن فرساننا قد غزوا ديم راكب وانتصروا ،

وإنهم قد احتلوا العاصمة دورقوسي...

انهزم راكب واحتمى بسدرة مرداء..

ماأتعسه !! لم ينم ليله!!

بينما ظلت الحرب محتدمة في مرداء كيراء لليوم الخامس على التوالي اقترح رجل من زغاوة البايراء يدعى دردار – وهو صديق للسلطان فرتي – أنه اذا سمح له السلطان الالتحاق بجيش عبد الشافع فإنه سوف يتحدى راكب ويتغلب عليه ويأخذ نحاسه عنوة ويحضره له. وافق السلطان و ذهب دردار مع الرسول الذى بعثه عبد الشافع مبشراً بانتصارات جيشه. لما رأى دردار السلطان راكب هاجمه بحصانه ناوياً خطف النحاس منه ، فأمسك دردار بأحد مقبضي النحاس فيما امسك راكب المقبض الأخر بقوة شديدة ولم يتمكن على اطلاق النار على درادار لسرعة حصان الأخير ،

فانقطع المقبض الذي من صوب دردار وبقي النحاس عند راكب. وعاد دردار مسرعاً إلى عبد الشافع ورفع يده بالمقبض و"بشرله" فسأله عبد الشافع "ماهذا الذي في يديك يادردار؟" فأجابه "انه مقبض نحاس راكب". وأردف قائلاً :" ان راكباً سوف لن يترك نحاسه إلا إذا مات".

ولم يكرر دردار المحاولة مرة أخرى .

وفي اليوم السادس للحرب نصح دردار القائد عبدالشافع أنه ليس من السهل القضاء على راكب، وان كثيراً من الجنود قد لحق به التعب وأنه يرى من الأفضل أن يعود بجيشه إلى العاصمة دورقوسي للراحة والاستجمام أسبوعاً واحداً ، يعودون بعده لملاحقة راكب ومحاربته. فرجع عبد الشافع و رجاله إلى العاصمة وذهب راكب ورجاله إلى بئر كليكل شرقي كولبوس بدار قمر . فدخل طرفا الصراع في هدنة غير معلنة شهراً كاملاً سكتت فيه البنادق وأريحت ظهور الخيل وظل كل طرف في موقعه.

السلطان راكب يحاول استعادة عاصمته:

بقي السلطان راكب ورجاله وأسرهم في كليكل لمدة شهر عاودهم فيه الحنين للرجوع إلى ديارهم ، ففي أحد الايام جاءت للسلطان راكب إحدى بنات عمه فبكت في مجلسه متحسرة على مجدهم الذي صار يضيع شيئاً فشيئاً وملكهم الآيل للسقوط وغنت قائلة :" توروموقوء تير كيدي جنزايه مرّ ريدي كاقاندي تورو كوقونيقي .. توناء تيني باقورو كويقو ساونو .. نييه شافي جوركو ديني أرقوري".

ومعناها – والكلام موجه لراكب:

إن بطلنا الشجاع الذي أسميناه فخراً جنزايه مرة.. قد آثر الإنسحاب الى الجنوب مقهوراً .. لقد كثر شوقنا إلى ديارنا في الطينة وآبارها التي لا يجروء الجبان الوقوف عندها .. قد احتلها عبد الشافع ومشى فيها متبختراً .. فما أسعده وياحسرتاه!!

عند سماعه الأغنية ، انتفض راكب واقفاً وقد استفزت مشاعره ، والغضب باد عليه والعبرة تكاد تحبس صوته ، ورد عليها قائلاً انه يعاهدها ويقسم أن يطأ بحصانه

ثرى بئر أويراء في الطينة قبل بزوغ شمس اليوم التالي وإلا فإنه ليس إبناً شرعياً لأبيه موقوء ! وهذه دلالة على إصراره على العودة وعدم الفرار مرة أخرى من وجه عبد الشافع وجنوده . وأوفى بما عاهد جنده عليه . فلم تكد تشرق شمس ذلك اليوم حتى وصل بجنوده بئر أويراء في وادي الطينة ، وباغت جيش عبد الشافع ودارت معركة حامية الوطيس خسرها راكب فقفل راجعاً إلى حيث أتى . وسجل التاريخ لعبد الشافع وجيشه صفحة أخرى أضافها لسجل انتصاراته الباهرة . وكانت هذه هي المعركة الفاصلة والأخيرة بين السلطان راكب وعبد الشافع.

وفي كليكل فكر راكب كثيراً و وصل إلى قناعة تامة بأنه لاسبيل لهزيمة جيش السلطان فرتي بقيادة عبد الشافع ، لذلك قرر التوجه شرقاً طامعاً في تأييد المهدية ، وذلك بالاسراع في تقديم المبايعة و الانخراط في جيش محمود ود أحمد الذي آلت إليه إدارة عموم غرب السودان من قبل الخليفة عبد الله التعايشي . وكان فى قرارة نفس راكب ان يستعين بجيش المهدية للقضاء على خصمه السلطان عبد الرحمن فرتي واستعادة الحكم منه . وفي غضون ذلك كان السلطان فرتي وأخوه عبد الشافع قد بسطا السلطة على عموم دار كوبي وتوسعت رقعة نفوذهما حتى بلغت مشارف كرنوي.

وبينما راكب في طريقه إلى حيث محمود ود أحمد مر بالشرتاي صالح حاكم دار زغاوة قلا ، الذي نصحه بالعدول عن رأيه في تاليب الجهادية وجبروتهم على أهله وأبناء عمومته طمعاً في الحكم لأن جيش محمود ود أحمد إذا نزل بوادٍ قضى على الأخضر واليابس ولن يسلم طفل أو إمرأة او شيخ من بطشه ، إلا أن راكباً ركب رأسه في عناد تام و واصل سيره في معية أفراد أسرته وأقاربه الدنيراء الذين مافتئوا يؤازرونه ويمم صوب الفاشر عاصمة المهدية في دارفو وقتذاك . فسافر سالكا طريق عين كولاقي (عين فرح) في سلسلة جبل سي جنوب كتم . وكانت هناك أسطورة تدور حول المدخل للمر الجبلي المؤدي إلى النبع "العين" ، مفادها التشاؤم من أن الحاكم الذي يدخله سوف يلازمه سوءالطالع والابتلاء بفقد حكمه بفعل الجن الذي يعتقد أنه يعيش ويسكن هذه المنطقة !! ويقول الرواة أن راكباً لم يضع بالاً لتلك الخرافة لايمانه بعقيدة أنصار

المهدي . ودخل النفق في تحد واضح شاهراً سلاحه ويطلق النار على الجبل وماجاوره في حين كان عبيده يضربون النحاس ويصدحون بأنغام الكيتا الشجية لحن الفراق وسط زغاريد النساء من زوجاته وعماته وقد سجل الرواة هذه الكلمات على أنها كان يرددها نافخو المزامير :

"موروري.كوسورى.. جوبو تورفو سوري.. إراب نبيه موروري كوسورى".

ومعناها :"إن راكبا قد دخل النفق المظلم وخرج منه كطائر الدوري يخرج من بين الأعشاب منطلقاً كالسهم فلن تكتب له العودة أبداً . صدق أو لاتصدق .. فإنه لم يعد بالفعل!!

وصل راكب وركبه مدينة الفاشر والتقى اميرها محمد أحمد زقل الذي كان يحكمها من قبل محمود ود أحمد عامل المهدية على دارفور وكردفان . وصادف أن كان محمود ود احمد موجوداً في الفاشر فالتقاه راكب وشرح له ماكان من أمر السلطان فرتى وزعم أن الاخير يكن العداء للمهدية ويناصر سلطنة وداي . فما كان من محمود ود احمد إلا ان كون جيشاً جراراً مكوناً من الجهادية وما تبقى من جيش راكب وجعل من أخوال راكب خبراء ومرشدين للطريق إلى داركوبي قاصدين السلطان فرتي للقضاء عليه . ولشيئ في نفس يعقوب أبقى محمود ود أحمد راكباً في الفاشر ولم يمكنه من الذهاب مع الجيش لخصمه. وبوصول الجيش حدود داركوبي ، جعل الجهادية يفتكون بالأهالي دون تمييز فازهقوا الأرواح وأسالوا الدماء فرملوا ويتموا وسلبوا الأموال وأحرقوا القرى والمزارع . وكانوا كالوباء وبالاً على سكان تلك المطقة ، حتى ظن الناس أن الجيش الغازي مرسل من قبل الأتراك فاطلقوا على قائده محمود ود احمد "ترك محمودي".

ولما بلغ ذلك الجيش مشارف دورقوسي حاضرة السلطان فرتي ، كان جيش السلطان عبد الرحمن فرتي في قمة استعداده من حيث العدد إلا أن العتاد الحربي كان ينقصه مقارنة بجيش المهدية ، فقرر السلطان الإنسحاب إلى منطقة بالو الجبلية الحصينة ذات الحماية الطبيعية ، ومن ثم يطلب العون والمساعدة من سلطان وداي رغم

فتور العلاقات التي كانت سائدة بينهما . ولم يكن للسلطان الخيار ، فقابل سلطان البرقو الذي جعل يملي عليه شروطاً في طياتها الاستغلال والابتزاز مثل مضاعفة الجزية "الضريبة" ودفع مائة من الجياد الأصيلة ومائة من الإماء والعبيد كل عام ، الأمر الذي لم يوافق عليه السلطان فرتي . فوقعت الجفوة والخلاف بين السلطانين – وسنرى ذلك فيما بعد – صار السلطان في موقف لايحسد عليه فالشرق المتمثل في المهدية يريده حياً أو ميتاً والغرب المتمثل في سلطنة وداي لايرغب في إنقاذه بل سعت هي الأخرى الى قتله وتقويض سلطنته . فلم تكن له سوى رحمة الله تهبط عليه من السماء لتنقذه من تلك المحنة التي وضعته في فكي السلطنتين العظيمتين ابانئذ.

وفي هذه الأثناء كانت جيوش الخليفة عبدالله التعاشى تخوض معارك ضارية ضد الجيش الإنجليزي الغازي بقيادة كتشنر فاستدعى محمود ود احمد جيشه الى دار الزغاوة استعداداً لتجهيز جيش كبير لارساله الى ام درمان لنصرة الخليفة عبد الله . فعاد الجيش على عجل قبل إتمام مهمته في القضاء على السلطان فرتي . وكان هذا الانسحاب برداً وسلاماً عليه. اما راكب فقد ضم الى جيش الأنصار الذي أعده محمود ود احمد مع غيره من الزغاوة . وهناك روايتان حول نهاية السلطان راكب فالأولى أنه قتل في موقعة كرري عام 1898م. والثانية أنه اشترك في معركة أبيض بجوار أم كدادة وخر فيها صريعاً وقتل ليسدل التاريخ ستاره عليه. ومن سخريات القدر أن الخليفة عبد الشافع قائد جيش السلطان فرتي المنتصر وخصم راكب اللدود والذى هزمه في معارك عدة هو الآخر توفي ولكن بنوبة قلبية فدفن في منطقة هريباء سنة 1887م. ورغم أن السلطان فرتي قد أصبح في مأمن من راكب وجيش محمود وداحمد إلا أن كثيراً من الأحداث قد واجهته وهو منفرد في الساحة بعد فقده لقائد جيشه وأخيه عبد الشافع.

معركة مقولا كورون:

علمنا فيما سبق أن السلطان فرتي قد اختلف مع سلطان وداي لرفضه الشروط التي أملاها عليه الاخير إبان طلبه العون والمساعدة لمجابهة الخطر الذي حاق به من جراء جيش محمود ود أحمد الغازي لمنطقة دار كوبي. فمنذ ذلك الوقت جعلت سلطنة

وداي تضيق الخناق على السلطان فرتي وتتحين الفرص للانقضاض عليه . ولم يكن ذلك خافياً على السلطان فرتي ، فعند عودته إلى دار كوبي جهز جيشاً بقيادة ولديه الخليفة أحمد واسماعيل دلدوم وجعله على أهبة الإستعداد خشية ان يباغته جيش سلطان البرقو. لم تطل مدة حتى أرسل سلطان وداي جيشاً جرارا بقيادة العقيد جايري تحت رعاية وزيره دود مرّة المباشرة.

والتقى الجيشان ضحى في وادي "مقولا كورون" في دار ديرونق ، وكان ذلك في عام 1892م. ودارت معركة حامية الوطيس ، فسقط فيها الخليفة أحمد أكبر أبناء السلطان فرتي بعد ان اسفرت عن انتصار جيش السلطان فرتي . اما ابنه اسماعيل دلدوم استمر يطارد فلول البرقو المتقهقرين . ولم يعد الى معسكر أبيه إلا بعد أن خلت المنطقة من آخر جندي من جيش العدو. وكان فرحاً بالنصر ، حزيناً لمقتل أخيه الخليفة أحمد الذي كانت جثته مسجاة أما أبيه فماكان من السلطان فرتي إلا أن استفزه امام الناس واغلظ له القول ذاكراً ان ابنه القتيل احمد كان اشجع منه واكثر اقداماً منه الأمر الذي عجل بوفاته . فغضب اسماعيل وقال لأبيه سوف لن تراني حياً بعد هذه اللحظة . وبطريقة انتحارية ركب حصانه وانطلق به نحو جيش البرقو المتقهقر فوقع فريسة سهلة المنال فرجموه بالحجارة وقتلوه. بعدها انتظم جيش البرقو فحملوا على جيش السلطان عبد الرحمن فرتي الحزين فهزموه بعد انتصاره في بادئ الأمر وبذلك يفقد السلطان فرتي اثنين من اكبر ابنائه في موقف مأساوي يشتم من خلاله الحقد الدفين الذي كان السلطان يضمره لكبار أبنائه الذين كانوا في نظره منافسين له ولاسيما انه قد شاخ واقعده المرض في أخريات سني حكمه حيث شلت رجلاه فاصبح لايقوى على الحركة ويحمل على الأكتاف.

يقرر السلطان فرتي بعد دفن موتاه العودة إلى دار كوبي إلا انه لم يحظ بالاستقرار لأنه أصبح في عداء مع البرقو في ابيشي وسلطنة الفور في الفاشر ، عوضاً عن وصول طلائع الإستعمار الفرنسي الذي يطمع في ضم الممالك والدويلات المستقلة . ففي بادئ الأمر حط رحاله في بالو وبنى حاضرته فيها ، ولم يطب له المقام أكثر من

سنة فتوجه شرقاً لاتقاء شر الفرنسيين والوداي فاحتمى بجبل السنه "كريوي هاء" ، إلا أن خطر الوداي كان يلاحقهم فاضطر للنزوح إلى كودوقور في شرق هريباء ، وقضى فيها سنتين قبل أن يرحل الى بنيبي التي تركها قاصداً دور قوسي محاولاً إحياء حاضرته فيها مرة أخرى ولكن الفرنسيين هجموا عليها وأحرقوها بعد سنتين من إحيائها مما إضطر السلطان فرتي التوجه الى عين جلاء على مشارف كبكابية حيث جعلته قريباً من تفوذ سلطنة الفور وقضى بها سنتين ايضاً ، فآثر الذهاب إلى منطقة كرنوي ومكث فيها سنتين أخريين قبيل رحيله الى وادي الطينة عند آبار قرعة . وخلال هذه الفترة المشوبة بعدم الاستقرار كان السلطان يتمتع بمطلق سلطاته ويبسط نفوذه على كل دار كوبي وتخضع له معظم القبائل .

ورغم كل هذا النزوح والتجوال من مكان لآخر ، عاش السلطان فرتى في استقلال تام ولأول مرة لا يتبع لأي من سلطنتي وداي أو الفور . وكان ملماً باخبار كتشنر وهو يغزو السودان عام 1895م كما يعلم بمجئ علي دينار الى حكم دارفور بعد طرده للسلطان حسين أبي كودة من الفاشر .

السلطان علي دينار والكوبي:

عند تولي السلطان علي دينار مقاليد الحكم في دارفور وجد أن الجزء الشرقي لدار الكوبي لاحاكم له، مع علمه التام بوجود السلطان عبد الرحمن فرتي في حاضرته دورقوسي . والذي لم يُقِم أية علاقات سياسية مع سلطان الفور الجديد ، بل ظل يترقب ويسمع ما يأتيه من أخبار من الفاشر . وكان علي دينار يتوقع من السلطان فرتي ان يشد إليه الرحال لتهنئته وتقديم فروض الطاعة والولاء له. لكن السلطان عبد الرحمن لم يفعل أيا منها بل ظل يتلكأ ويترقب . وفي هذا الجو السياسي الغائم وغير المستقر ، المشوب بالتوتر والحذر يتحين أبناء السلطان عبد الفقراء الفرصة ويذهبون الى السلطان علي دينار فيقدمون له الطاعة والولاء ، مطالبين في نفس الوقت استرجاع حكم ابيهم إليهم . فيعين السلطان علي دينار – أكبرهم– وهو ابراهيم ارض الشام ابن السلطان عبد الفقراء ، وهو من الأنقو – تبويراء – سلطاناً على دار كوبي . وفي غمرة السرور رجع

السلطان ابراهيم ارض الشام واخوته الى هريباء واتخذوا منها عاصمة لحكمهم ، بينما لم يزل السلطان فرتي في دورقوسي.

أثار تعيين أرض الشام حفيظة السلطان عبد الرحمن فرتي واعتبره تقويضاً للحكم ، واسترجع في ذاكرته محاولة التركية الماثلة لتجزأة الكوبي بتعيينها السلطان راكب . ويعيد التاريخ نفسه .. فيرفض السلطان فرتي وجود سلطان آخر يشاركه . فأعد جيشاً صغيراً على عجل لغزو ديار السلطان أرض الشام.

معركة جوراء مقونوس:

حدثت بعض المفارقات العجيبة صبيحة اليوم الذي خطط لذلك الغزو فقد رُوِيَ أن حسين كوباي بن عبد الفقراء رأى في الحلم أن الفكي محمد زوج بنت السلطان فرتي يصافحه يدأ بيد الأمر الذي فسره حسين بأن أمرا سيئاً سيقع قريباً.. والشيئ الأخر أن السلطان إبراهم أرض الشام وجد أن يده قد أصيبت بما يشبه الشلل المفاجئ وانها لاتقوى على إتمام الوضوء لصلاة الصبح الأمر الذي جعله يظن أن شخصاً قد "طبّه" وان مكروها سيقع له ، و روى كل منهما لأخيه ماحدث له . وفي الصباح الباكر شن جنود السلطان فرتي هجوماً مباغتاً على ديم السلطان إبراهيم أرض الشام في "جوراء مقونوس" قرب هريباء . وما أن سمع حسين كوباي صوت رصاص الغزاة حتى بادر أخاه السلطان قائلاً :"ابراهيم ..الشهر هلّ"! ويقصد بذلك أن العدو قد هاجمهم . فيرد عليه السلطان إبرهيم "نلقطهم زيّ الكورنو !! أي نصيدهم جميعاً واحدا تلو الآخر بالرصاص دلالة على رباطة جأشه وثقته بنفسه ومن معه، ولكن حدث مالم يكن في حسبانهم ، وتتدخل الأقدار فتخذلهم بنادقهم التي عجزت عن إطلاق النار . ويقول الرواة إن بنادق اولاد عبد الفقراء كانت تقذف ذرات من الماء بدلاً من البارود والرصاص . فكان الاعتقاد أن الفكي محمد صهر السلطان عبد الرحمن فرتي قد أفسد عليهم سلاحهم بروحانيته التي قيل انه يستمدها من ذكره لله ودعائه عليهم . ودارت الدائرة على اولاد عبد الفقراء فقتل منهم ابراهيم ارض الشام واخوته حسين كوباي ومحمد هاشم واثنان من أصهاره وابن اخت له ورجل من اتباعه . ومن أبناء السلطان عبد الفقراء الذين نجوا من

معركة جوراء مقونوس عيسى وحامد ونجا ايضا اثنان من ابناء السلطان ابراهيم ارض الشام هما محمد قرجة ونيمان . فتكون لهؤلاء الرأي على أن يكونا بعيدين عن موطئ قدم جيوش فرتي ، فقصدوا منطقة كتم وأقاموا فيها حيناً وأسسوا قرية أسموها "نارو" . أما ابناء عبد الفقراء حامد وعيسى رجعا إلى دار كوبي بينما آثر ابناء ابراهيم ارض الشام البقاء في كتم.

وكانت لمعركة جوراء مقونوس اثارها السيئة في إذكاء نار الفتنة في داركوبي ، ويتجدد الصراع بين أبناء العمومة الجيراء والتبويراء مرة أخرى . لكن هذه المرة تتسع دائرة الخلاف وتشارك فيها عناصر أخرى جديدة تعمل على تغيير خارطة المنطقة بأسرها، وسنرى ذلك فيما بعد.

فرتي يهادن على دينار:

لما تلقى السلطان علي دينار ماحاق بأبناء عبد الفقراء ومنهم ابراهيم أرض الشام ساءه كثيراً لأن الأخير كان قد نصبه بنفسه سلطاناً فعزم على الإقتصاص من السلطان فرتي الذي تنامى الى مسامعه مايدبره له سلطان دارفور . وحيال هذا الموقف وظف فرتي دهاءه وحنكته السياسية في البحث عن مخرج ،علما بأن مملكة وداي هي الأخرى تعمل على القضاء عليه . قرر فرتي استمالة علي دينار ومهادنته فبعث اليه مندوبه فكي محمد الذي رافق ركب الأميرة مستورة التي أراد فرتي تزويجها للسلطان علي دينار . ومن نفائس الهدايا التي رافقت زفة الأميرة الخدم والإبل والخيول الأصيلة وعلى رأسها الحصان فرامبوس الذي يعد من خيرة جياد داركوبي قاطبة.

ولما بلغ الركب مشارف الفاشر إستقبلته ثلة من فرسان علي دينار ورافقته إلى القصر حيث رحب بقدومهم السلطان واكرم وفادتهم فزفت إليه الأميرة فكانت من أحب زوجاته إليه فأنجبت له الأمير تيجاني .

وفي غمرة فرحته وقمة سعادته غض السلطان الطرف عما كان ينوي ضد السلطان فرتي ، فأرسل هو الآخر هدايا كثيرة من بينها أربع نحاسات وأسلحة نارية

وكساوي الشرف وبعض العبيد والخدم. وبذلك أمن السلطان فرتي شر سلطان الفور ونقمته في وقت كان في أمس الحاجة إلى من يدعمه ويشد أرزه تجاه الجبهات العديدة التي كانت تسعى للانقضاض على حكمه.

قرر السلطان فرتي بعد ذلك تنفيذ بعض ماكان يخطط له من غزو بعض القبائل التي كانت تزعجه من حين لآخر وذلك للانتقام منها وتأديبها فأرسل الجيوش الى أكثر من جهة ، فعادت هذه الجيوش منتصرة ، محملة بالغنائم والسبايا.

وكان السلطان يسند قيادة هذه الغزوات إلى بعض من كبار أبنائه من أمثال برقو و دوسه وغيرهما ، كما كان يسنده أيضا إلى أبناء اخيه وقائد جيوشه الراحل عبد الشافع من أمثال سليمان و شرف الدين و شريف الذين كانوا الدروع الواقية وحماة حمى سلطنة كوبي والتي أصبحت في منعطف تاريخي دقيق.

دبلوماسية فرتي:

ينسب الى السلطان عبد الرحمن فرتي مقولة مفادها أن لغزو بلاد الغير وبسط النفوذ عليها لابد من أحد أمور ثلاثة: السلاح او العلم أو المصاهرة. فأوصى بنيه التركيز على التزاوج من الشعوب والقبائل الأخرى التي تجاورهم بغية استمالتهم وتقوية أواصر الصداقة بهم ودرء شرهم.

وبناء على هذه الوصايا قام بغزوات عدة إلا أنها لم ترض طموحاته ولم تحقق أهدافه الكبيرة التي كان يرمي إليها . ففي العقدين الأخيرين من حكمه جنح إلى مهادنة خصومه والطامعين في ملكه بوسائل سلمية متخذاً من الزواج طريقاً إلى نفوس من اختلف معهم . فسعى إلى تأمين جبهته الداخلية فأوعز على أبنائه الزواج من كريمات الشخصيات ذوي النفوذ من عشائر الكوبي . ثم شجع اهله الأقربين أن يتصاهروا مع فروع الزغاوة الأخرى ، في حين قام هو بتزويج عدد من بناته الى زعماء قبائل مختلفة على النحو التالي:

1. زوج ابنته عاجبة للشرتاي الطيب صالح في دار قلا.
2. زوج ابنةً له للملك محمدين آدم صبي في دارتوار.

3. زوج ابنة له للشرتاي طاهر نورين في دار سويني.

4. زوج ابنة له للمقدوم شريف الميدوبي في كتم.

5. زوج ابنهة له للقائد آدم رجال في نيالا.

6. زوج ابنة له لسلطان القمر في كلبوس.

7. زوج ابنة له لسلطان الوادي في ابيشي.

8. زوج ابنة له لسلطان دارمساليت في الجنينة.

9. زوج ابنته مستورة للسلطان علي دينار في الفاشر.

وكان لهذه الزيجات أكبر الأثر في إخماد نار العداوة والبغضاء التي كانت سائدة بين مملكة كوبي وماجاورتها من الممالك . فكانت بناته بمثابة سفراء له يمثلنه أينما حططن رحالهن بين القبائل والعشائر الأخرى . كما كن عبارة عن الجسر المتين الذي كان يربط عشيرة الكوبي بتلك الشعوب إلى يومنا هذا .

وعملاً بوصايا أبيه تزوج السلطان دوسه من قبائل أخرى خارج نطاق الزغاوة فتزوج من إبنة السلطان هاشم إدريس من القمر إضافة إلى إبنة المقدوم يوسف شريف من الميدوب . كما اختار السلطان دوسه لبعض أبنائه زوجات من دار قلا ودار توار ودار سويني ودار أنكا ومن الدادينقا في الفاشر .

الخلاف بين الجيراء والتبويراء مرة أخرى:

لم يكن السلطان فرتي يسلم من الضغائن والاحقاد الداخلية المترسبة في نفوس بني عمومته التبويراء الذين ظلوا يعتقدون أن الحكم في الأصل لهم وانه اخذه منهم غصباً . وكانوا يتحينون الفرص للانقضاض على حكم الجيراء متى ماسنحت لهم . وكان يتزعم هذه الحركة في مهدها حقار تيراب جيد أبتس الذي تربى في كنف السلطان عبد الرحمن فرتي منذ صغره ملازما له كاحد أبنائه إلا ان تطلعاته الذاتية نحو السلطة لم تكن خافية على السلطان فرتي مما حدا بالسلطان فيما بعد- ان يتعامل معه بحذر ويضعه تحت رقابة غير منظورة .

حقار يستثمر الخلافات الداخلية:

عمل حقار ضمن حاشية الأمير اسماعيل دلدوم نائب والده السلطان عبد الرحمن فرتي . وبعد مقتل اسماعيل في معركة مقولا كورن صار يعمل في معية الأمير برقو. وفيما هم على هذه الحال نشب خلاف حاد بين ابني السلطان فرتي : دوسه وبرقو سببه المنافسة على مراكز القوى والسلطة مما جعل كل منهما يستنجد بأخواله. فلجأ دوسة إلى أخواله بديات الأردييه بينما جمع برقو اخواله البورسو، ودخلا في عراك ضرب فيه برقو اخاه دسه في يده اليمنى فشلت جزئياً . فغضب السلطان وأمر أن يحضر اليه برقو بالقوة وتقييده أمامه لتأديبه عما أقدم عليه ، فلم يرض برقو بذلك اعتقاداً منه أن أباه السلطان لم ينصفه في نزاعه مع دوسه بل صار مناصراً له . وفي غمرة من الغضب والهياج خرج برقو من ديم أبيه تحت حماية أخواله وأنصاره – بما فيهم حقار – وهم يحيطون به وسيوفهم مسلولة ومشرعة في استعراض للقوة.

هنا استثمر التبويراء هذا الخلاف ، فاجتمع نفر من الذين قتل السلطان فرتي ابناء عمهم " أولاد السلطان عبد الفقراء" وانحازوا لبرقو وتبعوه وعلى رأسهم حقار تيراب والخليفة قادر وسبي خريف وعلي مرفعين خريف (علي مرفعيت هريب) وقرنو بحر وآخرين. وإثر هذه الحادثة هاجر برقو مع اهل امه البرسو وانصاره من التبويراء الى هوجي بالقرب من هريباء. وهناك طلب منه انصاره الذهاب معهم الى السلطان يوسف زعيم وداي في أبيشى وقابل السلطان يوسف زعيم وداي في أبيشى ليدرجه على دار كوبي بدلاً عن أبيه الذي ترك وداي وتبع سلطنة الفور. فتحرك ركب الأمير الطموح الى وداي وقابل السلطان يوسف شريف الذي وعده خيراً وبشره بالحكم على أن يعود الى ابيشى في وقت لاحق لاتمام المراسيم الخاصة بتنصيبه.

ولما سمع السلطان فرتي ما كان من أمر ولده برقو الذي يسعى للإنفصال عنه وإقامة مملكة أخرى ، ارسل إليه طالباً عودته للمصالحة إلا أن برقو رفض رفضاً قاطعاً ، فاشتكاه أبوه للسلطان علي دينار زوج الميرم مستورة شقيقة برقو الذي عمل جاهداً وتدخل بسرعة لرأب الصدع الذي يهدد عرش أنسبائه ، واستدعى برقو إلى الفاشر . فلما أتاه تحدث إليه، وتحت إلحاح شقيقته مستورة رضي بوساطتهما وعاد مرة أخرى الى

أبيه وتم الصلح بينه وبين أبيه من جهة، ومن جهة أخرى بينه وبين أخيه دوسة من جهة أخرى.

هذه المصالحة أغضبت حقار وجماعته من التبويراء ، واعتبر أن برقو قد خانهم ، و إن الأمور لاتجري لصالحهم ، ورواودهم الشك والخوف في أن يقوم برقو بقتلهم بناء على اوامر أبيه انتقاماً لما أقدموا عليه. فقرروا ان يهادنوا السلطان فرتي حتى يأمنوا جانبه ، فاقترحوا على السلطان بأن يحلف الطرفان اليمين ليطمئن الجميع بأن أحداً لايضمر السوء لأحد ليعيش الجميع في أمان . ويبدو أن السلطان لم يوافق على ذلك لكنه قال لهم :"الصلح واحد والعفو عام فلا داعي لحلف اليمين لأنه يضر الجميع". هنا ازدادت شكوك حقار وجماعته حيال نوايا السلطان فرتى فقرروا الرحيل في جنح الظلام ومعهم أحد الجبراء (إبن عم الخليفة عبد) حتى وصلوا هوجي . واستقر رأيهم على السفر الى وداي التي احتلها الفرنسيون 1909م – ففعلوا ، وقابلوا سلطانها يوسف وابلغوه بأنهم أتوا هذه المرة ليدرج حقار تيراب على سلطنة الكوبي بدلاً عن برقو الذي خانهم وتصالح مع أبيه فاصبح تابعاً لسلطان الفور . فلم يصدقهم في بادئ الأمر بل أمر بحبس حقار . ولما وصل خبر سجن حقار الى مسامع الفرنسيين بادروا بالتحقق من صحة ما زعمه حقار ولما تبينت الحقيقة أمروا باطلاق سراحه مع وعدهم له بتمكينه من سلطنة دار كوبي مقابل تقديم تسهيلات لهم لاحقاً.

*** وتفاقمت الأحداث:**

في هذه الأثناء سافر الخليفة قادر ، وهو أحد أقرباء حقار – من أبيشي الى هوجي كي ينظم البيوت والديم للسلطان المرتقب . وفي الجانب الآخر علم السلطان فرتي ان حقار قد عينه الفرنسيون وانه في طريقه الى هوجي ، الأمر الذي جعل السلطان فرتي يرسل إبنه دوسه على رأس بعض الفرسان على عجل للقضاء على حقار . ووقتوا غزوهم بوصول السلطان المرتقب إلى عاصمته، لكنهم فوجئوا بعدم وصوله فقتلوا شخصين وأسروا طفلاً صغيراً لحقار اسمه فضل حيث قتل فيما بعد.

وو صل الخليفة قادر إلى هوجي ليجد آثار الغزو الذي خلفه دوسه ورجاله ، فما كان منه إلا أن جمع أقرباءه وذبحوا الأغنام وجمعوا ملابس كثيرة ومختلفة للرجال والنساء والأطفال ولطخوها بالدماء وذهبوا بها الى ابيشي وقدموها الى سلطان وداي والفرنسيين واخبروهم بأن تلك نتيجة مافعله برقو الذي وددتم تعيينه سلطاناً . فهالهم ماراأوا .

وغضبوا غضباً شديداً على السلطان فرتي الذى اعتبروه عجوزاً متعطشاً للدماء. وقرروا غزوه والقضاء عليه كما أنهم وجدوا الدليل الكافي والمبرر القوي لتتويج حقّار سلطاناً . فقاد الفرنسيون جيشاً كبيراً من الجندرمة ومعهم حقّار وبعض التبويراء وتحركوا نحو وادي الطينة حيث كان يقيم السلطان عبد الرحمن فرتي جوار آبار قرعة.

العوامل الدافعة لحقار لجلب الفرنسيين:

1. تصفية حسابات قديمة من ضمنها الأخذ بالثأر لأفراد أسرته الذين قتلوا على أيدي الجيراء ومنهم ابنه فضل وشقيقه إيبو وابن عمه اديقيري مغرب وخلافهم.
2. حجب الجيراء فرص الحكم عن البويراء الذين هم شركاء في السلطنة – اذ كانت فرصة الحكم من نصيبهم – فإن راكب جعل من امر حكمه مستحيلا حتى اضطر الى ترك الديار فقضى نحبه في حروب المهدية، وابراهيم ارض الشام قضى عليه وعلى حكمه في مهده.
3. شعور حقّار بقرب تصفيته جسدياً من قبل السلطان فرتي امر واقع و وشيك .
4. ان الجيراء عمدوا على تهميش وضع التبويراء مما اثر في حياتهم اليومية التي اتسمت بالفقر والحرمان وشظف العيش حتى ان حقّار تمنى لو يصبح هو او احد شقيقيه جملاً – لحاجتهم الماسة لراحلة في سنة المجاعة – فرد عليه شقيقه إيبو متهكماً : " أما أنت تريد ان تكون سلطاناً وهذا شقيقنا الصغير ..إذن انا المقصود بأن أكون جملاً !!".

5. كان حقار يشعر بالمرارة لأنه لم يكافأ من الجيراء نظير ماقدم من ضحيات إبان ملازمته الطويلة للسلطان فرتي وخلال صحته ومرضه ، وفي حطه وترحاله . كما لم تشفع له قرابته الخاصة للجيراء عن طريق أمه نوروء التي تنحدر من أصل الجيراء.

كل هذه العوامل مجتمعة أوصلت الصراع إلى ذروته وحفزت التبويراء لانتقام، فاستعانوا بالفرنسيين .. ولكن يطرأ سؤال هام ، من الذي يقودهم؟ .. انه حقار الذي عرف اسرار بيت السلطان ومداخله ومواضع الضعف في حراسته . كما لايخفى على أحد أطماع المستعمر الفرنسي في تلك المنطقة الاستراتيجية الفاصلة لأنها بإحتلالهم لها تعطيهم مكاسب هامة على الأرض وموطئ قدم في مكان متقدم ، مما يضعهم في مواجهة مع الانجليز ، يمكنهم منها التنازع على الحدود والتفاوض من موقع القوة.

إتفاقية لم تتم:

في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات تجري على قدم وساق لغزو سلطنة الجيراء عمد الفرنسيون الى مغازلة السلطان فرتي لجس نبضه لمعرفة نواياه الحقيقية وما اذا كان بالامكان عقد اتفاقية سرية معه– رغم انف التبويراء – حقناً للدماء ووصولا الى مايصبون اليه بدون جهد او عناء. فأرسلوا الى السلطان فرتي مبعوثا ليخبره بالخطة التي يتم بموجبها دمج حكم سلطنتي الكوبي واسناده اليه ، على أن يكبحوا جماح حقار وعزله مقابل ان يتبع للسودان الفرنسي بدلا عن علي دينار الذي يتبع هو نفسه للانجليز بطريقة غير مباشرة.

جمع السلطان فرتي خلصاءه ومستشاريه واخبرهم بموافقته للخطة لأسباب عدة منها:

1- انه كل ومل من عدم الاستقرار الذي عاشه طيلة السنوات السبع السابقة.

2- انه ظل في عداء مع وداي وسلطنته شقت الى شطرين وصار حقار امرا واقعا لامناص منه مادام الفرنسيون يؤازرونه بدون حدود.

3- انه لم يجد من السلطان علي دينار – زوج ابنته – ماكان متوقعا منه رغم مصاهرته له ودفعه للضرائب التي يؤديها كل عام ، فلم يجد مقابلا لها طيلة سني المحنة التي عاشها متنقلا الى الشرق حينا والى الغرب حينا آخر. كما لم يهب علي

دينار لنجدته بارسال جيش يقف في وجه وداي او الفرنسيين ، او على اقل تقدير يعينه على بعض نوائب الدهر التي ألمت به وهو السلطان الهرم غير القادر على الحركة ، والمحمول دوما على الاكتاف وهو ضعيف ايضا من الناحية السياسية .

4- موت اخيه وقائده عبد الشافع الذي كان يلجأ اليه في الملمات الكبيرة ومن ثم مقتل ابنيه الخليفة احمد واسماعيل بلدوم في معركة مقولا كورون جعله في وضع ضعيف من الناحية العسكرية .

5- ان منطقة داركوبي الواقعة في تشاد هي اكبر من تلك التي في السودان ، وهي تعني الكثير بالنسبة للجيراء فهي المنبع والجذور .

6- انه بمهادنته للفرنسيين يكسب حمايتهم له وبالتالي تنتهي القطيعة بينه وبين وداي.

لهذه الأسباب مجتمعة وافق السلطان فرتي على ما اقترحه عليه الفرنسيون ووعدهم بارسال مبعوث خاص منه يحمل وجهة نظره والاسس التي تتم بموجبها الإتفاقية ،على أن يصل اليهم في وقت معلوم . وسافر مندوب السلطان ليقابل الفرنسيين . وحينما وصل دار القمر أفشل سلطانها حسن كندوقاي بن يعقوب اوراق الخطة بالقبض عليه وحبسه ثم قتله ظنا منه انه جاسوس يسعى للاتصال بالمستعمر الفرنسي الذي لم يخف اطماعه ايضا لدار القمر ودار المساليت.

مقتل السلطان عبد الرحمن فرتي

غضب الفرنسيون لتأخير مندوب السلطان فرتي إليهم عن الوقت المتفق عليه واعتبروا السلطان مراوغًا وغير جاد وانه اخلف وعده معهم متعمدا وعن سوء في القصد، كما شككوا في نواياه وجديته وبالتالي صدقوا مايقوله عنه حقار . وفي هذا الوقت كان السلطان مطمئناً وفي غفلة من أمره ، يظن ان مبعوثه قد التقى بالفرنسيين وان الامور تجري على مايرام.

وصل جيش الجندرمة الغازي الى مشارف آبار قرعة بعد عيد الأضحى وقضوا ليلتهم في الضفة الغربية لوادي الطينة ، والسلطان حقار مرشدهم الى الطريق والوقت المناسب ويزودهم بالمعلومات التي جمعتها الاستخبارات العسكرية منه.

وفي صبيحة يوم الإثنين الخامس من شهر مارس 1912م وبينما كان الناس نياما، هجم الجندرمة والتبويراء دار السلطان التي لم يكتمل بناؤها ومن حولها بيوت اولاده واهله وعشيرته هجوما مباغتا وامطروهم بوابل من رصاص بنادقهم الحديثة فسقط الكثير من الرجال والنساء والاطفال في مجزرة كبرى . وكان برقو يرابض عند باب وراية (ديم) السلطان ويزود عن ابيه ويطلق الرصاص في كل اتجاه ببسالة وصمود نادرين وكان يغني مفتخرا حينا وهاجيا الغزاة حينا آخر . وكان في معيته اخوه الصغير بشر (أمه من بنات التوار) ينقل اليه الرصاص من داخل بيت أبيه السلطان ويبدل له البنادق حتى اطلق عليه ابناء مارقي الرصاص وأردوه قتيلا ، كذلك خر برقو صرعا بعد ان أبلى بلاء حسنا ونفذت ذخيرته.

وتقدم قائد الجندرمة والسلطان حقار وبعض الغزاة الى داخل بيت السلطان الذي اقعدته الشيخوخة والمرض فوجدوه ممدا على سريره وقد استل سيفه وصار يكيل الشتائم على حقار ومن معه ويصفهم بالجبناء. ذهل الفرنسيون فأحجم قائدهم عن قتل " ذلك الشيخ الطاعن في السن والذي هو آيل للموت دون قتل ". هنا تقدم أحد التبويراء ويدعى عبد جوقو واشار الى نيمان بن ابراهيم ارض الشام قائلاً له :" هذا هو الرجل الذي قتل اباك فخذ بثأرك منه " . فهجم نيمان على السلطان وطعنه بحربة كبيرة "شلكاية" في عنقه. فمات السلطان عبد الرحمن فرتي عن عمر يناهز المائة واثني عشرة عاماً . ونهب الغزاة بيت السلطان وأخذوا الكثير من الغنائم من بينها نحاسات السلطان الثمانية التي استولى عليها حقار .

وكان من الذين قتلوا في مجزرة بئر قرعة كل من:

1- السلطان عبد الرحمن فرتي.

2- ومن أبنائه واولاد بيته

برقو –شايبو– شريف – بشر (طفل).
موقو وشرف الدين – وهما شقيقان أمهما من الكيرقو – قتلا في هامي.
صندل (قتل بعد عشرة أيام) – باب الله – سوقو (امرأة)
هشيم (وليد تاقا) مرسال داميرقي – بلال –
3: ومن أقربائه ومن تواجدوا :
الملك احمد جو (تبوقي) – اسحق – كورسو – فكي ضو البيت – دورقي – مقار – دخيل كمبي– كاديدي (طفل)
أما أبناؤه الذين نجوا من تلك المجزرة هم.
توم وتيمان – فاشر ولبس – ادريس وعلي ونور.
اما دوسه فلم يكن موجودا عند وقوع الغزو اذ كان قد استدعاه السلطان علي دينار الى الفاشر وأرسله في بعض حروبه .
كما نجا ابناء عبد الشافع الثلاثة سليمان وشرف الدين شريف.

لم يجد الجيش الغازي مقاومة تذكر ، فعسكر في مكان ليس ببعيد عن بئر قرعة ، وبقي فيه محتلا المنطقة . ورجع السلطان حقار المنتصر الى هوجي بالغنائم والنحاس . فقابلته زوجته كرارا ام طفله المقتول فضل التي لم تكف عن البكاء ، فزغردت لأول مرة لما علمت بانتصار زوجها الذي أخذ بثأر إبنها فغنى السلطان حقار قائلاً :
"سوراء تقينو حوري بنار قيقي جاقي.. كرارا نييه نسييريقي؟"
ويقصد :" إنني قضيت على ذلك الأسد الهصور (ويعني به السلطان فرتي) الذي يهابه الناس ، بكل سهولة ، فلماذا تبكين يازوجتي كرارا وقد أخذت لك بثأر إبنك فضل؟"
وبعد ذلك اتخذ السلطان حقار من مردو عاصمة لحكم التبويراء قبل أن ينتقلوا منها الى هريباء ويتخذون منها عاصمة ثابتة لسلطنتهم.

الأسباب التي أدت الى هزيمة السلطان فرتي

لقد اجتمعت أسباب مباشرة واخرى غير مباشرة سارعت كلها وعملت على إلحاق الهزيمة بالسلطان .

الأسباب المباشرة :

1- عنصر المباغتة في الهجوم ، اذ لم يكن السلطان مستعدا وفي وقت كان الناس فيه نياما .

2- ان السلطان كان مطمئنا ومتيقنا ان الفرنسيين سوف لن يهاجموه بناء على اتفاقه معهم وارساله لمبعوثه اليهم.

3- عدم التكافؤ في العتاد والسلاح اذ ان السلطان كان يواجه قوى عظمى متخذة من الطينة مسرحا ، في وقت تبحث فيه عن المستعمرات وتتنافس من أجلها معظم دول اوروبا الغربية وخاصة بريطانيا العظمى وفرنسا.

الأسباب غير المباشرة:

1- ضعف نفوذ السلطان فرتي وقلة شعبيته نتيجة مرضه المقعد المزمن وطعنه في السن.

2- تأصل الغيرة والحسد لأبنائه واقرب الناس اليه ومحاولته التفضيل بين ابنائه الامر الذي اذكى نار الفتنة بين دوسة وبرقو – في صراع على السلطة فيما يبدو، عمن يخلف السلطان بعد موته – وماتبع ذلك من تحزب الناس حولهما .

3- الشعور بالغبن والاضطهاد لدى ابناء أخيه عبد الشافع انطلاقا لما لمسوه في السلطان عبد الرحمن فرتي من سوء معاملة وحسد رغم انتصاراتهم الكثيرة في غزواته . ففي مساء يوم الأحد الرابع من مارس 1912 الذي سبق الغزو ، وفي ظروف غامضة ، استدعى سليمان وأمر بتجريده من السلاح وتقييده ثم حبسه . وماكان سليمان ليقاوم عمه أو يعصيه بالرغم من غضب اخويه شريف وشرف الدين ومحاولتهما لمنعه من تنفيذ أمر السلطان . وجاء الملك أحمد جو زعيم عشيرة التبوقي الى السلطان فرتي وكان مقربا منه ، ليجد سليمان على تلك الحالة فنصح السلطان قائلاً له :"ان ابو سليمان هذا ابن اخيك الذي آزرك وأرسى قواعد حكمك بشجاعته واخلاصه ، وانك تعيش الآن حالة

من عدم الاستقرار . وقد تحتاج اليه والى اخويه في الظروف الصعبة. ولا ندري ما تخبئه الأيام، وما تأتي به الأقدار من حرائق غير متوقعة وغزو مفاجئ لم يحسب له حساب". وتعهد ان يضمنه تحت مسؤليته على ان يحضره اليه في صباح اليوم التالي . وافق السلطان على مضض واطلق سراح سليمان وذهب الى داره بينما عاد الملك احمد الى قريته التي لاتبعد كثيرا عن ديم السلطان وبات ليلته فيها . وفي صباح اليوم التالي ، قبيل الفجر ذهب أحمد جو إلى السلطان فرتى لتحيته وليوفي بوعده . وتزامن وجوده في بيت السلطان مع وقوع الهجوم المفاجئ فاستشهد الملك احمد جو مع من قتل ونجا سليمان من موت محقق، مما تركت هذه الحادثة اثراً سيئا في نفوس اولاد عبد الشافع.

عندما وقع الغزو وسمع سليمان صوت المدافع والبنادق شد حصانه على عجل وحمل بندقيته واخبر اخويه شرف الدين وشريف انه ذاهب للدفاع عن عمه السلطان ومناصرته . لكن شقيقه شرف الدين منعه قائلا:" .. وتقول انك تريد ان تنقذ اباك ياسليمان . فلتعلم ان اباك هو الذي مات ويرقد في قبره في بئر هريباء". وبالرغم من ذلك اصر سليمان على الذهاب ، فماكان من شرف الدين الا ان حشا البندقية بالرصاص واقسم ان يطلق عليه النار ان هو تقدم خطوة نحو بيت السلطان ، وأردف قائلا :" ألا تعلم لولا ارادة الله ولطفه كنت ستبيت في الأسر والقيود ليقضي عليك النصارى ؟" عندها أيقن سليمان جدية أخيه فيما يقوله ، فنزل عند رغبته ، فركب ثلاثتهم خيولهم واتجهوا ببطء نحو الشرق حتى تمركزوا في التلة المرتفعة التي اقيمت عليها شفخانة الطينة القديمة . يقول الرواة ان بعضا من اتباع السلطان حقار حاولوا تعقبهم فأطلق ثلاثتهم النار عليهم وعلموا انهم اولاد عبد الشافع فكفوا عن ملاحقتهم.

وفي الضحى عاد ابناء عبد الشافع ومعهم بعض الأهالي لدفن موتاهم بما فيهم السلطان فرتي في الطرف الشرقي من وادي الطينة جوار آبار قرعة في بقعة كثيفة الاشار ظليلها ، وشيدوا سورا من الحجارة (جانق) – فيمابعد– لتلك المقبرة الجماعية التي تقف اليوم شاهدة على التاريخ وتنبئ بأن الغزاة مروا من هناك.

4- استدعاء علي دينار لابنه دوسه الذي عرف بشجاعته للفاشر جريا وراء عادته في الطلب من الملوك وزعماء العشائر ان يرسلوا له ابنائه ، فبعث اليه شريف الذي اشترك في جيش علي دينار في حربه ضد الفكي سنين زعيم التاما في كبكابية . ولكونه أميراً ، كان شريف معتزا بنفسه لايرضى الضيم لكن آدم رجال قائد جيش السلطان اراد ان يحط من قدره ، لذلك أمر شريفا ان يحارب في صفوف الجند ، لكنه رفض ذلك الامر واخبره بأنه يجب أن يحارب في صفوف القواد والفرسان من من أولاد الملوك ولما احتد النقاش بينهما وجه شريف الشتائم والكلمات النابية للقائد كما وجه مثيلاتها للسلطان علي دينار الذي ما ان علم بما جرى حتى اضمر السوء بشريف وآثر على الإنتقام منه وقتله ، لكنه أرجأ معاقبته فيمابعد وفي الوقت المناسب.

وبعد مضي عدة شهور ارسل علي دينار للسلطان فرتي يطلب منه ارسال ابنه شريف لأمر هام والتشاور معه لتعيينه قائدا لجيشه المتجه لإحدى غذواته وانه سوف يعطيه مكانة مرموقة بين سائر قواده عقب عودته من الحرب . كل هذه المغريات كان باطنها الاضمار بالسوء والقتل مع سبق الاصرار ، وكان شريف على علم بتلك المصيدة . اما السلطان فرتي فقد آثر أن يخطف هذه الأضواء لابنه دوسه الذي كان يفرد له مكانة خاصة في قلبه ، كذلك لم يرسل برقو انما ارسل منافسه وخصمه.

5- كان موقف الكوبي من غير الأنقو سلبيا ولم يشتركوا في الحرب الفعلية لأنهم لاشأن لهم ولادوافع مثل أصحاب الحكم الذين يصنعون الأحداث ويديرون المعارك ويموت كثيرون منهم فيها فداء لحكمهم واستمراريته .هذه القبائل التي انهكها التنقل من والى سلطنة وداي .. مرة للشرق واخرى للغرب جراء الغزوات والحروب .. ركنت للاستجمام والاستقرار . نستثني منها الجماعات التي لها روابط دم ومصاهرة مع أفراد البيت الحاكم والتي ارتبط مصيرها بمصير الأسرة الحاكمة .

6- لم يجد السلطان الدعم المتوقع من صهره السلطان علي دينار طيلة فترة حياته ، كما انه لم يأبه بأخذ الثأر من قتلته.

الحالة بعد مقتل السلطان

بعد أن ووري السلطان فرتي ومن قتل معه الثرى اختير عيسى حسب الله وشخص آخر لينقلا نبأ مقتل السلطان الى صهره السلطان علي دينار . وعندما وصلا قوز بينه غربي مدينة الفاشر تخلف رفيق عيسى مدعيا بآلام حادة في معدته تحول دون مواصلته السير معه . وفي الحقيقة انه كان خائفا من ان علي دينار سيقتله اذا حمل اليه ذلك الخبر الأليم . ومضى عيسى قدما الى السلطان وأنبأه بما لديه من اخبار كما التقى دوسه وقدم له التعازي في مقتل أبيه السلطان عبد الرحمن فرتي.

وكانت حالة الناس بعد مقتل السلطان في غاية السوء، حيث جمع الموجودون شملهم وقرروا الرحيل في مكان آمن يمكنهم التحصن فيه لحماية أنفسهم ، فرحلوا الى كرنوي في بادئ الأمر ومكثوا فيها حتى بداية 1913م ثم تابعوا سيرهم الى منطقة بول جمل وقضوا فيها الصيف من نفس السنة التي اتسمت بالجفاف ولم تهطل فيها الأمطار قط ، فسميت " أوقينو بيري– Uginu Bereh" . ونسبة لتفشي القحط والمجاعة انتقلوا الى كبكابية "أبو دونقو".

وفي نفس السنة 1913 قرر السلطان علي دينار تعيين دوسة سلطانا بدلا عن ابيه المقتول واعطاه خاتم الملك واربعة من النحاس وهناك روايتان حول عودة السلطان الجديد– دوسة – الى أهله :

الأولى: انه لم يعد الى اهله بعد تدرجه مباشرة اذ تزامن وجوده في الفاشر مع الزحف الانجليزي لدارفور حيث اشترك في موقعة سيلي في صفوف جيش السلطان علي دينار الذي انهزم فيها . ولما انسحب علي دينار قاصدا جبل مرة كان في معيته الى ان وصلوا ملم وهناك سمح له السلطان علي دينار بالرجوع الى اهله سنة 1916.

الثانية: عاد السلطان الجديد الى اهله الذين رحلوا لتوهم الى كبكابية عام 1914م والذين شعروا بالفراغ السياسي بمقتل السلطان فرتي ، اذ ظلوا بلا سلطان طيلة السنة الماضية (1913) فأجمع ابناء السلطان فرتي وأبناء عمهم عبد الشافع على أن ينصبوا اكبرهم سنا ليكون سلطانا ، فوقع اختيارهم على فاشر عبد الرحمن فرتي فأجمعوا عليه وبايعوه .

ولما أتاهم السلطان دوسة لم يتفق الناس عليه لأنه معين من قبل السلطان علي دينار الذي اعتبروه مقصرا تجاههم ومع سلطانهم المقتول ، لذلك لم يتمكن السلطان دوسه من الاقامة معهم ، فأقام في منطقة أخرى مع شقيقيه توم وتيمان واهل امهم بديات الارديبه الذين فرحوا بتنصيبه وآزروه .

هنا لم يرض فاشر ومناصروه وجود سلطان آخر . ولما اشتد الخلاف ووصلت المفاوضات الى طريق مسدود وتحزب الناس الى فريقين كل يناصر سلطانه . وفي هذا الجو الملبد بالمخاطر اغار فريق فاشر المكون من ابناء عبد الشافع الثلاثة ولبس وعبد الرحمن شرارة الذي خدم في جيش علي دينار ويملك الأسلحة النارية ، غاروا على معسكر السلطان دوسه واستطاعوا ان ينزعوا منه نحاساته الأربعة . ولم يلبث أن شن عليهم السلطان دوسه وجماعته هجوما مضادا ، وحينما اقتربوا من مساكن خصومهم اطلق احد رجاله طلقة من بندقيته تحذيرا لمن يودون غزوهم ليستعدوا لكي لايؤخذوا على حين غرة . فاستشاط السلطان دوسه غضباً على ذلك الرجل الذي افشل خطته المباغتة فاعتذر له على ان الرصاصة انطلقت عن طريق الخطأ .

والتقى الاخوة الأعداء في موقعة " أم قوي" التي اسفرت عن هزيمة السلطان دوسه ورجاله ، ولم يتمكنوا من استعادة النحاس واقامة الأفراح ظنا منهم ان حكم فاشر قد تثبت ، لكن الحرب سجالا بين الفريقين خمس مرات اخذ فيها مجموعة ابوفاشر النحاس مرتين واستعادها السلطان دوسه مرتين . وفي هذه الأثناء اندلعت الحرب العالمية الأولى وكانت سنة ملأى بالمشاكل والحروب فسموها "ويقي نوبيري Wegi Noo Bereh".

لم يصل الطرفان لحل خلافاتهما وصراعهما على الحكم ، فظلا في قطيعة دائمة ، حتى سمع السلطان علي دينار بتلك الفتنة ، فاستدعى الطرفين الى الفاشر ، وتم الصلح بينهما بأداء القسم والتزام الطرفين ببنود الإتفاق ، وتنازل فاشر عن الحكم للسلطان دوسه وسلمه النحاس ، وعاد الاخوة الى اهليهم متحدين ظاهريا وانتقلوا جميعا الى بيماراء 1915 حيث انتشرت الآفات الزراعية خاصة الجراد الذي أتلف مزارعهم فأطلقوا على تلك السنة "أقيمي بورجو بيري– Egemy Borjo Bereh" .

كيراباء عاصمة للسلطنة:

في سنة 1916 قرر الجيراء الرحيل الى ارض اجدادهم كيراباء حيث قبر جدهم السلطان طه وابنه السلطان اتيم واحياء عاصمتهم فيها . فقضوا فيها أسعد واحلى سني حكمهم ، ونعموا بالاستقرار وعم الرخاء في البلد ، وبدأ الناس ينسون الصدمة التي تركتها في نفوسهم مجزرة قرعة وماتبعها من ترحال والصراعات التي تجمت وقتئذٍ.

الخلاف مع القمر :

بعد مضي سنتين من الإنتقال الى كيراباء وقع خلاف بين السلطان دوسه والسلطان ادريس زعيم القمر على ملكية بعض الأراضي ، فالسلطان ادريس كان يزعم بأن منطقة كيراباء ورهد لوتي "لوتي كيي" و منطقة ماعون وشديب تقع ضمن حدود ادارته فيما يزعم السلطان دوسه ان منطقة كليكل وعد السمح وجموقون وحوجي وكاراء ورهد بورجو تتبع له علاوة على منطقة كيراباء التاريخية وماجاورتها من أمصار .

وتطور الخلاف وفشلت المفاوضات ولم يبق سوى الخيار العسكري لحسمها فجهز كل من السلطانين جيشه استعدادا للحرب ، فتدخل معتمد الجنينة ومفتش كتم لفض الخلاف . وطلبا من السلطانين تقديم الأدلة الثبوتية لاحقية كل منهما لتلك المناطق . فقدم السلطان دوسه شهودا من رعية الشرتاي الطيب صالح وشاهدا من الكوبي يدعى الفكي داؤود حيث حلف اليمين بأن الارض للسلطان دوسه بينما رفض الشاهد الذي قدمه السلطان دوسه ان يحلف بل قال :" الأرض ارضنا لكنني لأحلف الكتاب" وبذلك انتهى النزاع لصالح السلطان دوسه وتم الصلح ورسم الحدود ، وتزوج السلطان دوسه ابنة السلطان هاشم ادريس فيما بعد تتويجا لتلك المصالحة .

وكان السلطان دوسه ابانئذ يحكم دار الكوبي من بلتين بوخسا حتى كرنوي ، ومناطق هاء توبو في هلالية ودي بيري وقردي كلها تتبع له وكانت عاصمة القلا في عهد الشرتاي الطيب هي مورشيقية . و نسبة لشهادة الشرتاي الطيب لصالح السلطان دوسه في تزاعه مع سلطان القمر ، سر منه كثيرا وتنازل له عن كرنوي والمناطق المذكورة أعلاه.

زمان كيراباء(كيراباء بوء1916 - 1923)

على الرغم من النزاع الحدودي مع القمر والمجاعة والقحط والخلافات الداخلية بين الأسرة الحاكمة والشعور بالهزيمة وفقد الأهل والحزن المائل في وجود الأرامل واليتامى ، الا ان الجيراء استطاعوا تامين استمرارية حكمهم رغم كل العقبات والصعوبات . وكانت كيراباء فردوسهم المفقود حيث قضوا فيها سبع سنوات من الازدهار والرخاء خلت من الكوارث والحروب والمجاعات فأطلقوا على السنة الأولى لإقامتهم بها "بوربور بيرئي". ابلغ ماقيل عن زمان كيراباء وصف المرحوم عبد القادر احمد عبد الرحمن حيث قال :"كنا في زمان كيراباء نعيش أفضل الظروف الحياتية حيث نعمنا فيها بالإستقرار السياسي فعم الرخاء وكثر الخير والمطر ، واخضرت الأرض فاكتست حلة خضراء ، و امتلأ الزرع والضرع كما أفاضت الاودية والرهود بالماء الرقراق ، فلا تسمع الا زغاريد الصبايا وشقشقة العصافير ونقيق الضفادع ، وترى إبلهم ترعى في السهول ..يا لتلك الأيام ..ايام كنا لا نشعر ولا نهتم بتسارع الليل والنهار ، ولابتبدل فصلي الصيف والخريف .. ترانا نمتطي صهوات جيادنا وتلعب مع الحسان الفاتنان الرقصات المحببة الينا ، والشباب في اللهو البريء غارقون وكأن بعضهم يتعرض للكسر من فرط قفزهم المبالغ في اللعب و"نط الشوكً"! لترويح عن الشباب اهمها السباق الذي كنا نشترك فيه فنسبق الريح عدواً ! والفائزون الاوائل يهديهم السلطان جوائز من الصابون الذي كان شيئا نادرا جدا . كانت ملابسنا – على قلتها – نظيفة – بيضاء. وتتبارى النساء في لبس اجمل حليهن وكلهن على أيامنا" فنجريات" اي راقيات، يرقصن النقارة والنحاس ، كل الناس فرحون ..مبسوطون ..ميسورو الحال – تلك أيامنا .. ويالها من أيام ..انها زمان كيراباء ، جنة الله في الأرض".

الطينة "توناء":

في عام 1923 ارسل السلطان حقار مناديل الى السلطان دوسه في كيراباء يحذره وأهله من البقاء في كيراباء وعليهم الإنتقال الى منطقة أخرى أبعد منها او يدخل معهم في مفاوضات للصلح بعد أن يملي شروطه عليهم ، على أساس انه المنتصر في

الحرب 1912. هذه الحادثة استفزت مشاعر السلطان دوسه والاسرة الحاكمة وأثارت شجونهم . قال السلطان دوسه لمبعوثي السلطان حقار : انه لايتخذ قرارا دون استشارة اولئك اليتامى فاستدعى كل رجال الحكم على عجل فقرروا في لحظة الغضب تلك – قتل اولئك المناديب واعلان الحرب على حقار ، لكن السلطان رأى غير ذلك فطلب منهم الإبقاء على حياتهم مقابل أن يحلفوا بنقل وصيته بحذافيرها الى سلطانهم وهي ان الجيراء تواقون للأخذ بالثأر وانهم يتحدونه ان ينازلهم في وادي الطينة وانهم قرروا نقل عاصمتهم من كيراباء الي الطينة . فاخلوا سبيل المناديب وعادوا من حيث اتوا . وقرر الجيراء قبول التحدي بالعودة الى حيث استشهد اهلهم والاقتراب من حقار ونقلوا العاصمة الى الطينة 1923م. وبدأ الناس الإنتقال التدريجي اليها بينما ظلت كيراباء على اهميتها كمنطقة زراعية لسكان الطينة.

وفي العام 1924 اجتمع الانجليز والفرنسيون وهما الحليفان ، بعد الحرب العالمية الأولى تطبيقا لبنود اتفاقية سايكس – بيكو التي تم بموجبها تقسيم المستعمرات بين الحلفاء المنتصرين . وتم ترسيم الحدود الغربية بين السودان الانجليزي المصري والسودان الفرنسي . وكان وادي الطينة احد معالم الحدود . واتخذ رهد اندور في الجنوب ويامناء في الشمال نقاطا هامة للخط الوهمي الفاصل .

وفي السنة الأولى لانتقال الجيراء الى الطينة حدثت مجاعة شديدة مما اضطر معظم السكان حيالها بالعودة الى كيراباء حتى تحسنت الأحوال ولم يتم الانتقال النهائي الى الطينة الا في 1926م.

ومن جراء هذا التقسيم الاستعماري الذي شطر الكوبي نشأت سلطنتان للكوبي ، الغربية تحت امرة التبويراء في مردوء حيث نقلها السلطان حقار الى هريباء ومات عام 1924 فخلفه السلطان عبد الرحمن منذئذ. و الشرقية يحكمها السلطان دوسه عبدالرحمن في حاضرته الطينة حتى توفى في عام 1981.

وبالتالي ظل زغاوة الكوبي موزعين في الدولتين (السودان وتشاد) . واستمرت الروابط الأسرية والتراثية في حالة تواصل دائم ، بينما ظلت العلاقات السياسية

والإجتماعية مقطوعة بين السلطنتين على مر السنين بالرغم من المحاولات التي بذلت من أطراف عديدة للمصالحة . وكانت مظاهر التوتر تلوح في الأفق من وقت لآخر تنذر بنشوب الحرب بين فرعي الانقو(الجيراء والتبويراء) وهما أبناء عمومة.

الفصل الرابع: الصراعات السياسية في تاريخ الكوبي

مقدمة:

كما ذكرنا في الفصل الثالث ان سلطنة الكوبي انشطرت الى جزأين بفعل الغزو الإستعماري الذي إنتظم المنطقة بعد سنة 1912،أحدهما في تشاد تحت إمرة فرع التبويراء ، والشطر الآخر بقي في السودان على أيدي الجيراء . وخلق هذا الوضع عداء مستحكما بينهما ادى ذلك الى الدسائس والكيد والجنوح الى الثأر والإنتقام . وكثيراً ما نشأت التحرشات بين السلطنتين وقد استغل المعارضون للسلطنتين هذا الموضوع للوصول الى أهدافهم وطموحاتهم السياسية . وكان من الأساليب المتبعة أن يلجأ هؤلاء المعارضون الى البلد المعادي من أجل النكاية والتشفي بسلطان منطقتهم . فكان الذي يعادي السلطان في الطينة مثلا يهاجر الى هريباء في تشاد أو العكس كضرب من اللجوء السياسي . وكان هذا الإسلوب يثير الغيرة والغضب والحسرة في نفس سلطان المنطقة التي يعارضها المعارضون، بينما يستقبلهم السلطان الآخر بكل الترحاب والغبطة . وقد كانت هذه الظاهرة يطلق عليها العامة بكلمة "كسر" كناية عن أن **المعارض قد عبر أو كسر الحدود الى البلد الآخر المعادي.**

ومن اكثر الأسباب التي تؤدي الى الهجرة الصراع على الحكم أو الشعور بالظلم عند الفصل في القضايا او عدم الرضا عن فئة ضريبة القطعان والجزية واسلوب المحاباة والتفرقة بين الناس فرضها وجمعها وخلاف ذلك . وجدير بالإشارة الى ان ما كان يجمع بين أفراد المجتمع بدار الكوبي يفوق كثيرا عما كان يدعوهم الى الفرقة والشتات ، ولكننا سنورد نماذج وأمثلة لبعض أهم تلك الأحداث.

من يحكم بعد فرتي :

لاشك ان مقتل السلطان عبد الرحمن فرتي سنة 1912 قد ترك فراغا سياسيا كبيرا لأنه لم يفطن الى تعيين من يخلفه ابان حكمه الطويل ، فنشب صراع على السلطة . اذ لم يتقبل بعض أبنائه وابناء اخيه بتصيب ابنه دوسة من قبل علي دينار في الفاشر . ولما عاد دوسة ، انقسم الناس الى فريقين احدهما يؤيد فاشر والآخر يؤيد دوسه . واستفحل الخلاف مما أدى الى الاقتتال بين أفراد الأسرة الوحدة .(انتهت المشكلة بالتصالح والتراضي وتثنيت السلطان دوسه بشروط).

ملحوظة:

ان الفترة التي اعقبت الصراع الاول بموت السلطان فرتي لهي جديرة بالتمحيص والمتابعة وهي الفترة التي شهدت بداية الخلافات في عهد السلطان دوسه وهي فترة هامة للأسباب التالية:

أولا: لأنها فترة زمنية طويلة (1912-1981) تميزت بالاستقرار لخلوها من الحروب داخلية كانت ام خارجية او خلافها كالأوبئة والكوارث الطبيعية والمجاعات التي كانت تجمع الناس وتوحدهم لمجابهة مايتهدد السلطنة. ففي مثل هذا الجو المستقر نسبيا يتفرغ الناس للسياسة الداخلية والامور الشخصية والبحث في مثالب الحكم . اما الحاكم يزداد نفوذه ويقوى سلطانه فيعمد على تامين جبهته الداخلية بأساليب قد تضر بمصالح بعض افراد العائلة الحاكمة. ويبدو أن هذا وذاك قد تمثلا في اذكاء الفرقة والشتات داخل الأسرة الحاكمة الجيراء . وكانت عاملا رئيسيا في اضعاف سلطنة الكوبي في الطينة . وتجدر بنا ان نشير الى ان وضعا مماثلا كان سائدا في فرع التبويراء في هريباء.

شعر بعض الجيراء ان المصالحة التي تمت بينهم وبين السلطان دوسه باشراف علي دينار لم تكن عادلة وانها كانت تفتقر الى الضوابط التي تضمن تنفيذ بنود الصلح . فقام اولئك النفر بسحب ثقتهم في مصداقية السلطان دوسه واحقيته في الحكم ، فعمدوا على معارضته جهرا ولكنهم في نفس الوقت احسوا بان المعركة سوف لن تكون متكافئة لأن دوسه يسنده السلطان علي دينار ومن بعده الإدارة البريطانية . وحيال هذا الوضع قرر كل من فاشر عبد الرحمن وشرف الدين عبد الشافع وابني اسماعيل عبد الرحمن

اندوسه والزبير ومعهم اسرهم واصهارهم الهجرة الى منطقة مايباء في تشاد ضيوفا على السلطان حقّار خصم السلطان دوسه الا أن المقام لم يطب لهم اذ سرعان مانشأ سوء تفاهم بين الضيوف ومضيفهم.

وفي خلال هذه الفترة كانت الوساطة لعقد مصالحة بينهم والسلطان دوسه مستمرة . فبعد سنة واحدة اثمرت جهود الوساطة فوافقوا على العودة الى كيراباء وتصالحوا معه . فكافأ السلطان دوسه مقدمهم بإسناد منصب الخليفة لمنطقة كيراباء وضواحيها الى اخيه "أبو فاشر" والحاج شرف الدين عبد الشافع على منطقة أورسينق وكرينك وشطيب وماجاورها وبذلك طابت نفوسهم وتواصلت الأرحام.

تموين الحرب العالمية:

ترامنت هذه الفترة مع سني الحرب العالمية الثانية (1939-1945) حيث كان السودان تحت الإدارة البريطانية . وكان من سياسية الحلفاء كسب واستقطاب الرأي العام للشعوب التي يستعمرونها في صالح حربهم التي كانوا يخوضونها ضد ألمانيا النازية، وذلك بتشجيعهم على الإنخراط في صفوف قواتهم المسلحة عن طريق الإعلام وبتوزيع المواد التموينية كالسكر والشاي والملابس ، وهذه الأخيرة كانت أكثرها فاعلية وصدى في إمالة المواطنين لحاجتهم الملحة لهذه المواد الإستهلاكية النادرة حينئذ. وكانت الادارة الانجليزية تستعين بزعماء العشائر في توزيع هذه المواد للأهالي .

وفي 1947 تذمر بعض النفر من أسرة الجيراء الحاكمة في الطينة من الطريقة التي كان السلطان دوسه يوزع بها "التموين" بحجة أنه كان يستأثر بالجزء الأكبر منه لأسرته الخاصة في حين أن الرواسب القديمة في الفرقة والشتات من زمان كيراباء ظلت تطل برأسها من وقت لآخر . وازاء استيائهم قرر كل من الحاج داؤود عبد الرحمن والحاج نور عبد الرحمن وعلي عبد الرحمن وشريف عبد الشافع وآدم فنجري عبد الرحمن ولبس عبد الرحمن وعبد الله منقاري عبد الرحمن وعيسى عبد الرحمن ومصطفى فاشر ويوسف فاشر وبشارة فاشر عبد الرحمن وعبد الله برقو ويوسف شرف الدين والزبير اسماعيل دلدوم ونور الدين احمد قرروا تصعيد الموقف ووضع حد لما احسوا به

من غبن ، فبعثوا ابراهيم عامر عبد الرحمن مندوبا عنهم ليفاوض السلطان دوسه في نقاط الخلاف ومنها :

عدم تطبيق السلطان دوسة بنود اتفاقية الصلح التي تمت بينهم في الفاشر . كما انه عمد على حرمانهم من الوظائف الحكومية التي آلت الى ادارة الكوبي في الطينة، اضافة الى اجحافه في توزيع المواد التموينية التي كانت تأتي مجانية من الإدارة الإنجليزية للمنطقة عامة . فرفض السلطان دوسه اسلوب التفاوض لأنه رأى فيه التحدي والإهانة له الأمران اللذان لم يتوقعهما من رعيته . فعاد مندوبهم ونقل اليهم فحوى مقابلته للسلطان ، فأستقر رأيهم على نقل مظلمتهم الى مفتش المركز في كتم الا ان عيون السلطان اوعزوا له بما يبيته خصومه من نية فبادر باستدعائهم من كيراباء الى الطينة ، فلما لم يجد الاجابة سبقهم بالشكوى ضدهم الى المستر شارلس مفتش المركز الذي أمر بإعتقالهم وسجنهم ستة أشهر ، فتمردوا على البقاء في سجن كتم فنقلوا الى سجن خير خنقا في الفاشر.

وكان لسجنهم هذا أثر كبير في تأليب واثارة حفيظة كثير من أهالي الطينة الذين توافدوا على كتم والفاشر لمؤازرتهم ، فاكتسبت قضيتهم شهرة واسعة ، ونالت عطف وسند قطاعات عريضة من زغاوة الكوبي، فهزت ادارة السلطان دوسه ، وكانت البداية لأحداث أخرى.

عاد المحكوم عليهم بالسجن بعد قضاء فترة العقوبة للطينة ناقمين على كل ماله صلة بالسلطان دوسه،غير انهم لم يجاهروا بالعداء السافر تحوطا ، الا ان الهدنة لم تطل بين الطرفين . فسرعان ما تأججت نار الفتنة اثر مشادة كلامية في مجلس السلطان دوسه بين افراد المجموعة المغبونة مع السلطان فاستفحل الجدل والنقاش بين الفريقين ، واتسعت هوة الخلاف فلجأوا الى السلاح الأبيض لحسم النزاع ، ودارت مشاجرة عصر ذلك اليوم من 1949م وعلى أثرها قررت المجموعة المعارضة الهجرة الى مايباء في تشاد .

* بينما كانت الاسرة الحاكمة من الجيراء في أتون الخلافات والحرب سجال ، ظلت ذرية سالم بن السلطان طه بعيدا عن الحكم رغم ما لعبوه من دور فعال في المساهمة لتمكين ابناء عمومتهم من أبناء آدم من السلطة في دار كوبي . فكان الخليفة عبد سندا قويا للسلطان فرتي ابان سعيه لطلب الحكم من وداي . وكذلك الحال مع السلطان حقار حين عمل على تجزأة سلطنة الكوبي والانفراد بجزء منها . وحيال هذا الموقف احس أولاد سالم بالحرمان وانه آن الأوان للسعي لأخذ دورهم في الحكم لأنه لا أمل من ان تؤول السلطة إليهم تلقائيا رغم المؤازرة التي قدموها من قبل .

وفي عهد السلطان دوسه شعر فضل عشر وأخوه الحاج نور عشر وغيرهما من ذرية سالم ان السلطان يبغضهم دون وجه حق ودونما امر جنوه . فدخل فضل عشر في مشادة كلامية حادة مع السلطان دوسة في إحدى جلساته أسفرت عن خلاف كبير وخصومة ، الأمر الذي جعل فضل عشر وشقيقه الحاج نور ان يهاجرا الى تشاد مع اسرهما . فحطوا الرحال أولا في رهد جبل عود "جبلوت" ولكن لم يطب لهم المقام فرحلوا الى منطقة دواء الحدودية بين تشاد ودار القمر ، فاتصل فضل عشر بالسلطان بحر الدين اندوكة سلطان دار المساليت الذي عينه عمدة لتلك المنطقة . وظل بعيدا عن منطقة نفوذ السلطان دوسه حتى توفي فى الأربعينات (عام 1947م) دون ان يبلغ ماكان يريده . فواصل أخوه نور عشر مابدأه هو ليكمل مشواره فاشتكاه السلطان دوسه في كتم حيث تم القبض عليه وسجنه سنتان هناك . كما أشتكى السلطان أيضا سكان دواء بتهمة عدم دفع الجزية بتحريض من نور عشر فادخلوا الحراسة أيضا في كتم . وبعد ان قضى نور فترة سجنه حدد الإنجليز إقامته واشترطوا عليه ألا يذهب إلى الطينة . وبالمقابل ألا يدفع الجزية للسلطان دوسه . وعاد نور إلى دار الزغاوة وقد اشترى نحاسه الخاص من مصر لينافس به نحاس السلطان دوسه فاكتسب لقب السلطان نورعشر ولم يكف عن ضرب نحاسه في منطقة عدة سدر ودواء ، وكان ينحر الذبائح ويقيم الولائم. انزعج السلطان دوسه ايما انزعاج من هذا الرجل الذي نصب نفسه سلطانا

، وكانت الأخبار تأتي إليه من جرجيرة بأن نور صار يخطف الأضواء ويحظى بإهتمام قطاعات عريضة من سكان جنوب السلطنة .

كما بدأ سمعته وشهرته تنتشران بسرعة . ولما رأى السلطان دوسه أن القوة لاتجد فتيلا تجاه نور عمد الى امالته ومهادنته بالاستعطاف واللين ، فوسط احد اقرباء نور عشر وقدم اليه الدعوة لزيارته – من قبل كانت علاقتهما مقطوعة – في الطينة ، فلما أتاه بادر السلطان قائلا:" يابني انني اريد ان اصاهرك لكي ننسى الماضي ونعيش بدون خلافات ، وسأخصك ببعض الحكم لتعيش عليه فيما بعد ". ولم يفت علي نور مكر السلطان ودهائه وظن انما اراد السلطان ان يوقعه في الفخ بعزفه على وتر القرابة والمصاهرة فرد عليه بحدة وبغير ما احترام "يادوسه .. من فينا تعتقد غبيا !! انني اريد ان اكون سلطانا مثلك وانت تريد ان تكفلني وتبقيني تابعا لك ؟! فكيف نتفق ؟!! "وإنتهى اللقاء على عجل ولم يتفق الرجلان ، كان ذلك في العام 1955.

وأطل في السودان فجر جديد من الحرية والاستقلال والسيادة في الاول من يناير 1956 بعد معاناة طويلة تنامت فيها الروح الوطنية وانتظم السودانيون في الأحزاب السياسية التي برزت وقتئذ، فانضم نور عشر الى الحزب الوطني الاتحادي اما السلطان دوسه فقد إنضم الى حزب الأمة . وسافر نور عشر الى الخرطوم والتقى زعيم حزبه اسماعيل الأزهري وشكا إليه أمره مستأنفا عما حاق به من ظلم على يدي السلطان دوسه والمستعمر الانجليزي والدكتاتورية التي مورست ضده ، فأخبره الازهري بأن السودان بلد حر لكل السودانيين ، وهم فيه أحرار في حلهم وترحالهم ويحق لهم الإقامة أينما ارادوا فوق ترابه بحرية مطلقة . وحصل على البرآة (الشهادة) التي تفيد ذلك ، وعاد بها الى دار الزغاوة فرحا مسرورا و لكنه آثر الذهاب الى سرباء ومكث عند صديقه الفرشة ابراهيم عناقي الذي عينه عمدة واستقر فيها نهائيا حتى وافته المنية في الستينات من القرن العشرين.

حركة الفلتيك

واجهت إدارة الكوبى فى كل من السودان و تشاد صعوبات هزت كيانها. و كبرى تلك المشاكل الحركة التي اصطلح عليها "الفلتيك "، وهذه الكلمة وليدة الثورة التشادية أساسا . فقد حرفت عن اللفظة الفرنسية "بوليتك " والتي تعني السياسة . أما طبيعة الصراع بين ادارة الكوبي في الطينة ومعارضيها تكمن في رفض المواطنين لكثير من الأساليب التي تتخذها الإدارة الأهلية في تسييس وتسيير الحكم والتي اصبحت بالية وعفا عليها الزمن ، وصارت لاتتماشى وتطلعات الشعب الذي جعل الوعي السياسي فيه ينمو باضطراد بفضل انتشار التعليم والمعرفة . احس المواطنون أن الفرصة قد سنحت حينئذ في عرض مظالمهم ، ورد الحقوق واشعاع اسس الشورى والديمقراطية في اتخاذ القرار واصدار الأحكام ، وذلك لما كانوا يشعرون به من غبن وحرمان.

ففي عام 1962م وفي عهد الحكم العسكري برئاسة الفريق ابراهيم عبود ، وابان تنفيذ مشروع حفير (أوخزان) باساو في ضواحي الطينة اجتمع نفر من المواطنين وقرروا مقابلة السلطان دوسه لنقل وجهة نظرهم في امر شخص أودع في الحراسة في ظروف وملابسات لم يكن فيها مذنبا ، وان ظلما قد حاق به دون مبرر. تم اللقاء ولكنه سرعان ما إنفض لعدم محاولة السلطان مجرد السماع لوجهة نظرهم ، وإنتهت المقابلة – التي كانت عاصفة – بمشادة كلامية مشوبة بالتحدي والتهديد من الطرفين . وتأججت نار الفتنة فانتشرت أخبارها بسرعة وانقسم الناس الى فريقين فتبع معظمهم الشق المناوئ للسلطان ، **فأطلق عليهم "الفلتيك" لتأخذ اللفظة بعداً ومعنىً جديداً وهو "المنشقون"** . واستمر النزاع و اتخذ صوراً متعددة لمقاومة أوامر الإدارة في الطينة.

وكانت أُولى صور المقاومة والتحريض لكافة المواطنين ضد الإدارة الأهلية وذلك بعدم تسليم ضريبة القطعان والدقنية لمناديب السلطان دوسة والعمل على خلق ادارة منفصلة يكون مقرها **باساو** مع اقامة محكمة شعبية والمطالبة بإنشاء خدمات صحية وتعليمية وخلافهما بالقرب من مقار سكن المواطنين حتى لايضطروا لشد الرحال الى

الطينة حاضرة السلطان دوسة الذي رفضوا الإذعان والخضوع لإدارته ، كما طالبوا بعدالة توزيع الوظائف الحكومية التي تخصص لإدارة الكوبي.

وقد ذهب وفد ممثل للمنشقين الى رئاسة مركز شمال دارفور في كتم حاملا معه شكاوى ومطالب من انتدبوه غير أن السلطات التنفيذية في كتم هي الأخرى جعلت تماطلهم ولم تسع في النظر الى الشكاوي المقدمة متعللة بأن المعلومات المتوفرة لديها من قبل الإدارة الاهلية في الطينة تفيد أن الإمور تسير على مايرام وأن من أتي شاكياً له دوافع سياسية محضة ، وليس له أي مظالم حقيقية تستحق النظر فيها . وعليه فقد انعكست الآية على المندوبين فأصبحوا المتهمين بدلاً عن المظلومين ، فأرسلوا الى حيث أتوا منها ، فعادوا الى باساو وهم حزانى على أنهم كانوا أكثر إصراراً لمواصلة ما بدأوه من مشوار . فاجتمعوا بالمواطنين و ابلغوهم بما رأوا وما سمعوا من السلطان في كتم . وبعد تقويم و تمحيص الموقف اجمعوا على المضي قدما بجمع توقيعات الحضور وتبرعاتهم دعماً للجولة القادمة. ثم تكونت لجنة بدلا عن الوفد وقد توسعت دائرة عضويتها وتمثيلها فشملت مناديب لكل القرى ، وشدوا الرحال مرة أخرى الى كتم ، فجاءوها واتخذوا من وادي كتم معسكراً فنصبوا خيامهم قبالة مجلس ريفي كتم ليكونوا أكثر قربا ولفتا للانظار من السلطات التنفيذية . وجددوا مظالمهم وشكاواهم ، فيما عملت لجنة فرعية تابعة لها مقرها الفاشر للتعبئة وسط الكوبي والاتصال بسلطات المديرية.

اما في الجانب الآخر فكان السلطان دوسه يعمل حثيثا لدحض مايثيره معارضوه من اتهامات بارسال التقارير مع مندوبيه إلى كل من كتم والفاشر موضحا ان اولئك النفر لايمثلون رأي الأغلبية ، وانهم مجرد فئة خارجة عن القانون ومحرضة ومتمردة ضد دفع الضريبة والانصياع الى اوامر حكومية كما يحاول تقديم الأدلة الثبوتية لدعم ما يقوله .

استمر النزاع سنين عديدة فوصل الصراع قمته مع اندلاع ثورة اكتوبر 1964م والتي كانت تصفية الادارة الأهلية احدى شعاراتها الاساسية ، وألغت حكومة جبهة

الهيئات التي تشكلت عندئذ بإلغاء "الدقنية" وهي الضريبة التي كان يدفعها الفرد عن نفسه عند بلوغه سن الرشد ، وكانت نظرة الناس اليها بمثابة الجزية التي كان يدفعها غير المسلمين.



(* السلطان دوسه عبد الرحمن فرتي)

تحمس المنشقون من الكوبي في هذه الأونة و يدفعهم الأمل الذي كانوا يعلقونه على ثورة الشعب ومبادئه ، ولكن تجري الرياح بمالا تشتهي السفن ، فأطلت الأحزاب السياسية التقليدية – حزب الأمة و حزب الوطنى الإتحادى والحزب الشيوعى و جبهة الميثاق الإسلامى– برأسها فاحتمى كل من الفرقاء المعنيين بحزب يعينه على خصمه فوقف حزب الأمة مع السلطان دوسه ، فيما أيدت جبهة الميثاق الاسلامي المنشقين.

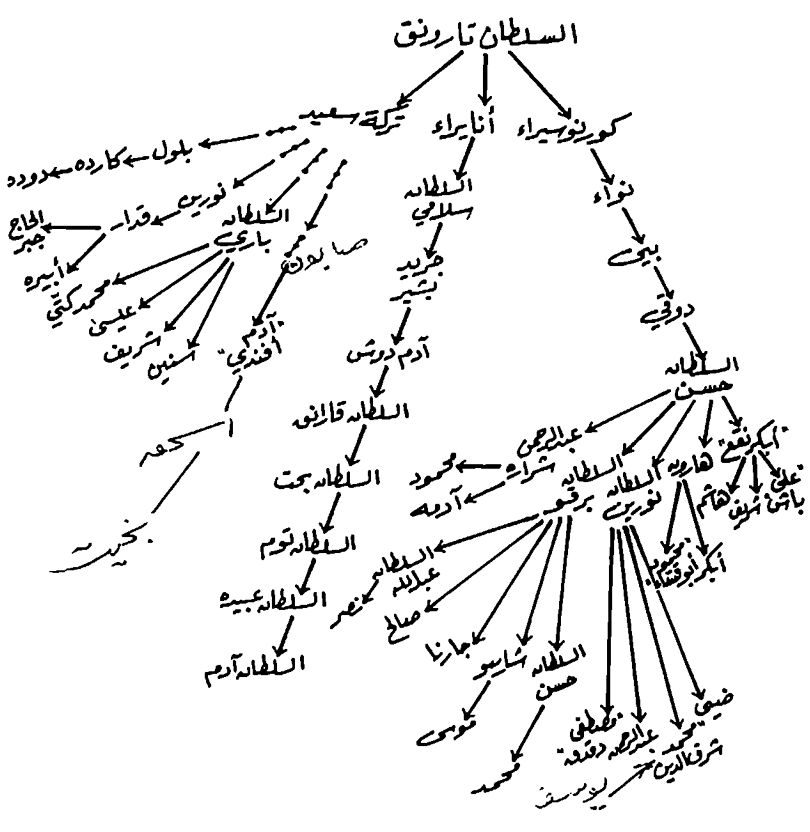
ويأخذ الصراع طابعا قوميا ، ويدخل منعطفا تأريخيا دقيقًا. وليت الأمور تقف عند هذا الحد ولكن الصراع يتفاقم فيما بين الاحزاب السياسية ذاتها في النصف الأول من عام 1969 فيقطف الجيش مرة أخرى ثمار الديمقراطية ويئد شجرتها ويستولى نظام مايو على مقاليد الحكم في البلاد . ومن سخرية القدر ان نظام مايو نفذ إحدى بنود ثورة اكتوبر فصفت الادارة الأهلية في عموم السودان . وبذلك شملت إدارة دار الكوبي فهدأ

النزاع بين السلطان دوسه والفلتيك على الصعيد الظاهري ، الا ان سمات الفرقة والبغضاء سادت المنطقة طوال سني حكم السلطان دوسه حتى مماته عام 1981م.

الفصل الخامس : الكبقاء kABGA

الأصل :الكبقاء او البيقي "Beegee" فرع من زغاوة الكوبى لهم سلطنتهم الخاصة بهم بمعزل عن الأنقو ، وهي السلطنة الثالثة للكوبي بعد التقسيم الذي طرأ في عام 1912. و البيت الحاكم يتكون من ثلاث أسر هي الكورنوسيرء والأنايراء وتركة سعيد " سئيد كابى" . ويرجع انحدارهم السلالى الى السلطان تاورنق الذي هو جدهم الأكبر . ويقول الرواة والاخباريون ان الكبقاء من بني كعب (كاب) المعروفة في الجزيرة العربية . وأصل تسميتهم بالكبقاء نسبة الى جبل كبقاء في تشاد ، ويطلق على الفرد منهم "كبقاراء" . أما تسميتهم "بالبيقى" فترجع الى عاصمتهم الأولى فى "بيقي بيه" ، ويملك سلطانهم نحاسين يضربان في الأعياد المختلفة.

شجرة نسب الكبقاء:



(* مخطط رقم(24) يبين شجرة نسب الكبقاء)

نظام الحكم: (أنظر مخطط شجرة نسب الكبقاء المرفقة أعلاه)

نظام الحكم عند لكبقاء وراثي انتقالي غير منتظم بمعنى انه لايتبع النظام الوراثي التتابعي كابراً عن كابر أو أباً عن جد ، وهو حكم مركزي . وارتكز حكمهم سجالاً بين عشائر الكورنوسيراء والأنايراء وسعيد كابي وهي الأسر الثلاث التي هيمنت على مقاليد الحكم . ويقول الرواة والاخباريون أن أول من عُرِفَ من سلاطين الكبقاء هو جدهم السلطان تارونق الذي خلفه ابنه السلطان سلامي من الانايراء ثم أصبح الحكم متبادلا بين عشيرتي الانايراء والكورنوسيراء المنافسة لها والتي حكم منها السلطان حسن دوقي الذي تولى السلطة من السلطان توم بن السلطان بحت في حوالي 1867 اثر أحداث

وظروف غامضة . وآل الحكم من بعده الى ابنه السلطان برقو ، وخلفه السلطان نورين الذي حكم سنتين فقط .

وشهدت دار الكبقاء فترة من عدم الاستقرار في الحكم تميزت بقصر مدة حكم السلاطين الذين وصلوا الى سدة السلطنة . حيث انتقل الحكم بعد السلطان برقو الى السلطان عيدة بن السلطان توم الذي لم يحكم سوى سنة واحدة وتوفى ليحكم بعده السلطان محمد شرف الدين "جقوي" بن السلطان نورين لكن حكمه لم يدم الا سنتين . والجدير بالذكر أن بعض هؤلاء السلاطين كانوا يتبعون إدارياً إلى دار المساليت التي حاضرته مدينة الجنينة عن طريق سلطان القمر في كولبوس .

وفي عهد السلطان عبد الله برقو أُتْبَعَ المستعمرون الفرنسيون في تشاد سلطنة الكبقاء هناك لتكون تحت إمرة سلطان الأنقو تبويراء في هريباء ، حتى خططت الحدود السودانية التشادية 1924م بواسطة الاستعمار الانجليزي والفرنسي. فصار رهد اندور حدوداً جغرافية بين التبويراء في تشاد والكبقاء الذين أُعيدت تبعيتهم للسودان . فآل الحكم الى السلطان آدم عبيدة في العام 1927 فشهد حكمه فترة عاصفة اتسمت بالعنف اذ كان شديداً في أحكامه لدرجة التعسف مما جلب عليه استياء الناس وتذمرهم وكثرت الشكاوى ضده . ولم يكن على وفاق حتى مع افراد الاسرة الحاكمة للبيقي ، كما كان في خصومة مع السلطان دوسة عبد الرحمن فرتي في الطينة . وفي احدى المرات منع السلطان آدم افرادا من الجيراء (الأسرة الحاكمة في الطينة) عدم الزراعة في منطقتي طنضباية ووناناء مما أغضب السلطان دوسه وجعله يشهد ضده مدعما شكاوى سكان كبقاء المطالبين باقصائه من الحكم نتيجة ظلمه وبطشه وسطوته واقدامه على بعض الأعمال التي لاتليق بمكانته كسلطان . فكان ان عزله الانجليز من عرش الكبقاء في العام 1947م بعد حكم دامت مدة عشرين سنة.

كره السلطان آدم البقاء في طنضباي بعد ذهاب ملكه فآثر الهجرة الى منطقة هريباء في السودان الفرنسي (تشاد) حيث كان يتولى مقاليد حكم فرع زغاوة الأنقو التبويراء ابن عمته السلطان عبد الرحم حقار والذي اكرم وفادته ورحب به واشار اليه

بالاقامة في قرية جقراباء المتاخمة لحدود السودان ، والتي يمكنه موقعها الجغرافي من اثارة القلق ومناوشة خصومه من الكورنوسيراء الذين حلوا معه والجيراء الذين كانوا السبب المباشر الذي عجل بعزله . وكان في معيته عدد غفير من ذويه وعشيرته من الانايراء مؤازرين له في محنته.

أمّا السلطان عبد الرحمن شرارة فأغلب الظن انه حكم الكبقاء بعد مقتل السلطان علي دينار 1916 حيث كان مسئولا عن أسلحة جيش الفور . والجدير بالذكر ان عشيرة تركة سعيد لم يستلم مقاليد الحكم منها سوى السلطان باري الذي كان فارسا شجاعا .

السلطان حسن برقو:

هو حسن بن السلطان برقو بن السلطان حسن و ينحدر من عشيرة الكورنو سيراء وقد عين سلطاناً على دار الكبقاء عام1947 عقب عزل السلطان آدم عبيدة . عرف عنه استقامته وورعه وتقواه لذلك ظل محبوباً من رعيته لتواضعه الجم . ولم تكن تشغله عرض الدنيا ، فأشاع العدل في مواطنيه الذين نفرهم حكم سلفه .

وفي عهده قرر الانجليز اتباع ادارة الكبقاء اسمياً الى ادار ة الكوبي في الطينة على ان تكون لها شخصيتها الاعتبارية المميزة كسلطنة وادارة ، وان تكون العلاقة المباشرة بينهما هي الجزية والضريبة وحضور الزفة، والنظر في القضايا الكبيرة، إذ رأى الانجليز انه ليس من المتطقي ان تتبع فصيلة من الزغاوة إدارة القمر ومن الأحرى أن يلم شمهم مع عشيرتهم من الكوبي في الطينة . وتم فصلهم من معتمدية الجنينة وادارة القمر واتبعوا لادارة السلطان دوسه رغم المعارضة الشديدة التي ابداها الكبقاراء في بادئ الأمر ومطالبتهم بالاستقلالية على ان يتبعوا لمفتش المركز في كتم كسائر فروع قبيلة الزغاوة الاخرى. ورضوا بالامر الواقع وضغط الانجليز .

أهم معالم في داركبقاء:

القرى والحلال:

طنضباية – جرجيرة – دمانيك – سوقوني – تقورويه – سيقيبي – **ناناء** – **بوبورون** – بيقي بيه – نقوبيه .

الأودية والوديان:

رهد اندور – رهد ساساء (خزان) شيك بيجير – سواء تتقي – تلة قوزبان(قوسبان).

الفصل السادس

دور الزغاوة في الثورة التشادية

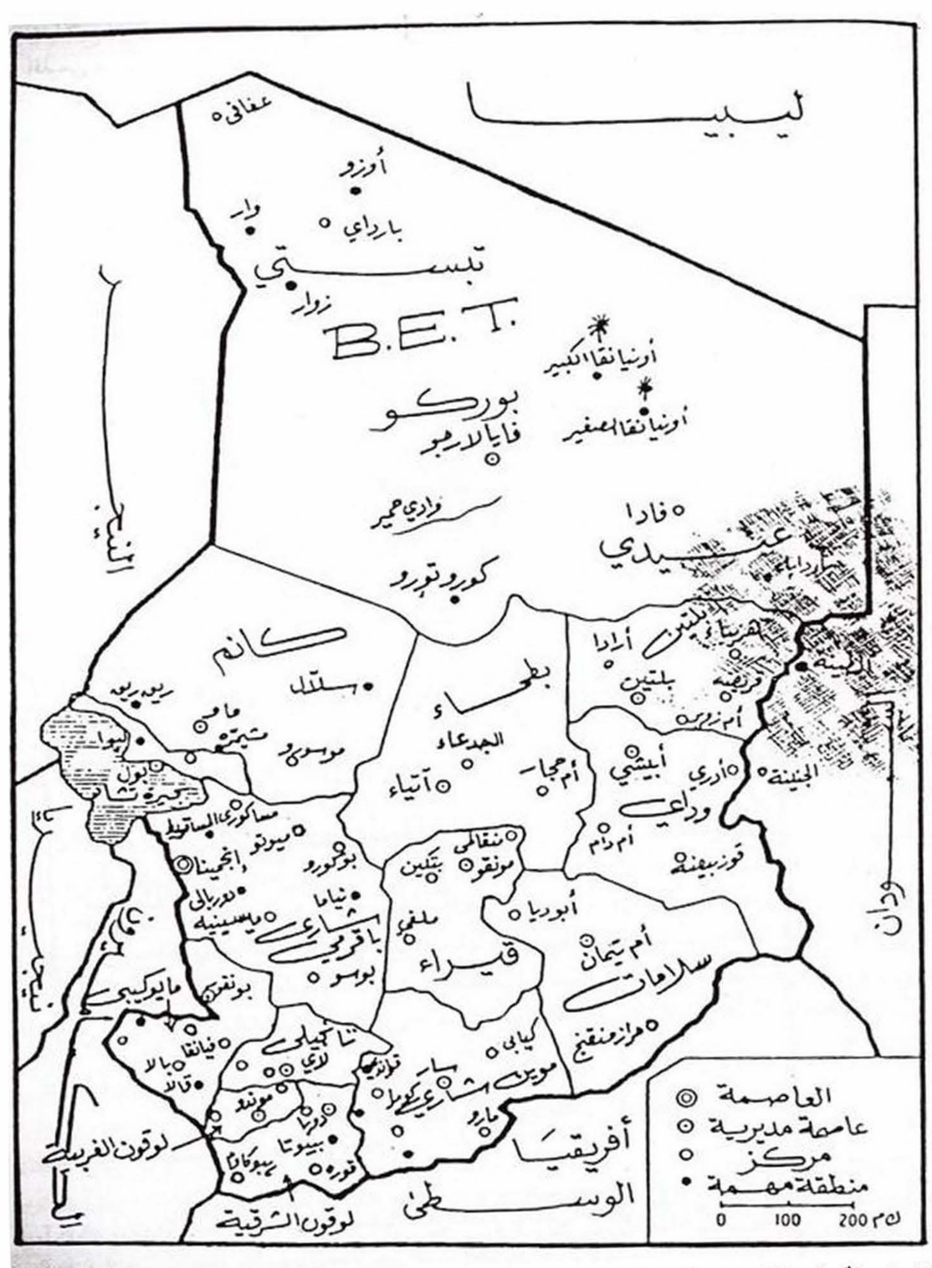
مقدمة:

لكي يتضح لنا الدور الذي لعبه الزغاوة في الثورة التشادية ،علينا إعطاء خلفية تاريخية عن تشاد . فقد نالت استقلالها عن فرنسا في العاشر من اغسطس 1960م وتبلغ مساحتها 128400 كيلومترا مربعا . وكانت تتكون من اربعة عشر مديرية تسع منها في الشمال ويشكل المسلمون فيها أغلبية مطلقة . وفي هذا الجزء قامت ثلاث من كبريات الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وهي مملكة كانم التي أسست في القرن التاسع وانتقل ملوكها الى برنو . ومملكة باقرمى التي يرجع تاريخ تأسيسها الى القرن السادس عشر. ومملكة وداي التي أسست في القرن السابع عشر وبلغت ذروتها في القرن التاسع عشر.

اما المديريات الجنوبية الخمس فيقطنها خليط من الأجناس واغلبيتهم من الوثنيين والمسيحيين واكبر القبائل فيها الساراء مجنقي التي ينتمي إليها الرئيس السابق فرانسوا تمبل باي وساراء كابا.

وكما رأينا في هذا الباب فإن تاريخ زغاوة الكوبى قد ارتبط جزء كبير منه بمملكة وداي التي قضى عليها الغزو الفرنسي لتشاد عام 1911م ونفى سلطانها دود مُرّة الى

فورت لامـي ومـات هنـاك فـي الحـبس . ومـن ثـم قتـل الفرنسيون سلطان الكـوبي عبـد الرحمن فرتـي سنة 1912م. وبرسم الحدود بين السودان وتشاد سنة 1924م أسفر عن تجزأة زغاوة الكوبي والبديات إلى قسمين .وعند إنشاء المديريات فـي تشاد اتبع زغـاوة الكوبي – ومركزهم هريبـاء – و تابعين لمركز بلتين والتابع لمديرية ابيشـي والتـي تضـم ايضـا القبائـل التاليـة : وداي كـدوي (أبـو سـنون) برقـو – تامـا – عـرب – ابوشـاري (مراريت) ميما – اسنقور – مساليت – داجو سيلا –



(* خريطة رقم 8 لجمهورية تشاد تبين التقسيم الاداري وامتداد الانتشار السكاني للزغاوة فيها)

بينما اتبع زغاوة البديات في اقليم عندي الى المديرية الشمالية (BET) وعاصمتها فايا لارجو والتي تضم ايضا اقليمي بوركو وتبستي وهي من أكبر مديريات تشاد ، وسكانها القرعان والتوبو وزغاوة البديات.

خلال عهد الإستعمار الفرنسي لقي الشعب التشادي كل صنوف الظلم والاضطهاد والتسلط والقهر والتعذيب من الادارة الفرنسية متمثلة في المفتشين وقوات الجندرمة والشرطة "القومية" وانظمة الادارة الاهلية . ففرضت الضرائب الباهظة على القطعان والمواشي والدقنية "الجزية" مع اتاوة سميت مجازا "الدّيْن الوطني" في حين ان الخدمات الاساسية من الصحة والتعليم وخلافهما كانت معدومة . وعانت المديريات الشمالية ذات الأغلبية المسلمة اكثر من غيرها هذا الحرمان الذي أادى للتخلف المتعمد من قبل الادارة الفرنسية السابقة والحكومة الوطنية اللاحقة التي هدفت الى تقوية ودعم المسيحيين في الجنوب . واضعاف واذلال المسلمين في الشمال . فكان التناقض واضحاً بين "فورت لامي" و التى تعنى" قلعة الجنرال لامي" العاصمة في الجنوب والتي كان يطلق عليها باريس افريقيا وبقية عواصم المديريات.

مابعد الاستقلال ومولد جبهة فرولينا:

تسلمت أول حكومة وطنية إئتلافية مقاليد الحكم في تشاد عقب الاستقلال في 11 أغسطس سنة 1960م برئاسة ساولبا (من محافظة مايوكيبي) من الجنوب ولم يطل في الحكم حتي خلفه أحمد غلام الله (جلّابي من أصل سوداني) رئيساً للوزراء لمدة سنة واحدة . وقد عمل على تعريب الدولة مما أثار مخاوف الفرنسيين الذين لم تزل نفوذهم قوية آنذاك . فَنُحِّيَ أحمد غلام الله وانتخب فرانسوا تمبل باي رئيساً للجمهورية في عام 1962م. وعمل فور انتخابه – وبطريقة إنقلابية – على حل كل الأحزاب التي كانت قائمة وقتذاك وهي حزب الإيميساء و A.N.T (ايه إن تي) وأبقى على حزبه ايرديا A.R.D.E.A. ليطبق نظام الحزب الواحد ضارباً بالديمقراطية والتعددية الحزبية عرض الحائط . وازاء اجراءاته تلك اعلن حزب A.N.T برئاسة ابراهيم ابيجي ومحمد أبا

سكرتير الحزب وزعماء آخرون معارضتهم المفتوحة فكونا الجبهة الوطنية لتحرير تشاد.
, The Liberation **Front** of **Chad** (**Front de Libération** du **Tchad** or FLT



(* فرانسوا تمبل باي)



(*محاربون من فرولينا في أيامها الأولى)



(* مقاتل من جبهة فرولينا)

والتي عرفت إختصارا بـ "فرولينا" (فرونت ناسيونال لبراسيون دو تشاد) لتشمل تحت مظلتها كل المعارضين. وكان ذلك في مؤتمر حركات التحرر الأفريقية الذي عقد في أكرا (غانا) بمباركة الرئيس الراحل كوامي نكروما سنة 1962م فانتخب الدكتور أبا صديق رئيساً للجبهة ومحمود أبا سكرتيراً لها في 1966/6/22. وكانت الروح الوطنية والمد الثوري قد تناميا بين قطاعات عريضة من أفراد الشعب التشادي الذي لم يعد يسكت علي الحرمان وكبت الحريات مما ساعد علي انخراط الكثيرين في جبهة الفرولينا التي كانت الامل والخلاص من تسلط تمبل باي وحزبه مما أدى الى قيام حركات

عصيان مدنية وانتفاضات شعبية في مناطق عديدة من الجزء الشمالي لتشاد مثال ذلك الحركة التي قادها الشيخ علي فاضل شيخ قبيلة السلامات وصهره محمد ابراهيم في منطقة ام التيمان . فأخذت طابع ثورة دينية ولكنها اخمدت في مهدها.

وتوالت حركات ثورية أخرى في عدة مناطق من تشاد اهمها حوادث فورت لامي بقيادة جبريل خير الله ومحمد أبا وجان بتست زعيم المتيس والتي بدأت في شكل عصيان مدني احتجاجاً على الظلم الواقع على المسلمين المستهدفين دائماً من السلطة حيث كان الكردي والجندرمة يقومون بإستفزازهم ويأتون بإمور مخلة بالآداب في الأماكن العامة ، علاوة على السلب والنهب والصاق التهم جزافاً بالأبرياء وإذلال المواطنين أمام ذويهم وذلك من منطلق كراهيتهم للمسلمين . فقررت إدارة تمبل باي القبض على مثيري تلك الأحداث إلا أنهم قاوموا السلطة فكانت المواجهة وتم إخماد حركتهم ، فوجدت الحكومة الفرصة لاعتقال الفعاليات من شمال تشاد دون تمييز وزج بهم في السجن وكان ممن شملهم ذلك الإعتقال نصر عبد الله برقو رئيس البرلمان آنذاك وهو من زغاوة الكوبي وبرمة مهدي نائب في البرلمان وأحمد كتكو وآخرين.

حتى هذه اللحظة ظلت جبهة فرولينا سياسية تعمل في الخفاء تهدف إلى توسيع تكوين قاعدتها الشعبية. فنجحت في استقطاب العديد من الثوار والمناصرين من مناطق متعددة من الشمال والجنوب فعمدوا إلى الحصول على السلاح من الدول المجاورة كالسودان واثيوبيا . وفي عام 1965م انفجرت ثورة أخرى مدنية في محافظة قيراء (المجاورة لمحافظة شاري باقرمي والتي فيها العاصمة فورت لامي). وكان القائمون بها أفراد من قبيلة الموبي سكان منقلمي الذين رفضوا دفع الجزية وهجموا على جنود الحكومة هناك. فأبادوا فصيلة منهم . ومات في تلك الأحداث أيضا النائب البرلماني برمه سنوسي الذي كان مبعوثاً من الحكومة لتهدئة سكان منقلمي .

هزت هذه الحركة حكومة تمبل باي فارسلت قوات إضافية حاصرت مدينة منقلمي لعدة أيام لحمل الثوار على الاستسلام . ولما رآت الحكومة إصرارهم قصفتهم بالطائرات بمساعدة القوات الفرنسية التي كانت تحتفظ بقواعد عسكرية في تشاد . فكانت

مجزرة لم تشهد تشاد لها مثيلاً .هذه المجزرة ، رغم بشاعتها الا انها كانت نقطة تحول اساسية للثورة التشادية المتمثلة في فرولينا التي اتخذت من حمل السلاح سبيلاً للعمل على تحرير تشاد من نير حكم الساراء. وبعد مضي ثلاثة أشهر من أحداث منقلمي ضربت قوات جبهة تحرير تشاد Front Liberation du Tchad المعروفة اختصارا بـ (F.L.T) بقيادة احمد حسن موسى (من الوداي) والتي كانت تتخذ من حدود السودان الغربية نقطة للانطلاق – ضربت هذه القوات مدينة ادري وقتلت أفرادها الساراء عن بكرة أبيهم واستولوا على أسلحتهم . وكانت هذه المعركة إعلاناً وإيذاناً بتدويل المشكلة التشادية وإنطلاقة للثورة التشادية المتكاملة سياسياً وعسكرياً فتناولت وكالات الأنباء العالمية خبرها.



Hissein Haberé et Goukouni Weddey*

(* مولد جبهةَ فرولينا ويشاهد في لصورة ثنين من أعضائها لرئيسيين وهما حسين هبري وكوكوني وداي).

وفي الجانب الآخر كان فرانسوا تمبل باي يشد قبضته على مقاليد أمور الدولة بحكمه الفردي المتسلط ، فعمد على إسناد الوظائف الهامة المدنية منها والعسكرية إلى أفراد قبيلته ساراء مجنقي الجنوبيين وتأليبهم على الإنتقام من كل من تسول له نفسه

بإبداء ابسط انواع التذمر والإحتجاج . فساد الإرهاب والتشفي وأخْذِ البرئ بجريرة المذنب طابعاً متميزاً للحكم . ففي منطقة الزغاوة مثلا كان يؤتى بالرجل ويطلب منه تسليم أسلحته النارية إلى السلطة ، فيجبر على الإعتراف وان لم يكن يملكه ، والا سيعذب أمام اهله الذين لم يسلموا كذلك من الاهانة والاذلال والانتقام ، فكان الفرد من أبناء الزغاوة لايسلم سواء أنكر او اعترف لملكيته للسلاح ، أي أن مصيره واحد هو التعذيب والتنكيل والتقتيل على زعم الحكومة أن منطقة الزغاوة متاخمة لحدود السودان الغربية التي يتخذها ثوار جبهة فرولينا نقطة إنطلاق للانقضاض على قوات حكومة تمبل باي . فكان أولاد الزغاوة اول من لبوا نداء الثورة للإنخراط في صفوفها وخاصة الجناح العسكري لتمرسهم على حمل السلاح واجادة استعمالهم له التي اكتسبوها من حياتهم اليومية في البادية الصحراوية وراء ماشيتهم من الابل والبقر والغنم .

من العوامل التي كانت تسهل مهمة الثوار من أبناء الزغاوة وجود أقارب واهل في منطقة غرب السودان مثل الطينة وباهاي وبامنا وفوراوية وسربا وكولوبوس والجنينة وأرارا وكنقو حزازه وهبيلا والفاشر فكونوا قادة محليين للجبهة لتيسيير عملية تنقل سائر الثوار عبر منطقتهم الى الحدود السودانية دون عائق بعد تنفيذ عملياتهم العسكرية ضد النظام التشادي ، وذلك بتوفير المأوى والتموين والسلاح والمواصلات لرفاقهم القادمين من عمق تشاد ولاسيما عندما انحصرت الثورة في شرق تشاد في المديريات الشرقية بلتين ووداي وسلامات بعد أن اصبحت قوات الحكومة تسيطر على أماكن الثوار في وسط وجنوب تشاد.

وكان أول من انضموا للثورة التشادية من أبناء الزغاوة هم ممن تلقوا تعليمهم في السودان والأزهر بمصر ، حيث نهلوا العلم من مدارسها وخبروا محاسن الحرية والديمقراطية وعرفوا مساوئ الديكتاتورية وحكم الفرد كما شاهدوا وعايشوا ثورة اكتوبر الشعبية التي قوضت الحكومة العسكرية الأولى في السودان في 21 اكتوبر 1964م، فكانت مفاهيم ومبادئ تلك الثورة اكبر دعم لهم فيما بعد.

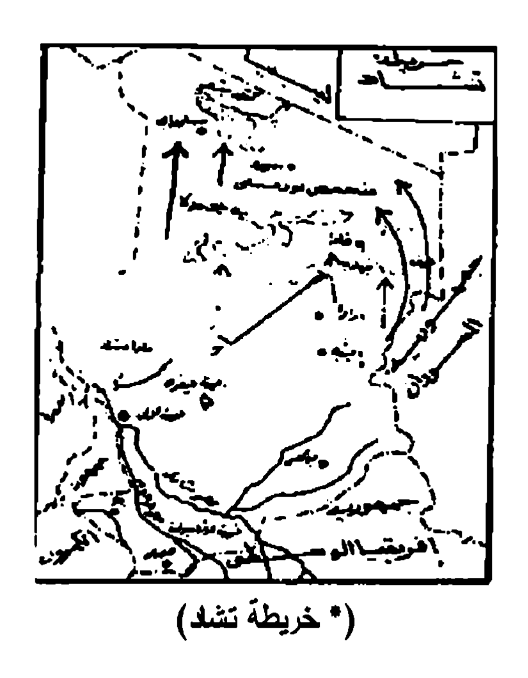
فرولينا بين فكي كماشة:

كانت حكومة جبهة الهيئات في السودان – برئاسة سر الختم الخليفة الانتقالية بعد ثورة اكتوبر 1964م على وفاق تام مع جبهة فرولينا . وعملت على مساعدتها بالاعتراف بها ودعمها ، غير أن الأمور سرعان ما تبدلت وتتبددت الآمال بمجئ الحكومات المتعاقبة التي وطدت صلاتها مع تمبل باي ، فقطعت شرايين التموين عن الثوار بوضعها حاميات للجيش السوداني على طول الحدود المشتركة وعملت على مضايقة القبائل الحدودية التي كانت تقدم العون للثوار .

وفي بداية السبعينيات ازداد الأمر سوءاً في عهد مايو الذي عقد اتفاقية ثنائية مع تمبل باي لتبادل المجرمين بين البلدين . وكان من بنودها إعطاء الصلاحيات لكل من الجيشين بتعقب الثوار واجتياز حدود البلد الآخر دون إذن مسبق . وكان من نتائج تلك الإتفاقية ان تم القبض على ثوار من مجموعة احمد حسن موسى في كل من الفاشر والجنينة وادري وتسليمهم للسلطات التشادية التي قامت بإعدامهم . ووقعت جبهة فرولينا بين كماشة الجيش التشادي والسوداني ، فصمدت إلى حين الا أن الأمر كان عسيراً رغم محاولات الثوار بالهجوم المباغت على مراكز الشرطة ليلاً والانسحاب منها في جنح الظلام . فانزعجت الحكومة التشادية وعملت على شن هجمات إنتقامة ضد سكان القرى الحدودية التي كان تتظنها تأوى الثوار وتتستر عليهم . وفي 1973 يتزعم حسين هبري رئاسة فرولينا ضد حكومة تمبل باي.

فرولينا تنتقل إلى الشمال :

لما رأت فرولينا أن مهمتها أصبحت عسيرة في المنطقة الشرقية لتشاد إثر الإتفاقية آنفة الذكر بين تمبل باي والحكومة السودانية وما نتج عنها ، قررت نقل الثورة الى شمال تشاد البعيدة جغرافيا من مراكز سلطة حكومة فورت لامي . فرحبت قبائل البديات والقرعان و البروقات والتوبو في المديرية الشمالية (B.E.T) بقدومها واكدت ولاءها الذي كان معلناً منذ أولى أيام الثورة. فتنفست فرولينا الصعداء بخروجها من فكي تلك الكماشة عوضاً عن كسبها لمنطقة حصينة يمكن الإنطلاق منها على العدو رغم بعد الشقة والمسافة من الناحية الاستراتيجية.



(* خريطة تشاد)

في هذه المرحلة برز دور زغاوة البديات في الثورة كمقاتلين شجعان ورماة مهرة عند ملاقاة قوات تمبل باي، ونجدهم قد وجهوا الجزء الأكبر من نشاطهم العسكري لتصفية الإدارات الاهلية التي كانوا يعتقدونها طابوراً خامساً وأداة سيئة للتسلط على الشعب ولاتعمل إلا لمصالحها الذاتية الضيقة . وبدأوا حملتهم هذه في مناطق أهلهم في سردبياء وبيربواني -كيرماراء - باجوسي - بارداباء - باو - ام جرس - سوقويا - تيني بيري - إير - وادي كوجي - أوروباء وحتى الحدود الشرقية المتاخمة للسودان بمحاذاة وادي الطينة انتهاء بوادي هوار . وطهروا تلك المناطق من كل المتعاونين مع الحكومة كما عملوا على تحييد العمد والملوك حيث يخيرونهم مابين الانحياز للارادة الشعبية الجديدة والالتزام بعدم ظلم الناس والتوقف عن جباية الضرائب او التنحي عن الحكم مع عدم ممارسة أي نشاط سياسي . والذي يرفض تلك الشروط فإنه يتعرض الى انتقام فوري بأخذ ماله او أبنائه رهائن حتى يعود الى جادة الصواب وإلاّ يقدم إلى

محكمة ثورية شعبية عاجلة فيجعله الثوار يعترف بكل جرائمه امام اهله وذويه ثم يحكم عليه بالاعدام رمياً بالرصاص.

استفاد الثوار من فرع زغاوة الكوبي الاخرى من تجربة البدايات هذه فعمموها وطبقوها في مناطقهم مما اقلق مضاجع الادارات الاهلية المتمثلة في السلطنة في هريباء والعموديات التابعة لها في مديرية بلتين كما اقتبست المناطق الاخرى تلك التجربة .

وفي منتصف السبعينات ، احتضنت الجماهيرية الليبية جبهة فرولينا فانتقل اليها كوادر فصائلها المختلفة من الجزائر وفرنسا وفتحت مكاتب لها كما انطلق صوت الثورة التشادية من الإذاعة التي افتتحت لها هناك . فكان أبناء زغاوة البديات والكوبي من أوائل الناس الذين نزحوا الى ليبيا حيث تلقوا فيها التدريب العسكري كما عملوا في الأنشطة المختلفة . وعاد الثوار من ابناء الزغاوة بأساليب عسكرية متقدمة وبأسلحة حديثة ومفاهيم اجتماعية جديدة . وبذلك دخلت الثورة في مرحلة ثانية تتضمن المواجهة العسكرية المباشرة للسلطة إضافة إلى الاصلاحات الاجتماعية.

ففي سنة 1976 أدخل الثوار نظام البلديات في تشاد لتحل محل الادارات الاهلية التي شغرت بتنحي زعمائها . وكان على غرار نظام الحكم الشعبي المحلي . ففي منطقة الزغاوة تمت تصفية سلطنة الكوبي في هريباء والمناطق التابعة لها مما دفع بعض العمد "إيناء" الذين لم يستطيعوا مواكبة الثورة اللجوء الى السودان واتخذ البعض الآخر من أبيشي وفورت لامي ملاذاً لهم من بطش الثورة . وادخلت نظم جديدة على الصلاحيات المخولة للبلديات منها حماية الغابات من قطع الاشجار مع فرض عقوبات صارمة لمخالفيها . ومن المستجدات على العمل الاداري أمور تتعلق بتسهيل الزواج وتحديد المهور وتقليلها مع معاقبة من يقدم على خرق الأوامر المحلية بهذا الخصوص.



(* تلاحم الجيش النظامي والمليشيا الشعبية في تشاد)

قام تمبل باي بمحاولات عدة ليوهم العالم الخارجي بأنه بصدد ادخال اصلاحات سياسية في نظامه كتغطية لمفاسد حكمه الفردي ، فابتدع ما اسماه بالثورة الثقافية عام 1974م ، فزعم انه يعمل للتقارب مع العالم العربي والإسلامي. وأمر المواطنين في تشاد إلى تغيير أسمائهم الافرنجية الى أخرى وطنية او عربية فبدأها بنفسه وغير إسمه من فرانسوا تمبل باي إلى انقرتا تمبل باي ، كما غير إسم العاصمة من فورت لامي الى "انجمينا" وارسل نجليه للتعلم في الجامعة في بيروت ، وحَسَّنَ علاقاته مع نظامي مايو في السودان ومصر . ولكن هذا التخبط في سياسته لم يجد فتيلا حيال تصميم الثورة التشادية من جهة والفتن المتنامية داخل أركان حكمه من جهة أخرى .

ففي 13 أبريل 1975م أطاح به إنقلاب عسكري دموي بقيادة القومندان عبد القادر كموجي فقتل . فتكون مجلس عسكري أعلى للإنقاذ الوطني برئاسة الجنرال مالوم. وكان ممن ضمنهم ذلك المجلس الملازم محمود عبد الرحمن حقار وهو من زغاوة الكوبي . وفي حكومة الوحدة الوطنية الثانية برئاسة كوكوني وداي كان للزغاوة أيضا ممثلا في تلك الوزارة حيث عمل حسين كودي يعقوب وزيراً للاقتصاد .

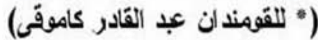
وفي هذه الفترة التي تركزت السلطة عند الشماليين ظهرت بوادر الصراع داخل الفصائل المكونة للثورة التشادية بين اخوة المصير المشترك ورفقاء السلاح . و الزغاوة – مثل غيرهم من الثوار – كانوا ينتمون لعدة فصائل ، لكنهم جميعاً كانوا تحت مظلة

جبهة التحرير الوطني التشادي (فرولينا) وعندما اشتد الصراع وتركز بين اثنين من أهم تلك الفصائل ناصر بعضهم الجناح الذي يتزعمه كوكوني وداي فيما ناصر بعضهم



(* للجنرال فيلكس مالوم)





(* للقومندان عبد القادر كاموقى)

الآخر الجناح الذي يتزعمه حسين هبري . وفي معركة انجمينا الدامية التي وقعت في 12 فبراير 1979م اشترك فيها اعداد كبيرة من ثوار أبناء زغاوة الكوبي وزغاوة البديات جنباً الى جنب مع رفقائهم من ثوار ابناء القرعان والتوبو وفصائل الثورة الاخرى . وفي 1979/4/29 تكونت حكومة الوحدة الوطنية.

وظل أبناء الزغاوة يشكلون ثقلا عسكريا هاماً في قوات الشمال المسلحة Force D'arme'e Du Nord(F.A.N) التي أتت بحسين هبري رئيسا للجمهورية في يونيو 1972م. فانخرط كثير من أبناء الزغاوة في العمل في دواوين الحكومة وتسلموا أعلى المناصب في الجيش اذ صار إدريس ديبي وزيراً للدفاع وحسن جاموس قائداً للقوات المسلحة التشادية.



(* حسين هبري)



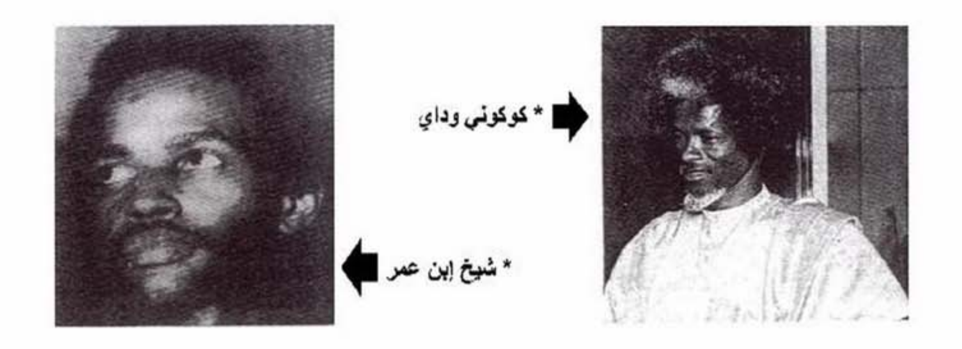
* حسن جاموس قائد أركان القوات
التشادية من زغاوة الكوبي
HASSANE D'JAMOUS



* إدريس ديبي وزير الدفاع التشادي
من زغاوة البديات
IDRISS DEBY
COMMISSAIRE AUX ARMEE

كما انتظم العديدون ضباطاً وجنوداً في الجيش . اما على النطاق السياسي والاجتماعي فيوجد لديهم ممثلين في الحزب الحاكم "الإتحاد الوطني" من اجل الإستقلال والثورة" المعروفة اختصاراً "يونير UNIR وهي Union National Del'indepenendance et La Revolution بينما خرج مناصرو جبهة القوات الشعبية Front D'arme'e Poupulaire (F.A.P) التابعة لكوكوني وداي من انجمينا وذهبوا الى ليبيا وظلوا في المعارضة.

* صور تبين قادة الفصائل التشادية المعارضة



* كوكوني وداي

* شيخ إبن عمر



(* ثلاثة من رؤساء لفصائل لتشادية لمقاتلة في ندوة "لوطن لعربي")



(* احمد أصيل)

ملحق رقم "أ"

أحداث تاريخية هامة

الفترة التاريخية	الأحداث
1492	قيام مملكة العبدلاب على انقاض مملكة علوة لمسيحية (عاصمتها سوبا)
1821-1504	السلطنة الزرقاء(مملكة الفونج) (عاصمتها سنار)
1881-1821	التركية السابقة (الحكم التركي المصري)
1898-1881	المهدية
1956-1899	الحكم الثنائي (الانجليزي المصري)
1640	تولي سليمان سولنق الحكم
1874-1650	مملكة الفور الأولى
1787-1752	فترة حكم السلطان تيراب بن علي بكر
1911-1635	فترة حكم مملكة وداي (عاصمتها أبشي)
1916-1899	فترة حكم السلطان علي دينار بدارفور
1892-1879	فترة حكم السلطان عبد الرحمن فرتي لدار الكوبي
1903-1892	فترة عمل فرتي مع سلطنة وداي
1903-1892	حكم السلطان عبد الرحمن فرتي ومملكته دون أن يكون تابعاً لأية سلطنة اخرى
1912-1904	فترة مهادنة فرتي مع علي دينار إذ تم تزويجه لإبنته
1912	معركة قرعة ومقتل السلطان عبد الرحمن مفرتي
1916	تأسست كيراباء عاصمة الجيراء الأولى
1924	رسم الحدود الغربية بين السودان وتشاد بواسطة الانجليز والفرنسيين
1926	تأسست الطينة عاصمة الجيراء الثانية
1942	وفاة السلطان حقار بن تيراب وتولي ابنه السلطان عبد الرحمن الحكم
1835	بداية حكم السلطان محمد شريف لمملكة وداي
1876	بداية الخلافات في الأسرة الحاكمة لوداي عند تولي السلطان محمد يوسف بن محمد بن شريف
1905	توغل الفرنسيين في افريقيا وزحفهم على تشاد ودارفور
1909	بداية دخول الفرنسيين تشاد

1911	احتلال الفرنسيين لمملكة وداي والهيمنة على تشاد
1913	"أوقينو بيري" عام جفاف قضاه الكوبي في منطقة بيماراء جنوب كبكابية
1914	"ديقينو بيري" عام المجاعة الطاحنة
1915	"أقيمي بورجو بيري" سنة الآفات والجراد
1915-1914	"أبو دوقلاء بيري" سنة وباء السحائي التي عمت السودان
1889	"ميريض بيري" سنة وباء الجدري التي عمت السودان
1916	"بوربور بيري" عام خروج علي دينار من الفاشر ولجوئه الى جبل مرة
1916	مقتل السلطان علي دينار
1844	ولد محمد احمد المهدي
1885/1/26	سقوط الخرطوم في يد المهدي
1885/6/22	وفاة المهدي
1898-1885	فترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي
1882	إندلاع الثورة المهدية في دارفور
سبتمبر1921	ثورة الفكي عبد الله السحيني في نيالا ضد الانجليز
1918-1914	الحرب العالمية الاولى
1945-1939	الحرب العالمية الثانية

ملحق "ب"

بعض التواريخ الهامة في تاريخ زغاوة الكوبي

الاسم	تـــاريخ المـــيلاد والوفاة	العمر	ملحوظات
يعقوب	1516-1446	70 سنة	عاصر مملكة الفور
يوسف	1546-1479	،،67	،،، ،، ،،
الفكي محمد داج	1607-1514	،،93	،،، ،، ،،
عبد الله "برو"	1623-1544	،،79	
عيسى"عيشى"	1643-1574	،،69	
الملك عمر	1669-1604	،،65	
الملك هلال	1714-1641	،،73	
الملك كوريه	1745-1682	،،63	عاصر مملكة الفور الأولى (السلطان تيراب)
السلطان طه	1806-1735	،،71	عاصر كلا من السلطان تيراب وهاروت وحقار
آدم	1810-1760	،،50	
بشاره	1855-1794	،،61	عاصر نهاية دولة الفونج وبداية التركية السابقة
السلطان عبدالرحمن	1912-1829	،،83	عاصر التركية والمهدية ومملكة الفور الثانية تقلد الحكم 1879 تسلم الحكم وعمره 50 سنة حكم 32 سنة خدم وعمل في سلطنة وداي 15 سنة (حتى 1892)
السلطان دوسه	1981-1881	100 سنة تقريبا	حكم من 1913-1981 اي حكم 68 سنة عاصر حكم السلطان عبد الرحمن

الخليفة عبدالشافع السلطان عبد الفقراء	1887-1827 ؟- 1877	60	حقار والسلطان علي دينار. هو عم كل من عبد الرحمن فرتي وعبد الشافع
الفونج سلطنة الفور الأولى التركية السابقة المهدية مملكة وداي	من 1504-1821 من 1650-1874 1821-1881 1881-1898 1635-1911		

الفهرست

العدد	الموضوع	الصفحة